كتاب روض المحب الفاني
فيما تلقيناه من أبي العباس التجاني

تأليف:

الإمام العلامة سيدي محمد بن المشري السباعي السائحي المتوفى بعين ماضي سنة 1224 هـ صاحب الجامع والسراج الوهاج ونصرة الشرفاء وغيرها من المؤلفات رحمه الله ورضي عنه آمين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم و به أستعين و لا حول و لا قوة إلا باللّه العلي العظيم وصلى اللّه و سلم على سيدنا محمد أشرف المخلوقين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.كثيرا إلى يوم الدين

الحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه. لقد جاءت رسل ربنا بالحق، وصلى اللّه و سلم على سيدنا و نبينا و مولانا محمد أشرف خلق اللّه المبعوث إلى الملائكة والحور العين وسائر الخلق. صلى اللّه عليه وعلى آله وأصحابه أهل العناية والجاه ما غرد الهزاز على أفنانه و ما لاح من نجد برق.

هـذا، فـإن أشـرف مـا يـدون بعـد كتـاب اللّه وسـنة رسـول اللّه كـلام العارفين المستغرقين في مشاهدة الحق جلت قدرته في كل وقت وحين.

ولما أكرمنا اللّه تبارك و تعالى بمعرفة الشيخ الواصل القدوة الكامل شيخ التربية والتعليم ومنبع السر الموصل إلى جنة النعيم، ممد المعتقدين ومضل المنتقدين القطب الرباني أبو العباس التجاني متعنا اللّه برضاه وحشرنا مع المحبين في حماه، ولاحت علينا أنواره وفاضت على الأنام أسراره، ألهمني الملك الوهاب أن أقيد من فيضه ما لست تراه في كتاب. وأرجوا اللّه تعالى إن يكون ذلك جنة للأحباب، وللمطرودين المحرومين هلاك وعذاب، ترجمته: بروض المحب الفاذي فيما تلقيناه من أبي العباس التجاني.وأن شئت قلت :مواهب المنان لأعيان الصوفية والإخوان. و أسأل اللّه تعالى أن ينفع به كل من نظره بإنصاف و متع فيه بصره. آمين.

هدية لمن لـــــه عناية بالصالحيـــــن
من فيض منهل الصفا وقطب حزب العارفيـــن
أكرم به من واصـل يعزى لعرب من تُجيـــن
لكنه من نسبـــة قلت لجد الحسنيـــــن
وقيل من نجل الـذي شهرته في العالميـــــن
ابن إمام اسمـــه للناس سيد مكيـــــن
اليعمري فضلـــه عند الورى حصى الحصين
وحي عن ربه الـذي قدمتهم مدونيـــــن
ذكرهم فيما مضـى شيخ تقي من راسخيـــن
في رحلة دونهـــا نجل رشيد الأميـــــن
وعد منهم كثـــرة من علماء عامليـــــن
يا ربنا صل علـى أشرف كل العالميـــن
ثم الرضا تعن آلـه وصحبه و التابعيـــــن

أما نسبه، رضي اللّه عنه، فهو ينتمي إلى مولانا الحسن بن علي رضي اللّه عنهما. وتحقيق نسبه رضي اللّه عنه محقق عندي ولم يعول الشيخ رضي اللّه عنه على ما هو مسموع عند الناس وما هو مكتوب في العقود حتى سأل النبي صلى اللّه عليه وسلم على نسبه وحققه له. سمعته يقول رضي اللّه عنه: سألت سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم على نسبي هل شريف أم لا ؟ وعلى أهل القرية التي ولد فيها فإنهم ينتسبون إلى الشرف. فأجابه صلى اللّه عليه و سلم: أنت ولدي، أنت ولدي، أنت ولدي. وكررها ثلاث مرات. و أما أهل القرية فقال لي الشيخ رضي اللّه عنه: سكت عني صلى اللّه عليه وسلم ولم يجبني بشيء في تحقيق نسبتهم.

والشيخ لم يكن نسبه منهم، بل جده النازل فيها طارئا عليهم، و ليس بينهم نسبا إلا من النساء، وإنما نسب إليها لتوطن أجداده بها. فهكذا أخبرني رضي اللّه عنه. فمنحين سمع تحقيق نسبه من سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم صرح بالشرف وجزم به للخاص والعام، وذلك لتحقيق نسبه في نفس الأمر لأن سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم أخبره يقظة لا مناما. وسأله عن أمور كثيرة ظاهرة و باطنة وأخبره بها صلى اللّه عليه وسلم.

أما أبوه رضي اللّه عنه وهو السيد مَحمد بن المختار فكان عالما ورعا متبعا للسّنة ذاكر مدرسا وكانت تأتيه الروحانية يراودونه على قضاء حوائجه فامتنع وطردهم وقال لهم: اتركوني بيني وبين اللّه لا حاجة لي بكم. فذهبوا وتركوه وكان متعلقا باللّه رضي اللّه عنه. و كان له بيت ذكر في داره. هكذا حكا لي عنه شيخنا رضي اللّه عنه. وتوفي سيدي محمد بالفتح رضي اللّه عنه عام ستة وستنين ومائة وألف. وتوفيت والدته السيدة الحرة النفيسة عائشة بنت سيدي محمد بن السنوسي التجاني في اليوم الذي توفي فيه زوجها وقُبرا بعين ماضي. ماتا بالطاعون رحمة اللّه عليهما.

وأما جد شيخنا رضي اللّه عنه الثالث المسمى به فكان عالما كبيرا وأظنه هو الذي سماه العياشي في رحلته العالم الكبير. و أما جده الرابع رضي اللّه عنه فكان عالما أيضا وكان له بيت في داره لم يدخله أحد غيره، وكان إذا خرج من داره إلى المسجد يستر وجهه ولا يرى أحد وجهه وكذلك إذا رجع إلى داره حتى يدخل بيت خلوة. وسألت الشيخ رضي اللّه عن سبب ستره لوجهه عن الناس قال لي: لعله بلغ مرتبة في الولاية، فإن كل من بلغها يصير كل من رأى وجهه من الخلق لم يقدر أن يفارقه حتى ساعة، وإن فارقه و انحجب عنه مات من حينه، وهو من أدرك اثنين وسبعين علما من العلوم المحمدية ومكث فيها ثلاثا وعشرين سنة يستر وجهه عن الناس للعلة المذكورة. قلت للشيخ : هذه المرتبة لمفاتح الكنوز أو لغيرهم. قال بل لغيرهم من العارفين. وأما القطب ومفاتيح الكنوز فلا يستترون لكمالهم، فلعل السيد المذكور –وهو جد شيخنا أدرك هذه المرتبة رضي اللّه عنه.

وأما مشايخه رضي اللّه عنه الذين قرأ عليهم القرآن والعلم الظاهر، فإنه قرأ القرآن على سيدي محمد بن حم التجاني، حفظ عليه القرآن قبل البلوغ. وكان رجلا صالحا مؤدبا للصبيان وقرأ هو على شيخه سيدي عيسى بوعكاز الماضوي التجاني، وكان رجلا صالحا مشهورا بالولاية وكان مؤدبا للصبيان أيضا. ذكر لهم مرة أنه رأى رب العزة في النوم وسرد عليه القرآن بورش من أوله إلى آخره فقال له ربه: هكذا أُنزل. وحصل على يديه النفع. و مات سيدي محمد بن حم المذكور عام اثنين وستين ومائة وألف.و قرا على شيخه سيدي المبروك بن بوعافية المضوي التجاني الشيخ خليل والرسالة ومقدمة ابن رشد والأخضري. وتوفي سيدي المبروك عام ستة وستين ومائة وألف.

و لشيخنا رضي اللّه عنه مرائي في أول عمره تدل على أنه يصير قطبا. منها إنه قال: رأيت وأنا صغير قبل البلوغ كأنه انتصب لي كرسي

مملكة وأنا جالس عليه ولي عساكر كثيرة وأنا أصرفها في قضاء الحوائج كأني ملك. قال لي رأيت هذا وأنا في عين ماضي.ثم حين كان في تلمسان قال لي: رأيت نفسي في صورة ملك وعقد لي الناس البيعة ومعي خلق كثير ونصبوا إلي كرسي الخلافة على سطح مرتفع و فوقي لباس الملوك من ملف وغيره، فلما حانت الصلاة وهو وقت الظهر، فأردت أن آمر أحدا من الناس يصلي بنا على عادتي في اليقظة فتفكرت وقلت: الخليفة هو الذي يصلي بالناس، فتقدمت و صليت بالناس حتى أتممت الصلاة وسلمت. فلما قصها علي قال لي: وأظن أن الله سبحانه وتعالى أراد بي القطبانية وأنا أطلبه غيرها، لأنه كان في ذلك الوقت يطلب عند الله أن يكون أحد مفاتيح الكنوز لأن مرتبتهم فوق القطب. فقلت له على سبيل المزاح: ضرك حيث أرادك بهذه المرتبة العظيمة، فضحك رضي الله عنه.

ثم بعد مدة صرف وجهه لطلب القطبانية لمِا رأى من الخصوصية التي للقطب ولم ينلها غيره من أكابر الأولياء وأن بلغوا ما بلغوا في ارتقاء المراتب.وممن أخبره بنزول مقام القطبانية سيدي أبو مدين الغوث رضي الله عنه قال: رأيته في النوم في مجمع، وهو يقول: من يجيب لنا شيئا نعطوه الحاجة التي طلبها أو نضمن له الحاجة التي أحب. قلت له أنا أعطيك أربعة مثاقيل واضمن لي القطبانية العظمى. قال لي: نعم وأنا أضمنها لك، لم تمت حتى تدركها و أنا في ذلك الحال عريان. فلما ذهبت من عنده لنأتيه بالدراهم استيقظت وكان رضي الله عنه كأنه عنده وليمة يريد ينفق فيها. فلما طلع النهار أخذت الدراهم وذهبت إلى ضريحه فلما وصلته قلت له: يا سيدي هذه أربعون أوقية التي قلت لك نعطيها لك ولكن أتصدق بها على الفقراء وثوابها لك وأعطيتها لبعض الشرفاء. فقال واحد من أولئك الفقراء: أقبلت علي وليمة ولا عندي ما نقدر به عليها، فاستغث أمس بسيدي أبي مدين فهذه إغاثته رضي الله عنه. وما ذكره هذا الفقير تصديق

لهذه الرؤيا.قال: وصفة سيدي أبي مدين رضي الله عنه رجل أبيض شعره أزعر في عينه زرقة وفي لحيته شيب قليل.

ومما يؤيد هذه الرؤيا أن الشيخ تلاقى مع رجل يدعي أنه يلاقي الروحانية يقظة ويخبرونه بما يسألهم عنه فقال له الشيخ : أني أضمرت لك حاجة فما هي؟ ولم يسمها له. فلما حضروه قال لهم ما حاجة فلان أعني شيخنا قالوا له سألك عن القطبانية. قال فحضر معهم رجل قال لهم من قال لكم تتكلموا في هذا الأمر قالوا له صاحبه هو الذي سألنا أعني شيخنا. قال لهم هذه القطبانية أنا ضمنتها له حين كان في تلمسان قبل أن يُشرِّق، لم يمت حتى يدركها فلا تدخلوا فيها لا أنتم ولا غيركم. والرجل المذكور هو الشيخ سيدي أبو مدين رضي الله عنه .و المسئول لم يتلاقى مع الشيخ إلا في ساعة السؤال ولا خبر له بالرؤية أصلا، فدل خبره على صحة هذه الرؤية وأنها حق لا وهم فيها ولا غلط. ومنها أنه قال لي : رأيت رؤيا تدل على حالي كله وذلك أني رأيته صلى الله عليه وسلم راكبا على حصان فقلت وأنا ذاهب نحوه: أن سلمت عليه وهو فوق الحصان لم ندرك مرادي إلا بمشقة وأن سلمت عليه غير راكب فندرك مرادي من غير تعب. فلما وصلته صلى الله عليه وسلم نزل من فوق الحصان وسلمت عليه. فهكذا وقع في خاطري في ذلك النوم. فلما سلمت عليه دخل جنان فلان- لرجل من أهل عين ماضي- واحرم يصلي، فلما أردت أن نحرم معه، فبينما أنا في استحضار النية ولم أحرم حتى ركع وسجد صلى الله عليه وسلم فأحرمت معه في الثانية فكملتها نعه إلى أن سلم. فأولتها وأنا في ذلك الحال بأن نصف عمري يضيع ولم ندرك فيه شيئا، ونصفه الآخر ندرك فيه مرادي فكان الأمر كذلك والحمد لله.

وأما من أخبره بنزول القطبانية في اليقظة فسيدي محمد بن الأحسن كما سيأتي ذكره وسيدي أحمد بن عبد الله الهندي والشيخ محمود في قوله: لك أكثر منها. وقال لي يوما رضي الله عنه

كنت قبل أن نظفر بالاسم الأعظم نتحسر ونقول: ضاع عمري من غير فائدة وأما اليوم والحمد لله وله الشكر، فذكر مرة يساوي ما فات من عمري من يوم بلغت إلى الآن وزيادة.قلت له: بل هي أكثر من أول الدنيا إلى الآن بعبارة غير هذه فقال نقول كما قال نبي الله يوسف على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام: ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس.قلت له أنك أخبرت في أول عمرك أنك تصل القطبانية العظمى فكيف تتحسر؟ قال لي نعم ولكن ما رأيت شيئا يطمئن به قلبي حتى ظفرت بالاسم الأعظم. قلت له أهو الذي أخذته من عند فلان أم غيره؟ قال: لا، بل الذي أعطاه لي سيد الوجود صلى الله عليه_ وسلم وأخبرني بفضله الكثير . وأما الآخر أخذته، ولم ندرك فضله.

قلت وتلك المبشرات المتقدمة لشيخنا قبل أن يخبره سيد الوجود صلى الله عليه وسلم يقظة لا مناما، وأما اليوم والحمد لله فأخبره بنزول مقام لم يقدر أحد أن يفشيه فضلا عن إدراكه وضمنه له وضمن له كلما طلب حتى من أمور الدنيا كما سيأتي التنبيه عليه في غير هذا المحل.

وإما رأياه لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم فكثيرة، و إنما ذكرت منها ما يدل على مقامه هنا. وأما التي لا تدل فمنها أنه قال لي: رأيته صلى الله عليه وسلم في تونس قال لي ادعوا بالمعرفة أو بمرادك أو بكلام يقرب من هذا وأنا أؤمن على دعائك. فدعوت فأمّن صلى عليه وسلم ثم قرأ سورة والضحى. فلما وصل إلى قوله تعالى: ولسوف يعطيك ربك فترضى، رمقني ببصره الشريف صلى الله عليه وسلم وكمل السورة. ومنها أني رأيته مرة وسألته عن الحديث الوارد في سيدنا عيسى عليه السلام قلت له: وردت عنك روايتان صحيحتان واحدة قلت فيها يمكث بعد نزوله أربعين وقلت في الأخرى يمكث سبعا ما الصحيحة منهما؟ قال لي رواية السبع أي يمكث سبعا. ومنها قال لي رأيت المصطفى صلى الله عليه وسلم فسألته عن الزكاة التي يأخذها الأمراء

الظلاّم من المسلمين كرها هل تكفيهم قال صلى اللّه عليه وسلم: أنا أمرتهم بطاعتهم؟ قال الشيخ رضي اللّه عنه قلت له: الذي يمكنه إعطاؤها لغيرهم ولم يلحقه ضرر منهم قال صلى اللّه عليه وسلم: أن أعطوها فعليهم لعنة اللّه. هذا معنى كلامه صلى اللّه عليه وسلم.

قلت للشيخ رضي اللّه عنه: والذي من الأمراء يأخذ العشر من المسلمين سواء بلغ المال النصاب أم لا قال لي ذلك غصب وليس بعشر. قلت له: ولعله صلى اللّه عليه وسلم أراد بطاعتهم اتقاء شرهم قال: نعم. ومنها أنه قال: كنت نتحرج ونشدد غاية من الماء المتغير من أثر الوضوء بل ولا نتوضأ به حتى رأيته صلى اللّه عليه وسلم يتوضآ في إناء، وكان الماء متغيرا من أثر وضوء. وقال لي: أنا محمد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.فمن ذلك اليوم تركت التحرج ورحت منه. وهذه الرؤيا حكاها لنا في بلاد بني وعزان النازلين بشرقي تلمسان، وذلك أن أحد أصحابه رضي اللّه عنه أراد يتوضأ من ماء وكان متغيرا من أثر وضوء قبله، فتحرج منه، فقال له الشيخ رضي اللّه عنه: توضأ فإني رأيت من هو خير منك توضأ من مثل ذلك الماء، وأخبرني ذات يوم قال لي رأيت سيدنا موسى على نبينا و عليه الصلاة و السلام قلت لهأن قارون بلغنا أنه رأى المحل الذي كتبت فيه الاسم الأعظم ورميته في البحر لإظهار قبر سيدنا يوسف عليه السلام ، فأخذ قارون ذلك المحل المكتوب فيه الاسم وصار يرميه على مواضع الكنوز فتظهر له، ومنه نال ما نال من كثرة الأموال. قال لي: نعم. قلت :هل للعارف اختيار في الفعل والترك؟ قال لي: إذا بلغ مقام كذا ولم يسم لنا الشيخ هذا المقام بعينه.

فانظر رحمك اللّه أحوال هذا الشيخ مع صفوة اللّه من خلقه، فصار نومه كيقظته يسأل عما أراده.وهذه أحوال الرجال لغلبة حكم الروح عن الذات، والروح أصلها الطهارة والصفاء. نسأل اللّه أن يكتبنا في زمرة أوليائه آمين.وله مرائي كثيرة وهذا الذي

حضرني منها في هذا الوقت وكان يراها في أول عمر، وأما اليوم فلا يذكر المرائي إلا نادرا.

ومن ذكاء عقله في صغره رضي اللّه عنه وتنوير قلبه أنه قال لي سبقت للطلبة في آخر مختصر الشيخ خليل رضي اللّه عنه من باب القضاء إلى آخره من غير أن نسمعه من أحد ولم يقرأ كتابا من كتب علم الكلام على أحذ وهو من الفحول فيه، ولم يطق أحد من أهل العصر الذين رأيناهم على ما يطيقه هو رضي اللّه عنه في هذا الفن من التصحيح والتعليل والإبطال، إلا أنه كان في أول عمره عمل طريق المتكلمين في الأدلة ثم بعد رجوعه من حجته المبرورة رجع إلى أدلة النقل ولم يعول على أدلة العقل إلا ما وافق النقل منها وأبطل قولهم بأن العقلي قطعي و النقلي إقناعي وقال: إن هذه قولة شنيعة لم يرضاها مؤمن، ولو كانت كما قالوا لبطلت حجة اللّه على من لم يقدر على إقامة الدليل العقلي، ولم يقل بهذا مؤمن عاقل. و الحق أن حجة اللّه على خلقه هو خبره الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام لا غيره. قال سبحانه وتعالى ألم يأتكم رسل منكم، فقد جاءكم بشير ونذير، فبأي حديث بعد اللّه وآياته يؤمنون إلى غير ذلك من الآيات والأخبار وسنزيده إن شاء وضوحا وبيانا فيما يأتي من كلام الشيخ رضي اللّه عنه.

وأما علم الباطن كاد أن يختص به في زمانه وحاز المرتبة العليا في الفقه، وكان عالما بالأصول من غير أن يعرف اصطلاح الأصوليين ولا قرأه على أحد. وأما الفروع فمن فرسان الميدان فيها، ولعلنا إنشاء اللّه تذكر شيئا من كلامه ليتبين الحق لمن وقف عليها. نسأل اللّه أن يرزقنا فهم كلامه وأن يوفقنا إلى الحق فيه وفي غيره آمين.

فصل في ذكر من أخذ عنه شيخنا من أولياء اللّه أو تلاقى معه ولم يأخذ عنه

فأول من لاقاه في ابتداء أمره حين سافر من عين ماضي إلى المغرب سيدي مولاي الطيب صاحب وزان الشهير بمغربنا، فلا يحتاج إلى تعريف. فأخبرني أنه لما قدم عليه أذن له في ورد طريقته وأمره أن يكون مقدما في إعطاء الورد، فأخبرني شيخنا رضي اللّه عنه أنه لم يذكر ورده فضلا عن أن يكون مقدما فيه. فقلت للشيخ رضي اللّه عنه ولِمَ تركتَ ورده وهو من أولياء اللّه؟ قال لي: كنت لم أعرف أحوال الأولياء فلما رأيته على حالته ظننت أن الولي لم يكن عليها، فتركه وتركت أوراده رضي اللّه عنه. وكذلك مولاي أحمد الصقلي،لم أكلمه حتى الكلام ولم أجلس معه وهو بإزائي في الجامع لِما رأيت من حال أهل الدنيا عليه، وكان في ظني أن الولي لم يكن كحالة أهل الدنيا، فلهذا تركته. ومع هذا كان رضي اللّه عنه يشار له بالقطبانية فضلا عن الولاية. وسيدي مولاي الطيب رضي اللّه عنه أخذ عن أخيه سيدي مولاي التهامي وهو عن أبيه سيدي محمد وهو عن أبيه سيدي مولاي عبد اللّه وهو عن سيدي علي بن أحمد صاحب صرصر. وأما نسب هذه الشجرة الطيبة فينتهي إلى القطب الكبير أعني جدهم أخا لمولاي عبد السلام بن مشيش رضي اللّه عن الجميع ونفعنا ببركات جميع أولياء اللّه.

ثم أخذ طريق ابن ناصر عن سيدي محمد بن عبد اللّه التزاني وهو عن أبيه سيدي عبد اللّه وهو عن عمه سيدي محمد وهو عن سيدي أحمد بن محمد بن ناصر.وقد أخذ قبله طريق سيدي محمد بن ناصر سيدي الحسن اليوسي ، وسيدي الحسن أخذ عن سيدي محمد بن ناصر وهو عن سيدي عبد اللّه بن حسين وهو عن سيدي الغازي وهو عن سيدي علي بن عبد اللّه وهو شيخ الشيوخ سيدي أحمد بن يوسف. ثم تركها وأخذ طريق الشيخ عبد القادر

الجيلاني عن بعض من له الإذن فيها من أهل فاس، وبقي يذكرها مدة ثم تركها.

ثم تلاقى مع سيدي عبد اللّه بن عبد اللّه ولد سيدي أحمد بن عبد اللّه صاحب المخيفة الشهير بمدينة فاس، فدعا له ولم يأخذ عند وردا لأن طريقهم طريق الأشراف. قال لي الشيخ رضي اللّه عنه: لما ودعني قال لي سر اللّه يأخذ بيدك، وكررها ثلاث مرات وهي آخر عهدي به رحمه اللّه.

وتلاقى مع السيد بن الأحسن الذي أخبره بنزول مقام الشاذلي كما سيأتي وموضعه في جبال الزبيب.ثم تلاقى مع الطواش بتازة رحمه اللّه فأعطاه ذكرا وقال له: إلزم الخلوة والوحدة و الذكر واصبر حتى يفتح اللّه، فلم يساعفه فقال له: إلزم هذا الذكر ودم عليه من غير خلوة ولا وحدة ويفتح اللّه عليك على تلك الحالة. و عين لي الشيخ عنه الذكر الذي أعطاه له هذا السيد و قال لي: ذكرته مدة و تركته.

وأخذ طريق سيدي أحمد الحبيب الشهير بمغربنا على بعض من له الإذن فيها و تركها. ثم أخبرني أنه أتاه سيدي أحمد الحبيب في النوم وقال لي قبض على لساني و لقنني اسما فذكرته مدة و تركته.

ثم لما سافر لحجه المبرور وتلاقى مع سيدي محمد بن عبد الرحمن الأزهري نزيل جرجرة بزواوة فأخذ عنه الطريق الخلوتية و هو أخذها عن الشيخ الحفناوي رضي اللّه عن جميعهم.

و تلاقى مع بعض أولياء تونس منهم السيد عبد الصمد الرحوي، وكان تحت ولاية غيره وهو قطب تلك البلدة، و كان في صحبته رابع أربعة ولم يتلاقوا معه نهارا لستره على نفسه، إلا في ليلة الجمعة وليلة الاثنين يبيتون معه، و لذلك قال لي الشيخ: فطلبته في الملاقاة فامتنع وبعثت له ذات يوم محبوبا ذهبا مع صاحبه، فقال: المحبوب بعث محبوبا.

فلما ارتحل من تونس إلى مصر قاصدا ملاقاة الشيخ محمود الكردي رضي الله عنه قال لي: لما وردت عليه رحمه الله قال لي أنت محبوب عند الله في الدنيا والآخرة. قلت له: من أين لك هذا؟ قال لي من الله بعد أن قلت له رأيتك وأنا في تونس قلت لك أني نحاس كل ذاتي قلتَ لي: هو كذلك وأنا أرد نحاسك ذهبا. فلما قصصتها عليه حين وردت عليه قال لي هو كذلك كما رأيت. ثم قال لي بعد أيام: ما مطلوبك؟ قلت: مطلوبي القطبانية قال لي: لك أكثر منها. قلت له: عليك؟ قال لي: نعم، ثم بعد أن رجع إليه من حجته المبرورة أذن له في التربية بالطريق الخلوتية وأمره لإعطائها على كره وقال له: أنا الضامن، فقال له فالآن نعم.وأخبره ببعض أموره وما وقع له في سياحته وسبب ملاقاته مع الشيخ الحفناوي والشيخ مصطفى البكري رضي الله عنهم ونفعا ببركاتهم. آمين.

ثم تلاقى بعده بسيدي أحمد عبد الله الهندي بمكة المشرفة زادها الله شرفا وتعظيما وتكريما آمين، فأعطاه سرا كبيرا و أمره أن يذكره سبعة أيام فيُفتح عليه، ولكن يعتزل الناس ولا يراه أحد بعد هذا العمل. فلم يعمله شيخنا رضي الله عنه لهذا الأمر الذي فيه. قلت لسيدنا رضي الله عنه لما أخبرني: لو عملته حتى أدركت فتحه، ثم بعد ذلك لا تختفي على الناس. قال لي: فيه نقض العهد وهو شرط فيه. وكانت طريقة الشيخ المذكور لأنه كان لم يره حتى أولاده و أعطى أسرار أخرى غير هذا لسيدنا رضي الله عنه. ولما طلبه في الملاقاة به قال له: لا تلتقي بي ولكن تلقي بالقطب بعدي يكفيك عني، وأخبره بأنه لابد له من بلوغ مقام أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه. وكان أخبره بأنه يموت في عشرين من شهر الله ذي الحجة الحرام، فكان كما قال رضي الله عنه ورحمه. وأوصاه على ولده بأن يعطيه بعض أسراره فمكنه له في مكة المشرفة زادها الله شرفا، حفظا لأمانة الشيخ وللوفاء بعهده. فلما ارتحل للمدينة المنورة

شرفها اللّه تعالى تلاقي مع القطب سيدي محمد بن عبد الكريم السمان رضي اللّه عنه. فأخبرني شيخنا أنه طلب منه أنه يقيم عنده ثلاثة أيام و يصبغه صبغة تامة، فلم يمتثل أمره و لم يقم عنده لكونه دخل قبله في صحبة الشيخ محمود وطلب منه بعض الأسرار فأذن له في جميع الأسماء و المسميات جملة.

وحج رضي اللّه عنه في عام سبعة وثمانين في القرن الثاني عشر. و في عام ثمانية وثمانين في القرن المذكور تلاقيت معه في مدينة تلمسان وأذن لي في السلوك بالطريق الخلوتية التي أذن له فيها شيخه الشيخ محمود وأذن لنا في أوراد وأسرار منها ما يذكر ومنها ما لم يمكن ذكره. جزاه اللّه عنا خيرا، وما كنا نعرف تحقيق مسائل العلم الظاهر فضلا عن العلم الباطن حتى تلاقينا معه ففهمنا ما قسم لنا والحمد للّه وله الشكر. ولم نعرف أحوال الأولياء وسيرهم إلا منه، وفهمنا بشيء من علم الوقت الذي يحتاج إليه كل أحد. فلو شكرناه طول أعمارنا ما كفيناه مقدار شعرة مما وصل لنا على يديه وما وعدنا به من وعده الصادق الذي لا خلف فيه. نسأل اللّه جلت عظمته أن يكافيه عنا بما كافا به خاصة أحبابه من خلقه. آمين.

ولما ارتحل من تلمسان إلى أبي سمغون و الشلالة من بلاد الصحراء أخبرني أنه ترك جميع الطرق التي أخذها عن الأشياخ، فسألته ما السبب المؤدي إلى تركها ،فأجابني بأن سيد لوجود صلى اللّه عليه وسلم أعطاه طريقة من الأوراد وقال لي رضي اللّه عنه: أمرني بلزومها من غير خلوة ولا اعتزال عن الناس. وقال لي حتى تصل مقامك الذي وعدت به وأنت على حالتك من غير ضيق ولا حرج ولا كثرة مجاهدة. وأخبرني أنه قال له صلى اللّه عليه وسلم: لا يصل لك شيء إلا على يدي ،فاترك عنك جميع الأولياء. فمن حين قال له صلى اللّه عليه وسلم هذه القولة ترك جميع الطرق وترك الطلب من جميع الأولياء.

فانظر رحمك اللّه هذا الاعتناء بشيخنا وهذه المحبة الخصوصية له من سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم. وهذا يدل على أن لهذا السيد مرتبة عظيمة عند اللّه كما أخبره بها سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم في غير ما مرة، وذلك أن من كان وصوله على يديه صلى اللّه عليه وسلم كان مقامه في غاية الرفعة كما هو معلوم عند أهل الطريق. وكان أصحابه أعظم قدرا في الغالب من أصحاب غيره من الأشياخ. ولهذا يقول الشيخ عبد القادر الجيلي رضي اللّه عنه: البيضة منا بألف والفرخ لا قيمة له مشيرا لأصحابه لأن فتحه كان على يد سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم، وكان شيخنا قبل أن يأذن له سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم في إعطاء الورد تأتي إليه الواردون للأخذ عنه فيعطي لبعضهم ويمنع البعض، ومن أعطاه يقول له: نحن أصحاب وأما المشيخة فلا. وإن كان مأذونا بالعطاء و التربية من الأشياخ كما تقدم لاعتنائه بنفسه وزهده في كثرة الأتباع. وبقي على هذا الحال مدة إلى أن رتب له سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم الورد الذي يذكره في نفسه والورد الذي يعطيه، فعند ذلك صرح بالعطاء ولم يمنعه من أحد ممن طلبه منه كيف ما كان على أي حال لما فيه من الخيرات التي سأذكر بعضها لمن وفقه اللّه لها. جعلنا اللّه ممن أحب هذا السيد من الآن إلى الاستقرار في أعلا عليين آمين.

سألته يوما هل بلغ أحد إلى مقام الشيخ عبد القادر والحاتمي من الأولياء لما سمعت من علو مقامهم عند اللّه وعظيم شأنهم وما مدحا به أنفسهم رضي اللّه عنهم كقول الشيخ عبد القادر: ما في الصبابة منهل مستعذب إلا و لي ولي فيه الألذ الطيب إلخ الأبيات. وكقول الحاتمي :

بنا ختم اللّه الولاية فانتهت ... بنا فلا ختم يكون من بعدي

وما فاز بالختم الذي لمحمد ... من أمته والعلم إلا أنا وحدي

فأجاب رضي اللّه عنه لم يبلغه أحد من الأولياء سوى الأربعة رضي اللّه عنهم. وأخبرني أنه زاد على الشيخين المذكورين في المقام بأمر لم يصلاه ولم يظفرا به، فإن فضل اللّه لا حد له ولا حصر إلا ما حجره الحق سبحانه وتعالى كالنبوءة والرسالة.

وأما مراتب الولاية فغير محجّرة على أحد. قال صلى اللّه عليه وسلم: أمتي كالمطر، لا يدري أيه أنفع أوله أو آخره. يعني في البركة والخير والدعوة إلى اللّه وتبيين الأحكام، لا أنهم يحدثون حكما من الأحكام، إلا ما ينذر وقوعه مما لم يقع في زمان من تقدم ذكرهم بالفعل ولا بالقول ولا بالبيان. فيجب إذ ذاك، أن ينظر في الحكم على مقتضى قواعدهم في الأحكام الثابتة عنهم الصريحة. فما كان مبنيا على أصولهم قبلناه، وما خرج عن ذلك فهو مردود على صاحبه. و ذكرت هذه النكتة هنا، وإن كانت أجنبية تبيينا لمعنى الحديث كما ذكرها بعض الفحول. و لتعلم أن اللّه تعالى يعطي للمتأخر أكثر من المتقدم و يفضله أكثر و أعظم، وليس من المحال كما يعتقده أكثر الجهلة بل هو جائز.

ولنذكر سند الشيخ محمود والشيخ السمان في الطريق رضي اللّه عنهما. أما الشيخ محمود فأخذ عن الشيخ الحفناوي وهو عن الشيخ مصطفى البكري وكذلك الشيخ السمان أخذ عن الشيخ مصطفى البكري رضي اللّه عن جميعهم.

ولنذكر سند سلسلتهم إلخ تبركا بأولياء اللّه، كما هو محفوظ عندهم، و كما كتبه الشيخ محمود لشيخنا، فنقول كما قالوا رضي اللّه عنهم :

لقن رب العزة جبريل عليه السلام. وهو لقن النبي صلى اللّه عليه وسلم. وهو لقن علي بن أبي طالب كرم اللّه وجهه. وهو لقن ابنه الحسن والحسن البصري وجميل بن زياد. والحسن البصري لقن حبيبا العجمي. وهو لقن داود الطائي. وهو لقن معروفا الكرخي. وهو

لقن السري بن مغلس السقطي. وهو لقن الجنيد بن محمد سيد الطائفة البغدادية. وهو لقن محمد البكري. وهو لقن وحيد الدين القاضي. و هو لقن عمر البكري. و هو لقن أبا النجيب السهر وردي. وهو لقن قطب الدين الأبهري. وهو لقن ركن الدين محمد النجاشي. وهو لقن شهاب الدين محمد الشيرازي. وهو لقن السيد جمال الدين التبريزي. وهو لقن إبراهيم الزاهد الكيلاني. وهو لقن محمد الخلوتي. وهو لقن عمر الخلوتي. وهو لقن محمد أم إبرام الخلوتي. وهو لقن الحاج عز الدين.و هو لقن صدر الدين الجياني. وهو لقن سيدي يحيى الباكوبي. و هو لقن محمد بن بهاء الدين الشرواني، و يقال الأمر نجاتي. وهو لقن حبيب سلطان المقدس الشهير بجمال الخلوتي. وهو لقن خير الدين النقاد. وهو لقن الشيخ شعبان القسطموني. وهو لقن محيي الدين القسطموني. وهو لقن سيدي عمر الفؤادي. وهو لقن و أرشد الشيخ إسماعيل الجرمي، المدفون بالغرب من مرقد سيدي بلال الحبشي رضي اللّه عنه بديار الشام. وهو لقن و أرشد الشيخ علي أفندي قرا باشا، وتخلف عن والده الشيخ مصطفى الطبيبي، أي هو الذي أجازه بالإرشاد. وهو لقن وأرشد الشيخ مصطفى أفندي الأدنوي. وهو لقن وأرشد الشيخ عبد اللطيف الخلوتي الحلبي. وهو لقن وأرشد قطب الوجود السيد مصطفى بن كمال الدين الصديقي. وهو لقن وأرشد الشيخ الحفني. وهو لقن الشيخ محمود الكردي. و هو الذي لقن قطب زمانه و فريد عصره و أوانه شيخنا وقدوتنا إلى اللّه مولانا أبا العباس أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد بن محمد بن محمد بن سالم التجاني رضي اللّه عن جميعهم ونفعنا ببركاتهم آمين.

أولائك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

شمس طالعة وأنوار ساطعة

سئل رضي اللّه عنه من حضرة التلمسانية عن قول صاحب الإبريز في آخر الباب الثاني منه ونصه : ثم علمني رضي اللّه عنه توحيد الصوفية العارفين باللّه وقال لي هذا الذي كانت عليه صحابة النبي صلى اللّه عليه وسلم. وفي موضع آخر وجميع السلف الصالح، فقلت بعد أن علمت إشارته رضي اللّه عنه: يا سيدي لو علم الناس هذا الحق في التوحيد ما افترقت الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة زاد في موضع آخر وقد ارتحت واطمأن قلبي أو كلاما هذا معناه.

فقال نعم وهذا الذي أراد النبي صلى اللّه عليه وسلم أن يكتبه لهم في كتاب عند وفاته صلى اللّه عليه وسلم حتى لا تضل أمته من بعده أبدا، فقال السائل : يا سيدنا ما مراده بهذا التوحيد؟ هل وحدة الوجود كما سمعناه منكم رضي اللّه عنكم في توحيد العارفين، أو المراد توحيد المتكلمين. فإن كان الأول فلا يمكن أن لا يختلف فيه اثنان وقد علمتم رضي اللّه عنكم أن أهل الظاهر يحيلونه ويكفرون معتقده، وإن كان الثاني فلم يكن صاحب الإبريز جاهلا به قبل ذلك ولم يسلمه بقية الفرق غير أهل السنة رضي اللّه عنهم، فكيف لا يختلفون فيه.

وإذا كان غير توحيد المتكلمين الذي لا يجهله ابن المبارك وأمثاله، فما بالهم لم يظهروه في الكتب والدواوين حتى يعم نفعه لصلاح الأمة ورشدها به حتى جعلوه كالسر الذي ينبغي كتمانه.وهل يسوغ كتمان التوحيد الحقيقي المنجي في الدارين ظاهرا وباطنا؟.

فأجاب رضي اللّه عنه : أما توحيد المتكلمين فهو دفع الشبه القادحة في صحة التوحيد من كل ما يوجب نقصا أو سلب كمال أو جهلا في وصف الباري سبحانه وتعالى. ودفع هذه كلها إنما هو بالحجج العقلية القائمة على المقدمات اليقينية. فأصحابه في تعب عظيم من كثرة توارد الشبه وما يصحبها من كثرة الوساوس والتخليط. وأما توحيد العارفين فهو عبادة اله واحد بالرضا والتسليم لحكم إله واحد ولا يعتمد في جميع أموره إلا على الإله الواحد ولا يتوجه بهمته وقلبه إلا إلى إله واحد ولا يعول في جلب مصالحه ودفع مضاره إلا على الإله الواحد ، فيتبرأ من حوله وقوته للحول والقوة المتصف بهما إله واحد. ولا يحب إلا إلها واحدا و لا يشتاق في جميع مآربه إلا إلى إله واحد ويجعل مبدأ قصده وغاية مطلبه ووسط ما يسلكه بين المبدئي والغاية هو الإله الواحد.

وفي كل هذا بمفارقة الهوى ظاهرا وباطنا وعينا وأثرا والبعد إلى الغاية القصوى من تلبيسات النفس والهوى والشيطان. ومتى وقع فيه ولو أقل قليل من متابعة الهوى، ولو مثقال ذرة أو هبئة فما وحّد إلاها واحدا ولا صفت له العبودية لإله واحد.ثم إذا هم له هذا التوحيد وتشيد له حصنه واستقر فيه وغرق في بحر الرضا والتسليم علما منه بأن الإله الواحد لا يصح الخروج عن حكمه حلوه ومره وخيره وشره ولا اختيار لأحد معه، فإن كان اختار معه كان إلاها معه.

فمن صح له ما تقدم من الأوصاف المذكورة استراح من معاناة المقادير وجلس على بساط النعيم والتنعم لخلعه لحلل التعب مما كان فيه من نكد التدبير. فهنالك جلس مع اللّه على بساط القرب والمؤانسة، فلا تسأل عما يجده من المنح والمواهب وبلوغ الآمال و وجوه الرغائب من العز والمجد الأقصى والمكارم التي لا تحد ولا تحصى.

فهذا هو توحيد العارفين الذي لما ذكره القطب مولاي عبد العزيز الدباغ رضي الله عنه لصاحبه العالم الكبير سيدي أحمد بن مبارك استراح من تعب ما كان فيه من دفع الشبه التي تتوارد على المتكلمين، وأما توحد العارفين فلا تلحقه الشبه.

ثم قال سيدنا رضي الله عنه : مثالهما مثال شخصين أحدهما توغلت فيه أعضلت الداء وكلما زال عنه شيء جاء أعظم منه، فلأجلها اعتنى بالبحث في كثرة علم الطب ومعرفة العلل وأصولها من أين نشأت ومعرفة الأدوية المزيلة لتلك العلل وكيف تناولها كما وكيفا و وقتا وأفرادا وتركيبا. فهو في تعب عظيم من معانات هذه العلوم، ومتى أخطا في شيء منها وقع له الضرر وقد فاته أكثر مطالبه لاشتغاله بهذا العلم وفنونه. وأما الآخر فقد نشأ كامل الصحة والقوة قد سلمه الله من جميع الآفات وعوارض البليات ولم تقع عليه آفة قط ولا رآها بعينه فتغافل عن تعلم جميع علم الطب وعن جميع مقتضياته ولوازمه.

فإذا لامه الأول بهذا وقال له: جهلك بالطب عليك فيه ضرر عظيم. قال له الآخر: إنما يحتاج للطب أمثالك الذين توغلت فيهم العلل، وأما أنا فلا أعرف الداء فليست بي حاجة إلى الدواء.

وأما قولك: إذا كان غير توحيد المتكلمين الذي لا يجهله ابن المبارك رضي الله عنه وامتثاله، فما بالهم لم يظهروه في الكتب والدواوين حتى يعم نفعه إلخ.

الجواب إنهم ما كتموه وأن ذلك التوحيد هو الذي بعثت به الرسل كلها وهو الذي يظهر لعامة الخلق، وإنما ترك ودرست طريقه لإعراض عامة الناس عنه لميلهم إلى شقاشق علم الكلام والبحث في قواعده وأصوله بالحجج العقلية والمقدمات اليقينية، ظنا منهم أن تلك هي الغاية في التقرب إلى الله تعالى و كمال العلم به، و جهلوا أن ذلك هو غاية البعد عن الله والضلال.

فإن السبب الذي أوقع العامة في هذا مخالطتهم لعلوم أوائل الفلاسفة. فوجدوهم قرروا في علومهم علم التوحيد الحق هو البحث في العلم الإلهي بالقواعد العقلية والمقدمات المنطقية، فصرفهم الله بذلك عن معرفة الحق و مئاله و عن التقرب بما يقرب إلى الله و معرفة جلاله. و حيث كان الصحابة لم يخالطوا هذا العلم كانوا قائمين على توحيد الرسل الذي كان جنا ثماره وذوق حلاوة يانعه من صريح الأخبار الإلهية بما في كتب الله التي بعثها إلى خلقه مع رسله وما نطقت به رسله في تعليم العامة من العلم بالله ومعرفة عظمته وجلاله.

فلما دخل على الصدر الثالث علوم الفلسفة وسمعوا فيها في فن التوحيد شقاشق عربية تستحليها نفوس أهل الفضول المعرضين عن الله تعالى. وكل من حصلها منهم صال بها على العامة و الجاهلين بها مدعيا أن الذي وصل إليه في رتبة العلم هو غاية القصوى في العلم بالله ومعرفة جلاله، ويصرحون على العامة أن من لا يعلمها كأنه لا يعلم شيئا من العلم. فتبعتهم نفوس العامة لشدة ميلها إلى الفضول حيث رأوا لهم التعظيم البالغ الغاية في قلوب العامة والملوك والأمراء بسبب تتابع الأعصار على هذا خلفا عن سلف من غير معارض ولا زاجر، نسي علم التوحيد الذي بعث به الرسل وصار السالكون على توحيد الرسل المعرضون على توحيد الفلاسفة هم المسمون بالصوفية والعارفين. وصار السالكون على توحيد الفلاسفة هم المسمون بأهل علم الكلام.

وأما من تنزل إلى فن علم الكلام من العارفين كالأشعري والسنوسي وأمثالهما رضي الله عنهم ،إما أراد الرفق بالعامة لما كان توحيد الرسل لا يستجيبون له إلا بالسيف، تنزلوا لهم بتقرير حجج عقلية يدركونها في نفوسهم ليستجيب بذلك لأمر الله باختيارهم. فرأوا أن ذلك خير من السيف لكون صاحبه لا يدخل في الدين إلا قهرا و جبرا. فهذا هو السبب الذي حملهم

على التنزل إلى فن علم الكلام. وأما وحدة الوجود فسيأتي له رضي اللّه عنه الكلام عليها إن شاء اللّه تعالى.

وسألته رضي اللّه عنه عن قول المرسي: لو كشف عن حقيقة الولي لعُبد.فأجاب رضي اللّه عنه: حقيقة الولي أنه يسلب من جميع الصفات البشرية ويتحلى بالأخلاق الإلهية. و قول بعضهم معرفة الولي أصعب من معرفة اللّه معناه أن اللّه تعالى معروف بصفات كماله، مخالف لجميع خلقه في جميع أوصافه وهي بينة. وأما معرفة الولي بالصفة التي يكون بها وليا، فإنها باطنة فيه لا تعرف لأن ظاهره مستو مع ظواهر غير الأولياء أكلا و شربا ونكاحا وسعيا في أمور الدنيا كحالة الغافلين من غير الأولياء. فلذا صعبت معرفته بكونه وليا. فإن اللّه تميزت صفاته ظاهرا عن خلقه والولي لم يتميز عن غير الأولياء من جنسه شاركهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم ولم يظهر من أوصاف ولايته للظاهر شيء، فلذا صعبت معرفته التي تميزه من أبناء جنسه.

و معنى قوله لو كشف عن حقيقة الولي لعبد، لأن أوصافه من أوصاف إلهه ونعوته من نعوته لأنه ينسلخ من جميع الأوصاف البشرية ينسلخ منها كما تسلخ الشاة من جلدها ويلبس خلعة الأخلاق الإلهية.

فلو كشفت للعبد لعبد. قال ابن عطاء اللّه: سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه. قال رضي اللّه عنه وفي مثل هذا قال صلى اللّه عليه وسلم حين سئل من أولياء اللّه؟ قال: هم الذين إذا رؤوا ذكر اللّه، لكن هذا الحديث لا يصدُقُ إلا في طائفة خاصة وهم مفاتيح الكنوز لا من عداهم حتى القطب.

معنى الحكمة هو أنه إذا أرسل اللّه عبدا إلى ولي و أقر سبحانه في قلب ذلك العبد أن هذا من الأولياء قطعا، لا يتردد ولا يشك ثم خدمته بالصدق والأدب و جالسه بالصدق و الأدب، وأشرقت

محبة ذلك الولي في قلبه. و لتكن المحبة فيه من حيث أنه من أهل حضرة اللّه وممن اصطفاه اللّه تعالى لنفسه فيحبه لأجل هذا لا لغرض من غير هذه المحبة. فلا شك أن هذا يصل إلى اللّه ولو بعد حين.

و أما إذا وصل إلى الولي وأقبل على أغراضه وشهواته ولم ينل من الولي إلا ما طابق أغراضه، فليس هذا من أهل الوصول إلى اللّه ولا من أهل الوصول إلى الولي. غاية الولي في هذا أنه يديم معاشرته في باب الإحسان للخلق الذي أمره اللّه به ومعاشرتهم بالمعروف ويقبض عنه أسراره. فهذا لو بقي مع الولي ألف عام لم ينل منه شيئا لأن لسان حال الولي يقول له: ما وصلتنا للّه ولا وصلتنا لأجلنا و إنما وصلتنا لغرضك الذي كنت تناله، لا نسبة بيننا وبينك والسلام.

وسألته رضي اللّه عنه عن حقيقة الإنسان الكامل فأجاب رضي اللّه عنه: حقيقة الإنسان الكامل هو حضرة كمال قوبل بها حضرة الجمال حوت سر الإله بأسره من. و من هذه الحيثية، كان خليفة للّه على الوجود. فحيث كان الرب إلها كان الإنسان حاكما متصرفا في ذلك المألوه.كل مرتبة للرب عليها ألوهية، فللإنسان عليها تصرف وحكم وخلافة لا يرده حكمه فيها بوجه من الوجوه.

ولهذا السر أمر اللّه الملائكة بالسجود لآدم و إليها يرمز قوله صلى اللّه عليه وسلم: إن اللّه خلق آدم على صورته. فالإنسان الحقيقي من حصل هذه المرتبة، و من غاب عن هذه المرتبة ولم يحصل منها على شيء، فهو شبه الإنسان ليس بإنسان إنما هو بمنزلة رجل ميت لا روح فيه. فهو صورة رجل ميت و لا حركة له و لا حياة و غابت عنه جميع خواص الإنسان بموته لأن خواص الإنسان تتبع حياته، و الميت ليس فيه شيء من خواص الإنسان.

وأما القول بأنها حوت سر الإله بأسره فإنه لم يحتو من الأسماء الإلهية إلا على جميع الأسماء التي يتوقف عليها وجود الكون، وأما

الأسماء التي لا مدخل لوجود الكون فيها فلا يحيط بها الإنسان إلا أنها تعلم من طريق الفيض بلا بلوغ إلى غايتها، إذ لا غاية لها والناس فيها بحسب القِسم الإلهية، فمقلل ومكثر والسلام.

وبعبارة، حقيقة الإنسان الكامل أن اللّه إذا تجلى لعبد أماته موتة حقيقية وأهلكه، فلا يبقى منه إحساس ولا شعور ولا فهم ولا علم ولا اسم وتلاشى الغير والغيرية علما وفهما وإحساسا وإدراكا وتحققا وتعلقا وتخلقا، فلم يبق إلا الحق وحده يخلع على العبد هنالك ملابس كريمة وحلل خطيرة جسيمة من الأوصاف الإلهية والروحانية، فرجع للوجود بوجود غير وجوده الأول. فلا تعلم غايته ولا مقداره.

هذه حقيقة الإنسان الكامل واليه الإشارة بقوله تعالى : (أومن كان ميتا فأحييناه) وقوله صلى اللّه عليه وسلم: الناس نيام فإذا ماتوا استيقظوا. الحديث و قوله عليه الصلاة والسلام: من أراد أن ينظر إلى ميت يمشي على وجد الأرض فلينظر إلى أبي بكر الصديق الحديث.

وسئل رضي اللّه عنه من الحضرة الفاسية صانها اللّه عن عدة مسائل منها : ما حقيقة المريد الصادق وخروجه من المقت اللاحق بوعد صادق وسلوكه وتربيته قبل لقاء الشيخ الصادق وإدمانه على ما ينجيه من ربه بعزم صادق. فإذا منّ اللّه عليه بقرّة عينه وكشف له الغطاء بأنه كفيله ومربيه، فهل له إلقاء القياد إليه وتسليم نفسه بالكلية إليه وإتباعه فيما أشاربه عليه ولا يخالفه لحظة فيما أمره به وندبه اليه ولا يسأله ما الحكمة فيما أشار به عليه فيها ظهر له في زعمه أنه مخالف لشريعة نبيه أو يختبره وينظر في الشواهد والدلائل التي لديه ليلا يغتر بالضالين المضلين الذي بين يديه، فإن قلنا سيدي بالتصديق من أول وهلة لادعائه المشيخة والتربية والترقية والنظر والحال رأينا ما يكذبه في الحال و المئال وإن قلنا لابد من الاختبار والامتحان خفنا من الطرد والبعد من حضرة الملك الديان.

فأي علامة للعارف، وهو في أيام دهره في المآكل والملابس والزخارف. بين لنا ما حقيقة الشيخ الكامل والتلميذ الصادق الواصل بيانا شافيا ونصا من محله وافيا، وهل طلب الشيخ فرض عين على كل مسلم يطلب من يوصله إلى اللّه بعد تعليم الفرائض أو خاص ببعض دون بعض. فإن قلنا بالوجوب على كل فرد فرد بين لنا ما وجهه، وإن قلنا بتخصيص البعض دون البعض بين لنا أيضا ما وجهه والسلام.

فأجاب رضي اللّه عنه : أما المريد الصادق فهو الذي عرف جلال الربوبية و مالها من الحقوق في مرتبة الألوهية على كل مخلوق وأنها مستوجبة من جميع عبيده و دام الدؤب بالخضوع والتذلل إليه والعكوف على محبته وتعظيمه و دوام الانحياش وعكوف القلب عليه معرضا عن كل ما سواه حبا وإرادة. فلا غرض له ولا إرادة في شيء سواه لعلمه إن كل ما سواه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

فلما عرف هذا وعرف ما عليه من دوام العكوف على الانقطاع إلى الحضرة الإلهية، وعرف خسة نفسه وكثرة شؤمها وشرها وأنها في جميع توجهاتها مضادة لحضرة الألوهية وأن جميع حظوظها ومراداتها مناقضة للحقوق الربانية، وعرف ما فيها من التثبط والتثبيط عن النهوض للقيام بحقوق الحق ومعرفة ما يجب له سبحانه وتعالى من الخدمة والأدب لما ألفته من الميل إلى الراحات والعكوف على الشهوات والانقطاع عن خالق الأرض والسموات، وأن جميع حظوظها لا تدور إلا في هذا الميدان، وعرف عجزه عن تقويم هذه النفس الأمارة بالسوء وعن ردها إلى الحضرة الإلهية منقطعة عن هواها وشهواتها، وعرف أنه إن قام معها على هذا الحال استوجب من اللّه في العاجل والآجل من الغضب والمقت وشدة العذاب والنكال المؤبد الخلود مما لا حد له ولا غاية، وارتعب قلبه من هذا البلاء الذي وقع فيه والعلة المعضلة التي لا خروج له منها.

فلا يمكنه المقام مع نفسه على ما هي فيه مما ذكر قبل، لاستجابه الغضب والمقت من الله، ولا قدرة له على نقل نفسه عن مقرها الخبيث إلى استيطان الحضرة الإلهية.

فحين عرف هذا رجع بصدق وعزم وجدّ واجتهاد في طلب الطبيب الذي يخلصه من هذه العلة المعضلة ويدله على الدواء الذي يوجب له كمال الشفاء والصحة. فهذا هو المريد الصادق.

وأما غيره ممن لم يتصف بهذه الصفات المتقدمة فهو طالب لا غير قد يجد و قد لا يجد تعلقت نفسه بأمر يطلبه. وأما الأول فلمكان صدقه فالشيخ أقرب إليه من طلبه فإن عناية الحق به التي وهبته ذلك العلم المذكور هي التي تقوده إلى الشيخ الكامل وتلقيه في حضرة الشيخ الواصل وتقلب له قلب الشيخ بالمحبة والتعظيم، فيقع الائتلاف بينهما والأدب، فيفتح باب الوصول لأن عناية الحق متى وقعت على أمر جذبته جذبا قويا لا يمكن توقفه ولو كان ما كان. فالذي يجب على المريد الصدق في الطلب مع كمال العلم المتقدم وشدة الاهتمام بالأمر المطلوب وعماية القلب عن سوى مطلوبه، فلا يشتغل بشيء سوى ما يريد. هذا هو الصدق المفيد وهو الذي يخرجه من المقت اللاحق.

فالذي يجب على المريد قبل لقاء الشيخ أن يلازم الذكر و الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بشدة حضور القلب في تأمل المعاني حسب الطاقة مع اعتقاد أنه جالس بين يديه صلى الله عليه وسلم مع دوام الإعراض عن كل ما يقدر عليه من هوى النفس وأغراضها والسعي في كل يحببه إلى الله تعالى من نوافل الخيرات وهي معروفة في الأوقات كوقت الضحى وقبل الظهر وبعده وقبل العصر وبعد المغرب وبعد العشاء وبعد النهوض من النوم في آخر الليل.

وليقلل من ذلك ويجعل اهتمامه بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أكثر من النوافل، فإن الذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مفتاح أبواب الخير مع العزلة في وقت

الذكر وتقليل الغذاء والماء واستعمال شيء من الصيام والصمت إلى غير ذلك مما هو مسطر عند أهل الطريق.

و الحذر الحذر من كثرة التخليط في الأذكار وكثرة تشعيب الفكر بين أقاويل المتصوفة، فإنه ما اتبع ذلك أحد فأفلح قط، ولكن يجعل لنفسه ذكرا واحدا ويهتم به. و وجهة واحدة يهتم بها وأصلا ثابتا يعول عليه من الطرق. هذا سلوكه وتربيته قبل لقاء الشيخ. ثم يسعى في طلب الشيخ الكامل كما قال طمطم : الطالب الصادق لا ينظر في غير مطلوبه. الطالب لا يسعى في غير مطلوبه. الطالب لا يهتم في غير مطلوبه.

وأما ما هو حقيقة الشيخ الواصل فهو الذي رفعت له جميع الحجب عن كمال النظر إلى الحضرة الإلهية نظرا عيانيا وتحقيقا يقينيا. فإن الأمر أوله محاضرة، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر كثيف. ثم مكاشفة، وهو مطالعة الحقائق من وراء ستر رقيق. ثم مشاهدة، وهو تجلّي الحقائق بلا حجاب لكن مع خصوصية. ثم معاينة، وهو مطالعة الحقائق بلا حجاب ولا خصوصية ولا بقاء للغير والغيرية عينا وأثرا وهو مقام السحق والمحق والدك و فناء الفناء.

فليس في هذا إلا معاينة الحق في الحق للحق بالحق، فلم يبق إلا اللّه لا شيء غيره. فما ثم موصول ولا ثم واصل. ثم حياة، وهي تمييز المراتب بمعرفة جميع خصوصياتها ومقتضياتها ولوازمها وما تستحقه من كل شيء ومن أي حضرة كل مرتبة منها و لماذا وجدت وماذا يراد منها وما يؤول إليه أمرها وهو مقام إحاطة العبد بعينه ومعرفته بجميع أسراره وخصوصياته ومعرفة ما هي الحضرة الإلهية وما هي عليه من العظمة والجلال والنعوت العالية والعلية و الكمال معرفة ذوقية ومعاينة يقينية.

فصاحب هذه المرتبة هو الذي تشق إليه المهامه في طلبه لكن مع هذه الصفة فيه كمال إذن الحق له سبحانه وتعالى إذنا خاصا في هداية عبيده وتوليته عليهم في إرشادهم إلى الحضرة الإلهية.

فهذا هو الشيخ الذي يستحق أن يطلب و هو المراد بقوله صلى اللّه عليه وسلم لأبي حجيفة: سل العلماء وخالط الحكماء وأصحب الكبراء. فصاحب هذه المرتبة هو المعبر عنه بالكبير. ومتى ما عثر المريد على من هذه صفته، فاللازم في حقه أن يلقي نفسه بين يديه كالميت بين يدي غاسله لا اختيار له ولا إرادة ولا إعطاء له و لا إفادة. و ليجعل همته منه تخليصه من البلية التي أغرق فيها إلى كمال الصفاء بمطالعة الحضرة الإلهية بالإعراض عن كل ما سواها. وليبرزه نفسه عن جميع الاختيارات و المرادات مما سوى هذا.

و متى أشار عليه بفعل أو أمر، فليحذر من سؤاله بلم وكيف وعلى ما و لأي شيء، فإنه باب المقت والطرد. و ليعتقد أن الشيخ أعرف بمصالحه منه، وأي مدرجة أدرجه فيها فإنه يجري به في ذلك كله على ما هو للّه باللّه بإخراجه عن ظلمة نفسه وهواها.

وأما الشيخ الذي هذه صفته كيف يتصل به وبماذا يعرف؟ فالجواب: أن الشيوخ المتصفين بهذا الأمر كثيرون وأغلبهم في المدن الكبار فإنها مقرهم. و أما معرفتهم والاتصال بهم فإنه عسير أغرب وجودا من الكبريت الأحمر لأنهم اختلطوا بصور العامة و أحوالهم. و من سألهم عن هذا الحال نفروه وطردوه وحلفوا له ما عندهم من هذا الأمر شيء.

والعلة الموجبة لهذا أنه قد فسد نظام الوجود بمشيئة الحق سبحانه وتعالى التي لا منازع لها. وليس لكل آدمي إلا السعي في أغراضه وشهواته بالإعراض عن الحضرة الإلهية وما يستحقه من توفية الحقوق والأدب. وليس للعامة في هذا الوقت من السعي للأولياء إلا لأغراض فاسدة يريدونها من التمتع بالدنيا ولذاتها وشهواتها والنجاة من المصائب والعطب في هذه الدار مع إقامتهم وأصرارهم على الدواهي والمهلكات العظام من الكبائر الفاحشات التي لا عقبى لصاحبها إلا دار البوار وليس لهم عن هذا الميدان خروج ولا لهم في الرجوع للحضرة الإلهية ولوج.. فلما عرف العارفون ما

في العامة من هذا الأمر، احتجبوا عن العامة وطردوهم بكل وجه وبكل حال وكان اقتضى ذلك أن يسكنوا في البراري والقفار وكأن مراد الحق منهم أن يقفوا في وسط العامة ويسكنوا في وسطهم لأمور أرادها الحق منهم سبحانه وتعالى وحكم بها عليهم، فلا منازع له في حكمه ولم يجدوا مساغا في الخروج عن العامة في البراري والقفار لما عليهم من حكم الله لا خروج لهم عنه ولم يجدوا سبيلا إلى إصلاح العامة وردهم إلى الحضرة الإلهية. فهم بمنزلة من أقيم بين جماعة الحمقى يرمونه بالحجر وكلف بالصبر والإقامة بينهم، فهو في عذاب.

فلهذا احتجبوا عن العامة وطردوهم بكل حال. وربما شم العامة روائح وصولهم من وراء الحجب فنهضوا إلى التعلق بهم فيما يريدونه من أغراضهم فخلط العارفون عليهم بوجوه من التخليط استتارا عن العامة بإظهار أمور من الزنا والكذب الفاحش والخمر وقتل النفس وغير ذلك من الدواهي التي تحكم على صاحبها أنه في سخط الله وغضبه. والأمور التي يقتحمها العارفون في هذا الميدان إنما يظهرون صورا من الغيب لا وجود لها في الخارج إنما هي تصورات خيالية يراها غيرهم حقيقة فيفعلون في تلك الصور أمورا منكرة في الشرع وهم في الحقيقة لم يفعلوا شيئا، فاستتروا بذلك عن العامة حفظا لمقامهم وتحريرا لأيديهم. وإذا عرفت هذا فقد اختلط الصادقون والكاذبون في هذا الميدان ولا يعرف هذا من هذا ولا حيلة لأحد في معرفة العارف الواصل أصلا ورأسا إلا في مسألة ناذرة في غاية النذور وهو أن بعض الكُمَّل ظهروا في مظاهر الصور الشرعية الكمالية. فمن ظهر بهذا المظهر ادعى المشيخة فالمعرفة فيه أنه يعرف بدلالته على الله والرجوع إليه والتزهيد في الدنيا وأهلها وعدم المبالاة بها وبوجودها مع ظهور صورة الفتح في غيره على يديه فإن ظهر للمريد على هذه الصفة فليلق نفسه إليه بمجرد اللقاء. و الذي يجب على المريد في حقه ألا يلقي نفسه إليه حتى

يتعرف تواتر أخباره من ثقة الواردين عليه والمجاورين له. فإن ظهرت الصفة المعروفة عليه فليصحبه، وإلا فلا.

ومن رام الوصول إلى شيخ في هذا الوقت ولم يجد جبلة في معرفته وخاف من الوقوع في حبائل الكذابين، فعليه بالتوجه إلى الله بصدق لازم و انحياش إليه بقلب دائم و دوام التضرع إليه والابتهال إليه في الكشف له عن الشيخ الواصل الذي يخرجه من هذه الغمة وأن يدله عليه وأن يوفقه لامتثال أمره حتى يقع في الغرق في لجج بحره. فلا حيلة له إلا هذا. وأكبر من ذلك و أولى و أنفع و أبلغ في الوصول إلى المراد وارفع لمن لم يجد حيلة في العثور على الشيخ الكامل استغراق ما يطيق عليه من الأوقات في كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه و سلم بالتأدب و الحضور وتوهم القلب أنه جالس بين يديه صلى الله عليه وسلم يصلي عليه. وليداوم على ذلك فإن من داوم على هذا وكان اهتمامه بالوصول إلى الله تعالى كاهتمام الظمآن بالماء أخذ الله بيده وجذبه إليه، أما أن يقيض له سبحانه شيخا كاملا واصلا يأخذ بيده، وأما أن يقيض له نبيه صلى الله عليه و سلم يربيه و إما أن يفتح له باب الوصول ورفع الحجب بسبب ملازمته للصلاة على حبيبه صلى الله عليه وسلم فإنها، أعظم الوسائل إلى الله تعالى في الوصول إليه. وما لازمها أحد قط في طلب الوصول إلى الله تعالى فخاب قط.

وأما السؤال عن اختبار الشيخ و وزن أفعاله و أحواله فلا يصلح و ما اتبع أحد ذلك فأفلح قط، لأن ذلك مغلاق لأبواب الله تعالى. فإن من أراد ذلك واتبعه في جميع الخلق أراه الله تعالى صفة النقص في كل مخلوق، فلا يطمئن لأحد. وأما التصديق بالشيخ فإنه أمر إلهي يضعه الله في القلوب فلا يقدر صاحبه على الانفكاك عنه ولو رأى منه ألف معصية. لكن إن المريد صادقا فثواب صدقه أن لا يرى من الشيخ إلا ما يطمئن به قلبه ولا يقع إلا على

الشيخ الصادق. ومن كان خبيث السريرة وطلب، فلا يرى من الشيخ إلا ما ينكره وينقصه ويوجب له النفور عنه والهروب.

وأما السؤال عن طلب الشيخ هل هو فرض على كل فرد فرد أو على البعض دون البعض وما السبب فالجواب أن طلب الشيخ في الشرع ليس بواجب وجوبا شرعيا يلزم من طلبه الثواب ومن عدم طلبه العقاب. فليس في الشرع شيء من هذه، ولكنه واجب من طريق النظر مثل الظمآن إذا احتاج إلى الماء وإن لم يطلبه هلك، فطلبه عليه لازم من طريق النظر، وطريق النظر في هذا ما قدمناه من كون الناس خلقوا لعبادة الله والتوجه إلى الحضرة الإلهية بالأعراض عن كل ما سواها.

وعلم المريد ما في نفسه من التثبط و التثبيط عن النهوض إلى الحضرة الإلهية وعلم عجزه عن مقاومة نفسه بما يريده منها من الدخول في الحضرية الإلهية بتوفية الحقوق والأدب، وعلم أنه لا ملجأ له من الله ولا منجى إن أقام مع نفسه متبعا لهواها معرضا عن الله تعالى، فإنه بهذا النظر يجب عليه طلب الشيخ الكامل. وهذا الوجوب النظري أمر وضعي طبيعي ليس هو من نصوص الشرع، إذ ليس في نصوص الشرع إلا وجوب توفية القيام بحقوق الله ظاهرا وباطنا على كل فرد فرد من جميع العبيد ،ولا عذر لأحد في ترك ذلك من طريق الشرع ولا عذر له في غلبة الهوى عليه وعجزه عن مقاومة نفسه.

فليس في الشرع إلا وجوب ذلك وتحريم ترك ذلك بوجوب العقاب عليه. فهذا ما كان في الشرع ولا شيخ يجب طلبه إلا شيخ التعليم الذي يعلم كيفية الأمور الشرعية التي يطلب فعلها من العبيد أمرا ونهيا وفعلا وتركا. فهذا الشيخ يجب طلبه على كل جاهل لا يسع أحدا تركه، وما وراء ذلك من الشيوخ لا يلزم طلبه من طريق الشرع لكن يجب طلبه من طريق النظر بمنزلة المريض الذي أعضلته العلة وعجز عن الدواء من كل وجه وانعدمت الصحة في حقه، فنقول إن شاء البقاء على هذا المرض

بقي كذلك وأن طلب الخروج إلى كمال الصحة قلنا له يجب عليك طلب الطبيب الماهر الذي له معرفة بالعلة و أصلها و بالدواء المزيل لها وكيفية تناوله كمّا وكيفا و وقتا وحالا والسلام.

وأما السؤال عن السماع وحكمه واستعماله وكيفيته و من يسمع وممن يسمع وعلى أي حالة يكون وبأي كلام.

الجواب واللّه الموفق للصواب. اعلم أن أمر السماع قد افترقت فيه أقاويل الشيوخ الكبار المتحققين بكمال المعرفة باللّه العيانية والتوحيد الذوقي وكمال الهدي و التبري من جميع وجوه متابعة النفس والهوى: فمن قائل بإباحته مطلقا من غير طلب فعل ولا طلب ترك، ومن قائل بتحريمه مطلقا و ذم فاعليه، ومن قائل بكراهته دون التحريم، و من قائل بندبه وإيثار الميل إليه ولا قائل بوجوبه. والفتوى فيه مفصلة في كتب التصوف، فلا يطال بذكره ومن قائل بتفصيل الأمر فيه بين إيثار فعل وإيثار ترك وتحريمه وكراهته وندبه وإيثاره والميل إليه على حسب عوارض الوقت ودواعي الحال، وكل ذلك مفصل في كتب التصوف.

والأمر المحقق فيه في هذا الوقت أن ما كان خاليا عن آلة الطرب وما يشوش الفكر من ذكر القدود والخدود والتشبب بالنسوان وسماع أصواتهن وأصوات الشبان ذوي الجمال، فكل ما خرج عن هذه الأمور وسلم من الصورة المحرمة شرعا كاختلاط النساء والرجال فالحكم فيه أن ينظر الشخص في حاله عند حضور سماعه، فإن وجد فيه زيادة في حاله أو تحريكا لساكن همته إلى النهوض لطلب الحضرة الإلهية أو للبعد عن المألوفات والعادات والصور الملهيات والمحرمات أو للتعلق باللّه وتحريك شيء من محبته في القلب.

فليلزم صاحب هذا الحال حضوره وإيثاره ما لم يؤد إلى تعطيل أوراده والخروج عن مراعاة أوقاته. فإنه إن كان بهذا الحال فضرره

أكثر من نفعه.وإن وجد الشخص فيه فتور عزيمة والميل إلى الراحات و رأى نفسه ركنت إليه في هذا الباب بتقليل نهوضها إلى الحضرة الإلهية، فصاحب هذا الحال لا يحل له حضوره ولا الإلمام به وإن كان حال الشخص في حضوره لا زيادة ولا نقص من كل ما ذكرنا إلا التمتع بالأصوات المطربة والألحان المعجبة فالحكم في هذا الإباحة إن شاء حضره وإن شاء تركه.

وما كان من أصوات الشبان ذوي الجمال والنسوان فسماعه محرم أو كالمحرم للكل ولو رأى منه زيادة في حاله من الأمور التي ذكرناها فإن الولوع بذلك مع رؤية ظهور الزيادة في الحال كالذي يشرب عسلا مخبوء فيه سم ساعة، فإنه يقتله من حيث لا يدريه.

وأما ما خرج عن هذا وكان فيه شيء من آلات الطرب، فإنه يحق على العاقل اجتنابه إلا أن يكون بحضرة شيخ واصل كامل. فإنه إن كان بهذه المثاب، فيستحب حضوره لأن حضور السماع بآلات الطرب وإن لم يتمكن ضرره ظاهرا، فسيعقب الفساد باطنا بمنزلة السحابة المفروح بها للسقي والأمطار فيسقط منها على الثمار برد عظيم وصواعق فيفسد الثمار الذي كان ينتظر إصلاحه، إلا أن يكون بحضرة الشيخ الواصل الكامل، فإن حضوره عاصم من الضرر والهلاك. وكل هذا الأمر في حق أصحاب الحجاب.

وأما الغرقى في بحار الحقائق والتوحيد فلا يحكم عليهم بهذا الحكم لكن يتركون تحت حكم حالهم ومقامهم، فإن العارف في مقامه يفعل ما يقتضيه مقامه بنص أو تصريح أو إشارة أو تلويح غير ملتفت لمن ينكر عليه أو يندبه. فإن أعطاه مقامه حضور السماع و إثارة تُرك على حاله ولا ينكر عليه لأنه أعرف بمصالحه وعلله. وإن أعطاه مقامه الهروب عنه والنفور ليس لأحد أن يندبه إليه ولا أن يحثه على حضوره، فإن الأحوال في المعارف

مختلفة والأذواق متباينة وفوائد المراتب وفيوضها وفتوحاتها غير ملتئمة ولا متشابهة. فكم من صاحب مقام يتضرر بالسماع بأدنى لمة من حضوره ويكون ذلك عليه في الهلاك أشد من سم ساعة في قتل الأجسام الكثيفة. وكم من عارف يفاض عليه في حضوره للسماع من الحضرة القدسية من فيوض الأحوال والمعارف فيرتقي به من المقامات ما لا يرتقيه بالعبادة وصفاء الأوقات في مائة ألف عام من المقامات.

فهذا تفصيل الحكم في العارفين، فكل واحد له ذوق ومقام وحال. فالفطر مختلفة والمباني غير مؤتلفة فإن لكل مقام مقالا ولكن ذوق و وجد رجالا ولكل وقت حكم يخصه ولكل حال وقت يبسطه. فالواقع من هذا أن العارف باللّه في السماع بحكم وقته ومقامه وحاله وذوقه ووجده فلا يعترض عليه لا في الحضور ولا في الترك. و أما أصحاب الحجاب فقد سبق تفصيل الحكم فيهم.

و أما قول السائل إذا أمر به شيخ بعض أصحابه أو فعله في نفسه خاصة ولم يأمر به أصحابه هل لهم بعد موته أن يفعلوه ويزيدوا فيه برأيهم أم لا.

الجواب في هذا أن يجري القانون فيه على حكم ما تقدم لأصحاب الحجاب و أصحاب المعارف. فمن كان منهم من العارفين جرى على سؤال ما تقدم أولا ، ومن كان من أصحاب الحجاب جرى على التفصيل الذي ذكر أولا. وأما ما ذكر في السماع من أثرة حضوره لصاحبه الذي وجد به الزيادة في حاله مع حفظ أوقاته وأوراده وقلنا بأثرة حضوره له، فليكن ذلك مع ذوي المواثيق والعهود الراسخين في حفظ الحدود من تكميل أمر التقوى والاستقامة الذين يقصدون السماع قصدا صحيحا للّه وفي اللّه. فهذا وجه حضوره.

وأما السماع المعهود اليوم في فقراء الوقت فإن صاحبه الهلاك إليه أقرب من نجاته ونفعه أبعد من عطبه وكان العطب اليه أقرب من

شراك نعله. فالحذر الحذر من حضور السماع مع هؤلاء لكونهم لا عهد لهم ولا ذمة ولا وقوف على الحدود ولا مراعاة لهم لحفظ أمر الله. فهؤلاء لا يحضر معهم للسماع لأن المريد الصادق إذا أحضر معهم كسته أحوالهم فوقع فيما هم فيه من التخليط والفساد والعصيان والفسوق وطرد عن باب الله أي طرد و السلام.

وأما قول السائل : قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها) هل المراد من تعليم الله لآدم أسماء الله تعالى كلها إحاطيا كليا من أسماء الله الظاهرة و الباطنة والتي استأثر الله بها عن جميع المخلوقات حتى النبي صلى الله عليه وسلم، أو خاص بالأسماء التي يطلبها الكون. فإن قلنا خاص بأسماء الكونيات، فما فائدة قوله "كلها". وإن قلنا بالإحاطة علمنا من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أعلى من آدم وأكمل.

الجواب عن هذا والله الموفق للصواب أن الأسماء التي علمها الله لآدم هي الأسماء التي يطلبها الكون والكلية المذكورة فيها هو إحاطته بجميع متعلقات الكون حتى لا يشد عليه منها شيء، يشهد لهذا قوله سبحانه وتعالى في كلية الأسماء حيث عرض صورة الكائنات على الملائكة : (وقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين) إلخ الآية. فدلت هذه الآية على أنها الأسماء التي يطلبها الكون بدليل قوله أسماء هؤلاء وهي صورة الأكوان. وأما الأسماء الخارجية عن الكون فلا تمكن الإحاطة بها ولا نهاية لها قال سبحانه وتعالى : (ولا يحيطون به علما)، فإن العارفين والأقطاب والنبيين والمرسلين من فتحهم في المعرفة ينكشف لهم في كل مقدار طرفة عين من أسماء الله الباطنة أمر لا حد له، ثم يبقون على هذا الحال أبدا سرمدا في طول عمر الدنيا وفي طول عمر البرزخ وفي طول عمر يوم القيامة وفي طول عمر الأبد في الجنة بلا نهاية. في كل مقدار طرفة عين ينكشف لهم من أسماء الله الباطنة ما لا حد له ولا غاية في طول هذه المدة ولا نهاية كانكشاف الأسماء على

طول أبد الأبد. فكيف يقال أحاط بها كلها. وإنما الكلية في الأسماء التي يطلبها الكون فقط هـ.

وأما السؤال عن السبب الموجب لسجود الملائكة لآدم فلا كلام فيه من وجه التحقيق لأنه غيب لا يدرك إلا بالنص القطعي، ولا نص. فلا مجال في هذا الميدان يقول سبحانه وتعالى(إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن) إلى قوله (وإن تقولوا على الله ما لا تعلمون)، فإن الله لم يُعلمنا بالسبب الذي وقع السجود به لآدم وذلك محجور في حجره سبحانه وتعالى لا مجال فيه للعقول. لا نقول لأجل الخلافة ولا لغيرها، بل نكست حيث لم يذكر شيء في سببه.

وأما السؤال في تفضيل الملائكة على الآدمي أو العكس، فالجواب عن هذا أن هذا الأمر لا مجال للعقول من طريق النظر والتخيل والقياس. والحق الفصل في ذلك أن التفضيل واقع باختيار الحق سبحانه وتعالى وحكم مشيئته، يفضل من يشاء على من يشاء بلا علة ولا سبب أو بعلة أو سبب أو بأي شيء يريده أو بلا شيء سواء كان المفضل عالي الرتبة على المفضول لقوة كماله أو كان المفضل سافل الرتبة على المفضول لقوة كمال المفضول وجمعه للكمالات. وهذا التفضيل بين الملك والآدمي ماعدا سيد الوجود صلى اله عليه وسلم فإنه أكمل المخلوقات على الإطلاق وأفضلهم على العموم من غير تخصيص وأعلاهم رتبة ومكانة عند ربه وأكرم الخلق على الله وأعظمهم زلفى لدى الله. فلا يقع عليه هذا الخلاف. ففضله الله تعالى واصطفاه واختاره ورفع مكانته على الخلق لا لشيء بل بمحض اختياره. قال الله تعالى (وربك يخلق من يشاء ويختار).

وأما قول السائل هل للملائكة النظر في وجه الله تعالى في الآخرة أم لا؟ الجواب عن هذا أنه لا قطع فيه لا بالنفي ولا بالإثبات لتوقف ذلك على اختياره سبحانه وتعالى. فلا علة له إن شاء جعلهم يرونه كالآدمي وإن شاء منعهم، ولا مستند لهذا إلا الخبر

الصحيح و الخبر الصحيح لم يقع منه شيء في هذا الباب. فلا يجاب عنه لا بنفي ولا بإثبات بل يجب الوقف.

وأما قول السائل: هل للملائكة وجهة واحدة أو وجهات، لم ندر ما مرادك في هذا السؤال. إن أردت توجهات الاسمية فليس لكل ملك إلا اسم واحد يكون من ذلك الإسم وجهته للحق، فليس له في هذا الميدان إلا وجهة واحدة. وإن أردت بالوجهة وجهة التعبد لله فوجهة الملك والآدمي على حد السواء إلى الحضرة الإلهية. وأعلم أن حضرة الحق سبحانه وتعالى متحدة من حيث الذات والصفات والأسماء والوجوه. والوجود كله بأسره متوجه إليها. فإلى الحضرة العالية بالخضوع والتذلل والعبادة والخمول تحت سلطان القهر وامتثال الأمر والمحبة والتعظيم والإجلال. فمنهم المتوجه إلى صورة الحضرة الإلهية نصا جليا في محو الغير والغيرية، ومنهم المتوجه إلى الحضرة العالية من وراء ستر كثيف وهم عبدة الأوثان ومن ضاهاهم فإنهم في توجههم إلى عبادة الأوثان ما توجهوا لغير الحق سبحانه و تعالى ولا عبدوا غيره، لكن الحق سبحانه وتعالى تجلى لهم من وراء تلك الستور بعظمته وجلاله وجذبهم بحسب ذلك التوجه بحكم القضاء والقدر الذي لا منازع له فيه. وهذا هو التوجه إلى الله كرها.يقول الله سبحانه (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها) الآية. فالوجود كله متوجه إلى حضرة الحق سبحانه بصفة ما ذكرنا فردا فردا، و أن الكفار والفجرة والمجرمين والظلمة فهم في ذلك التخليط الذي خالفوا فيه نصوص الشرع وصورة الأمر إلا لهي.فإنهم في ذلك ممثلون لأمر الله تعالى ليسوا بخارجين عن حكمه ومراده إلا أنهم خرجوا عن صورة الأمر الإلهي ظاهرا وغرقوا فيه باطنا.

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الكون كله فردا فردا، كل ذرة منه مرتبة للحق يحكم فيها بحكم خاص لا يحكم به في غيرها ويفعل فيها فعلا خالصا لا يفعله في غيرها ويوجه إليه تلك الذرة

بتوجه خاص إليه لا يوجه به غيرها فيه. ويجب الرضا والتسليم له في حكمه. فقد خالفوا أمر الله ظاهرا و وفّوا به باطنا من حيث لا يشعرون. وما يرد عليهم بعد ذلك من الثواب والعقاب والجزاء في دار المئاب عذابا ونعيم ،ا كل ذلك بحكم مشيئته التي لا مرد لها لا يسأل عما يفعل. فإذا عرفت هذا وتأملته وجدت كل ذرة في الوجود فردا فردا لها توجه إلى الحق خاص بها لا يشاركها فيه غيرها وربما ماثلتها ذرات أخرى في صفة ما هي فيه من التوجه فستباينها في أمور أخرى. فاحكم بهذا القانون وسر به في جميع أجزاء الوجود من الملك والآدمي وغيره وأعرف كيفيات التوجه للوجود إلى حضرة الحق.

فإذا عرفت هذا وميزته حق تمييز اتسع لك ميدان عظيم من المعرفة بالله تعالى واتساع تجلياته في الوجود بلا حد ولا حصر، إلا أنه تختلط الشريعة والحقيقة في هذا الميدان. والقول الفصل فيها أنه سبحانه وتعالى هو المحرك لجميع الوجود والقائم عليهم في كل أمر والمقيم لهم في كل حركة وسكون، لا يملكون من دونه شيئا وما يملكون من قطمير ولا حركة لهم ولا حكم ولا تقدم ولا تأخر بل هم في قبضته سبحانه وتعالى وتحت حكم مشيئته يصرفهم كيف يشاء ويقلبهم كيف يريد فيما شاء من خير أو شر أو نفع أو ضر أو طاعة أو معصية أو إقبال أو إدبار. ثم أنه من وراء هذه الحقيقة تجلى لهم بجعل تلك الحكمة والشريعة منوطة بالشروط والأسباب والضوابط واللوازم والمقتضيات لا انفكاك لشيء في تلك الحكمة عما أراد سبحانه وتعالى. وكل ذلك يجري على قانون المشيئة.

ثم رتب في صورة هذه الحكمة على وجوه تلك الضوابط و الروابط أحكاما إلهية سماها حدودا و عقوبات وثوابا وعقابا وخوفا ورجاء لا خروج لأحد عن تلك الضوابط والقيود. و له الحكم والاختيار في كل ما فعل في صورة الحقيقة والشريعة لا ينازع ولا يقال له: لم ولا لأي شيء ولا على ماذا. فليس إلا مد العنق

وتغميض العين وخضوع القلب تحت سلطان الألوهية والجلال و السلام.

وأما قول السائل ما مرادهم بقولهم اللّه سبحانه وتعالى :(أتجعل فيها من يفسد فيها) الآية مع تعليم اللّه لهم بقوله أني (جاعل في الأرض خليفة) إلخ.

الجواب أنهم ما سألوا اعتراضا ولا ردا للحكم لأنهم من هذا في خوف عظيم لا يتجاسرون على مرتبة جلاله أن يعترضوا عليه وإنما سألوه عن السر الموجب لخلق هذا الخليفة وجعله في الأرض ماذا يريد به. وقد رأوا ما كان عليه أهل الأرض قبله من الظلم والفساد وسفك الدماء وتعدي بعضهم على بعض، ورأوا ذلك في كل من سكن الأرض منذ خلقت إلى أن قال لهم أني جاعل في الأرض خليفة ما رأوا في الأرض أمة خرجت عن هذا الميدان، فحكموا على الباقي بصورة ذلك وسألوا ماذا يريد بجعل هذا الخليفة في الأرض على ما يقع من ذريته من الظلم والفساد وسفك الدماء. قال سبحانه وتعالى(أني أعلم ما لا تعلمون).لم يعلموا ما أودع اللّه في آدم من السر من أسراره وخزائن علومه وماذا يريد به ومن ذريته من ظهور أحكام كمالاته و ألوهيته و أنه يريد منهم عمارة الدارين بصورة العذاب والنعيم وما يتبع ذلك من الأحكام واللوازم والمقتضيات.

وأما سؤال السائل لما استفهموه وهم يعلمون ما في اللوح المحفوظ ومطلعون على المغيبات.فالجواب أنهم ما علموا ما كان في آدم وذريته ولا اطلعوا عليه ولذا قال سبحانه وتعالى (إني أعلم ما لا تعلمون). فإنهم وإن علموا ما في اللوح فما أطلعهم على جميع غيوبه إذ لا يحيط بعمله غيره.

وأما قول السائل : وما جعلنا الرؤيا الآية الجواب هو ما رآه ليلة الإسراء جعلها فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم فإنه قال بعدها(ونخوفهم فيما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا). فإنها حين نزلت شجرة الزقوم في القرآن قال أبو جهل لعنه اللّه :

أتدرون ما الزقوم الذي يخوفكم به محمد فإنها عجوة مشرب بالزبد، ولو وجدناها لترقمنا. فأنزل الله في هذا ونخوفهم الآية فالمراد بها هي شجرة الزقوم.

وأما قول السائل أن سيدنا الخضر هل هو نبي أو ولي؟ الجواب إنه ولي محقق ليس نبي يدل على ذلك قول موسى له عليه الصلاة والسلام في قضية الغلام والسفينة (لقد جئت شيئا إمرا) و(جئت شيئا نكرا). فإن موسى لا يجهل كونه نبيا، ولو علم أنه نبي ما قال له هذا فإنه يعلم أن النبوة معصومة أن تفعل أمرا إلا بإذن الإلهي. وما كان عن إذن الإلهي كيف يصح إنكاره عليه. فإن تضليل النبي كفر لمضلله، وموسى عليه السلام معصوم من ذلك كله. فدل أنه غير نبي ولو كان نبيا ما أنكر عليه.

وأما قول السائل : هل الذبيح إسماعيل أو إسحاق؟ فالجواب أنه إسماعيل قولا واحدا ولا عبرة بغير هذا القول بدليلين في الكتاب : الأول قوله سبحانه وتعالى في حق صارة (فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحاق يعقوب) يعني أنه يخرج من صلبه وهو رسول. فلو أمر بذبح إسحاق لقال كيف يتأتى هذا وهو يخرج من صلبه يعقوب. والدليل الثاني لأنه سبحانه وتعالى حين ذكر الذبيح وفرغ من قصته قال بعد ذلك (وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين). فإن إسحاق ما كان موجودا حين الذبح إنما الموجود إسماعيل عليه السلام. وقد روي أنه صلى الله عليه وسلم ناداه رجل يا ابن الذبيحين فتبسم صلى الله عليه وسلم وسكت. فلا يلتفت للقول بأن إسحاق هو الذبيح.

وأما قول السائل عن إخوة سيدنا يوسف عليه السلام: هل هم أنبياء أو ليسوا بأنبياء. الجواب أنهم أنبياء بدليل قوله سبحانه وتعالى (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) إلى قوله (والأسباط) وهم أولا يعقوب عليهم السلام.

وأما قول السائل : اللهم ألحقني بنسبه وحققني بحسبه ما معناه؟ الجواب أن نسبه صلى الله عليه وسلم إلى الحضرة الإلهية

وجمعيته لأمور. الأول، عبوديته لله تعالى من حيث هو هو بذاته. ثم عبوديته لله من حيث كافة أسمائه وصفاته باستكماله لتوفية القيام بحقوق كل تجل من التجلي الذاتي و الصفاتي والأسماء والفعلي بلا شذوذ، فيقوم لكل أمر من ذلك ما يستحقه من الخدمة والأدب. ثم جلوسه على كرسي الخلافة المطلقة العامة الشاملة عن الحق سبحانه في جميع مملكته التي هي مقتضيات ظهور مشيئته بلا شذوذ منها وألباسه له حلة الصفات والأسماء وألباسه له تاج الخلافة العظمى وبسط يديه في المملكة الإلهية في كل ما شاء وأراد بلا منازع ولا إباية لشيء منها عن ذلك، بل كل المملكة داخلة تحت قهره وإرادته لمكان خلافته عن مستخلفه سبحانه وتعالى. وكل ذلك واقع بكمال علمه و حكمه و قضائه و قدره جل جلاله لا منازع له في شيء من ذلك. وهذه نسبته صلى الله عليه و سلم إلى الحضرة الإلهية.و حسبه في هذه المرتبة الذي هو كمال العلو والعز و الشرف عند الله أن لا يناظره فيها مخلوق للحضرة والمكانة عند ربه. وهذا هو النسب الذي طلب اللحوق به و أن يحققه بشرف ذلك النسب وعلوه وعزه وهو الحسب.

وقول السائل: وزج بي في بحار الأحدية. بحار الأحدية هنا هي العلوم المحمدية وهي مائة وإحدى عشر علما وهي زبدة العلوم ومنتهاها. وبقدر ما نالت الأولياء منها يتفاضلون. فمنهم المقل والمكثر، فينالون منها من علم واحد إلى علمين إلى إثنين وسبعين علما، وهي غاية ما يدركه الأولياء منها.و أقرب ما يقال في الفرق بين الأحدية والوحدة و الواحدية أن الأحدية هي مرتبة كنه الحق سبحانه وتعالى وهي تجليه بذاته لذاته عن ذاته بجميع صفاته و أسمائه لكل ما هنالك من المقتضيات واللوازم. وهذه المرتبة لا مطمع فيها لغيره.والوحدة تجليه لرسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ببعض صفاته وأسمائه وكتمه عنه كثيرا منها مما هو واقع في مرتبة أحديته. فهذه

هي الوحدة. والواحدية تجليه لجميع النبيين والمرسلين والصدقين والعارفين بصفاته و أسمائه اللاهوتية، وهي التي يطلبها الكون وكتمه عنهم كثيرا مما تجلى به لرسوله سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم من صفاته وأسمائه.مع أن الفرق بين هذه المراتب الثلاثة لا يدرك إلا ذوقا لا تكشف العبارة عنها شيئا وإنما هو تقريب للأفهام ولا يعرف حقائقها إلا من ذاقها.

وأما طلب الإغراق في عين بحر الوحدة، فبحر الوحدة هو التجلي المذكور للنبي صلى اللّه عليه وسلم. وعين الوحدة هي الحقيقة المحمدية والغرق فيها هو مطالعتها من وراء الستور، فإن في تلك المطالعة من الفوائد والمنح والأسرار والحكم ما لا حد له ولا غاية. و أما الإغراق في عين بحر الوحدة من غير ستر فلا يمكن إلا له صلى اللّه عليه وسلم.

وأما قول السائل :ما معنى الحضرة الإلهية؟ الجواب الحضرة الإلهية هي مرتبة كنه الحق لجميع صفاته وأسمائه. ثم هي في تجليها لغيرها مختلفة المظاهر و النسب والإدراكات والفيوض والتجليات. فلكل واحدة منها حضرة، ولكل حضرة منها ذوق وتجلي ومنح ومواهب وفيوض وفتوحات، إذ لم يكن في وسع الغير الإحاطة بمرتبة كنهه سبحانه وتعالى. فتجلى لخلقه بما شاء من المظاهر والتجليات الصفاتية و الأسمائية على اختلاف طبقاتهم وتباين درجاتهم. فلكل واحد من الحضرة الإلهية قسط ونصيب، وأجهلهم باللّه من يظن أنه ليس للّه تعالى إلا ما تجلى له به، وأعرفهم باللّه من علم سعة مرتبة الكنه الإلهي وعلم أنه لا قدرة للإدراكات الخلقية على الإحاطة بها وإنما وهب لكل مخلوق منها قسط ونصيب. فلكل فرد من المخلوقات حضرةٌ تسمى له حضرة الحق لتجليه له فيها بما شاء من صفاته وأسمائه وأحكامه. فلكل واحد من ذلك حضرةٌ تخصه لا يشاركه فيها غيره، والمرتبة الجامعة هي مرتبة كنه الحق والسلام.

و أما قوله عليه السلام: كنت نبيا وآدم بين الطين والماء أراد به صلى الله عليه وسلم أنه نبي ورسول في سابق علم الله.

و أما قول السائل: إن دائرة الولي أوسع من دائرة النبي فالمراد بالولي أولياء هذه الأمة فقط، والمراد منهم من أمر بالدعوة إلى الله تعالى من رجالهم. فهم الذين دوائرهم أوسع من دوائر الأنبياء و اتساع الدائرة وضيقها باعتبار الطوائف الذين يدعونهم إلى الله تعالى. فكل رسول من الرسل غير نبيا صلى الله عليه وسلم رسالته خاصة بوطن أو جنس أو بلد لا يتعدى إلى غبره، ورسالة نبيا صلى الله عليه وسلم عامة في جميع البلدان والأقطار وفي جميع الأجناس والأمم وفي جميع الأعصار. فالأولياء الداعون إلى الله من أمته دعوتهم تعم كعموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم، لا تختص ببلد ولا جنس ولا أمة بل هي عامة كعموم رسالة نبيهم صلى الله عليه وسلم. فهذا هو اتساع دائرة الولي على دائرة النبي.

ثم هذه الدعوة إلى الله في حق الأولياء هي ملزومة لهم بطريق الشرع الظاهر لقوله صلى الله عليه وسلم: بلغوا عني ولو آية. الحديث و بقوله صلى الله عليه وسلم: مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر.لكن هذه الدعوة المذكورة هنا إنما هي بالإذن الخاص كإذن الرسالة. فمن نهض إلى الخلق يدعوهم إلى الله تعالى بالإذن الخاص له من الله سرت كلمته في جميع القلوب و وقع الإقبال من الخلق عليه و الاستجابة له و وقع له امتثال أمره و اجتناب نهيه في الخلق و أطيع و حلا كلامه في القلوب. ومن نهض إلى دعوة الخلق إلى الله بالإذن العام ليس له شيء من الإذن الخاص، لم ينتفع بكلامه ولم يقع عليه إقبال، فإن لسان الحق يقول له بلسان الحال في بساط الحقائق: ما أمرناك بهذا ولا أنت له بأهل إنما أنت فضولي. فمن وقف هذا الموقف ابتلي بحظوظ نفسه من الرياسة والرياء والتصنع، وليس من الله في شيء. قال ابن الفارض رضي الله عنه:

فعالمنا منهم نبيٌّ و من دعـــا إلى الحق منا قام بالرُّسُلِيَـــةِ

وعارفنا في وقتنا الأحمَدِيُّ مَن أولي العزم منهم آخذ بالعزيمة

فقال ابن عطاء اللّه: من أذن له في التعبير فُهمت في مسامع الخلق عبارته وجلت لديهم إشارته. وحكاية الشيخ الجيلاني رضي اللّه عنه معلومة. قال كنت بالأمس صائما فوضعت لي أم يحيي بويضات إلى فطوري على طرف السرير، فأتت هرة فاختطفتها فأخذ الناس في البكاء على عادتهم إلى آخر الحكاية.

ومن ادعى الأذن بالخاص من اللّه تعالى، وهو كاذب فيه وانبسط للخلق بالدعوة فإنه يموت كافرا إلا أن يتوب. نسأل اللّه السلامة والعافية بجاه النبي وآله.

وسئل رضي اللّه عنه عن مسائل منها حديث: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل وعن قول المرسي لو حجب عني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين وعن قول أبي يزيد: خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله.

فأجاب رضي اللّه عنه أما ما ذكرتم من حديث علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل فليس بحديث كما نص عليه الحافظ السيوطي في الدرر المنتشرة في الأحاديث المشتهرة وغيره. والمسألة الثانية وهي قول أبي العباس المرسي : لو حجب عني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إلخ، قال شيخنا رضي اللّه عنه : وتحقيق قول المرسي منذ أربعين سنة ما حجبتُ فيها عن اللّه طرفة عين، ولو حجب عني رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم طرفة عين ما عددت نفسي من المسلمين. اعلم أن هذه الخصوصية ليست للمرسي وحده إنما هي لقطب الأقطاب في كل وقت منذ جلوسه على كرسي القطبانية لا تقع بينه وبين رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم حجابية أصلا وحيث ما جال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم من

حضـرة الغيـب أو مـن حضـرة الشـهادة إلا وعـين قطـب الأقطـاب متمكنة من النظر إليه لا يحتجب عنه في لحظة من اللحظات.

وأما قول أبي يزيد: خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله، اعلم أن الأصل الذي لا محيد عنه ولابد لكل مؤمن من اعتقاده، ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الإيمان، هو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى بعلو كبريائه وعظمته وجلاله وعموم صفاته العالية وأسمائه وخصوصها، وان ذلك التجلي ليس هو في كل شخص ما عند الآخر ولا على قانون واحد ولا على كيفية مطردة بل البصائر فيه متفاوتة وأسرار الخلق في ذلك متباينة من كثير وقليل. فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدر ما تسعه حوصلته من تجلي الجمال القدسي الذي لا تدرك له غاية ولا يوقف له على حد ولا نهاية. وإذا عرفت هذا فأعلم أن الذي في مرتبته صلى الله عليه وسلم من تجليات الصفات والأسماء و الحقائق لا مطمع في دركه لأحد من أكابر أولي العزم من الرسل فضلا عن من دونهم من الرسل والنبيين عليهم الصلاة والسلام، وان الذي في مرتبة أولي العزم لا مطمع لأحد في دركه من عموم المرسلين وأن الذي في مرتبة الرسالة لا مطمع فيه لأحد من عموم النبيين وأن الذي في مرتبة النبوءة لا مطمع في دركه لأحد من عموم الأقطاب وأن الذي في مرتبة القطبانية لا مطمع في دركه لأحد من عموم الصديقين. وإذا كان الأمر كذلك وعرفت هذا التفصيل، فاعلم أن الشطحات التي صدرت من أكابر العارفين مما يوهم أو يقتضى أن لهم شفوفا وعلوا على مراتب المرسلين والنبيين مثل قول أبي يزيد البسطامي : خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله ومثل قول الشيخ عبد القادر الجيلاني: معاشر الأنبياء أوتيتم اللّقب وأوتينا ما لم توتوه ومثل قول أبي الفارض:

و دونـك بحـرا خضـته وقـف الألـىَ بسـاحله صـونا لموضـع حرمتي

و كقوله أيضا:

وإني و إن كنت ابن آدم صورة فلي فيه معنى شاهد بأبُوَتِي

إلى أن قال:

وفي المهد حزبي الأنبياء،و في عنا صري لوحي المحفوظ، و الفتح سورتي

و كقوله أيضا:

فحيَّ على جمعي القديم الذي بـــه وجدتُ كهول الحي أطفال صِبيتي

ومن فضل ما أسأرتُ شربُ مُعاصري ومن كان قبلي فالفضائل فَضلتي

وكقوله في الكافية :

كل من في حماك يهواك ولكن أنا وحدي بكل من في حماك

والجواب عن هذه الشطحات أن للعارف وقتا يطرأ عليه الفناء والاستغراق حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه وشهوده، ويخرج عن جميع مداركه و وجوده لكن تارة يكون ذلك في ذات الحق سبحانه وتعالى فيتدلى له من قدُّوس اللاهوت من بعض أسراره فيضا يقتضي منه أنه يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها، ويصرح في هذا الميدان بقوله: سبحاني لا إله إلا أنا وحدي إلخ، من التسبيحات كقوله: جلت عظمتي وتقدس كبريائي. وهو في ذلك معذور لأن العقل الذي يميز الشواهد

والعوائد ويعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كل لما يستحقه من الصفات غاب عنه. والمحق تلاشى واضمحل.وعند فقد هذا العقل وذهابه وفيض ذلك السر القدسي عليه تكلم بما تكلم به. فالكلام الذي وقع فيه خلقه الله فيه نيابة عنه، فهو يتكلم بلسان الحق لا بلسانه ومعربا عن ذات الحق لا عن ذاته، ومن هذا الميدان قول أبي يزيد البسطامي: سبحاني ما أعظم شأني وقول الحلاج: أنا الحق وما في الجبة إلا الله وقول غيره من أكابر العارفين كقولة التستري.

انظر أنا شيء عجيب لمن راءاني أنا المحب والحبيب ما ثم ثاني

وأقوال ابن الفارض مثل هذا كثيرة. فهذا مما يعطيه الاستغراق في ذات الحق وهذا أمر خارج عن القال يدرك بالذوق وصفاء الأحوال. فلا يعلم حقيقته إلا من ذاقه. وتارة يكون الاستغراق للعارف والفناء في ذات النبي صلى الله عليه وسلم لغيبته عن ذاته في ذات النبي صلى الله عليه وسلم فيتدلى له صلى الله عليه وسلم ببعض أسراره. فإذا كسيت ذاته ذلك السر فلا يشهد ذاته إلا ذات النبي صلى الله عليه وسلم ويعلمه الله ببعض ما اختص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصية التي لا مطمع فيها لغيره صلى الله عليه وسلم، فيتكلم بلسان النبي صلى الله عليه وسلم نيابة عن ببعض ما اختص الله به نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصيات العظام، مما له به علو وشفوف على جميع مراتب النبيين والمرسلين. فهو يخبر عن ما أعطى الله نبيه صلى الله عليه وسلم مخبرا عن نفسه. فمن يسمعه يظن أنه ينسبه لنفسه، وإنما نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم لغيبته في ذاته فإذا انفصل عن هذا الفناء والاستغراق ورجع لحسه وشاهده تبرأ من ذلك لعلمه بمرتبته. وسوق هذا المساق في كل ما تسمع من الشيوخ مما يقتضي أن لهم شفوفا على مراتب النبيين والمرسلين مثل قول الدسوقي رضي الله عنه:

أنا كنت مع نوح لما شهد الورى بحورا وطوفانا على كف قدرتي
أنا كنت في رؤيا الذبيح فداءه و ما أنزل بالكبش إلا بفتوتي
أنا كنت مع أيوب في زمن البلا وما شُفِيت بلواه إلا بدعوتي

و أكثر من هذا رضي اللّه عنه، فكل ذلك لفنائه في ذات النبي صلى اللّه عليه وسلم مترجما عن مقامه صلى اللّه عليه وسلم. وهذا يغني في الجواب، وما وراء ذلك ما لا يلحقه العقل ولا يأتي عليه القول ولا يحل ذكره لبعده عن الأفهام. و هذا الذي ذكرناه من فناء العارف في ذات اللّه وفي ذات النبي صلى اللّه عليه وسلم ليس هو لكل العارفين، ولا في كل وقت من أوقات من وقع له، بل هو خاص ببعض الأوقات لبعض العارفين و السلام.

استدراك

البحر الذي خاضه رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم و وقفت الأنبياء بساحله هي بحار الحقائق التي تجلى اللّه له بها واختصه بها دون غيره من أكابر الرسل والنبيين فمن دونهم إلى هلم جر. فإن تلك الحقائق لو تجل اللّه بها للرسل و النبيين أو بأقل قليل منها، لصاروا محض العدم في أسرع من طرفة البصر، وإنما وقفوا بساحل تلك التجليات و هي التجليات التي اختصهم اللّه بها من طوالع الجلال والجمال والعظمة والكبرياء. فتلك الحقائق التي هي لهم بالنسبة إلى حقائقه صلى اللّه عليه وسلم المنكشفة له خصوصا كالساحل للبحر، فإنهم تكلموا بلسانه صلى اللّه عليه وسلم لغيبتهم فيه وفنائهم فيه والسلام.

وسألته رضي اللّه عنه عن قوله تعالى:(وإن إلى ربك المنتهى) فأجاب رضي اللّه عنه. المنتهى إلى اللّه من عبر قناطير المرسومات وخرق حجب المخلوقات، فقد وصل إلى اللّه. قال صلى اللّه عليه وسلم ليلة الإسراء: ولم أر عند رؤية ربي أحدا من خلقه. انتهى.

وسئل رضي اللّه عنه عن الجن هل الجن يدخلون الجنة ويتمتعون فيها كالآدميين أو لا نصيب لهم فيها وهل يرجعون ترابا كالحيوانات أم لا؟ فأجاب رضي اللّه عنه أن القول الذي هو عين الحق والصواب ويجب المصير إليه أن الجان مستوون مع بني آدم في عموم التكليف بالقيام بأمر اللّه أمرا ونهيا وتحريما ووجوبا وفي عموم الرسالة إليهم ودعوتهم إلى اللّه تعالى، لا فرق بينهم وبين بني آدم في هذا الأمر الذي ذكرناه بقواطع نصوص الكتاب والسنة والإجماع. أما الكتاب فما ذكر اللّه عنهم في سورة الأحقاف وفي سورة الجن وهو صريح لا يقبل التأويل.وأما السنة فقوله صلى اللّه عليه وسلم: بعثتُ إلى التقلين الإنس والجن، وهو حديث مجمع على صحته وتواتره. كل من اعتقد خلافه كفر، وانعقد إجماع الأمة على هذا في عموم الرسالة لنا ولهم وعموم دعوتنا ودعوتهم إلى اللّه تعالى على لسان رسوله صلى اللّه عليه وسلم وفي عموم تكليفنا وتكليفهم بالقيام بأمر اللّه.

وحيث كان الأمر هكذا فهم مساوون لنا فيما يشتمل عليه عموم الخطاب الإلهي والنبوي من تقدير الثواب والعقاب لمن أطاع اللّه أو عصاه منا ومنهم ودخول الجنة والتمتع بها لمن أطاع اللّه أو غفر له معاصيه وكان مؤمنا منا ومنهم، والعذاب في النار ودخولها لمن عصا اللّه ولم يغفر له منا ومنهم يشهد لهذا قوله سبحانه وتعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللّه) وقوله سبحانه وتعالى (ومن يطع الرسول فقد أطاع اللّه). فهي صادقة في كل من أرسل إليهم لمن آمن باللّه وقام برعاية حدوده وأحكامه أمرا ونهيا، فلا فرق بينهم وبين الآدميين في هذا لشمول الرسالة والدعوة إلى اللّه والتكليف بالقيام بأمر اللّه منا ومنهم.قال سبحانه وتعالى (تلك حدود اللّه ومن يطع اللّه ورسوله ندخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص اللّه ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا خالدا فيها) الآية. فهي مشتملة بجميع أحكامها على كل فرد

من أفراد المرسول إليهم الذين أُمر الرسول بدعوتهم إلى اللّه تعالى. وقال سبحانه وتعالى (ومن يعمل من الصالحات من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا). فهي مشتملة على كل من أرسل إليهم الرسول ودعاهم إلى اللّه تعالى. وقال سبحانه وتعالى في حق أولي الألباب من المؤمنين حيث أخبر عنهم في كتابه أنهم قالوا (ربنا إننا سمعنا مناديا ب ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فئامنا) إلى قوله سبحانه وتعالى (فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر وأنثى بعضكم من بعض).فهي مشتملة على كل من اشتملت عليه الرسالة والدعوة إلى اللّه تعالى من الجن والإنس وقال سبحانه وتعالى(وعد اللّه المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار) الآية فهي مشتملة على كل من اشتملت عليه الرسالة وقال سبحانه وتعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا) الآية. وقال سبحانه(إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم).

وكل هذه الآيات وأمثالها مشتملة على كل فرد من المرسول إليهم الذين أمر الرسول صلى اللّه عليه وسلم بدعوتهم إلى اللّه تعالى، ولا يلتفت لما سطر في الأوراق مما يناقض هذا، فإن تلك تخيلات عقلية بنية البطلان بصريح نصوص الكتاب والسنة كما ذكرناه آنفا وغيرها.و في هذا كفاية لمن تأمل والسلام وانتهى.

شمس طالعة وأنوار ساطعة

وهذه هدية الحبيب في الكشف عن التطهير بماء الغيب

تطهر بماء الغيب إن كنت ذا سر وإلا تيمم بالصعيد و بالصخـــــر

وقدِّم إماما كنتَ أنت أمامـــــه وصل صلاة الفجر في أول العصر

فهذه صلاة العارفين بربهـــم فإن كنت منهم فانضح البر بالبحـــر

شرح قال رضي اللّه عنه: أما ماء الغيب الذي أشار إلى التطهير به، فهو الفيض الأكبر الفائض من حضرة القدس التي هي حضرة اللاهوت ويعبر عنه عند العارفين بالفتح. فإن تسميته فيه بالفتح تسامح. فإن الفتح زوال الحجب الحائلة بين العبد وبين حضرة القدس وهي مائة ألف حجاب و خمسة وستون ألف حجاب. و زوال هذه الحجب بأسرها هو الفتح لأنه فتح عن انغلاق، فإن العبد قبله كان بمنزلة من انحصر في بيت غليظة الحيطان والسقف وليس فيها منفذ للضوء من الطيقان لا قليل ولا كثير، ومن ورائها بيوت مضروبة فوقها وحولها، كل بيت منغلقة كل ما فيها من الطيقان.ومثل البيوت المترادفة على البيت الذي فيه العبد مائة ألف وخمسة وستون ألف بيت كل بيت لا منفذ فيه للضوء، والعبد منحصر في هذا البيت لم ير إلا ظلاما. فإذا هُدمت البيوت كلها دفعة واحدة، فذلك مثال للفتح. والفيض الذي يرد عليه بعد الفتح بمنزلة ضوء الشمس إذا انهدمت البيوت المضروبة عليه بالنهار، ورأى الشمس طالعة صاحية.

فلا شك أنه لا يبقى معه شيء من الظلام لإشراق ضوء الشمس عليه. فالفيض الوارد عليه بعد الفتح من حضرة القدس عند دخوله في ذات العبد يتطهر بسببه من جميع الأخلاق والأوصاف والنعوت البهيمية والطبيعية والشيطانية مثل الكبر والعجب والرياء والتصنع والميل لغير اللّه وحب الدنيا ونسيان الآخرة والكذب والبهتان والخدع والمكر وحب المحمدة وبغض المذمة... إلى غير ذلك من الأوصاف والأخلاق المذمومة المذكورة في كتب أهل الشرائع الظاهرة.

فعند ورود ذلك الفيض على العبد يتطهر من جميع الأوصاف المذكورة لا يبقى فيه من تلك الأوصاف لا قليل و لا كثير، بل يهدمها عينا و أثرا. وبسبب ذلك الفيض يتصف بأضداد الصفات المذمومة من صفات الملائكة والروحانيين والنبيين

ويصير بسبب ذلك كأنه من جنس الملائكة بما فيه من حب الله ورسوله لذاته والقيام بالأدب مع الله ومحو التعلق بغير الله والزهد في كل ما سوى الله ونسيان الدنيا وأحوالها ونسيان الآخرة ونعيمها والحب في الله والبغض في الله إلى غير ذلك، وهي كثيرة. ولما كان هذا الفيض متى ورد على العبد لا يبقي من أوصاف العبد المذمومة لا عينا ولا أثرا ولا يتأتى أن يرد على عبد وتبقى فيه بقية من تلك البقايا حض الطالب على التطهير بماء الغيب الذي هو الفيض الأقدس، لأنه لا يبقي من المذمومات لا قليلا ولا كثيرا.

فهذا ماء الغيب الذي حث الطالب عليه و أمره بالتطهير به لأن ذلك التطهير لا يماثل التطهير الذي يكون بتعمّل العبد، فإن التطهير الذي يكون بتعمُّل العبد يداخله الخلل والنقص من حيث ملاحظة العبد لعينه ورؤيته لعمله، ولأجل هذا لا يكون ذلك التطهير موفيا بالمقصود. وأما التطهير بالفيض الأقدس، فإنه يأتي قهرا عن تجل إلاهي لا مدخل فيه للعبد، يهدم قواعد الرسوم البشرية ويخرج العبد عن جميع ملاحظاته ورؤيته وإدراكاته ويلقيه في بحر فناء الفناء ويقذفه في البحر الأعظم والسر الأكبر المشار إليه بقوله صلى الله عليه وسلم: إن الله خلق آدم على صورته. و يقذفه في بحر قوله صلى الله عليه وسلم من الحديث القدسي: لم تسعني أرضي ولا سمائي ويسعني قلب عبدي المؤمن.

ومعاني هذين الحديثين لا تدرك باللفظ ولا تكشف العبارة عن معانيهما شيئا، وإنما هي أسرار عاليات وفيوض أقدسيات يهبها الله تعالى لمن أحبه واصطفاه من عباده فيدرك أسرار هاذين الحديثين ذوقا حقيقيا وإدراكا يقينيا، لا يحتاج فيه إلى العبارة ولا يفتقر إلى الرموز بالإشارة. وبسبب ذلك يكون عارفا بالله كاملا وعبدا محضا خالصا وأدرك بسبب ذلك التجلي الأكبر الذي لا حد له ولا غاية وأحاط العبد بعينه وعرف بسبب ذلك

وجود الدنيا و الآخرة ولماذا وجدتا وماذا يراد بهما. وهذا الفيض هو التطهير الكامل الذي من عثر عليه قيل فيه عبد واصل.

وقوله إن كنت ذا سر: معناه تطهّر بهذا التطهير الأقدس المعبر عنه بماء الغيب إن كنت ذا سر، فإن هذا الفيض الأقدس والفتح المتصل به لا يَردُ إلا على أهل الأسرار لا من عداهم. والسر هاهنا هو فيض الأنوار الإلهية يرد على العبد قبل الفتح إذا سرى في قلبه و ذاته حمل الذات على طلب الحق ومتابعته و منعها من الباطل ومتابعته عملا وحالا. فالمراد بقوله إن كنت ذا سر يعني أنه لا يرد على العبد ما ذكر من الفتح والفيض الأقدس إلا إذا ورد عليه السر المذكور قبله.

وإذا لم يكن ذا سر فلا مطمع له فيما ذكر من الفتح والفيض الأقدس. ولذا قال الناظم و إلا تيمم بالصعيد وبالصخر. أشار بالصعيد والصخر إلى ظواهر الشرع التي يكون التطهير بها بتعمل العبد وتكلفه على حد مَن فقد الماء للوضوء صرفه الشرع إلى التيمم نيابة عن الماء . و معلوم أن طهارة التيمم ليس كطهارة الماء وإنما تجوز بها للضرورة ولفقد الماء الذي هو غاية المراد كذلك.

قال الناظم للطالب: إن كنت من أرباب الأسرار فتطهر بماء الغيب لأنه التطهير الكلي الموفي بغاية المقصود إذ بسبب هذا التطهير يكون العبد ملكيا ربانيا وعبدا محضا إلهيا وحصل على التجلي الإلهي إذ تجلّى له الجبار من أستار غيبه. فقد قال بعض الكبار: إذ تجلى اللّه لسر عبد ملّكه جميع الأسرار وألحقه بدرجة الأحرار وكان له تصرف ذاتي. وهذا العبد هو الذي عبر عنه أبو القاسم الجنيد رضي اللّه عنه بقوله لما سئل عن المحب قال: هو عبد ذاهب عن نفسه متصل بذكر ربه قائم بأداء حقه ناظر اليه بقلبه أحرقت قلبه أنوار هويته وصفا شرابه من كأس وده وتجلى له الجبار من أستار غيبه. و هذا العبد هو الذي يكون

قلبه معبرا عليه بالبيت المحرم، ويحرم على غير الحق دخوله، وكل هذا وصّله إليه التطهير المذكور.

وإن لم تكن أيها الطالب من أرباب الأسرار فتطهر بالصعيد وبالصخر، كالذي فقد الماء ونزل للتيمم. وهذا التطهير بالصعيد وبالصخر هو المعبر عنه بقوله صلى اللّه عليه وسلم: تخلقوا بأخلاق اللّه، وبقوله صلى اللّه عليه وسلم في الحديث القدسي مخبرا عن اللّه: هذا دين أرتضيه لنفسي ولمن أحب ولن يصلحه إلا السخاء والتكرم، فأصلحوه بالسخاء والتكرم ما صحبتموه. وقوله صلى اللّه عليه وسلم: إن اللّه يحب أعالي الأمور ويكره سفسافها. وقوله صلى اللّه عليه وسلم: استحيوا من اللّه حق الحياء. قالوا إنا نستحيي والحمد للّه. قال ليس ذلك كذلك ولكن الاستحياء أن تحفظ الرأس وما وعى وتحفظ البطن وما حوى ولتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا. ومن فعل ذلك فقد استحيي من اللّه حق الحياء. إلى غير ذلك من الأحكام المتفرقة في الأحاديث النبوية والآيات القرآنية.

فعلى العبد ملازمتها والدؤب على ما يقدر عليه منها بدوام معانقة الذكر معها، ونعني بالذكر الذي يكون بتلقين شيخ واصل لا الذي يأخذه العبد باختياره مع دوام الإستناد بالقلب إلى شيخ كامل، فإن بدوامه على هذه الأمور يصل العبد إلى أن ينازله السر الرباني الذي بسببه يصل إلى التطهير الأكبر المذكور الذي هو غاية الغايات ومنتهى الرغبات المعبر عنه في الإشارة عن اللّه، يقال عنه: من كشفت له عن صفاتي ألزمته الأدب و من كشفت له ذاتي ألزمته العطب. وهذا العطب هو غاية الأرب ومنتهى مطلب العبد، فإن هذا العطب هو محل الاستهلاك والمحق حيث يسلب العبد من أوصافه البشرية ويلبس خلعة الاتصاف بالأوصاف الربانية ويكون عين العين حيث ينمحق الفرق والبين. و هذا هو المعبر عنه بجمع الجمع. فهذا معنى قوله وإلا تيمم بالصعيد وبالصخر.

وقوله وقدم إماما إلخ. الإمام الذي يلزم تقديمه هاهنا يصح أن يقال فيه هو الشارع صلى الله عليه وسلم، ويصح أن يقال فيه هو العقل. فأما إن قلنا هو الشارع صلى الله عليه وسلم فمعناه حيث وصلتَ أيها العبد إلى التطهير بماء الغيب المذكور وحصلت على غايته وأردت الصلاة لربك، فقدم الإمام الأكبر والقدوة العظمى فاقتد به في حضرة ربك لكونك شاهدت حقيقته صلى الله عليه وسلم هي الواسطة بينك وبين ربك. ولم يصل إليك خير إلا منها ولا مطمع لك في وصول خير من ربك خارجا عن دائرتها.

ومعنى قدمه تأدب بآدابه والتزم متابعته واجعله قبلة وجهك وتوجهاتك ليحصل لك بذلك الرضا من ربك. وقوله وكنت أنت إمامه، فإنك قبل التطهير كنت متقدما على الشارع صلى الله عليه وسلم ظلما وعدوانا تحكم لنفسك بهواك ولا تسعى إلا في متابعة مرادك، ولا يكون لك ولوع إلا بإرضاء نفسك بعيدا عن الحضرة الإلهية ومتنائيا عن الاتصاف بالأوصاف الروحانية وغريق بحر الظلمات بما بعدت عنه من الأنوار الرحمانية لا تُلم بأحكام الشارع ولا تلتفت إليها لغلبة الهوى عليك وسريان سمه في كليتك. فأنت في الحقيقة عبد مشرك بالله لكونك نصبت نفسك إلاها تعبدها من دون الله. فقد قال صلى الله عليه وسلم في هذا المعنى: ما تحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع.

فلهذا عبر الناظم بكونك كنت إمامه إذ لو كنت خلفه متبعا له لم تخالفه بمتابعة هواك ورضاك عن نفسك وسعيك في مرضاتها ومحابِّها وهربك من مكارهها ومضارها، وإن كان في ذلك سخط ربك. وهذا هو التقديم بين يدي الشارع صلى الله عليه وسلم المصرح بالنهي عنه في قوله تعالى(يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله) وبقوله تعالى (فلا وربك

لا يومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم). الآية. فهذا معنى قوله كنت أنت إمامه.

إن قلنا الإمام الذي تقدمه هو العقل والعقل هاهنا هو العقل الرباني المستتر في حضرة الغيب الذي كان صفة للروح أولا قبل التركيب في الجسم، فإنه كان للروح بمنزلة البصر للعين كما أن البصر تنكشف به حقائق الأشياء الظاهرة في العين، كذلك العقل الرباني الذي كان وصفا للروح قبل التركيب في الجسم تنكشف به الأشياء الباطنة وتعرف به الحقيقة بحق والباطل باطلا حقيقيا وكشفا يقينيا لا تلتبس عليه الأمور ولا تدهشه معضلات الفتن، فهو القسطاس المستقيم بين كفتي الحق والباطل يعرف به كيفية الموازنة للأشياء ووضع كل شيء في كفة الحق وفي كفة الباطل ويعرف به صورة الترجيح بين الأشياء والمعادلة.

وهذا العقل الرباني يأخذ العلم عن الله بلا واسطة لا يحتاج إلى تعليم معلم ولا لأخبار مخبر بل كل ما أراده من العلم أخذه عن الحق بلا واسطة. وهذا هو العقل الذي يجب تقديمه.

ثم أن مراتب العقل ثلاث: الأول هو العقل الرباني الذي هو محض النور الرباني المنصب في باطن حقيقة الروح، فإنه هو الهادي والمبلغ إلى الغاية. ولا يصل إلى هذا العقل إلا العارف الكامل. الثاني هو العقل الكلي الذي استتر بغش من الظلمة الخفية، فانكشفت له حقائق الأشياء الكونية ظاهرا وباطنا. و الفرق بينه و بين العقل الأول أن العقل الأول تنكشف له حقائق الحضرة الإلهية ظاهرا و باطنا ويعاين أسرار الحضرة القدسية ويجلس على كرسي السلطنة العظمى ويحكم في جميع الأشياء بما يريد، فتنفعل له ولا يستعص عليه منها شيء.

وأما العقل الثاني الذي هو العقل الكلي فإنه احتجبت عنه الحضرة الإلهية بحجب كثيرة ولم يحظ بشيء من أسرار الحضرة القدسية إلا أنه انكشفت له حقائق الكون الظاهرة و الباطنة،

لكن بنور إلاهي قذف فيه فتحكم في الأشياء بما يريد، تارة ينفذ مراده وتارة يستعصي مراده وعرف موارد الأمور ومصادرها من ظاهر الكون لا من باطن الحضرة القدسية. فإن المعرفة التي تأتي عن باطن الحضرة القدسية لحقائق الكون ظاهرا وباطنا والمعرفة التي تأتي من ظاهر الأكوان الغيبية والظاهرة، بينهما بون بعيد. والعقل الكلي في هذه المرتبة يزن الأشياء بالقسطاس المستقيم، فيعرف الأشياء وعواقبها وما تؤول إليه. فهو من أكبر المطالب وأعلاها، وإن كان قصر به الأمر عن بلوغ رتبة العقل الرباني، فإنه يفيد إفادة عظيمة وله علوم ومعارف جسيمة، إلا أنها في صور الأكوان فقط.

وهذا العقل يشترك فيه المومن والكافر. فقد يوتى هذا العقل الثاني بعض الكفرة بدوام مخالفتهم لهوى نفوسهم وارتقائهم للحضرة الإلهية ولا يغني عنهم شيئا لعدم الإيمان، لكن يظفرون بخواصه في الدنيا بكشف بعض الغيوب والتصرف في بعض الخواص والأسرار ونفوذ الكلمة في كثير من الأمور لكنه استدراج لهم إلى ما يريدهم من إهلاكه لهم في الآخرة. عافنا الله من ذلك بفضله.

والمرتبة الثالثة في العقل وهي أحط المراتب وأسفلها هو العقل المعاشي الذي يدبر أمر الدنيا وظواهرها من الشهوات والعكوف على المألوفات وحب الراحات والانهماك في متابعة الهوى والفرار من كل ما يناقض هذه الأمور. و هذا العقل يشترك فيه الآدمي والبهائم.والعقل الذي يجب تقديمه هو العقل الأكبر الرباني الذي هو من وراء العقل الكلي.

وقوله قدمه لأن هذا العقل يدعوا إلى كمال التعلق بالله وكمال الطهارة من كل ما سوى الله عينا وأثرا تعلقا ومساكنة وملاحظة واستيناسا وإرادة، ولذا يجب تقديمه لأنه يجذب متبعه إلى حضرة الله محضا بكمال الطهارة من كل ما سواها، فلذا يجب تقديمه ومتابعته.

وقوله كنت أنت إمامه يشير إلى حالة الشخص حيث كانت البشرية مستولية عليه لا يسعى إلا في متابعة هواه وجعل هواه نصب عينه وإمامه يقتدي به، ونبذ العقل الرباني وحكمه من وراء ظهره. فلذا كنت أنت إمامه.

وقوله وصل صلاة الفجر في أول العصر معناه: صل صلاة كصلاة الفجر في أول العصر. الفجر هنا هو فجر إيجاد الأرواح حيث بزغت شمسها من حضرة العدم إلى حضرة الوجود. واشتق له اسم الفجر لأن ضياء الأرواح الذي هو عين الوجود بزغ من ظلمة العدم كبزوغ الفجر من ظلمة الليل.

وقوله في أول العصر: أي في أول عصر عمر الأرواح من أول نشأتها يشير إلى حالة الروح و ما كانت عليه من كمال الطهارة والصفاء وكمال معرفتها بالله وكمال حبها لذاته ونسيانها لكل ما سوى الله و عكوفها على خدمته والأدب بين يديه و دؤبها طبيعة جبلية على تعظيمه وإجلاله غير مبالية بغيره. فهذه كانت حالة الروح في أول نشأتها الذي هو أول عصر عمرها وهو انشقاق فجر إيجادها. يقول الناظم: أيها الطالب إذا صليت لله فصل صلاة كصلاة الأرواح في أول عصر عمرها عند انشقاق فجرها حيث كانت تامة المعرفة بالله على الحالة المذكورة آنفا فإن ذلك هو اللائق بالحضرة الإلهية لا غير، فإنك متى مر بقلبك في الصلاة غير الله تعالى فما أنت بمصل ولا هي صلاة العارفين، بل صلاة العارفين على حالة الروح في أول نشأتها المذكورة أولا. فلذا قال صلاة العارفين بربهم.

ويوجد في بعض النسخ وصل صلاة الظهر في أول العصر أشار بالظهر إلى أول ظهور الأرواح من ظلمة العدم إلى ضياء الوجود في أول عصر عمرها كما مر وهو المعبر عنه أيضا بالفجر. فلذا قال فهذه صلاة العارفين بربهم لأن العارف إذا قام إلى الصلاة نبذ الوجود كله من ورائه وأقبل على الحق بكليته ظاهرا وباطنا. فلا محبة

عنده ولا تعظيم ولا إجلال ولا اعتبار ولا وجود ولا وهم ولا حس إلا الله سبحانه و تعالى مثل حالة الروح كما ذكرت أولا.

وقوله فإن كنت منهم، أي من العارفين فانضح البر بالبحر معنى البر ظواهر الشرع من المأمورات التكليفية التي هي القيام فيما لله تعالى عبادة وعبودية و عَبودة.

وقوله بالبحر هو بحر الحقيقة. يشير إلى أنك لا تفعل فعلا من المأمورات التكليفية شرعا إلا وأنت تشاهد الحق أمامك ومحيطا بك وناظرا إليك وأنك في قبضته وفي حضرته. وقدرته هي المحركة لك والمسكنة. وهذا الشهود ليس اعتقادا بل عينيا حقيقيا وإدراكا يقينيا بثمرة صفاء الأحوال ويعطيه كمال التحقق في مقامات الإنزال، ولا إدراك فيه للمقال. فهذا الأمر هو المعبر عنه بنضح بر الشريعة ببحر الحقيقة.

والفرق بين العبادة والعبودية والعبودة أن العبادة هي القيام بأمر الله في مقام الإسلام، صاحبها لا حضور له مع الحق إلا نزر قليل بكد شديد. والعبودية هي القيام بأمر الله في مقام الإيمان وصاحبها يكون حاضرا مع الله أولها من وراء ستر كثيف وآخرها من وراء ستر رقيق. والعبودة هي القيام بأمر الله في مقام الإحسان فإن صاحبها لم يكن في عينه وجود إلا الحق سبحانه وتعالى. فهو يرى الحق عيانا بعين بصيرته ونور يقينه. قال ابن عطاء الله: شعاع البصيرة يشهدك قربه وعين البصيرة يشهدك فناءك لوجوده وحق البصيرة يشهدك وجوده لا فناءك ولا وجودك. فشعاع البصيرة هو نور العقل وعبادة صاحبها هي المعبر عنها بالعبادة وعين البصيرة هو نور العلم وعبادة صاحبها هي المعبر عنها بالعبودية وحق البصيرة هو نور الحق وعبادة صاحبها هي المعبر عنها بالعَبودة و السلام.

شمس طالعة، وأنوار ساطعة

وسئل سيدنا رضي الله عنه عن الفرق ببين الحقيقة والشريعة والطريقة، فأجاب رضي الله عنه: الحقيقة هي رفع الحجب عن مطالعة الحضرة القدسية وهي المعبر عنها بالمشاهدة وعلومها المنسوبة إليها تارة تطلق على ما يبرز للمشاهد من الحضرة القدسية من العلوم والمعارف والأسرار والفيوض والحكم وأحوال اليقين إلى غير ذلك. و تارة تطلق على ما يلزم العبد في وقت المشاهدة من علوم الأدب وعلوم الخطاب وعلم ما يلزمه اجتنابه في وقت المشاهدة وعلم ما يلزمه تحمله .فهذه حقيقة الحقيقة وعلومها.

وحقيقة الشريعة هي الأمور التي جاء بها الشارع صلى الله عليه وسلم أمرا ونهيا وإباحة ما نص عليه صلى الله عليه ويلم ونص الله عليه في كتابه من جميع الأمور وما يؤل إلى ذلك من استنباط المجتهدين. فهذه هي الشريعة.

وأما الطريقة فهي واسطة بين الشريعة والحقيقة، فإنما هي الشريعة اللازمة لأرباب الحقائق والأحوال وهي غير الشريعة التي يخاطبون بها العوام وأرباب الرسوم. و حدُّها الجامع لها هو قولهم: حسنات الأبرار سيئات المقربين.وعلوم الطريقة هي كل علم يدعوا إلى انسلاخ العبد من حظوظه وشهواته وتبريه من مشاهدة حوله وقوته ومباعدته عن كل ما يقضي بجلب المصلحة لنفسه ودفع المضرة عنها بإيوائه إلى جانب الحق سبحانه وتعالى والعلم

بكل ما يدعوا إلى وقوف العبد مع الله في صميم التوحيد وخروجه عن الغير والغيرية علما وعملا وحالا وتخلقا و الرسوخ في مقام الرضا والتسليم والغرق في بحر التفويض والاستسلام. فهذه هي الطريقة وعلومها والسلام عليكم.

ثم قال رضي الله عنه وقدس سره القطب عصم شريعته بحقيقته وستر حقيقته بشريعته.هـ

وسئل رضي الله عنه و قدس سره عن حقيقة مراقبة العارفين. فأجاب رضي الله عنه: هو أن يكون كامل اليقظة والرصد لأمرين لابد منهما. الأمر الأول ما يفاتح به في مقامه من الفتوحات والفيوض والتجليات وعجائب الحقائق والأسرار التي لا يطيق العقل إحاطة الإدراك لها فضلا عن التلفظ بها، فيعرف ما يلزمه في كل فصل وفي كل أمر من ذلك على حدته من الوظائف والآداب والمقابلات التي هي مقتضيات العبودية.والأمر الثاني تيقظه ورصده لما يتقلب به الوجود من الأطوار من خير أو شر أو غير ذلك، فيعلم في كل فصل من ذلك وفي كل أمر أي تجل للحق هو البارز فيه ومن أي حضرة كان ذلك الطور ولماذا وجد وماذا يراد منه، فيعطي لكل شيء من ذلك وكل أمر ما يستحقه بحكم الوقت من الوظائف والآداب والمقابلات التي هي مقتضيات العبودية حتى لا يشذ عليه من ذلك في كل مقدار طرفة عين من الزمان شيء. وهذا هو المعبر عنه بالمراقبة في مقام العارفين وهي مشروطة بتقدم المشاهدة وكمال المعرفة، فلا تقع ما لم تقعا المشاهدة والمعرفة، فإن الروح عند مطالعة الجمال القدسي مقتضاها الذهول عن الأكوان لما في الجمال القدسي من الشغل عنها. وهذه المراقبة لأكابر الكُمَّل العارفين وهي بساط الخلافة الكبرى، فصاحبها هو الذي يتأتى له أنه يكون خليفة لله على خلقه لاستكماله مرتبة العبودية، فإن دامت هذه المعارف يتأتى له التحقق بالله في كل مرتبة وهو المعبر عنه بالقطب وقد لا يكون قطبا هـ.

ثم قال رضي الله عنه المتحقق بالحق من يراه في كل متعين بلا تعين والمتحقق بالحق والخلق يرى أن كل ذرة في الوجود لها وجه إلى الإطلاق و وجه إلى التقييد هـ.

ثم قال رضي الله عنه وقدس سره العزيز: حقيقة الحضرة الإلهية هي ظهور صور الأكوان باطنا لا ظاهرا. فالكون كله حضرة الحق ما فيه شيء خارج عنه وإنما يختلف الناس في الرؤيا، فمن رفع عنه الحجب شهد الكون كله عين حضرة الحق فما فيه غيره، ومن أسدل عليه الحجاب شهد الحق بشهود الغيرية وإنما الوهم هو الذي أعطاه هذا الفساد. والشهود للحضرة الإلهية لأهل الكشف مختلف الذوق والإدراك لعظمة سعة الحق. فشهودهم مختلف و أذواقهم مختلفة وكذلك أسرارهم وحقائقهم وعلومهم ومعارفهم وفيوضهم كلها مختلفة مع اتحاد الحضرة واتحاد المتجلي.

ثم قال رضي الله عنه: حقيقة التجلي هو ظهور الحق سبحانه وتعالى بصفة من صفاته أو في فعل من أفعاله لصاحب المشاهدة، تارة يتجلى بالصفات عاريا عن الأفعال وتارة يتجلى بالصفات في فعل من الأفعال.

ثم قال رضي الله عنه: قاعدة لم يتجل ربنا بتجل واحد في حقيقتين من ذوات الوجود والحقيقة الواحدة يتكرر التجلي الواحد فيها مراتب. وبعبارة أخرى من كلام سيدنا رضي الله عنه: لم يتجل ربنا باسم واحد في حقيقتين ولا باسمين في حقيقة واحدة ماعدا الإنسان فإن حقيقته يتجلى فيها بجميع الأسماء والصفات، لكن التي تقبل الظهور وكذلك التجلي الصوري فإنه لم يتجل بصورة واحدة في حقيقة واحدة في زمانين، بل في كل آن يتجلى بصورة. وما تكررت صورة قط من الأزل إلى الأبد.

ثم سئل رضي الله عنه عن مشاهدة الخلق أعني الملائكة والجن والإنس فأجاب رضي الله عنه ونفعنا به آمين: أولياء الجن دورانهم حول الفعل وسر الفعل ونور الفعل، والروحانيون دورانهم حول

الاسم وسر الاسم ونور الاسم، والملائكة ودورانهم حول الصفات وسر الصفات ونور الصفات، وأولياء الآدميين دورانهم حول الذات وسر الذات ونور الذات. قد علم كل أناس مشربهم. الآدمي أول مرتبة يطلع عليها في الكشف: مرتبة الجن، ثم يرتقى إلى الرابعة والسلام.

وسمعته يقول رضي الله عنه جولان أرواح الرجال ومشاهدتهم متفاوتة، فمنهم من حده عالم الملك وهو من السماء الدنيا إلى الأرض. فهذا أصغرهم. ومنهم من وصوله إلى عالم الملكوت وهو من السماء السابعة إلى هنا. ومنهم من انتهاء علومه إلى عالم الجبروت وهو من العرش إلى هنا. ومنهم من تخرق روحه الطوق الأخضر وتخرج عن كورة العالم وهم الأكابر. جعلنا الله منهم. قال الشامي رحمه الله تعالى ترى الواحد من الأكابر إذا مشى ثمان خطوات تخطى العالم كله وأنت تراه. و بمثل هذا فسر حديث صلاته الركعتين بعد العصر صلى الله عليه وسلم. قال لا إنه صلاهما في مكان لم يدخل فيه وقت العصر وأم المؤمنين رضي الله عنها تحسب أنه صلاهما بإزائها ولذلك أجابها صلى الله عليه وسلم بحسب الظاهر على ما تعهده من العادة والله أعلم بمراده هـ

قال القطب الأكبر مولاي عبد السلام بن مشيش لسيدي أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهما حين قال له: رأيتك البارحة تحت العرش. قال لم ترني وإنما رأيتَ نفسك. ثم قال له: من كان مع الله بلا أين كيف تراه، يشير إلى أنه كان من الأكابر الذين يتعدون العالم ويخرقون الطوق الأخضر هـ.

وسمعته رضي الله عنه يقول: مراتب الرجال الكبار ثلاثة: مرتبة العارفين شهود الحق في المراتب، ومراتب الأفراد شهود الحق لا في المراتب، والمرتبة الثالثة في غيب الغيب مكتومة لا تذكر ولا يعرفها إلا صاحبها وهو القطب الجامع لأن له المرتبتين الأولتين، وهو شهوده للحق في المراتب للتصرف في

الكون ويشاهد الحق في غير المراتب وله هذه المرتبة المكتومة لا يشاركه غيره فيها اهـ.

وسمعته يقول رضي الله عنه: ما أكرم الله به قطب الأقطاب أن يعلمه علم ما قبل وجود الكون وما وراءه وما لا نهاية له وأن يشهده الذات بعين الذات وأن يعلمه علم جميع الأسماء القائم بها نظام كل ذرة من الكون وهي الأسماء العالية وأن يخصصه بأسرار دائرة الإحاطة وجميع فيوضه وما احتوت عليه. وبهذه الأمور خص عن رؤس الأفراد الذين هم مفاتح الكنوز، ولا يعلمون إنها خاصة به إلا قول دائرة الإحاطة، فإنهم يعلمونه أنه خاص به. وأما مشهده فلا علم لهم به لأنه يدخل الحضرة من باب المخدع وهو محجوب عنهم. ونسب رضي الله عنه هذا الكلام لأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه.

وسمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: الخليفة له التصرف العام والحكم الشامل التام في جميع المملكة الإلهية وله بحسب ذلك عموم الأمر والنهي والتقريع والتوبيخ والمدح والذم على حسب ما يقتضيه مراد الخليفة سواء كان نبيا أو وليا مستوون في هذه المرتبة. والرسول ليس له عموم الأمر والنهي إلا ما سمعه من مرسله سبحانه وتعالى لا يزيد وراء ذلك شيئا وإنما هو في ذلك مبلغ فقط ليس بآمر وناهي إلا أن يكون الرسول خليفة فله المرتبة الأولى. فالخليفة الولي أوسع دائرة في الأمر والنهي والحكم من الرسول الذي ليس بخليفة. مثاله في الشاهد مثال الملك الأعظم يولي أحدا من حاشيته رتبة التصرف في جميع مملكته من رعيته توكيلا له واستخلافا ولا يولي ذلك وزيره ولا أهل مجالسته مع كونهم أعظم عنده من أهل حاشيته في المرتبة. وهذا المثال يدفع ما يتوهم من شفوف مرتبة الولي الخليفة على مرتبة الرسول الذي ليس بخليفة والسلام. قال تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة)الآية. قال شيخنا رضي الله عنه معناه ينوب عنه في مملكته

سبحانه وتعالى بحيث ما كان الرب إلاها كان هو عليه خليفة في الأحكام في جميع المملكة.قال سلطان الأولياء الجيلي رضي اللّه عنه في هذا المعنى:

وأمر بأمر اللّه إن قلت كن يكن وكل بأمر اللّه فاحكم بقدرتي

ومثل هذا للشيخ زروق رضي اللّه عنه وكقول الآخر كان في سفينته وهاجت الريح عليهم وحصلت السفينة في الغرق فقال: يا ريح اسكني عليهم بإذني. معنى ذلك أنه خليفة استخلفه الحق على مملكته تفويضا عاما أن يفعل في المملكة كلما يريد ويملك اللّه كلمة التكوين متى قال لشيء كن كان من حينه. وهذا من حيث بروزه بالصورة الإلهية المعبر عنها بالخلافة العظمى، فلا يستعصي عليه شيء من الوجود. قال علي ابن أبي طالب كرم اللّه وجهه ورضي عنه: أنا مبرق البروق ومرعد الرعود ومحرك الأفلاك ومديرها يريد بها أنه خليفة اللّه في أرضه في جميع مملكته. وقال بعض الكبار رضي اللّه عنه ونفعنا به آمين: كل ما في العرش من العوالم وما فوقه إلى عالم الرّقّا لا تخطر خطرة لواحد إلا بإذن صاحب الوقت، يعني به القطب هـ كلامه بالمعنى.

قلت وتحقيق كلام هذا السيد رضي اللّه عنه أني أرى السموات السبع و الأرضين السبع والعرش داخلة في وسط ذاتي وكذا ما فوق العرش من السبعين حجابا وفي كل حجاب سبعين ألف عام وبين كل حجابين سبعون ألف عام وكل ذلك معمور بالملائكة الكرام وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرَّقًّا بتشديد الراء وتشديد القاف بعدها. كل هؤلاء المخلوقات لا يقع في مكرهم شيء فضلا عن جوارحهم إلا بإذن رجل رحمه اللّه. هذا

نص كلامه رضي الله عنه .انتهى من الإبريز. وهذه المرتبة أعطاها الحق له لكونه خليفة عليه هـ.

و مما أكرم الله به الخليفة وهو قطب الأقطاب مع الوصف المتقدم أمور خصه الله بها عن أكابر الأولياء وهم رؤس الأفراد هو ما أجاب به سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه و سلم سيدنا رضي الله عنه وشيخنا حين سأله عن مفاتح الكنوز وقطب الأقطاب أيهما أعلى مرتبة عند الله؟ فقال له صلى الله عليه وسلم: هو أعلى منهم في مقامات ومراتب أورثه الله التجلي الكامل المحيط بالتجليات كلها وأورثه الله الاسم الأعظم بجميع إحاطته وأورثه الله المدد من النبي صلى الله عليه وسلم بلا واسطة وأورثه الله مدد جميع الأولياء، و تحريك الجمادات يكون على يديه وتحريك كل حي حي والإمارة على كل شيء وبالتعظيم على كل شيء.

و بالمعاني التابعة للكلام المتقدم هذا المفتاح الذي أورثه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو خليفته صلى الله عليه وسلم في ذلك كله. انتهى جواب سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لسيدنا رضي الله عنه، وهو من لفظه: هو أعلا منهم إلى:هو خليفته صلى الله عليه وسلم في ذلك كله. من كلامه الطاهر صلى الله عليه وسلم.

ومما أخبرني به بعض أهل الكشف رحمه الله أن العارف الكبير وهو الفرد الجامع لا يخرج منه الريح وفضلته تبتلعها الأرض ولا رائحة لها خبيثة بل رائحتها طيبة، وهذه الفضيلة اكتسبها من مورِّثه صلى الله عليه وسلم.

و سمعت سيدنا ووسيلتنا رضي الله عنه يذكر شيئا من أوصاف القطب: قال يُرى عالما كجاهل أبلها فطنا آخذا تاركا زاهدا راغبا سهلا عسيرا هينا صعبا. و قال قد ذكر بعض أكابر العارفين وهو سيدي عبد الرحمن الشامي رحمه الله ورضي عنه أن القطب لا يكون إلا شريفا أو من أهل بيت من أشراف العرب. ثم قال سيدنا

رضي اللّه عنه؛ وأما أبو يزيد فإن المعلوم أن والديه أعني نسبه من المجوس لا والديه المتصل بهما فإنهما مومنان رضي اللّه عنه وعنهما. و لعل أصلهما من العرب ثم تنصرا لأن هذا العارف خبره من الكشف لا من النقل حتى يدخله الشك أو الغلط. وحقيقة القطبانية هي الخلافة العظمى عن الحق مطلقا في جميع الوجود جملة وتفصيلا حيث ما كان الرب إلها كان هو خليفته في تصريف الحكم وتنفيذه في كل من عليه ألوهية اللّه تعالى ثم قيامه بالبرزخية العظمى بين الحق والخلق.

فلا يصل إلى الخلق شيء كائن ما كان من الحق إلا بحكم القطب وتوليه ونيابته عن الحق في ذلك وتوصيله كل قسمة إلى محلها ثم قيامه في الوجود بروحانيته في كل ذرة من ذرات الوجود جملة وتفصيلا ، فترى الكون كله أشباحا لا حركة لها وإنما هو الروح القائم فيها جملة وتفصيلا. وقيامه فيها في أرواحها وأشباحها ثم تصرفه في مراتب الأولياء فيذوق مختلفات أذواقهم، فلا تكون مرتبة في الوجود للعارفين والأولياء خارجة عن ذوقه فهو المتصرف في جميعها والممد لأربابها وله الاختصاص بالسر المكتوم الذي لا مطمع لأحد في دركه والسلام.

ومعنى البرزخية العظمى قيامه بين الحق والخلق بالنيابة عن الحقيقة المحمدية واختصاصه أيضا بالتحقق بأمر اللّه في كل مرتبة من مراتب الوجود وإعطاؤه لكل مرتبة من المراتب، حقية أو خلقية، حقها بما تستحقه من الأدب. وليس هذا لغيره من العارفين ولا لمفاتح الكنوز، فهو في جميع هذه الأمور خليفة النبي صلى اللّه عليه وسلم دون جميع الأولياء. وجملة ما فيه أنه في جميع مراتبه هو في حضرة الحق' نسبته عند اللّه إلى جميع الوجود من العارفين ومن وراءهم بمنزلة إنسان العين من العين، به يُرحم الوجود و به يفيض الإفادة على جميع الوجود و به يبقى

الوجود في حجاب الرحمة والعطف و به يبقى الوجود في بقاء الوجود و رضي اللّه عنه.

وأما ما أعطاه اللّه من القوة فهو ما ذكر العارف باللّه سيدي عبد الرحمن الشامي رضي اللّه عنه ونفعنا به آمين فقال: الأولياء الصادقون كل واحد في قوته قوة مائة رجل والعارفون باللّه أهل عالم الملك كل واحد في قوته قوة ثلاثة مائة رجل وأهل عالم الملكوت لكل واحد منهم قوة خمسمائة رجل وأهل عالم الجبروت فلكل واحد منهم قوة سبعمائة رجل. و قوة كل واحد منهم أي من أهل عالم الأمر قوة ألف رجل. و قوة قطب الأقطاب ألف وخمسمائة رجل وقوة الأفراد الأربعة سبعة عشر مائة رجل وقوة مفاتيح الكنوز كل واحد منهم قوة ألفي رجل هـ.

وأما معرفة العوالم فعالم الملك من السماء إلى الأرض وعالم الملكوت من السماء الأولى إلى السابعة وعالم الجبروت من السماء السابعة إلى الكرسي وعالم الأمر من الكرسي إلى العرش إلى ما وراءه. فمعنى الملك هو عالم الناسوت وهو التجلي بالأجسام الكثيفة والملكوت عالم الأنوار وهو التجلي بصور الأجسام اللطيفة والجبروت عالم الأسرار وهو التجلي بصور الأجسام القدسية من الكروبيين ومن ضاهاهم وعالم الأمر هو التجلي بصور الروحانية القدسية المنزهة عن المادة و الطبيعة. فكل عالم تجلى فيه بنسبة من نسب الحضرة الإلهية.

ولسيدنا ووسيلتنا رضي اللّه عنه ومتعنا بطول بقائه آمين قال: الأصل كل ذرة في الكون هي مرتبة للحق سبحانه وتعالى يتجلى فيها بما شاء من أفعاله وأحكامه والخلق كلها مظاهر أحكامه و كمالات ألوهيته، فلا ترى ذرة في الكون خارجة من هذا الأمر فما ثم إلا كمالات الوهيته.

ويستوي في هذا الميدان الحيوان والجمادات والآدمي وغيره، ولا فرق في الآدمي بين المومن والكافر، فإنهما مستويان في هذا البساط ويكون على هذا الأصل في الكافر التعظيم لأنه مرتبة من

مراتب الحق والإذلال و الإهانة والصولة عليه للمومن أحكام طارئة عليه لا تهدم قواعد الأصل لأن الأصل لا ينهدم و الأحكام الطارئة عوارض والمرجع في ذلك للأصل لا للعوارض وكمال العلم فيه أن يعظم لأنه مرتبة للحق تتجلى فيه بأحكامه، لكن يعظم باطنا ويهان ويذل ويقاتل ظاهرا لأن ذلك حكم الشرع. و الحكمة وهذا الأمر في نظر العارف فقط لا في بساط الشريعة.

و إلى هذا الإشارة بقوله صلى اللّه عليه وسلم:لا تعلوا على اللّه في بلاده وعباده، فإن من علا على العباد علا على اللّه وتكبر عليه. وتحقيق ما في الحديث هو ما قلناه أولا هي أن جميع المخلوقات مراتب للحق يجب التسليم له في حكمه وفيما أقام فيه خلقه لا يعارض في شيء ، ثم حكم الشرع من وراء هذا يتصرف فيه ظاهرا لا باطنا، ولا يكون هذا إلا لمن عرف وحدة الوجود فيشاهد فيها الفصل والوصل، فإن الوجود عين واحدة لا تَجَزُّأَ فيها على كثرة أجناسها و أنواعها و وحدتها لا تخرجها عن افتراق أشخاصها بالأحكام والخواص وهي المعبر عنها عند العارفين بأن الكثرة عين الوحدة والوحدة عين الكثرة.

فمن نظر إلى كثرة الوجود وافتراق أجزائه نظره عينا واحدا على كثرته. ومن نظر إلى عينه الواحدة نظره متكثرا بما لا غاية له من الكثرة وهذا النظر للعارف فقط لا غيره من أصحاب الحجاب وهو لمن عاين الوحدة ذوقا لا رسما، وهذا خارج عن القال ومعنى الوصل والفصل. فالوحدة هي الوصل والكثرة هي الفصل.

وله أيضا رضي اللّه عنه وقدس سره العزيز ثم من وراء هذه الحقيقة تجلى لهم فيها بظهور حجاب كثيف غطى عليهم في دواتهم رؤية فعله وتحريكه وتسكينه ورؤية قيامه لهم فيها أرادوا و أعطاهم بسبب هذا التجلي والحجاب رؤية استبدادهم بالفصل ورؤية استبدادهم بالاختيار والحركة والسكون والتصرف حيث

شاءوا وكيف شاءوا بلا مانع لهم و لا حجر عن الجولان في هذا الميدان، يرون أن لا فاعل فيهم غيرهم ولا محرك لهم سواهم ولا دافع لهم في اختيارهم في نفوسهم.

و على هذا التجلي والحجاب وقعت الشرائع وبعثت الرسل مبشرين ومنذرين وثبتت الأحكام والحدود وطوق في أعناقهم قلد التكليف بالأمر الإلهي أمرا ونهيا وفعلا وتركا وطاعة ومعصية ووجوبا وتحريما. ورتب على ذلك ثبوت الجزاء في المئال نعيما وعذابا وتوبيخا وعتابا وحمدا وثناء. وهذا التجلي والحجاب هو الذي بسط عليه الحكمة والشريعة.

وله أيضا رضي الله عنه قال نقطة دائرة الفطرة القدسية هي دائرة الأرواح حين خلقت أولا ونقطتها هي الحقيقة المحمدية والفطرة هي نشأة الأشياء بعد أن لم تكن والفطرة القدسية هي كونها وجدت على نسبة حضرة القدس في غاية الصفاء والشرف، فلا تعرف إلا الله ولا تحب إلا الله ولا تبالي بغيره ولا تعظم إلا الله تعالى. فهذا هو القدس الذي نسبت إليه وفي هذا الميدان كانت لا تَعرف ماذا يُراد بها حتى أخذ عليها العهد والميثاق، فحينئذ عرفت ماذا يراد بها من العبودية لله تعالى وحمل التكاليف وما يتبع ذلك من اللوازم والمقتضيات والأحكام إلى غير ذلك والسلام.

وقد سمعت سيدنا رضي الله عنه يقول حقيقة الآن الدائم عند العارفين هو دوام استمرار الحضرة القدسية وفيه يندرج اسم الزمان، فهو في حق القديم قديم وفي الحق الحادث حادث وهو حقيقة واحدة مثاله دوام وجود الحضرة القدسية، هو عين الزمان الذي هو الزمان السابق واللاحق والوقت فهو صفة الحق إذ هو المعبر عنه بصفة البقاء، وعين الزمان في حق الحادث حادث لانحصاره، في تقاطيع الزمان من الدقائق والدرج والساعات والأيام والسنين والقرون والأحقاب. فهو لها أي التقاطيع بمنزلة اللوح الذي نقشت عليه السطور والحروف. فاللوح عند النظر إلى

السطور والحروف متقطع وإذا محيت الحروف والسطور لم يبق إلا اللوح، هو الآن الدائم. وتقاطيع الزمان هي النقوش على اللوح والزمان هـ.

و سألت سيدنا رضي اللّه عنه عن حقيقة النبوءة فأجاب رضي اللّه عنه: حقيقة النبوءة مشتملة على ثلاثة أمور وهي شرط فيها، إن نقص واحد منها فليست بنبوءة. الأول كمال المعرفة باللّه الباطنة العيانية و الإحاطية بجميع صفات اللّه وأسمائه تحققا مما ثبتت الإحاطة به للنبوءة و الصديقية لا ما وراء ذلك. الثاني إيحاء اللّه إليه بأمر إنشائي يتعبده به في خاصة نفسه إن كان نبيا وبالتبليغ لغيره إن كان رسولا. الثالث يقول اللّه له: أنت نبيي أو أنت نبي، إما منه إليه أو بواسطة. هـ وهذا الحد مانع جامع وهو في غاية الوضوح، كل من اطلع عليه عرف معنى النبوءة وزال عنه ما يتوهم من دخول الغير. فرضي اللّه عن سيدنا ما أوضح عبارته وما أحسن إشارته.

ولسيدنا رضي اللّه عنه كلام نفيس في الفرق بين الروح والنفس من غير تلبيس. قال رضي اللّه عنه بعد أن سئل عن معنى النفس والقلب والروح والسر و سر السر و الخفى و الأخفى. فالجواب عن هذا أن هذه الأسماء المتعددة لمسمى واحد لا تعدد فيه وإنما تعددت أسماؤها وهي الروح لتعدد مراتبها.

وبيان ذلك أن اللّه تبارك وتعالى خلق الروح الإنساني من صفاء صفوة النور الإلهي وانتشاؤها من فيض العمى الرباني وأسكنها محل البرزخ لم تزل فيه كاملة المعرفة باللّه تعالى مستغرقة في محبته ووحدانيته عارفة بأسمائه وصفاته لا تلتفت لغيره ولا تبالي بسواه. فلم تزل على هذا في غاية الصفاء وفي غاية البعد عن فُهوم العقول، ثم أسكنها قارورة الجسم الإنساني فاكتسب الجسم بسبب استقرارها فيه حياة وإدراكا، وتكون في الجسد بسبب الروح نفس وهي البخار اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة والإدراك.

فالنفس شيء يوجد حكمه ولا توجد عينه، إذ هو يتكون من اجتماع الروح والجسد. فإذا افترقا انعدم وجوده أي النفس وهو البخار اللطيف. وهذا الشيء المعبر عنه بالنفس هو منبع الأخلاق الذميمة والأوصاف الفاسدة السقيمة. ما دام حكمه مستوليا على العبد، فالروح أسير في يده لا يسعى إلا في مرضاته وهو في غاية الهلاك والبعد عن الحضرة الإلهية على قوة نورانية الروح، واكتسب الروح بسب استقراره بالجسم لما تلطخ بأدرانه وأوساخه واستولى عليه حكم النفس الخبيثة وصار فاسقا عن أمر ربه، لأن ذلك آثار حكم الجسم لأن الجسم متكون في محل الظلمات وهو الماء والتراب وكان في غاية الكثافة.

والروح من صفاء صفوة النور الإلهي في غاية الصفاء و التجوهر. فهو أصفى الجواهر وأعلاها واكتسبت الروح الظلمات في عالم الجسم. فما دامت الروح ميالة إلى المعاصي والمخالفات ومتابعة الهوى تسمى في هذا المقام النفس الإمارة بالسوء. فإذا طرأ عليها من الأنوار الإلهية ما يخرجها عن بعض ما كانت متصفة به من المعاصي والمخالفات بوجود التوبة، أخذت في توبيخ نفسها ولومها لذاتها عما فرطت فيه من الحقوق الإلهية وتأخذ نفسها بالزجر والتوبيخ الشديد للرجوع إلى باب الجواد الكريم. فهي في هذا المقام تسمى النفس اللوامة لأنها تلوم نفسها عما فرطت فيه من حقوق اللّه تعالى.

ثم إذا طرأ عليها من الأنوار الإلهية ما يقضي بإخراجها عن كثائف المعاصي والمخالفات المعبر عنها بالكبائر وبقي عليها لطائف المخالفات ودقائقها تسمى في هذا المقام قلبا لأنها شمت رائحة الحضرة القدسية. فتارة تهزها شم تلك الروائح القدسية، فتحن شوقا إلى ما كانت عليه من وجودها الأول، وتارة تغلب عليها كثافة ظلمات طبيعتها الجبلّية المكتسبة من استقرارها في الجسم، فتحن إلى مقتضيات شهواتها ومتابعة هواها. فلتقلبها بين

هذين الأمرين سميت قلبا لأنها تتقلب في حين إلى الحضرة القدسية ونهوض إليها، وبين حنين إلى ظلمة طبعها من الشهوات والمخالفات، فتركن إلى التثبط بها. فلهذا سميت في هذا في المقام قلبا لكثرة تقلبها.

ثم إذا أفاض عليها من الأنوار الإلهية من حضرة القدس ما يقضي بكمال طهارتها من جميع المخالفات كثيفها ولطيفها ودقيقها و جليلها ورسخت قدمها في العمل لطاعة الله والتوجه إليه وسكن اضطرابها من ذلك تسمى في ذلك المقام النفس المطمئنة، لكنها بقيت عليها من الميل لغير الله بقية وإن كان حلالا وبقي فيها أثر الاعوجاج عن الاستقامة وبقي فيها ضروب من التدبير والاختيار في مصالحها.

ثم إذا أفاض عليها من الأنوار الإلهية ما يقضى بهدم أبنية جميع اختياراتها و مألوفاتها بالرجوع إلى الله تعالى عارية عن كل ما سواه، فهي في هذا المقام تسمى النفس الراضية لكنها بقيت فيها آثار من الأبنية التي تهدمت قبلها، وتلك الآثار كآثار الجروح إذا برئت فهي بتلك النسبة فيها كزازة عن حضرة الحق. ثم إذا أفاض عليها من أنوار حضرة القدس ما يقضي بكمال طهارتها من آثار الأوهام و بخارات المحسوسات وقطع ذلك عينا و أثرا وانمحق وجوده وانعدم شهوده.

وهذا الفيض هو النور الأكبر المعبر عنه في اصطلاح العارفين بالفتح الأعظم، فهي تسمى في هذا المقام بالنفس المرضية إلا أنها انهدم منها الحس والإدراك، فلا علم ولا رسم ولا اسم إلا مشاهدة الحق بالحق في الحق للحق عن الحق. وهذا هو المعبر عنه بفناء الفناء.

هاهنا قد كمل رضا خالقها عنها ولذا تسمى النفس المرضية. فإذا أفاض عليها من أنوار حضرة القدس ما يقضي لها بتميز المراتب وتفصيلها ومعرفة خواصها واستحقاقها وإحاطتها بمقتضيات المراتب ولوازمها جملة وتفصيلا، تسمى في هذا المقام النفس

الكاملة. ثم إذا أفاض عليها من أنوار حضرة القدس ما يقضي بهدم بناء الإشارات ودك محسوسات العبارات واتصفت بذلك ظاهرا وباطنا سميت خفاء. ثم إذا أفاض عليها من أنوار حضرة القدس بعد ذلك ما يقضي لها بما نسبته في الصفاء الأول كنسبة ضوء الشمس إلى الليل سميت في هذا المقام أخفى، لأنها بعدت عن إدراك العقول وأفكار الفهوم.

ثم بعد هذا هي دائمة في الترقي في المقامات بلا نهاية في طول عمر الدنيا وفي مدة البرزخ وفي الخلود الأبدي في الجنة لا ينقضي ترقيها ولا يتناهى، فهي في كل مقام ينكشف لها من صفات اللّه وأسمائه وأسراره وأنواره وفتوحاته وفيوضه ما يكون بالنسبة للمقام الذي ارتقت عنه كالبحر للنقطة في الاتساع، وهكذا دائما وكلما ارتقت مقاما اكتسبت بحسب فيوضه وتجلياته ومعارفه وعلومه وأسراره وفتوحاته ما يكون نسبة لها في المقام الذي ارتقت عنه كنسبة ضياء الشمس إلى سواد الليل في الصفاء. ففي المقام الذي ترتقيه فوق مقام الإخفاء تسمى سرا لشدة بطونها عن مرتبة الإخفاء. و في المقام الذي فوق مقامها التي تسمى فيه سرا تسمى سر السر، وفي المقام الثالث بعده سر سر سر. و في المقام الرابع تسمى سر سر سر السر. و في المقام الخامس تسمى سر سر سر سر السر.

وهكذا دائما كلما ارتقت مقاما تأخذ فيه أسما من أسماء السر إلى عشر مراتب في السر إلى مائة إلى ألف إلى مالا نهاية له. و هكذا فتبين لك بهذا أن هذه الأسماء المتعددة إنما هي لمسمى واحد وهو الروح لا تغاير في المسمى وهو الروح، وإنما تغايرت أسماؤه لتغاير مراتبه كما ذكرنا وباللّه التوفيق. و أما قول السائل: فمن المخاطب هل الروح أو النفس أو الجسد الخ ؟ فالجواب أن المخاطب بالخطاب الإلهي التكليفي إنما هو الروح لأنها هي القلب وهي النفس كما قدمنا في مراتبها، وليس الجسد هو المخاطب وإنما خلق مقرا للروح ومطية لها تركب عليها

لتوفي بها الحقوق التي كلفها بها خالقها، فهي المكلفة أي الروح و هي المأخوذ عليها الميثاق وهي المُثابة والمعذبة و هي المنعمة والمنقصة.

فلا ينالها عذاب ولا نعيم إلا بواسطة جسم بالاختيار الإلهي فقط، فهي مركبة في هذا الجسد تعذب بعذابه وتنعم بنعيمه وبعد الموت تركب في البرزخ في جسد آخر تدرك بسببه النعيم والعذاب يشهد لذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم:أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر.

و قوله صلى اللّه عليه و سلم: إذا مات المومن أعطي نصف الجنة .الحديث. والمراد بهذا التنصيف نصف النعيم في الجنة، لأن كمال النعيم في الجنة باجتماع الروح والجسد. فلها نصف النعيم وله نصف النعيم ولعدم تركيبها في جسدها في البرزخ تتنعم بدونه في الجنة فلها نصف نعيم وهو المعبر عنه في الحديث بنصف الجنة. وهذا للعارف فقط أو للشهيد، و الباقي من المومنين محجورون عن السياحة في الجنة، ليس لهم إلا أن تعرض عليهم مقاعدهم في الجنة بالغداة و العشي.

وأما السؤال عن المكالمة التي يدعيها العارفون ويخبرون أن اللّه تعالى يكلمهم، فالجواب أن المكالمة للعارفين في هذا المقام ليس يسمعون كلام الذات المقدسة التي هو المعنى القائم بها، فإن ذلك مستحيل بصريح الآية لقوله تعالى وما كان (لبشر أن يكلمه اللّه إلا وحيا).الآية ما عدى موسى و محمد صلى اللّه عليه وسلم، فإنهما سمعا المعنى القائم بذات اللّه تعالى.

وأما المكالمة المعلومة للعارفين، فإنه يخلق فيهم كلامه في الروح إذا صارت خفاء أو أخفى أو سرا أو غير ذلك من المراتب. يخلق في ذلك المعنى كلاما يعني في الروح لا يشك أنه من اللّه تعالى. فنسبة ذلك الكلام إلى اللّه تعالى نسبة الحادث إلى المحدث ونسبة المخلوق إلى الخالق، لا نسبة الكلام إلى المتكلم. و ينسب الكلام إلى اللّه في هذا المحل لكون ذلك المحل في

ذلك الوقت لا يتطرق إليه غلط ولا تخمين ولا فساد ولا غيره من وجوه الخطأ، لأن الروح في هذا المحل يسمى البيت المحرم بكونه حرم على غير الحق دخوله.

ثم إن ذلك الكلام عند وروده على العبد مختطف عن دائرة حسه وشهوده و علمه وسمعه وبصره، فلا يعقل إلا الحق ولا يحس إلا بوجود الحق ممحوا وممحوقا عن غيره يتدلى له في هذا التجلي من نور القدس والسر السرمدي من الكلام ما يكون واسطة بينه وبين المعنى القائم بالذات، ويدرك له من اللذات ما يدركه عند سماع المعنى القائم بالذات، فيطلق عليه انه سمع كلام اللّه وهو أمر حقيقي، إلا أنه بالواسطة لا يعني بواسطة ذلك الكلام الملقى إليه، مثاله في الشاهد مثال النائم.

فأن مخبر النائم بالغيوب و بوحيها إليه لا بعين التصريح ولكن بواسطة مثال يلقيه إليه في النوم فيقول له المعبر له في الرؤيا العالم بها أن رأياك تدل على كذا وكذا من الغيب أو الخبر. فالعلم بذلك الغيب في النوم لم يكن للنائم بالتصريح وإنما جاء بواسطة مثال ألقاه الحق إليه فألقى إليه من العلم بالغيب بواسطة ذلك المثال ما ألقى. فهكذا تلك المكالمة إنما هي واسطة بين المكلم وبين المعنى القائم بذات اللّه تعالى وهو المعبر عنه عند العلماء بالإلهام.

فقد اتضح الجواب أتم الإيضاح وانكشف الغطاء وليس في طاقة البشر أن يكلمه اللّه بلا واسطة إذ لو كلمه بغير واسطة لصار محض العدم فجعل الحق له واسطة بينه وبين المعنى القائم بالذات العلية يدرك منه معاني الكلام الأزلي. ومن هذا الباب أطلق عليه كلام اللّه تعالى.

وأما السؤال عن كون الروح عالمة بما يؤل إليه أمرها في العاقبة من سعادة أو شقاوة حين كانت في البرزخ قبل التركيب في الجسم، فالجواب أنها غير عالمة بما يؤل إليه أمرها لأنها حين خلقها في البرزخ لا تدري لماذا خلقت ولا ماذا يراد بها إلى أن ظهر أخذ

الميثاق وحمل الأمانة فعرفت حينئذ ماذا أراد بها تكليفا ولم تدر عاقبتها من شقاوة أو سعادة وباللّه التوفيق.

وأما السؤال عن كون العارف بعد بلوغه المعرفة هل يرجع إلى مقامه الذي كان عليه قبل التركيب في الجسم أو إلى أعلا منه أو أدنى منه إلخ؟ فالجواب عنه أنه ليس بلازم أن يصل إلى مقامه الأول أو أدنى أو أعلى، وإنما المراتب للّه تعالى في المعرفة يوليها عباده بحكم مشيئته واختياره. فالأذواق في ذلك مختلفة والمراتب متباينة وكذلك الإدراكات، وليس للعبد في ذلك إلا ما ينزله بحكم مشيئة اللّه واختياره لا نسبة للعبد في ذلك وباللّه التوفيق.

وأما السؤال عن السلب للعارفين هل يقع لهم السلب من مقامهم أم لا ؟ فالجواب: لا أمان لأحد من السلب لجميع العارفين إلا لقطب الأقطاب وحده أو لمن كان عنده الاسم الأعظم فقط أو لمن ضمنه شيخ كامل والسلام.

و أما السؤال عن حقيقة الإنسان ولِم وجد إلخ وما يراد به إلخ . الجواب عن حقيقة الإنسان فهو مجموع الروح والجسد لا استبداد لحقيقته لأحدهما دون الآخر. واللّه سبحانه وتعالى ما ذكر من حقيقة الإنسان إلا الجسد مثل قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين) ومثل قوله (اقرأ باسم ربك الذي خلق) الآية إلى غير ذلك من آيات القرآن. فإنه كلما ذكر خلق الإنسان ما ذكر إلا صورة جسده وأما روحه فقد كتم اللّه أمرها واستبد بعلمها عن خلقه حيث قال حين وقع السؤال عنها قال (قل الروح من أمر ربي) ولم يزد في بيانها لاستبداده سبحانه وتعالى بعلمها. فهذه حقيقة الإنسان الظاهرة.

وأما حقيقته الباطنة فهي مرموزة في قوله صلى اللّه عليه وسلم أن اللّه خلق آدم على صورته. وقد أشار إلى هذا بإشارة لطيفة الإنسان حضرة كمال قوبل بها حضرة الجمال حوت سر الإله بأسره وقد

قال الشيخ الأكبر في الفتوحات: ما صفة آدم؟ قال إن شئت قلت صورة الحضرة الإلهية وإن شئت قلت مجموع الأسماء الإلهية.

وأما السؤال عن ما يراد من الإنسان. المراد منه مظهر صفات الحق فإنه وقع فيما سبق على ما أخبر به بعض أهل الكشف أن اللّه خلق الروح طوله تسعمائة ألف سنة وثمانين ألف سنة ،وعرضه كذلك وتركه في تربيته يلاطف بعواطف بره وامتنانه وإظهار آثار محبته له. فأقام في هذه التربية تسع مائة ألف سنة و ثمانين ألف سنة، ثم فصله سبحانه عن هذه التربية. فلما ذاق ألم الفراق اشتكى وقال: إلهي وسيدي ومولاي لا أطيق هذا الفراق. فقال له ربه سبحانه وتعال: ما خلقناك لتكون مريدا لنفسك وإنما خلقناك لنظهر فيك بسر وحدانيتنا. هذا الذي يراد من الإنسان ولهذا خلق باطنا.

والذي خلق له ظاهرا، قوله سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). فهذا خطاب في عالم الحكمة، والخطاب في عالم المشيئة باطنا، هو ما سبق في العبارة. والمراد من الإنسان في كل وقت هو ما أجاب به الجنيد رضي اللّه عنه حين سئل: ما مراد اللّه من العالم؟ قال : ما هم فيه. أراد أنه لذلك خلقهم، وليس المراد بالجواب أنه ليس إلا صورة التقلبات والحركات، بل المراد من كلام الجنيد أن جميع تحركات العالم وتقلباته و قصوده وخواطره، كلها مظاهر ألوهيته لأنها آثار الأسماء والصفات. و من هذه الحيثية يقول من قال من العارفين: ما في الكون كله إلا الكمال. ما فيه صورة نقص أصلا لأن تلك كمالات الألوهية، إنما النقص فيها أمر نسبي.وفي الحقيقة ما ثم إلا الكمال لأنها كمالات الألوهية. انتهى .ثم قال رضي اللّه عنه: فكل من بلغ المعرفة عثر على هذه الحقيقة لا محالة هـ.

ولسيدنا رضي اللّه عنه ونفعنا بعلومه آمين. حقيقة الرب هو العلى عن كل ما سواه ومنه سميت الربوة ربوة لعلوها، ومعناه أنه المالك والمتصرف والخالق والقاهر والنافذ حكمه ومشيئته وكلمته

في كل ما سواه. وحضرة الألوهية هي الشاملة لجميع الأسماء والصفات و الحضرات الإلهية. وحقيقة الألوهية هي توجه الموجودات إليه بالعبادة والخضوع والتذلل والفقر والتعظيم والإجلال والمحبة.

وأما معنى الهوية يشار بها إلى الذات العلية موجودة في كل شيء شهودا و رؤية عارية عن كل شيء متباعدة عن كل شيء عيانا وحقيقة. فإن الشخص الظاهر في المرآة ترى ذاته طالعة في المرآت ولا هو فيها ولا مقارب لها.بل هو مفارق لها في كل وجه ومغاير لها بكل اعتبار وترى ذاته في المرآت وما فيها والسلام. والمثال يغني عن بسط المقال هـ.

قلت وما تقدم من ذكر الحقائق الغامضة في كلام شيخنا رضي اللّه عنه كما في قول أبي يزيد: خضنا بحرا إلخ وما معه من أقوال ابن الفارض والدسوقي و الجيلاني وغيرهم رضي اللّه عنهم وما ذكر قبله في حقيقة الشيخ الواصل وما ذكر في الروح والنفس و وحدة الوجود وغيرها كما ذكر في عقد الجمال على جوهرة الكمال الذي يسمي باسم آخر وهو الفيوض الرحمانية في شرح عين الرحمة الربانية. وما ذكر في حقيقة الإنسان الكامل و غيرها إنما عبر عليها بحسب عقولنا وما يقرب لفهمنا و تارة يذكره لنا بلسانه وينهى عن كتبه كما في خضنا بحرا.

فهذه حقائق لا يعلمها إلا من كان عبدا حرا، وصفة الحر هو ما قاله شيخنا رضي اللّه عنه: الحر هو الذي تحرر من ربقة الأغيار حبا وإرادة وميلا وتعظيما واستيناسا ومساكنة وملاحظة وغرقا في حضرة الجبار. فلا علم له بغيره ليس له مع غير اللّه سكون ولا قرار و لا عن اللّه إخبار. ويصير الخلق في عينه كالأباعير على وجه الماء. قال بعض الكبار:

أتمنى على الزمان محالا أن ترى مقلتاي طلعة حر

وسئل سيدنا رضي اللّه عنه عن حقيقة المراقبة والمشاهدة. فأجاب رضي اللّه عنه ونفعنا بعلومه آمين: حقيقة المراقبة في حق أهل الحجاب هي المطلقة عند العارفين هي علم القلب باطّلاع الرب عليه في كل لحظة، وبدوامها تقع المشاهدة. وهناك مراقبة أخرى لا تكون إلا للعارفين وهي استغراق العبد في المشاهدة الأقدسية بمحق الغير والغيرية علما وعملا وحالا وذوقا ومنازلة وتحققا وإحاطة. وحقيقة المشاهدة هي مطالعة القلب للجمال القدسي. والمشاهدة صفة العبد والتجلي صفة والرب سبحانه وتعالى، وهو معني يتصف به المتجلي.

وقال سيدنا رضي اللّه عنه في اتساع دائرة العارف: إذا رفع إلى محل القرب قال إن للّه صفة السمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة، كل صفة من هذه تحيط بجميع الوجود في آن واحد لا يختلف عليها اختلاط الوجود بذواته أو بألفاظه أو بحركاته، فإنه يميز كل فرد من ذلك على حدته تمييزا لا يختلط بغيره لا في سمعه ولا في بصره ولا في صفة من باقي صفاته.

وهكذا العارف إذا رفعه إلى محل القرب يصير سمعه، يسمع كسماع الحق لاتساع دائرته، فإنه في ضيق الدائرة لا يحمل إلا فردا واحدا من كل شيء لا في الألفاظ ولا في الذوات ولا في الحركات لضيق دائرته ووعائه. فإذا ارتفع إلى محل القرب اتسعت دائرته باتساع معروفه فحمل من الأكوان في الآن الواحد من الحركات والذوات والألفاظ ضربا ما وسعه معروفه، فلا تختلط عليه أصوات الوجود في الآن الواحد و لا تختلط عليه ذوات الوجود في الآن الواحد و لا تختلط عليه حركات الوجود في الآن الواحد سمعا وبصرا.

وهكذا في قوله: ويده التي يبطش بها. فإن بطشه يتسع باتساع القدرة الأزلية يقدر مثلا على أن يهدم الأرض كلها في طريقة عين وهكذا رجله التي يمشي بها، فإنه يقدر على أن يمشي الوجود برجله في طرفة عين. وهذا من الشيخ إشارة إلى معنى

الحديث كنت سمعه إلخ. الحديث.ومعنى الحديث الآخر كنته:كنت نائبا عنه بجميع صفاتي ومعناه يسمع بسمع الحق ويرى ببصر الحق إلخ. قال ابن الفارض رحمه الله ورضي عنه:

واستعرض الآفاق نحوي بخطرة واخترق السبع الطباق بخطوة

و قبل هذا قال:

فأتلو علوم العالمين بلفظة و أجلوا عليَّ العالمين بلحظة

قال الحلاج عند قتله: لو كنت الآن في جنهم لأطفأتها. وقال أيضا : من كشف له عن ذرة من التوحيد حمل السموات و الأرضين على شعرة من أجفان عينيه هـ.

و لوسيلتنا رضي الله عنه: الفقير ابن وقته، هو ما يراه واجبا عليه في وقته، ينتهجه ويترك ما وراءه مما لا حاجة له به. فالمريد ينظر ما كان مصلحة له في وقته وإن فارقه تضرر، فينتهجه ويترك ما عداه. هذا هو المريد الصادق، والعارف بالله تعالى في كل وقت بحكم تجليه، و يعطي لكل ذي حق حقه. والعالون من العارفين هم مرتقبون ما يبرز من الحضرة الإلهية فيقابلونه بالعبودية والأدب التي تختص به. وفي عبارة أخرى رضي الله عنه: الفقير أبن وقته معناه هي لأصحاب المراقبة الكبرى وهو في كل وقت بحسب ما يصادقه من التجلي يتلون بتلون تجلياته في مقابلتها بالعبودية والأدب ليعطي لكل تجل حقه من العبودية والأدب. هـ

وسئل رضي الله عنه: هل الفقير الصابر أفضل أو الغني الشاكر؟ فأجاب التفضيل بين الفقير الصابر والغني الشاكر أيهما أفضل والخلاف في تفضيل أحدهما على آخر معروف بين العلماء. قلت ومحل الخلاف إنما هو في أهل الحجاب دون المتمكنين من الوقوف في بساط الحقائق، وأما أهل الوقوف في بساط الحقائق فكل من الفقير والغني له شكر وصبر، وبيان ذلك أن للنفس ولوعا

بهواها وممازجة جبلتها وشريتها. ففي الفقر بنفورها عنه واشتغالها بما يقتضيه الرب من الفقر طلبا للذّاتها وشهواتها وهروب من عذاب الفقر و نكاله.

وفي هذا الأمر للنفس شغلا لها عن قيامها بالحقوق الإلهية وبعدًا لها عن الاتصال بالحضرة القدسية، وإنها في الغنى تريد الخروج إلى الراحة والأمن والتمتع بلذاتها وشهواتها إخلادا إلى الأرض الطبيعة والجبلة. فكان في ذلك أيضا شغلا لها عن القيام بالحقوق الإلهية وبعدا لها عن الاتصال بالحضرة القدسية، وهاتان هما الفتنتان في البلاءين اللذين ذكرهما الله تعالى في قوله سبحانه (و نبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون) يعني فيهما لأن اتصال النفس بالحضرة القدسية مميت لها عن شهواتها وحظوظها و مألوفاتها مخرج لها عن مقتضى جبلتها وطبيعتها، فلم يكن للنفس في ذلك الميدان إلا ظهور الوجود بالحق للحق في الحق عن الحق متميز المراتب وتفصيل جملها وتفصيلها ومعرفة خواصها وإعطائها لكل ذي حق حقه. فهو عين القيام بتكميل الحقوق الإلهية. فله في تلك الحضرة تكميل القيام بحقوق كل تجل من التجليات الإلهية وبحق كل اسم وصفة من الأسماء والصفات الإلهية فله تلك الحضرة تكميل القيام بحقوق كل تجل من التجليات الإلهية وبحق كل اسم وصفة من الأسماء والصفات الإلهية، وهو في كل ذلك متصفا بالقيام فيها يوجب عليه حكم وقته في تلك الحضرة.

وإذا عرفت هذا فالغني كامل الشكر بتكميل الحقوق الإلهية ثابت الصبر بزَمِّ النفس عن الإخلاد إلى أرض طبيعتها وجبلتها مع شدة ميلها لذلك وكمال هبوطها، فهو في مقاساة زمِّها في تعب شديد. فهو صابر شاكر لأنه في هذا الميدان لم يكن قيامه في الغنى لحظ نفسه وإنما هو بالثبوت فيما أقامه الله فيه. فبان لك أنه صابر شاكر يشهد نفسه خليفة له فيما ولاه عليه من الأموال بمنزلة الوكيل لرب المال، يعطي إذا أمره رب المال بالعطاء

ويمسك إذا أمره رب المال بالإمساك، يشهد لهذا قوله سبحانه (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه).

وأما الفقير فإنه إذا اتصفت نفسه بالاتصال بالحضرة الإلهية وطالع عين الجمال القدسي، فهو في فقره صابر شارك أيضا. فشكره تكميله للقيام بحقوق التجليات الإلهية جملة وتفصيلا وبحقوق ما انكشف له من الصفات والأسماء الإلهية. فهو يعطي في جميع ذلك لكل ذي حق حقه لا تطرأ عليه الغفلات ولا تدهشه معضلات التنزلات، إذ صار في ذلك كله قيامه للّه باللّه في اللّه عن اللّه، ليس له عن غير اللّه إخبار ولا مع غير اللّه قرار. بحسب تكميله لهذه الحقوق، يصير كامل الشكر لربه وصبره هو زمّه لنفسه عن الميل لمقتضى طبعها وجبلتها وعن هبوطها إلى أسفل سافلين بالميل إلى الراحات واللذات والشهوات والتمتع بمقتضيات الحظوظ بشدة القرب والبعد عن أضدادها من العذاب والنكال والتنغيص التي هي لوازم الفقر. فهو أيضا صابر وشاكر إذا لم يكن قيامه في الفقر بنفسه وإنما هو ثابت القيام فيما أقامه اللّه فيه.

فظهر لك استواؤهما في هذا الميدان إلا أنه ربما تكون هناك هنات للغني بملاحظة التلذذ بالراحة والألم الذي يجده الفقير في نفقة الأهل والأولاد والأصحاب وغيرهم، إلا أن هذا لازم للبشرية دون الروح. وهناك أيضا هنات للفقير وجود الألم و التنغيص والضيق والحرج في مقام بشريته فقط لمطالبته بما لا قدرة له عليه من نفقة الأهل والأولاد والأصحاب وغيرهم. وبحسب هذه الهنات يكون صبرهما وشكرهما ويدخلهما الخلاف في التفضيل. وإذا انتقل الفقير إلى مقام التلذذ بالفقر وابتهاجه بنعيمه فلا صبر له حينئذ، إنما هو شاكر في كل حال. فهو بمنزلة الغنى الشاكر وهذا ينال بمحض الموهبة ليس للكسب إليه سبيل. هـ

وسمعته رضي اللّه عنه يقول: الجهل باللّه عين الكفر الصراح المجمع على خلود صاحبه في النار أبدا. و الجهل باللّه تعالى هو عين المعرفة به، وصريح الإيمان المجمع على خلود صاحبه في الجنة أبدا.

فأما الجهل الذي هو عين الكفر، فهو الجهل بمرتبة الوهيته بما يستحقه من الكملات واللوازم والمقتضيات وما تتنزه عنه من وجوه المستحيلات. فهذا هو الكفر باللّه. وأما الجهل الثاني فهو الجهل بالحقيقة الذي هو كنه الذات من ما هي هي، فإن هذا الجهل هو صريح الإيمان وكمال المعرفة باللّه إذ حقيقة العجز عن درك المعرفة بالكنه، فهو الإيمان باللّه. و من ادعى معرفة الكنه فقد كفر.انتهى.

شمس طالعة، وأنوار ساطعة

ومن كلام سيدنا رضي اللّه عنه في إيضاح وحدة الوجود بيانها على مذهب القوم وانتفاء ما قال أهل الظاهر من إحالة الوحدة وبطلان ما ألزموه لمن قال بها، لكن أوله من عبارة مما فهمته من كلامه، وجله مما أملاه علي بلفظه. واذكر لك انتهاء عبارتي لتتنبه لعبارة الشيخ وإفصاحها عن المقصود.

قال قدس سره: بيانها من وجهين. الوجه الأول أن العالم الكبير كذات الإنسان في التمثيل. فإنك إذا نظرت إليها وجدتها متحدة مع اختلاف ما تركبت منه في الصورة والخاصية من شعر وجلد ولحم وعظم وعصب ومخ. وكذلك اختلاف جوارحه وطبائعه التي ركبت فيه و بها قام بنيانه. فإذا فهمت هذا ظهر لك بطلان ما ألزموه من نفي الوحدة لاستلزام تساوي الشريف والوضيع واجتماع المتنافيين والضدين إلخ ما قيل. قلنا لا يلزم ما

ذكروه هنا لأنه، وإن كانت الخواص متباعدة، فالأصل الجامع لها ذات واحدة كذات إنسان سواء بسواء.

الوجه الثاني اتحاد ذات العالم في كونه مخلوقا كله للخالق الواحد سبحانه وتعالى وأثرا لأسمائه، فلا يخرج فرد من أفراد العالم عن هذا الحكم، وإن اختلفت أنواعه، فالأصل الذي برز منه واحد. فبهذا النظر فهو متساوي، فيلزم اتحاد ذاته وإن اختلفت أجزاؤه كما ذكر في ذات الإنسان. فإذا فهمت ما قرره هذا الإمام الكامل رضي اللّه عنه في هذه المعضلة تبين لك وأن الحق مع أهل الحق. انتهت عبارتي.

ثم لما قرأت ما سطرته هنا على الشيخ رضي اللّه عنه ذكره وكتبته إملاء منه علي. قال رضي اللّه عنه: وإنما تختلف نسبه بحسب ما فصلته مشيئة الحق فيه من بين شريف و وضيع وعالي وسافل وذليل وعزيز وعظيم الشأن وحقير... إلى آخر النسب فيه. ولم تخرجه تفرقة النسب عن وحدة ذاتيته، كما أن ذات الإنسان واحدة ووحدتها لا تنافي اختلاف نسب أجزائها واختصاص كل جزء بخاصيته، فإن خاصية اليد غير خاصية الرجل وخاصيتها غير خاصية العين. و هكذا سائر الخواص والأعضاء والأجزاء، وأن ارتفاع وجهه في غاية الشرف وانخفاض محله في غاية الضعة و الإهانة لم يخرجه عن كون ذاته واحدة مع اختلاف الخواص. و هكذا يقال في وحدة الوجود ، فإن وحدته لم تخرجه عن اختلاف أجزائه بالخواص مثل ما قلنا في ذات الإنسان.

ثم قال رضي اللّه عنه: و زيد وجها ثالثا في إيضاحه وهو اتحاد وجوده من حيث فيضان الوجود عليه من حضرة الحق فيضا متحدا ثم تختلف خواصه وأجزاؤه بحسب ما تفصل ذلك الوجود فإنه يتحد في عين الجملة ويفترق في حال التفصيل مثاله في الشاهد مثال المداد. فإن الحروف المفترقة في المداد والكلمات المتنوعة والمعاني المختلفة التي دلت عليها صورة المداد لم

تخرجه عن وحدة مداديته. فإنه ما ثم إلا المداد تصور في أشكالها الدالة على المعاني المختلفة والحروف المفترقة والخواص المتنوعة غير المؤتلفة ولا المتماثلة.

فإنك إذا نظرت إلى عين تلك الصور التي اختلفت حروفها وكلماتها لم تر إلا المداد تجلى في أشكالها. فما هي غير المداد. فتتحد بالمدادية وتختلف بالصور والأشكال و الكلمات والمعاني. فكما أن المداد في تلك الحروف عين تلك الحروف والحروف في ذلك المداد عين تلك المداد وهي مختلفة الأشكال والأسرار والخواص والمعاني إلى غير نهاية، كذلك الوجود في ذوات الوجود عين تلك الذوات وتلك الذوات في ذلك الوجود عين ذلك الوجود ، و هي أيضا مختلفة الأشكال والأسرار والخواص. فوحدتها في عين ذلك الوجود لم تخرجها عن اختلاف أشكالها وأسرارها ومعانيها وخواصها، ولا افتراقها بتلك الأسرار والخواص والمعاني يخرجها عن وحدتها بذلك الوجود مثل ما في الحروف والمداد. كما أن وحدة المداد لم تخرجها عن اختلاف أشكالها وأسرارها ومعانيها وخواصها ولا افتراقها في هذه الأمور يخرجها عن اتحادها في ذلك المداد. ثم قال قدس الله سره العزيز: وقد اتضح الحق لمن فهم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل. هـ ما أملاه علينا رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

وسمعت سيدنا رضي الله عنه يقول: الدليل على أن سيدنا الخضر رضي الله عنه من الأفراد وليس نبيا على القطع ما حكاه الله في القرآن في قصته مع سيدنا موسى عليه السلام في قوله تعالى(لقد جئت شيئا نكر) (ا لقد جئت شيئا إمرا)، لأنه لو كان نبيا ما أنكر عليه سيدنا موسى فعله لأن سيدنا موسى عليه السلام يعلم عصمة النبوءة، وأن صاحبها لا يتقدم إلى فعل شيء إلا بأمر إلهي، ويكون الأمر في تينك القضيتين الأولتين في القرآن وهما خرق السفينة وقتل الغلام فإنهما من أعظم الأمور المستقبحة شرعا وطبعا. فإن العقلاء اتفقت على قباحة دينيك

الفعلتين والأمور الإلهية أطبقت كلها على تحريمهما لأنهما من أعظم الفساد في الأرض. فلو علم أنه نبي، لعلم انه لا يقدم عليهما إلا بالأمر الإلهي لا يمكن تركهما. وحيث أنكر عليه فدل ذلك على أنه ليس نبي.

وأيضا في الاستدلال على عدم نبوته، وهو أكبر من الأول، إذ لو كان الخضر نبيا لأعلم الله موسى بنبوته لأجل أن لا ينكر عليه لأن الإنكار على صاحب النبوة تضليل له، والمضلل للنبي كافر. وسيدنا موسى عليه السلام معصوم فيما تجرأ عليه بقوله: لقد جئت شيئا نكرا إلا لعلمه أنه ليس بنبي، فاتضح لك الأمر والحمد لله. فإن قلت إذا لم يكن نبيا على ما ذكرتم فكيف يعلم ما لم يعلمه الرسول؟ قلنا هذا من العلم بأحوال العالم ووقائعه. وقد يكون المفضول فيها أكبر علما من الفاضل لغرقه في الحضرة الإلهية واشتغاله بالعلم بالله تعالى، غاب عن كثير من أحوال العالم.

هذا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وهو أكمل الخلق علما بالله تعالى وبأحوال العالم، بحيث أن لا يُدرك شأوُه ولا يشق غباره قال لأم المومنين خديجة رضي الله عنها عند نزول الوحي: لقد خشيت على نفسي إذ كان صلى الله عليه وسلم يتخوف من الكهانة فأخبرته خديجة رضي الله عنها كلا والله لا يخزيك الله أبدا. إنك لتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق. أخبرته من طريق علمها أن من جمع الله فيه هذه الخصال لا يخزيه الله بالكهانة.

فلو كان علم هذا ما قال خشيت على نفسي. وكذا في قضيته صلى الله عليه وسلم مع ورقة ابن نوفل حين قال له:ليتني كنت حيا إذ يخرجك قومك. قال صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا أوذي في قومه. فما علمه صلى الله عليه وسلم حتى أخبره به ورقة بن نوفل. وكذا قوله صلى الله عليه وسلم في تذكير النخل قال ما معناه: لعلها

لو لم تذكر لصلحت. فترك الناس التذكير فجاءت الثمر على غير الوجه المطلوب. قال صلى الله عليه وسلم: أنتم أعلم بمصالح دنياكم. فيتضح لك من هذا أن الله يخص ببعض أحوال العالم وتدابيره وكشف عوالقه ما لم يخص به أكابر الصفوة العليا من النبيين والمرسلين. و له من هذا الميدان وقائع كثيرة لم يعلمها صلى الله عليه وسلم وأعلمه غيره فيها. و خذ هذا قياسا في تفضيل الخضر بعلم أحوال العالم على موسى، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وليس بنبي كما تقدم. و أنت تعلم أن كليم الله موسى من أكبر المرسلين.

شمس طالعة وأنوار ساطعة

ولسيدنا رضي الله عنه كلام في المعية سميته: فصل القضية، في مسألة المعية وهو جواب لسؤال بعض من يطلب الحق في وجه المسألة. ونص السؤال: الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ساداتنا رضي الله عنكم وأرضاكم وجعل النظر في الوجه الأكرم متقلبكم ومثواكم وأطال بقائكم نفعا للعباد في جميع البلاد. نصكم الكافي وجوابكم الشافي وخطابكم الوافي بما يشفي الغليل ويبرئ العليل في معنى المعية التي وردت في كلام المولى الجليل سبحانه في قوله تعالى (وهو معكم أين ما كنتم) و نظائرها

وكذلك معنى القرب في قوله تعالى (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) (ونحن أقرب إليه منكم ولا كن لا تبصرون) فقد اختلفت أقاويل العلماء لاختلاف فهومهم. فكثير من أهل الظاهر يقولون معكم بالصفة لا بالذات فرارا من إلزام المحال. وكثير من أهل التصوف يقولون بالذات، وكل من الفريقين له أدلة على صحة قوله وبطلان قول غيره إلخ.

قال سيدنا رضي الله عنه، الجواب والله أعلم أن معية الحق سبحانه لكل شيء من الوجود وقربه لكل شيء من الوجود صفتان نفيستان يتبعان ماهية ذاته كما لا تعقل ماهية الذات. ولا سبيل للعقل إلى شم من روائح الوقوف على حقيقتها، كذلك لا سبيل لإدراك حقيقة معية الحق لكل شيء وقربه لكل شيء. فهو سبحانه وتعالى مع كل شيء بذاته وأقرب إلى كل شيء بذاته من وجه لا يدركه العقل في هاتين الحقيقتين. فذاته جل جلاله متعالية مقدسة على جميع حدود الجرم والجسم ولوازمه ومقتضياته من دخول وخروج وقرب وبعد اتصال وانفصال وتحيز واختصاص بجهة أو إحاطة بالظرفية أو صورة أو لون أو كِبر أو صِغر... إلى ما يتبع ذلك من كونه جامدا أو سيالا أو متحركا أو ساكنا أو مِلأ العالم ّأو في جزء منه إلى غاية حدود الجسم، وهي كثيرة لا نطيل بذكرها.

ولذا لا يقع عليه الوهم والعقل لأنهما في وقت الفكر لا يخرجان عن قيود الجسم ولوازمه. فتعينت ماهية الذات العلية من وراء طور العقل والحس والفكر كما قال بعض ّالأكابر في هذا الحد، لا يتمثل في النفس ولا يتخصص في الذهن ولا يتصور في الوهم ولا يتكيف في العقل. لا تلحقه العقول ولا الأفكار ولا تحيط به الجهات ولا الأقطار.

ولما كان انحصار العقل والفكر في هذه المدارك لا يخرج عنها طردها صلى الله عليه وسلم عن الجولان في هذا الميدان بقوله صلى الله عليه وسلم: تفكروا في خلقه ولا تتفكروا فيه،

فإنكم لا تقدرون قدره. وحيث كان الأمر هكذا في تحقيق ماهية الذات فإن معية الحق بذاته لكل ذرة من الموجودات و قربه بذاته لكل ذرة من الموجودات صفتان نفيستان يتوقف تعلقهما على تعقل ماهية الذات. وحيث كان تعقل ماهية الذات ممنوعا لا سبيل إليه للعقل والفكر، كذلك تعقل هاتين الصفتين معية وقربا لكل شيء من الموجودات تعلقهما منه وراء طور العقل والحس، فلا اتصال ولا انفصال ولا مسافة للقرب والبعد ولا أينية ولا حلول ولا مكان ولا دخول ولا خروج ولا تتعدد الذات بتعددها بالمعية.

ودونك وجها يوضح لك شيئا من هذا الميدان، إن عقلته فهو في الحادث فقط دون القديم، فإن الرجل من أهل الجنة عنده مثلا من الحور ما يتضاعف على عدد الملائكة بأضعاف مضاعفة، ومع ذلك يجامعهن في الآن الواحد يدرك لذة كل واحدة بانفرادها على اختصاصها في ذلك الآن الواحد ويجامع كل واحدة منهن جماعا متمكنا بمحله الواحد وذاته الواحدة من غير تعدد في ذاته ولا في محله ولا تعدد للآن ولا تأخير ولا تقديم ولا اشتباك في ذواتهن في محل واحد إلا أن تعقل هذا في هذه الدار من وراء طور العقل والحس، لكنه في سعة القدرة الإلهية واقع. وهذا وإن لم يسلمه أرباب الحدود العقلية فقد دلت عليه الأخبار الصحية بما تقرر في الحديث أي معناه من أن الرجل من أهل الجنة يجامع جميع نسائه في مقدار يوم من أيام الدنيا ويمكث في جماع كل واحدة مقدار سبعين سنة في اليوم الواحد من أيام الدنيا.

فإذا عرفت هذا في حق الحادث وصححته فخذه سُلما ترتقي به إلى تصحيح القرب والمعية في حق القديم لكل ذرة من الوجود في كل آن من الزمان من غير تقديم ولا تأخير ولا افتراق ولا تعدد. وفي هذا القدر كفاية لمن تعقل الأمر.

وأما ما وقع في السؤال من الاعتراض بأنه يلزم التعدد في ذات الحق بتعدد الممكنات وممازجته وملابسته للمكنات إلخ. الجواب عن هذا أن هذا الخيال الذي يتوهم به هذا الوهم الفاسد إنما هو في مقام الحس والعقل، وقد قلنا أن قرب الحق ومعيته للموجودات من وراء طور الحس والعقل لا مطمع للعقل و الحس في إدراك حقيقتهما، أعني القرب والمعية ما لم يدركا حقيقة ماهية الذات العلية. وقد قلنا أن إدراك ماهية الذات العلية في غاية البعد عن إدراك العقل والحس، كذلك هذه المعية و القرب بالذات في غاية البعد عن إدراك الحس و العقل ، فبطل هذا الخيال و الوهم اللذين يلزم منهما ملابسة الذات وملابستهما للموجودات وتعددها بتعدد الممكنات لأن هذا في مقام إدراك الحس والعقل، وقد قلنا أن ماهية الذات العلية وقربها ومعيتها للموجودات من وراء طور الحس والعقل، وبذلك بطل تخيل ما تخيله الحس و العقل من إلزام ما ذكر.

وأما القول بأنه مع الموجودات بالصفات من قدرة وإرادة وعلم إلى آخر الصفات،فالجواب أن هذا القول يستلزم الجهة والتحيز للذات العلية وهو باطل، وبيانه أنه متى أحلت معية الذات للحوادث، يلزم أن تكون خارجة عن جميعها و يلزم من ذلك خروجها عن كورة العالم بأسرها، فيلزم إما أن تكون محيطة بالكورة، وهي ظرف لها، و الكورة في جوفها وهو محال لأن هذا من قيود الجسم. وإن كانت غير محيطة بالكورة، فيلزم إما تخصيصها بجهة من جهات الكورة فوقا أو تحتا أو يمينا أو شمالا أو خلفا أو أماما، وهو الذي هرب من الجهة.فوقع فيها. لأنه متى قال القائل بخروج الذات العلية عن كورة العالم لزم إحاطتها إحاطة الظرف بمظروفه أو تخصيصها بجهة من جهات الكورة، وكلا الوجهين محال عقلا.

فلم يبق إلا أن تكون مع كل شيء من المحدثات على الوصف الذي يليق بجلال الذات. ويؤيد ما قاله سيدنا في نكاح أهل الجنة ما

ذكره الشيخ الأكبر في الفتوحات المكية في الباب الحادي عشر. قال رضي الله عنه: وأما اتصال الأشعة النورانية الكوكبية عن الحركة الفلكية السماوية بالأركان الأربعة التي هي أم المولودات في الحين الواحد للكل مما جلت الحق مثلا للعارفين في نكاح أهل الجنة جميع نسائهم وجواريهم في الآن الواحد نكاحا حسيا. كما أن هذه الاتصالات حسية، فينكح الرجل في الجنة جميع ما عنده من المنكوحات إذا اشتهى ذلك في الآن الواحد نكاحا حسيا محسوسا بإلاج و وجود لذة خاصة بكل امرأة من غير تقدم ولا تأخر.

وهذا النعيم الدائم والاقتدار الإلهي والعقل يعجز عن إدراك هذه الحقيقة من حيث فكره وإنما يدرك هذا بقوة أخرى الإلهية في قلب من يشاء من عباده كما أن الإنسان في الجنة في سوق الصور، إذا اشتهى صورة دخل فيها كما تشكل الروح هنا عندنا وإن كان جسما. ولكن أعطاه الله هذه القوة على ذلك، والله على كل شيء قدير.و حديث سوق الجنة ذكره أبو عيسى الترمذي في مصنفه، فانظره هناك هـ كلامه رضي الله عنه بلفظه.

قلت وهذه المسالة في غاية البعد عن إدراك العقول كما أشار له رضي الله عنه. و كنت فيما مضى سألت سيدنا رضي الله عنه عن هذه المسألة فأجابني بمثل ما ذكر هنا الشيخ الأكبر رضي الله عنهما. وسبب سؤالي له حين ذكر لي ما يحصل لذاكر بعض الأذكار كمن أعطاه الله قول دائرة الإحاطة و كذلك صلاة الفاتح لما أغلق إلخ وما يقرب منها في الفضل كفاتحة الكتاب وبعض النوافل، لأن الله سبحانه وتعالى أعد لذاكر هذه الأذكار من كثرة الخيرات وكثرة الحور مالا يحصيه إلا الله.

فلما سمعت منه هذا قلت له: إن كان لا ياتي عليها صاحبها إلا كالعادة في الدنيا، فلا يحصل الغرض له و لهن إلا بعد دهر

طويل، وهو منافي لحال أهل الجنة، لأن كل شيء في الجنة يطلب ولي الله الذي في الجنة يقول له: أين حقنا فيك؟ أو معناه هذا. قال رضي الله عنه: بل يأتي عليها في وقت واحد، أي على جميعهن أو على ما يشتهي منهن، وهو اللائق بأهل الجنة. قلت لسيدنا رضي الله عنه: ولعلك اطلعت على هذا من الغيب؟ قال: لا، بل حدثني فكري به كما هو عادته في الستر على كشفه رضي الله عنه ومتعنا بطول بقائه آمين.

وقول سيدنا رضي الله عنه فيما تقدم بأن الرجل من أهل الجنة عنده مثلا من الحور ما يتضاعف على عدد الملائكة بأضعاف مضاعفة ،مراده رضي الله عه ليس هذا العدد لجميع أهل الجنة، بل لبعضهم كمن اختصه الله بلا سبب أو بسبب بعض الأذكار العظيمة القدر عند الله كقول دائرة الإحاطة أو الفاتحة أو صلاة الفاتح الخ لأنه وردعن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فيما سمعه منه بعض أهل الكشف أن الله يعطي لمن ذكر من هذه الأذكار ذكرا، من الحور عددا لا يحصيه إلا معطيه سبحانه وتعالى (قل إن الفضل بيد الله يوتيه من يشاء إنه ذو الفضل العظيم).

ولنرجع إلى كلام سيدنا رضي الله عنه. فكل المعية التي وردت في الآيات إنما بعضها للعصمة كقوله تعالى (إنني معكما أسمع وأرى) وقوله تعالى (لا تحزن إن الله معنا) وقوله (إن معي ربي سيهدين) معية النصر والعصمة. كذا قوله (أنتم الأعلون والله معكم) وقوله (واصبر ّأن الله مع الصابرين) وقول (والله مع الصابرين) وكقوله (إن الله مع الذين اتقو). الآية. فكل المعية في هذه الآيات إنما هي معية الاختصاص والعناية والنصر والعصمة. وأما معية الذات لا يختص بنظر ولا عصمة، فهو مع كل شيء على أي حال كان ذلك الشيء من عدو أو حبيب أو قريب أو بعيد فهي على الحد الذي ذكر فيها سابقا والسلام هـ.

وله رضي الله عنه: معنى الإدراك هو إحاطة العلم بذات الله وصفاته وأسمائه ولا مطمع في هذا لغير الله تعالى، وكل الخلق عاجزون عن هذا الإدراك عجزا قطع نياط الطمع في تحصيل أقل القليل منه. وذلك العجز هو غاية الإدراك، فإنه في هذا الميدان الجهل بالله هو حقيقة المعرفة به والعجز عن إدراكه هو حقيقة إدراكه. وفي هذا يقول الصديق أكبر رضي الله عنه : العجز عن درك الإدراك إدراك و السلام هـ.

وتقدم في كلام الشيخ رضي الله عنه: الجهل بالله هو عين المعرفة به، يشير إلى هذا المعنى رضي الله عنه والله أعلم انتهى

ولسيدنا رضي الله عنه ونفعنا به آمين حزب التضرع والابتهال إلى الملك المتعال من كثرة الذنوب والخبال. قال رضي الله عنه: تقرا الفاتحة أولا مرة وصلاة الفاتح لما أغلق الخ ثم تقول:

إلاهي وسيدي ومولاي هذا مقام المعترف بكثرة ذنوبه وعصيانه وسوء فعله وعدم مراعاة أدبه. حالي لا يخفى عليك، وهذا ذلي ظاهر بين يديك ولا عذر لي فأبديه لديك، ولا حجة لي في دفع ما ارتكبته من مناهيك وعدم طاعتك، فقد ارتبكت ما ارتكبته غير جاهل بعظمتك وجلالك وسطوة كبريائك ولا غافل عن شدة عقابك وعذابك. ولقد علمت أني متعرض بذلك لسخطك وغضبك ولست في ذلك مضادا لك ولا معاندا ولا متصاغرا بعظمتك وجلالك ولا متهاونا بعزك وكبريائك، ولكن غلبت علي شقوتي وأحدقت بي شهوتي فارتكبت ما ارتكبته عجزا عن مدافعة شهوتي. فحجتك علي ظاهرة وحكمك في نافذ، وليس لضعفي من ينصرني منك غيرك وأنت العفو الكريم والبر الرحيم الذي لا تخيب سائلا ولا ترد قاصدا، وأنا متذلل لك متضرع لجلالك مستمطر جودك ونوالك مستعطف لعفوك ورحمتك.

فأسألك بما أحاط به علمك من عظمتك وجلالك وكرمك ومجدك وبمرتبة ألوهيتك الجامعة لجميع صفاتك وأسمائك

أن ترحم ذلي وفقري وتبسط رداء عفوك وحلمك وكرمك ومجدك على كل ما أحاط به علمك مما أنا متصف به من المساوي والمخالفات وعلى كل ما فرطت فيه من حقوقك، فإنك أكرم من وقف ببابه السائلون وأنت أوسع مجدا وفضلا من جميع من مدت إليه أيدي الفقراء المحتاجين وكرمك أوسع ومجدك أكبر وأعظم من أن يمد إليك فقير يده يستمطر عفوك وحلمك عن ذنوبه ومعاصيه فترده خائبا. فاغفر لي وارحمني واعف عني، فإنما سألتك من حيث أنت لاتصافك بعلو الكرم والمجد وعلو العفو و الحلم و الحمد.

إلاهي، لو كان سؤالي من حيث أنا لم أتوجه إليك ولم أقف ببابك لعلمي بما أنا عليه من كثرة المساوي والمخالفات فلم يكن جزائي في ذلك إلا الطرد واللعن والبعد، ولكني سألتك من حيث أنت معتمدا على ما أنت عليه من صفات المجد والكرم والعفو والحلم ولما وسمت به نفسك من الحياء على لسان رسولك صلى اللّه عليه و سلم أن تمد إليك يد فقير فتردها صفرا وأن ذنوبي وأن عظمت وأربت على الحصر والعدد ، فلا نسبة لها في سعة كرمك وعفوك و حلمك ولا تكون نسبتها في كرمك مقدار ما تبلغ هيئة من عظمة كورة العالم.

فبحق كرمك ومجدك وعفوك وحلمك اللواتي جعلتهن وسيلة في استمطاري لعفوك وغفرانك اعف عني واغفر لي بفضلك وعفوك. وإن كنت لست أهلا لذلك، فأنت أهل أنت تعفو عمن ليس أهلا لعفوك وكرمك أهل أن تمحوه في طرفة عين جميع ما لمخلوقاتك من جميع المعاصي والذنوب. يا مجيد يا كريم يا عفو يا رحيم يا ذا الفضل العظيم والطول الجسيم. ثم صلاة الفاتح لما أغلق الخ مرة اهـ الحزب المبارك.

قال سيدنا رضي اللّه عنه: و آكد التوجب به في المثلث الأخير من الليل، فإنه وقت يبعد فيه الرد من اللّه تعالى.و ينبغي أن يدعو به

في أوقات الإجابة المعلومة. وأجاز فيه رضي اللّه عنه كل من يحسن الدعاء به من أصحابه هـ.

وينبغي لمن دعا بهذا الحرب أن يجمع همته فإني سمعت سيدنا رضي اللّه عنه يقول: همة الإنسان قاهرة لجميع الأكوان متى تعلقت بمطلوب وسعت في طلب ذلك المطلوب على الجادة المستقيمة بحيث أن لا ينالها في طلبها سآمة ولا رجوع عن المطلوب ولا تصعب عليها صعوبة طلبه ولم ينلها شك ولا تردد، بل باعتقاد جازم أن يناله أو تموت في طلبه اتصلت بمطلوبها ولو كان وراء العرش هـ كلامه رضي اللّه عنه

و من كلام سيدنا رضي اللّه عنه أن الخواص لا تدرك إلا بأمرين وهي من رسائله لبعض أصحابه رضي اللّه عنه ونفعنا به آمين. وهذا أولها:

من عبد ربه سبحانه أحمد بن محمد التجاني إلى محبنا في اللّه تعالى سيدي أبي العباس ابن أبي القاسم الشرقاوي وكان اللّه له آمين سلام اللّه عليكم ورحمة اللّه تعالى وبركاته. أما بعد فالذي سألت عنه من التصرف بالدائرة الشاذلية وأسمائها وخواصها فالجواب:

اعلم أن التمسك بما في كتب أهل الخواص من دائرة الشاذلي رضي اللّه عنه وأسماء اللّه والحروف والجداول، كله (كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا). ما في جميعها إلا التعب والطمع الذي لا يوجد فيه قليل من الفائدة ولا جدوى من العادة إلا، أن لتلك الأسرار تصاريف عالية وأفعال عظيمة، لكنها مشروطة بالوقوف على أمرين، لا ينال أحد بدونهما شيئا:

الأمر الأول هو الفتح للعبد في كمال المعرفة العيانية الباطنة فصاحبها لا يتوقف على وجود شرط أو زوال مانع متى أراد شيئا أوجده بتلك الأسباب.

و الأمر الثاني أن لتلك الأسرار أرواحا علوية ظاهرة مطهرة قائمة بتصريف تلك الأسرار دائمة التمادي في التصريف بأسرارها.

ولتلك الروحانية طرف مخصوصة يتوصل بتلك الطرق إلى تسخير روحانياتها حتى لا تتوقف على داعيها في شيء إلا أجابت في أسرع من طرفة العين. وهذه الطرق لا يعلمها إلا الأولياء. وقد أخذ العهد على الأولياء في ظهر الغيب أنهم لا يطلعون على هذه الأسرار أو شيء منها احد من الواقفين مع حظوظهم. ومن تعدى منهم في شيء وأطلع أحدا من أهل الحظوظ ابتلي ببلية عظيمة إما بقتلة شنيعة و إما أن يسلط عليه وارد من قبل الحق يستأصل ماله و ولده، وإما أن يبتليه اللّه بالفقر وعدم الصبر أو بالسلب أو بالكفر.

و ما مثال ذلك إلا كحصن عظيم مملوء بخزائن الكنوز والأموال والتحف مما يقضي بتوفية جميع الأغراض، وعلى ذلك الحصن أسوار عظيمة من حديد في غاية ما يكون من الغلظ والتوثق. و لا أبواب لتلك الأسوار ولا مفاتح ثم أن تلك الأسرار وذلك الحصن أبوابا وطرقا مخبأة تحت الأرض تأتي من الحصن على مسيرة ستة أيام أو سبعة تحت الأرض كل من سلك طريقا من تلك الطرق أفضت به إلى باب الحصن التي تحت الأرض و دخل الحصن و أخذ كل ما أراد و رجع من طريقه. فهو أبدا يدخل من تلك الطريق ويخرج منها. و وضعت أبواب تلك الطرق من خارج مغلقة مدلسا عليها بحيث أن لا يوقف عليها إلا بالنقل والأخبار. ومن لم يخبر بتلك الأبواب لا يهتدي لتلك الطرق ولا يدخل إلى الحصن.

فالرجل الأول المفتوح عليه بالمعرفة متى جاء إلى الحصن زالت عنه تلك الأسوار من غير تعمل منه و وصل إلى كنوزها من غير مشقة. و أصحاب الأمر الثاني هم العلماء بالطرق التي يهتدى بها إلى تسخير الروحانية والتصرف فيها والبلوغ بها إلى كل غرض هم الذين في المثال الثاني المطلعون على الطرق المخبوءة تحت الأرض المدلسة أبوابها. والعامة الخارجون عن هذين الأمرين بمنزلة من يطوف حول الحصن يريد أن ينال مما في داخله من

الكنوز من غير باب ولا مفتاح، فليس له من طوافه إلا التعب. نعم قد يقع بعض الأحيان للعامي الذي لاحظ له في الأمرين الأولين إجابة في أمر من الأمور وقعت بنفحة إلهية اقتضت تلك النفحة منه سبحانه وتعالى أن كل من طلب منه في وقت تلك النفحة شيء، سواء علم تلك النفحة أو جهلها أو علم وقتها أو جهله أن يعطيه في ذلك الوقت سؤاله سواء كان على جادة مستقيمة أو على غير صواب، و سواء كان أهلا لذلك السؤال أم لا. لكن لا يَطَّردُ له في كل ساعة أو في كل وقت لأن تلك الإجابة اقتضتها تلك النفحة الإلهية البارزة من الحق سبحانه وتعالى لا أنه اقتضاها عمله بذلك السر و تلك الخاصية.

فإن أصحاب الأمرين الأولين تَطَّردُ لهم الإجابة في كل مطلب وفي كل ساعة. و هذا الثالث لا تقع له الإجابة إلا إذا وافقت نفحة إلهية بحكم الاتفاق. و فيما ذكرناه كفاية لمن فهم، فلا تتعبوا أنفسكم من الأسرار والخواص في شيء و الزم الأمر الذي قلناه لكم في الوصية هو أنفع لكم

سر شريف

قال سيدنا رضي الله عنه: إذا تجلى الله لسر عبد ملَّكه جميع الأسرار و ألحقه بدرجة الأحرار و كان له تصرف ذاتي متى توجهت إرادته لأي خارق كان الخرق له في الحين ،إلا أن بعضهم يضيف له كلمته كن، وبعضهم بمجرد الإرادة. قال تعالى (فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم) هـ.

ومن علومه الزاخرة رضي الله عنه قال: أما قول أهل السنة رضي الله عنهم القرآن دال على كلام الله إطلاق تسامح وإلا فوجه التحقيق في ذلك أن كلامك بالقرآن دال على مدلولات الكلام الأزلي لا على عين الكلام الأزلي البارز من الذات، فإن

ذلك لا تمكن الدلالة عليه ولا وصول للخلق في تلاوة القرآن إلى القرآن إلا بهذه المثابة فقط لا أنهم يصلون إلا النطق بالكلام البارز من الذات دون مدلولات، فإن ذلك غير ممكن لبعد تغايرهما لأنك إذا سمعت شخصا قال هذا الحائط و الفرس مثلا، فقلت أنت أيضا مثل قوله هذا الحائط والفرس، فإنه بالضرورة يعقل أن اللفظ البارز من ذاتك الدال على الحائط والفرس غير اللفظ البارز من ذات الشخص المتكلم بالحائط والفرس، وإنما أتحدت دلالتهما على الحائط والفرس، واللفظان متغايران.

فبان لك بهذا أن الكلام الذي تتلوه في القرآن ليس هو دالا على المعنى القائم بذات الله تعالى ولا أنه عين المعنى القائم بالذات العلية وإنما اتحدت دلالة لفظك بالقرآن ودلالة المعنى القائم بذات الله على المدلولات في الكلام، فأطلق عليه اسم القرآن من هذا الباب إذ لم يكن لهذا سبيل إلا هذا ومثاله. قال الله سبحانه وتعالى (خلق الله السموات والأرض بالحق) والمعقول في هذا الكلام هو الخلق، وهو إخراج الممكن من العدم إلى الوجود، والله هو الاسم الدال الذات المقدسة والسموات والأرض هي الأجرام والمعلومات.

فإذا قرأت أنت خلق الله السموات والأرض بالحق، فإنك تكلمت بكلام تكون دلالته مماثلة لمدلولات كلام الله تعالى وليس كلامك هو عين الكلام البارز من الذات المقدسة ولا دال عليه وإنما دال على مدلولاته، فأطلق عليه اسم القرآن، وذلك هو اللائق به. فإن اسم القرآن ما أطلق إلا على الكلام البارز من الخلق الدال على مدلولات كلام الله وليس اسم القرآن يطلق على المعنى البارز من الذات المقدسة، فإن ذلك لا يطلق عليه اسم القرآن، وإنما هي صفة قائمة بالذات العلية، والقرآن لا يطلق إلا على تلفظنا بكلام الله وقراءتنا له. ويوضح لك هذا وهو أن علمك بالمعلومات ليس هو دال على علم الله وإنما هو

دال على مدلولات علم اللّه. فمدلولات علمك هي مدلولات علم اللّه تعالى و علمك ايس هو علم اللّه تعالى، فإنهما متغايران.

وهكذا في السمع والبصر وهكذا في الإرادة، فإن مدلولات إرادتك هي مدلولات إرادة اللّه تعالى وليست إرادتك عين إرادته ولا دالة عليها. وخذ هذا المثال حتى في الكلام الأزلي هـ.

قلت وهذه العبارة حوم عليها كثير من فحول العلم وصعب النطق بها عليهم وأزال الغبار عن وجهها سيدنا ووسيلتنا رضي اللّه عنه ونفعنا بعلومه الغراء دنيا وأخرى آمين. وقد قيل في هذا المعنى:

أتانا الحق في عين السـؤال بنور الشمس لا نور الهـلال
فما هدي سوى هدي الرجال حماة الدين في عصر الضلال

و من كلام سيدنا و وسيلتنا إلى اللّه: ليس الكفر باللّه إلا خصلة واحدة وهي الجهل باللّه. وليس كمال المعرفة باللّه إلا الجهل باللّه وهو العجز عن إدراكه سبحانه و تعالى. فالجهل الذي هو عين الكفر هو الذي لا يعرف تمييز مرتبة الألوهية من المراتب الخَلقية بما تستحقه مرتبة التمييز من التعريفات والأحكام واللوازم والمقتضيات.

فهذا الجهل هو عين الكفر باللّه تعالى. والجهل الثاني الذي هو عين المعرفة باللّه تعالى هو الواقع بعد معرفته بتمييز مرتبة الألوهية من المراتب الخلقية، وهو نفي الإحاطة بذات اللّه تعالى علما وإدراكا. ونفي الوصول إلى معرفة حقيقتها من حيث ما هي ونفي الوصول إلى الإحاطة بصفات اللّه وأسمائه، فإن هذا الجهل هو عين المعرفة باللّه تعالى والسلام.

وتقدم في كلام الشيخ ما يغني عن هذا، وإنما كتبت هذا لأن مرادي جمع كلام الشيخ سيدنا رضي اللّه عنه لأنه يعبر على المعنى الواحد بعبارات متعددة لقوة علمه رضي اللّه عنه وغزارة فهمه وللتبرك بألفاظه، لأن كل لفظ من العارف له نور غير الآخر.

نسأل اللّه أن ينفع بكلامه كل معتقد وأن يجعله حربة في صدر كل منتقد آمين

ومن كلام سيدنا رضي اللّه عنه المعرفة الحقيقية أخذ اللّه للعبد أخذا لا يعرف له أصلا ولا فصلا ولا سببا ولا يتعقل فيه كيفية مخصوصة ولا يبقى له شعور بحسه و شواهده و ممحواته و ثوابته و مشيئته و إرادته، بل تقع عن تجل إلهي ليس له بداية ولا غاية ولا يوقف له على حد ولا غاية. و محق العبد محقا لا يبقى له شعور بشيء و لا بعدم شعوره و لا بمحقه و لا يميز أصلا من فرعه و لا عكسه، بل لا يعقل إلا من حيث الحق بالحق في الحق عن الحق.

فهذه المعرفة الحقيقية، ثم يفيض عليه من أنوار قدسه فيضا يعطيه كمال التمييز والتفصيل بين المراتب وخواصها وما يعطيه حقائقها في جميع أحكامها ومقتضياتها و لوازمها و تفصيل الصفات والأسماء ومراتب آثارها ومعارفها وعلومها. وهذا التمييز يسمى بالبقاء التام و الصحو الكامل. و الأصل الأول يسمى بالفناء التام و المحو الكامل، و لا قيام لهذا البقاء إلا بفناء الفناء الأول على أصله وقاعدته. و متى انهدم الأول انهدم الثاني والسلام هـ.

قلت فمن تحلى بهذا الوصف المتقدم صح له الظهور في الخلق والتقدم إليه يلقي المريد نفسه ويقتفي أدبه ويمتثل أوامره ويتجنب معارضته، ولو بقلبه. فإذا فعل هذا سأل ربه بإظهار فقره ولسان ذله أن يرحمه بالفتح على يد قدوته. و من لم يطلب الفتح من غير أبوابه طرد ولم ينتفع بأسبابه.

قال سيدنا رضي اللّه عنه:

قاعـــــدة. اعلم أن الفتح والوصول إلى اللّه في حضرة المعارف لا يبعثه اللّه تعالى إلا على يد أصحاب الإذن الخاص كإذن الرسالة. ومتى فقد الإذن الخاص لم يوجد من اللّه فتح ولا وصول، وليس لصاحبه إلا التعب. ومن تعلق بمطالعة كتب التصوف وسار إلى

اللّه بالنقل منها والأخذ عنها والرجوع إليها والتعويل عليها، ليس من سيره إلا التعب ولا يحصل له من اللّه شيء يعني من الأصول إلى حضرة المعارف والاختصاص. وأما الثواب فيحصل له بقدر إخلاصه هـ قلت والمراد بأصحاب الإذن الخاص في كلام سيدنا رضي اللّه عنه الأولياء الأحياء في كل عصر لا الأموات كما يأتي في كلام الشيخ رضي اللّه عنه

ومن كلامه رضي اللّه عنه:

قاعـــــدة أن اللّه سبحانه وتعالى جعل في سابق مشيئته أن المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته هو في كل عصر يجري مع الخاصة العليا من خلقه من النبيين والصديقين. فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا وصحبهم واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائض من اللّه، ومن أعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمه م الأولياء الأموات طبع عليه بطابع عليه بطابع الحرمان وكان مثله كمن أعرض عن نبي زمانه وتشريعه مستغنيا بشرائع النبيين الذين خلوا قبله، فيسجل عليهم بطابع الكفر والسلام هـ.

ثم قال رضي اللّه عنه: والدليل على أن الصحبة لا تكون إلا للحي قوله صلى اللّه عليه وسلم لأبي جحيفة رضي اللّه عنه: سل العلماء وخالط الحكماء واصحب الكبراء. فالعالم دلالته على الأمر العام أمرا ونهيا بما يوجب المدح عند اللّه وسقوط اللائمة على العبد، ونهايته الجنة. والحكيم دلالته على التقرب إلى اللّه تعالى بالطهارة من أهوية النفوس ومتابعة الهوى ونهايته منازل القربة. و الكبير دلالته على اللّه من حيث محق النفس والبراءة من التدبير للنفوس بكل ما يجلب المصلحة لها دنيا أو أخرى و بكل ما يدفع المضرة عنها دنيا وأخرى، ونهايته اللّه. ثم قال يؤخذ من هذا أن الصحبة لا تكون إلا للحي، إذ الميت لا يصحب ولا يكلم ولا يخالط هـ

قلت ولا يعارض هذا ما تقدم من كلام الشيخ وأما أن يفتح له باب الوصول ورفع الحجب بسبب ملازمته للصلاة على حبيبه صلى الله عليه وسلم ،فإنه ناذر. وأما ما ذكر هنا فإنه هو الكثير في المسلمين من التعلق بالأولياء الأحياء والأموات ولذا قال رضي الله عنه: أن الصحبة لا تكون إلا للحي يكون كثير من المساكين يتعلقون بالأولياء الأموات ويظنون أن مقصودهم يحصل لهم كمن تعلق بالأولياء الأحياء. وليس كذلك. فهذا سبب ذكر الشيخ للكلام المتقدم في القاعدتين السابقتين رضي الله عنه ونفعنا به آمين. ولم أر أحدا من الأولياء من ذكر هذا. فإذا فهمت هذا فل نذكر لك نبذة من كلام الشيخ تحذرك إن كنت كيسا فطنا وأردت صحبة المشايخ والتعلق بهم وتعلمك الأدب معهم إن كنت ممن جذبته العناية السابقة لحبهم والتعلق بأذيالهم. جعلنا الله وكل محب ممن سبقت له العناية وحفظنا الله والمحبين من مخالفة أمر الشيخ ومعارضته ظاهرا أو باطنا آمين

و ها أنا أشرع في كلام الشيخ وأفرد له فصلا ليسهل على الناظر مطالعته وأسميه

فصل الخوف من القطيعة بين المريد وشيخ الطريقة
شمس طالعة وأنوار ساطعة

قال سيدنا رضي الله عنه ونفعنا به آمين:

الأمور التي تكون سببا لطرد المريد عن الشيخ منها الأغراض ومنها الاعتراض بالقلب واللسان ومنها كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ بأمر لا يطابق المعرفة ومنها سقوط حرمته عن القلب.

فأما الأغراض سواء كانت دنيوية أو أخروية وذلك أن الشيخ لا يصحب إلا لله عز وجل، لا لشيء وهي في أمرين يعني الصحبة: فأما أن يواليه لله تعالى بأن يقول هذا ولي الله وإنا أواليه لله، و سر

ذلك في قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن الله: من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب. و في طيه من والى لي وليا لأجل أنه وليي اصطفيته واتخذته وليا. و هذا هو السر الأكبر الجاذب للمريدين إلى حضرة الله تعالى.

والأمر الثاني يعلم أن الشيخ من عبيد الحضرة ويعلم ما يجب للحضرة من الأدب وما يفسد المرء فيها من الأوطار والأرب. فإذا علم هذا يصحبه ليدله على الله وعلى ما يقربه إليه.

والصحبة في هذين الأمرين لا غير، ومن صحب لغيرهما خسر الدنيا والآخرة. فإذا عرفت هذا فاعلم أن الرب سبحانه وتعالى يعبد لا لغرض بل لكونه إلاها يستحق الألوهية العبادة من ذاته لما هو عليه من محامد الصفات العلية والأسماء البهية. وهذه هي العبادة العليا. وكذلك الشيخ يصحب لا لغرض بل لتجذبه موالاته إلى ولاية الله تعالى ويتعرف منه الآداب المرضية وما يشين العبد في حضرة الله تعالى. وكل ما كان عن متابعة الهوى و لو كان محمودا، فهو شين على العبد في حضرة الله تعالى. ولذا أمرت الشيوخ بقمع المريدين وزجرهم عن متابعة الهوى في أقل قليل لأن المريد في وقت متابعة الهوى كافر بالله عند العارفين لكونه نصّب نفسه إلاها و عصى أمر الله و خالفه ، فهو يعبد غير الله على الحقيقة. ليس من الله في شيء. و إن قال لا إله إلا الله في هذا الحال قال له لسان الحال: كذبت، بل أنت مشرك. ومن هذا القبيل خرج قوله صلى الله عليه وسلم: ما تحت قبة السماء إله يعبد من دون الله أعظم من هوى متبع.

فإذا عرف المريد هذا فلا يغضب على الشيخ ولا يتغير إذا لم يوافق هواه في غرضه، فإن الشيخ أعلم بالمصالح وأدرى بوجوه المضار والتلميذ جاهل بذلك. فإذا طلب منه غرضا من أي فن كان ولم يساعده الشيخ، فليعلم أن الشيخ منعه منه لأجل مصلحته ودفع مفسدته. فإذا عود نفسه التغير على الشيخ في مثل هذا طرد عن

حضرة اللّه وانقطع عن الشيخ. فإذا غضب المريد على الشيخ بعد تغيره، انقطع انقطاعا كليا لا رجوع له أصلا.

وأما الاعتراض بالقلب أو اللسان، فإنه سيف صارم يقطع الحبل بين الشيخ ومريده، فلا يعترض شيئا من أمور الشيخ. فإن لم توافق ما عنده من ظاهر العلم أو باطنه فليعلم أن هناك دقائق بين الشيخ وبين ربه لا يدريه التلميذ، والشيخ يجري على منوال تلك الدقائق التي بينه وبين ربه، فإذا خالف صورة ظاهر الشرع فليعلم أنه في طي الأمر يجري على منوال الشرع من حيث لا يدريه الخلق

وأما كزازة المريد من ظهور بشرية الشيخ من جهله باللّه تعالى ومراتبه الخلقية، و ذلك أن الحق سبحانه وتعالى تجلى في كل مرتبة من مراتب خلقه بأمر وحكم لم يتجلى به في غيرها من المراتب. و ذلك التجلي تارة يكون كمالا في نسب الحكمة الإلهية وتارة يكون صورته صورة تقص في نسب الحكمة الإلهية، ثم إن ذلك التجلي، و إن كانت صورته صورة النقص في نسب الحكمة فلا محيد لتلك المرتبة عن ظهور التجلي فيها بصورة ذلك النقص لأن ذلك ناشئ عن المشيئة الربانية، وكل تعلقات المشيئة يستحيل تحولها لغير ما تعلقت به، فلا بد لكل عارف من ظهور النقص في ذاته. ثم إن ذلك النقص تارة يلابسه بصورة الكمال للدقائق التي بينه وبين الحق وتارة يلابسه متعمدا أنه نقص، وليس له في هذه الملابسة إلا معاينة الحكم الإلهي الذي مقتضاه القهر والغلبة بحيث أن لا محيد للعبد عنه.

فإذا رأى المريد من شيخه بشرية تقتضي النقص إما شرعيا و إما مما يخل بالمروءة، فليلاحظ هذه المعاني التي ذكرنا، وليعلم أن ذلك لا يخرج الشيخ عن حضرة ربه ولا يزحزحه عن محل قربه ولا يحطه عن كمال أدبه.فإذا عرف هذا، فلا يرفض شيخه بظهور البشرية. و كل مريد يطلب مرتبة للحق يتعلق بها للقرب

و الوصول يريد أن لا يظهر فيها نقص، كان لسان حاله ينادي عليه: لا مطمع لك في دخول حضرة اللّه تعالى لأن كل المراتب لا بد لها من نقص في الغالب. وقد تكون بعض المراتب دون الثلاثة الآتي ذكرهم ولا يظهر فيها نقص.

وليس يظهر الكمال صورة ومعنى وحسا بريئا من النقص بكل وجه وبكل اعتبار إلا في ثلاث مراتب فقط لا ما عداها وهي الرسالة لمن دخل حضرتها والنبوءة لمن دخل حضرتها و القطبانية لمن دخل حضرتها. فإن هذه لا صورة للنقص فيها، والباقي من المراتب يظهر فيها النقص.فإن هذه المراتب الثلاثة، ولو ظهرت للمرء فيها صورة النقص فذلك النقص هو في غاية الكمال وإنما ينتقصه المرء بجهله، وإليه يشير قوله صلى اللّه عليه وسلم: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أفعله. فواللّه أني لأعلمهم باللّه وأخشاهم له.

وأما سقوط حرمته فهي أكبر قاطع عن اللّه، وسقوط الحرمة هي عدم ظهور المبالاة إذا ما أمره أو نهاه. و السلام. انتهت الشروط المحذر منها أي بعضها، حفظنا اللّه من القرب إلى جميعها فضلا عن الوقوع فيها.

ثم قال رضي اللّه عنه ونفعنا بعلومه الزاهرة: ومن أكبر الشروط الجامعة بين الشيخ ومريده هو أن لا يشارك في محبته غيره ولا في تعظيمه ولا في الاستمداد منه ولا في الانقطاع إليه بقلبه ويتأمل ذلك في شريعة نبيه صلى اللّه عليه وسلم، فإن من ساوى رتبة نبيه صلى اللّه عليه وسلم مع رتبة غيره من النبيين والمرسلين في المحبة والتعظيم والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب والتشريع، فهو عنوان على أنه يموت كافرا، إلا أن تدركه عناية إلهية بسبق محبة ربانية. فإذا عرفت هذا، فليكن المريد مع شيخه كما هو مع نبيه صلى اللّه عليه وسلم في التعظيم والمحبة والاستمداد والانقطاع إليه بالقلب، فلا يعادل به غيره في هذه الأمور ولا يشارك غيره.

ومن أكبر القواطع عن اللّه أن ينسب ما عنده من الفتح والأسرار لغير شيخه وذلك لأن الأنوار الإلهية الواردة على العبد والأسرار والمعارف والعلوم والترقي في المقامات، كل نور منها يحن إلى مركزه وهي الحضرة الإلهية التي منها برز وفيها نشأ. فلكل شيخ من أهل اللّه حضرة لا يشترك فيها مع غيره. فإذا ورد منها نور بأمر من الأمور التي ذكرناها ونسب إلى غير تلك الحضرة من الحضرات الإلهية اغتاظ ذلك النور وطار ورجع إلى محله. و صورة ذلك في نسب الحكمة الإلهية أن اللّه قضى في كتابه بنسبة كل ولد إلى أبيه. قال تعالى (ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند اللّه). فمن نسب نورا إلى غير محله من الحضرة الإلهية، فقد أساء الأدب في حضرة الحق وكذب على اللّه، والحضرة لا تحتمل الكذب، فلذا يطرد و يسلب والعياذ باللّه. هـ

قلت وتقدم بعض الشروط في الكلام على قول ابن عطاء اللّه رضي اللّه عنه سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه... الخ. في الأجوبة الأقدسية، فراجعه إن شئت. و سبب ذكر الشيخ رضي اللّه عنه لهذا الفصل المتقدم، و ذلك أني سألته ذات يوم على كلام صاحب الإبريز أنه قال: وسمعته، أي شيخه رضي اللّه عنه مرة يقول أن العبد لا ينال معرفة اللّه تعالى حتى يعرف سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم ولا يعرف سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم حتى يعرف شيخه ولا يعرف شيخه حتى يموت الناس في نظره. فلا يراقبهم ولا يراعيهم. فصل عليهم صلاة الجنازة وانزع من قلبك التشوف إليهم.

قال صاحب الكتاب: فرحمني اللّه بهذا الكلام وكان هو سبب دخول الخير علي. فلما ذكرته لسيدنا قال: إن للشيخ شروطا و حدودا و موارد ، و للشيخ أيضا ثلاث دوائر بعيدة وقريبة ومتوسطة بينهما. فإذا ورد عليه المريد أقبل عليه بما يناسبه من ورد وغيره وأجلسه في دائرته البعيدة وتركه مع جملة عامة المسلمين يذهب حيث شاء، فلا يشترط عليه شيئا من ترك عوائده ولا

يلزمه شيء إلا الورد ويلاحظه من بعد. فإذا رأى فيه بعض نشاط وإقبال على الطريقة وقابليته تؤذن بذلك أدخله الشيخ إلى دائرته المتوسطة ويأمره ببعض أمور وينهاه عن ضدها ولا يشدد عليه ويترك مدة حتى إذا أراد اللّه إدخاله للحضرة وهيأه لها وسرت فيه محبة اللّه و محبة نبيه صلى اللّه عليه وسلم ومحبة شيخه وشمر للخدمة بعزم صادق واعتقاد في وسيلته لا تردد فيه لا ظاهرا ولا باطنا ورآه الشيخ أنه لا قصد عنده في التعلق بالشيخ إلا الخلاص من المهالك الأخروية ليصلح أن يكون عبدا للّه أدخله في دائرته القريبة، فحينئذ يشترط عليه ما ظهر عليه من حاله و وقته.

قال سيدنا رضي اللّه عنه: ففي دخوله للدائرة القريبة يقول له إنك إن خالفتني بعد اليوم تموت كافرا ولا تنفعك التوبة. نسأل اللّه السلامة والعافية من مخالفة أستاذنا في القليل والكثير، و من اختباره وامتحاناته ظاهرا وباطنا آمين.

فلما ذكر لنا هذا الكلام طلبناه بذكر بعض شروط الشيخ، فامتنع أولا وفهمت منه أنه أراد الشفقة على أصحابه أن لا يسمعهم الشروط لأنهم إذا وقع أحد منهم فيها وهو، لم يسمع النهي من أستاذه، فلعله لم يؤاخذه بها فيعفوا اللّه عنه. وأما من وقع فيها بعد سماعه لها فلا عذر له، فهذا سبب توقف الشيخ عن ذكرها أولا واللّه أعلم.

ثم بعد مدة ذكر الشروط المتقدمة من أول الفصل إلى آخره.وذكر رضي اللّه عنه شرطا آخر وهو الطمع فيما في يد الشيخ من دنياه ولو بغرض. قال لي في يوم الثلاثاء الأخير من شهر اللّه صفر عام 1202 : حذر أصحابي من أن يطلبوني سلفا أو غيره من الدنيا، فإنه من أسباب قطع المشيخة بين الشيخ ومريده أن يطلب الدنيا منه. ثم بين سببها رضي اللّه عنه بقوله: وربما يأتي وقت على الشيخ يحتاج إلى ذلك الغرض الذي أرضه لمريده أو للحاجة التي

أعطاها له ولم يوجدا، فينقبض قلب الشيخ أو يتغير، فيهلك الأخذ لها من غير قصد من الشيخ.

وسمعته يقول قبل هذه بسنين: إن من طلب مني الدنيا من أصحابي فذلك حظه مني. قلت وفي طيه أنه لا يناله شيء من أسراره في الدنيا من ولاية وخاصية وسر والله أعلم، و لم أدر هل هذا عام في جميع أصحابه أو خاص بالبعض دون البعض والذي تدل عليه القرائن أنه عام، لأن الذي يظهر من الشيخ أنه لا يحب أحد من أصحابه أن يأخذ شيئا من دنياه بغير إذنه ولو قل ويصرح لهم مرارا لهم بلسانه رضي الله عنه وما ذاك إلا خوفا عليهم مما ذكرنا لأنه معروف بالسخاء والكرم حتى عند المبغضين يشهد بعضهم بسخاء الشيخ رضي الله عنه. فمن هذا علمنا أنه يريد حماية أصحابه من دنياه خوفا عليهم لا رغبة عنهم.

ومما يبين لك هذا ويوضحه أني ذكرت له يوما فساد نية بعض أصحابه فقال سببه ما أخذ مني مما أعطيته وظننت أنه محتاج إليها في ذلك الوقت وهو بدراهمه. ثم قال: ودنياي على أصحابي كالسم، فكل من أخذها وهو غير محتاج إليها وقع له الهلاك أسرع من سريان السم. وقد ذكرنا هذا لجل أصحاب الشيخ، فمنهم من قال سمعنا وأطعنا وشمر عن ساقه فرارا من دنيا أستاذه، ومنهم من قال بلسان حاله سمعنا وعصينا ووسع ظرفه لحملها، ولو بغير إذن متمولها. نسأل الله أن لا يؤاخذنا وإياهم بقبائح مراتعنا ومخالفة أستاذنا آمين. و قد ذكرنا هذا هنا لأنه من أهم الشروط التي نحن بصددها، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيي عن بينة. نسأل الله أن يوفقنا لما فيه صلاحنا آمين.

وبقي شرط آخر خاص بمن فتح عليه من أصحاب الشيخ، جعلنا الله من أهل الفتح الكبير أنه على ذلك قدير وبالإجابة جدير آمين وهو أني سمعته يوما يقول: إذا فتح الله على أصحابي فالذي يجلس منهم عندي في البلاد التي أنا فيها يخاف على نفسه من الهلاك. فقال له بعض أصحابه منك أو من الله؟ فأجابه: من الله

من غير اختيار مني. ذكر هذا في يوم الأحد الثاني في شهر شعبان عام 1202. ثم قال في يوم الاثنين: الخوف المذكور هو على من أذن له من أصحابي في التصرف والتربية للخلق، وأما غيره فلا خوف عليه من جانبي، أي قلت سواء سكن معه في بلده التي هو فيها أم لا. قلت له هذا الأمر لم نعلم أحدا من الأولياء ذكره. فقال كلهم يعلمونه ولكنه مكتوم عندهم. وهذا تحذير لأصحابه لئلا يغتر واحد منهم عند الفتح وتحقيق لولايته رضي اللّه عنه ونفعنا به وجعلنا من حزبه دنيا وأخرى و أخرى و من المتعلقين بأذياله مجانبين لأعدائه آمين. وقد آن لي أن أذيل هذا الفصل من الرائية وإن كانت أجنبية عن كلام الشيخ. قال رضي اللّه عنه:

ثم قال:

و لا تقدمن قبل اعتقادك أنـــــه مرب ولا أولى بها منه في العصـــر

فإن رقيب الالتفات لغيـــــــره يقول لمحبوب السراية لا تســـــري

فقم و اجتنب ما ذمه العلم واجتلـب لما خصه بالمدح فهو جنا الـــــدر

وأن تسم نحو الفقر نفسك فاطـرح هواها و جانبه مجانبة الشـــــــر

وضعها بحجر الشيخ طفلا فمالهـا خروج بلا فطم عن الحجر و الحجـر

ومن لم يكن سلب الإرادة وصفـه فلا يطمعن في شم رائحة الفقـــــر

ولا تعترض يوما عليه فإنـــــه كفيل بتشتيت المريد على هجـــــر

و من يعترض والعلم عنه بمعــزل يرى النقص في عين الكمال ولا يدري

وتمن لم يوافق شيخه في اعتقــاده يضل من الإنكار في لهب الجمـــــر

فذوا العقل لا يرضى سواه وإن نئا عن الحق نائي الليل عن واضح الفجـر

ولا تعرفن في حضرة الشيخ غيره ولا تملأن عينا من النظر الشـــــزر

ولا تنطقن يوما لديه وإن دعـــا إليه فلا تعد لن عن الكلم النـــــــزر

وتلا ترفعوا أصواتكم فوق صوته ولا تجهرو ا جهر الذي هو في قفـــر

ولا ترفعن بالضحك صوتك عنده فلا قبح إلا دون ذلك فاستقـــــــر

ولا تقعدن قدامه متربعـــــا ولا باديا رجلا فبادر إلا الستـــــر

ولا باسطا سجادة بحضـــــوره فلا قصد إلا السعي للخادم البـــــر

وسجادة الصوفي بيت سكونـــه ولا وكر إلا أن يطير عن الوكـــــر

. ثم قال:

و فر إليه في المهمات كلهـــا فإنك تلقى النصر في ذلك الفـــر

و لا تكن ممن يحسن الفعل عنده فيفسد إلا أن يفر إلى الكـــــر

ومن حل من صدق الإنابة منزلا يرى العيب في أفعاله وهو مستبر

انتهى ما أردنا كتبه من هذه الأبيات.

قلت والأصل المعول عليه من الشروط التي ينتفع به المريد من الشيخ هو إعطاء المال له مع المحبة الشديدة و عدواة من يعاديه من غير مبال بشوكته و وعيده

سمعت سيدنا يقول رضي اللّه عنه: كل من يقول لي نحبك فلا نلتفت إليه ولا نصدقه إلا إذا كان قوله مع إعطاء المال فنعلم صدق قوله. قال بعض الإخوان ونحن الذي لم نعط المال لا محبة لنا؟ قال له: بل أنت حبيبنا ودليل محبتك عداوة المبغضين. فعلمنا أن محبة شيخنا محصورة في أمرين وهما بذل المال اللّه وعداوة من عاداه دائما

قال القائل:

حبيبك من يعادي من تعادي ويخصم عنك إذا حضر الخصام

وأنشد بعضهم في هذا المعنى رضي اللّه عنه بيتين و هما:

حبيبي من يعادي من أعادي ويشفي ما بقلبي في الأعادي
و يعلي رايتي بين البرايـــا ويفنى عن هواه في مـرادي

و كثيرا ما يحذر الشيخ رضي اللّه عنه أصحابه من مخالطة المبغضين وعداوتهم ومحبتهم وأكل طعامهم والجلوس معهم، ويقول لهم: إن بغضهم يسري في قلوبكم كالسم. وقد شهدناه في بعض من كان يظهر المحبة للشيخ ويجلس مع المبغضين فما أتى عليه مدة من الزمان حتى رجع في غاية البغض للشيخ. ولولا الفضيحة لذكرتهم لك بأسمائهم. و قد شاع عند عقلاء بعض أصحاب سيدنا أن من صحب أهل الانتقاد هلك أو أصابته مصيبة إما في اعتقاده كما ذكرنا وإما في نفسه أو ماله. قد علمنا أن الشيخ لا

ينطق إلا بالحق، ولذلك أشاع أيضا عنه عامة أصحابه أنه من خالفه لم تنجح له أمور دنياه، فضلا عن آخرته.

قلت والمدار التي تبنى عليه الشروط عند أهل الطريق فيما استقرى من كلامهم هو الاعتقاد الجازم في القدوة والمحبة الثابتة التي لا تتزلزل. فمن اتصف بالوصفين المذكورين من التلامذة ينتفع من شيخه غالبا دنيا وأخرى إلا من لم يسبق له. ومن فاته الوصفان أو أحدهما فلم يقدر الشيخ أن ينفعه لأجل إحسانه أو خدمته ولو كابده مرارا إلا أن تكون له عناية أزلية.

ونبهت هنا بهذا الكلام لأني رأيت بعض أصحاب الشيخ رضي اللّه عنه معه ترديد في الشيخ هل ينفع أم لا، وهل لكلامه الذي صدر منه حق ويزيد الشك في ولايته وتفضيل غيره عليه من الأشياخ. وهذا كله مناف للصحبة كما قدمنا، لأن من شروط الشيخ أن تحبه أكثر من جميع الأشياخ الأحياء والأموات وأن تعظمه أكثر منهم كما تقدم في كلام الشيخ، و أن لا تلتفت لغيره وتزيد مع هذا أن النفع لا يصل إليك إلا على يديه. و مهما خلا قلبك عن هذه الشروط فلا تطمع بالنفع من قدوتك بل اطلب اللّه في اتصافك بهذه الأوصاف المذكورة هي المؤكدة في حقك لأن نفعك مرتب عليها ومشروط بتقدمها فيك و وصفك بها. و الالتفات من أصحاب سيدنا لغيره من الأشياخ أعني من بعضهم لا من جميعهم وكذلك تفضيلهم لبعض الأشياخ الموتى على شيخنا أمران: إما نسبة بين الملتفت والشيخ الملتفت إليه، وهو الكثير في أصحاب سيدنا من أهل هذا الوطن، وأما لتعلق أسلاف الملتفت لبعض الأشياخ، وما ذلك إلا لجهلهم بالشروط التي ذكرناها.

وبعضهم إذا ذكرنا له شروط الشيخ أو بعضها نصيحة للأخُوَّة التي بيننا وبينهم من شيخنا صدقها بظاهره، وإذا قام من عندنا قال: يريد فلان منا أن نسب آباءنا وإخواننا أعني من هو مثله في الاعتقاد. ومَثَلُ من اتصف بهذا الوصف يسمى عند أهل الطريق

منافقا في حق شيخه. وبعض أصحاب سيدنا أعني من هو معروف عند العامة إذا قيل له: سيدي فلان هو شيخك، أعني سيدنا، يقول لهم: لا بل نحن أحباب فقط و يأنف من المشيخة له، ولا يقول هذا إلا إذا كان عند من يبغض شيخنا فيخاف أن ينتقصه أو لم يحسنوا إليه. والعجب أنه يقول أني عند أمر الشيخ ونهيه، وكيف يتأتى له هذا وهو يحب المبغضين ويحسن إليهم، وذلك لا مدارات منه ولا خوف وإنما طبيعته اقتضت هذا. وقد سمعت من كلام الشيخ فيمن يحب المبغضين من أصحابه، و ليست أقصد واحدا من أصحاب سيدنا بعينه، وإنما أفردت ذكره تنكيرا للفاعل، فإنه غير واحد.

وسألت سيدنا رضي اللّه عنه عمن يشك في ولايته من أصحابه أو يفضل عليه غيره أو يحبه أكثر من سيدنا، هل ينتفع بك من شيء إذا أحسن إليك بخدمة أو مال؟ فأجاب: لا و كذلك إذا ساواه مع غيره فلا ينتفع. قال بعض أهل الطريق رضي اللّه عنه عن شيخه وسمعته رضي اللّه عنه يقول أن الولي إنما يعتبر من القاصد إليه بباطنه، و أما ظاهره، فلا عبرة به عنده. والقاصدون على أربعة أقسام: قسم يستوي ظاهره وباطنه في الاعتقاد، وهذا أسعدهم. وقسم يستوي ظاهره وباطنه في الانتقاد وهذا أبعدهم. وقسم ظاهره معتقد وباطنه منتقد، و هذا على الولي كالمنافق بالنسبة إلى النبي صلى اللّه عليه وسلم. فإذا نظر الولي إلى ظاهره، و يريد نفعه منعه الباطن. ثم قال بعد كلام وأما القسم الرابع وهو من يكون باطنه معتقدا و ظاهره منتقدا فلا يتصور إلا مع الحسد. نسأل اللّه السلامة. انتهى من الإبريز في مناقب مولاي عبد العزيز.

وما ذكرته في أصحاب سيدنا من الكلام المتقدم إنما هو من باب النصيحة لهم لما رأيت في أكثرهم من الجهل بشروط الشيخ. ولست منتقصا لحرمتهم بعد أن سمعت كلام سيدنا في حقهم. قال:فإن لنا مرتبة تناهت في العلو عند اللّه إلى حد يحرم

ذكره، ليس هي ما أفشيته لكم، ولو صرحت بها لأجمع أهل الحق والعرفان على كفري فضلا عمن عداهم، و ليست هي التي ذكرت لكم بل هي من ورائها. و من خاصية تلك المرتبة أن من لم يحافظ على تغير قلبي من أصحابنا بعدم حفظ حرمة أصحابنا طرده اللّه عن قربه وسلبه ما منحه. انتهى من خطه رضي اللّه عنه.

وقد أطلت الكلام في هذا الفصل حرصا على الخير للمسلمين خصوصا أصحاب سيدنا لما رأيتهم يكثرون من حرمة الشيخ والإسراع فيها وكثرة الإحسان لسيدنا فشفقت من حالهم أن تضيع صحبتهم مجانا، فنبهتهم بهذا وبينته بكلام ظاهر لا إشكال فيه لأن كلام أهل الطريق لا يفهمه إلا خصوص من الناس. فلذلك عبرنا هنا بعبارة عامية لأن المقصود الفهم والعمل لا تغميض العبارة المؤدي إلى الملل، فقد اتضح الأمر والحمد للّه. فمن شاء فليدخل طريق سيدنا و له في عاقبة أمره الخير الجزيل والإكرام، و من شاء فليخرجها ويذهب بغير سلام.انتهى فصل الخوف من القطيعة. ولنرجع إلى بعض علوم الشيخ رضي اللّه عنه ونفعنا به آمين.

و منها بعض وصاياه وأكتبها في هذا المحل للمناسبة التي بينها وبن الفصل المتقدم، وأجمعها في باب وأسميه:

باب انتفاع الإخوان ببعض وصايا شيخنا قطب الزمان

الوصية الأولى

قال رضي اللّه عنه بعد حمد اللّه جل جلاله وعز كبرياؤه و تعالى عزه وتقدس مجده و كرمه، يصل الكتاب إلى كافة من كان بفاس وبالغرب من الإخوان والفقراء. السلام عليكم و رحمت اللّه وبركاته يتراكم بدوام ملك اللّه. من العبد الفقير أحمد بن محمد التجاني. وبعد، نسأل اللّه جلت قدرته وتعالت عظمته أن ينظر في جميعكم بعين المحبة و الرضا و العناية و إفاضة الفضل و الاصطفاء و الاجتباء حتى لا يدع لكم خيرا من خيرات الدين والدنيا والآخرة إلا أتاكم منه أكبر حض و نصيب و لا يترك شرا من شرور الدين و الدنيا و الآخرة إلا أبعدكم منه و وقاكم منه و حتى لا يترك لكم ذنبا كبيرا ولا صغيرا إلا أغرقها في بحر عفوه وكرمه وحتى لا يترك لكم مطالبة بالذنوب إلا صفح عنها وعفا و حتى لا يترك لكم حاجة ولا مطلبا في غير معصية اللّه إلا أسرع لكم بإعطائه وأمدكم فيه بالمعونة والتأييد في إمضائه، أن طابق سابق الحكم. فإن لم يطابق سابق الحكم، فنسأل اللّه أن يعوض لكم في جميع ذلك ما هو خير منه و أعلا منه وحتى لا يترك لكم شرا من الشرور الواردة على أيدي الخلق إلا جعل بينكم وبينها جندا من سطوته وسلطانه إن لم تكن محتمة في سابق الحكم. فإن كانت محتمة في سابق الحكم، فنسأل اللّه أن يمدكم فيها بكمال اللطف والمعونة والتيسير والتسهيل حتى تنفصل عنكم وأنتم منها في عافية.

وأوصيكم بتقوى اللّه وارتقاب المؤاخذة في الذنوب، فإن لكل ذنب مصيبة لا يخلو العبد عنها. والمصيبة واحدة في الدنيا و واحدة في الآخرة. فمصيبة الآخرة واقعة قطعا إلا أن تقابل بالعفو منه سبحانه و تعالى. ومصيبة الدنيا واقعة بكل من اقترف ذنبا إلا

أن يرفعها وارد إلهي بصدقة لمسكين أو صِلة رحم بمال أو تنفيس عن مديان بقضاء الدَّين عنه أو بعفوه عنه إن كان له، وإلا فهي واقعة. فالحذر الحذر من مخالفة أمر اللّه. وإن وقعت مخالفة – والعبد غير معصوم- فالمبادرة بالتوبة والرجوع إلى اللّه. و إن لم يكن ذلك عاجلا، فليعلم العبد أنه ساقط من عين الحق متعرض لغضبه إلا أن يمن عليه بعفوه ويستديم في قلبه انه مستوجب لهذا من اللّه فيستديم بذلك انكسار قلبه و انحطاط رتبته في نفسه دون تعزز. فما دام العبد على هذا، فهو على سبيل خير.

وإياكم والعياذ باللّه من لباس حلة الأمان من مكر اللّه في مقارفة الذنوب باعتقاد العبد أنه آمن من مؤاخذة اللّه له في ذلك. فإن من وقف هذا الموقف هذا الموقف بين يدي الحق تعالى ودام عليه فهو دليل على أنه يموت كافرا.و ما سمعتم من الخاصية في الورد فهي واقعة لا محالة.

و إياكم والتفريط في الورد ولو مرة من الدهر، وشرط الورد المحافظة على الصلاة والأمور الشرعية. و إياكم ولباس حلة الأمان من مكر اللّه في الذنوب، فإنها عين الهلاك، وترك المقاطعة مع جميع الخلق والعداوة. وأكد ذلك بينكم وبين الإخوان. وزوروا في اللّه و واصلوا في اللّه وأطعموا في اللّه ما استطعتم من غير تعسير ولا كد. وعليكم بالصبر في أمر اللّه فيما وقع من البلايا و المحن، فإن الدنيا دار الفتن و بلاياها كأمواج البحر. و ما أنزل اللّه بني آدم في الدنيا إلا لمصادمة فتنها و بلاياها، فلا مطمع لأحد من بني آدم في الخروج عن هذا ما دام في الدنيا. والصبر بحسب أحواله، كل على قدر طاقته.

واعملوا في نفوسكم سلوة إذا نزلت البلايا و المحن بأحدكم، فعلمه أن لهذا خلقت الدنيا ولهذا بنيت. وما نزلها الآدمي إلا لهذا الأمر. و كل الناس راكضون في هذا الميدان، فليعلم أنه كأحدكم مساو له.

واعلموا أن الذنوب في هذا الزمان لا قدرة لأحد على الانفصال عنها، فإنها تنصب على الناس كالمطر الغزير، لكن أكثروا من مكفرات الذنوب، وآكد ذلك صلاة الفاتح... الخ، فإنها لا تترك من الذنوب شادة ولا فادة. و كصلاة التسبيح، فإنها معلومة. و مما هو في هذا المعنى يلازمه الإنسان كل يوم ثلاث مرات: اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي. وكذلك وظيفة اليوم والليلة: لا إله إلا اللّه واللّه أكبر، لا إله إلا اللّه وحده، لا إله إلا اللّه و لا شريك له، لا إله إلا اللّه له الملك وله الحمد، لا إله إلا اللّه ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم. وكذلك الدعاء السيفي لمن يقدرعلى حفظه. وكذلك هذا الاستغفار: اللهم إني أستغفرك لما تبت إليك منه عدت فيه وأستغفرك لما وعدتك به من نفسي ثم أخلفتك فيه وأستغفرك لما أردت به وجهك فخالطني فيه ما ليس لك وأستغفرك للنعم التي أنعمت علي فتقويت بها على معاصيك، وأستغفر اللّه الذي لا إله إلا هو الحي القيوم عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم لكل ذنب أذنبته ولكل معصية ارتكبتها ولكل ذنب أتيت به أحاط علم اللّه به، وكذلك دعاء يا من أظهر الجميل وستر القبيح

ثم قال رضي اللّه عنه: وكل من كان في محبتنا إلى أن مات عليها يبعث من الآمنين على أي حالة كان ما لم يلبس حلة الأمان من مكر اللّه وكذلك آخذ وردنا يبعث من الآمنين ويدخل الجنة بغير حساب هو و والداه و أزواجه و ذريته المنفصلة عنه لا الحفدة بشرط الاعتقاد وعدم نكث المحبة و عدم الأمن من مكر اللّه كما قدمنا ويكون في جوار النبي صلى اللّه عليه وسلم في أعلا عليين، و يكون من الآمنين من موته إلى دخول الجنة والسلام عليكم ورحمت اللّه تعالى وبركاته. ثم

الوصية الثانية

قال رضي الله عنه بعد حمد الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه يصل الكتاب إلى كافة أحبابنا فقراء فاس وما بإزائها، حفظ الله جميعكم من المحن ومن معضلات الفتن آمين. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تعمكم و تعم أحوالكم.

من محبكم احمد بن محمد التجاني. و بعد، أوصيكم بما أوصاكم الله وأمركم به من حفظ الحدود و مراعاة الأمر الإلهي على حسب جهدكم واستطاعتكم، فإن هذا زمان انهدمت فيه قواعد الأمر الإلهي جملة وتفصيلا وانهمك الناس فيما يضرهم دنيا وأخرى بحيث أن لا رجوع ولا يقظة لما يعَرِّف القلوب إلى الله والوقوف عند حدوده أمرا ونهيا. و لا طاقة لأحد بتوفية أمر الله من كل وجه في هذا الوقت إلا لمن لبس حلة المعرفة أو قاربها. ولكن حيث كان الأمر كما ذكر ولم يجد العبد مصرفا عما أقامه الله فيه، فالأبقع خير من الأسود كله. فاتركوا مخالفة الله ما استطعتم وقوموا بأمره على حسب الطاقة. واجعلوا لأنفسكم عدة من مكفرات الذنوب في كل يوم وليلة و هي أمور كثيرة كتبنا لكم منها في الوصية الأولى نبذة كافية. وأيضا من ذلك الحزب السيفي لمن اتخذه وردا صباحا و مساء، و هي أقل ذلك مرة مرة ، وأكثره لا حد له. و من ذلك المسبعات العشر لمن اتخذها وردا صباحا ومساء.و من ذلك صلاة الفاتح الخ وأقلها مائة في الصباح ومائة في المساء فلا يلحقها في هذا

الميدان عمل من أي عامل ولا ينتهي إلى غايتها أمل من أي آمل. وأديموا الصلاة المفروضة في الجماعات بالمحافظة، فإنها متكفلة بالعصمة من جميع المهلكات إلا في نبذ قليلة توجب العقوبات. و أن للّه سبحانه و تعالى للمداوم عليها عناية عظيمة. فكم يجبر له من كسرة، وكم يستر له من عورة، وكم يعفو له من زلة، وكم يأخذ بيده في كل كبوة.

و عليكم بالمحافظة على ذكر اللّه والصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم ليلا ونهارا على حسب الاستطاعة وعلى قدر ما يعطيه الوقت والطاقة من غير إفراط ولا تفريط. واقصدوا بذلك التعظيم والإجلال للّه ولرسوله صلى اللّه عليه وسلم والتحلي في ذلك بالوقوف في باب اللّه طلبا لمرضاته ولا لطلب حظ، فإن للعامل بذلك عناية من اللّه عظيمة يجد بركتها في العاجل والآجل و يجد حلاوة لذتها فيما له آمل وهي في الخواص والأسرار كالمحافظة على الصلوات في الجماعة سواء بسواء.

و عليكم بالمحافظة على الصدقات في كل يوم وليلة إن استطعتم ولو فلس نحاس أو لقمة واحدة بعد المحافظة على أداء المفروضات المالية فإن عناية اللّه تعالى بالعامل في ذلك قريب من محافظة المفروضات في الجماعات.

و ليكن من جملة أورادكم التي تحافظون عليها بعد الورد الذي هو لازم الطريقة الحزب السيفي وصلاة الفاتح لما أغلق، فإنهما يغنيان عن جميع الأوراد ويبلغان بفضل اللّه تعالى غاية المراد ولا يفي بقدرهما عمل.

و عليكم بصلة الأرحام من كل ما يطيب القلب و يوجب المحبة و لو بتفقد الحال و إلقاء السلام. و تجنبوا معاداة الأرحام و عقوق الوالدين و كل ما يوجب الضغينة في قلوب الإخوان. و تجنبوا البحث عن عورات المسلمين، فإن من تتبع ذلك فضح اللّه عورته و هتك عورة بنيه من بعده. و أكثروا العفو عن الزلل والصفح عن الخلل لكل مؤمن. وآكد ذلك لمن واخاكم في الطريقة،

فإن من عفا عن زلة عفا الله له عن زلات كثيرة. و من وقع فيكم بزلة ثم جاءكم معتذرا، فأقبلوا عذره وسامحوه لكي يقبل الله أعذاركم و يسامحكم في زلاتكم. فإن شر الإخوان عند الله من لا يقبل عذرا و لا يقيل عثرة. وتأملوا قوله سبحانه و تعالى (سارعوا إلى مغفرة من ربكم) إلى قوله: والله يحب المحسنين.

وعليكم بالغفلة عن شر الناس وعدم المبالاة بما يجري منهم من الشرور. وعليكم بالصفح والتجاوز عنهم، فإن مقاشحة الناس عما يبدو منهم وعدم العفو عنهم يوجب للعبد عند الله البوار في الدنيا والآخرة. و كلما دنوت بمقابلة شر بمثله تزايدت الشرور وتنكسر بالعبد قوائمه في جميع الأمور، فلا مقابلة للشر إلا الغفلة والعفو والمسامحة.

وعليكم بعدم الاعتراض على الناس فيما أقامهم الله فيه مما ليس بمحمود طبعا ولا شرعا، فإن أمورهم تجري على المشيئة الإلهية. فهم مقبوضون في قبضة الله لا محيد لهم عن حكمه وجميع أمورهم تصدر عن قضائه وقدره إلا ما أوجب الشرع القيام به عليهم أمرا و زجرا بحسب العوارض النائبات في بعض الأزمان لا كل الأزمان وفقوا عند قوله صلى الله عليه وسلم: مروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بخويصة نفسك. وقوله صلى الله عليه وسلم : من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

وعليكم بمناصحة إخوانكم في الطريقة برفق ولين وسياسة من غير ضغينة ولا حقد ويجعل كل واحد منكم وقتا يذكر الله تعالى فيه و يتعبّد له في خلوة أقل ذلك عدد الورد الذي هو لازم للطريقة، فإن العامل بذلك يجد بركته في جميع مآربه وتصرفاته.

وعليكم بطاعة المقدم بإعطاء الورد مهما أمركم بمعروف أو نهاكم عن منكر أو سعى في إصلاح ذات بينكم. وعليكم بملازمة الوظيفة المعلومة لمن استطاع صباحا ومساء وإلا مرة واحدة في الصباح أو المساء تكفي ، وخففوا من وردها أن ثقلت عليكم واجعلوها خمسين من صلاة الفاتح إلخ والاستغفار إن شئتم اذكروا استغفر اللّه العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، ثلاثين مرة يكفي عن الاستغفار مائة في الوظيفة.

وأوصى من كان مقدما على إعطاء الورد أن يعفو للإخوان على الزلل وأن يبسط رداء عفوه على كل خلل، و أن يتجنب ما يوجب في قلوبهم ضغينة أو شينا أو حقدا وأن يسعى في إصلاح ذات بينهم وفي كل ما يوجب في قلوبهم بعضهم على بعض. وإن اشتعلت نار بينهم سارع في إطفائها ، وليكن سعيه في ذلك طلبا في مرضات اللّه تعالى لا لحظ زائد على ذلك، وأن ينهى من رآه يسعى في النميمة بينهم ويزجره برفق وكلام لين وعليه أن يعاملهم بالرفق والتيسير والبعد عن التنفير والتعسير في كل ما يأمرهم به أو ينهاهم عنه من حقوق اللّه وحقوق الإخوان ويراعي في ذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم: يسروا ولا تعسرا وبشروا ولا تنفروا. وعليه أن يتباعد عن تغريم دنياهم وان لا يلتفت لما في أيديهم معتقدا أن اللّه تعالى هو المعطي والمانع والخافض والرافع. وليجعل همته في تحرير دنياهم في أيديهم من التشتيت و التبدير. و أن لا يطلبهم بإعطاء شيء لا من القليل ولا من الكثير إلا ما سمحت نفوسهم ببذله من غير طلب فإن عقول الناس حول هذا المطاف تدور وعلى هذه الأقدار تجري بهم جميع الأمور. وسلموا لعامة ولاة الأمر ما أقامهم اللّه فيه من غير تعرض لمنافرة أو تبغيض أو تنكير، فإن اللّه الذي أقام خلقه فيما أراد ولا قدرة لأحد أن يخرج الخلق عما أقامهم اللّه فيه.

واتركوا التعرض للرياسة وأسبابها فإنها كعبة تدور تطوف بها جميع الشرور وهي مقر الهلاك في الدنيا والآخرة.

ومن ابتلي منكم بمصيبة أو نزلت به من الشرور نائبة فليصبر بانتظار الفرج من اللّه فإن كل شدة لا بد لها من غاية وكل كرب لا بد له من فرج وإن ضاق به الحال فعليه بالتضرع والابتهال حتى يبلغ بالفرج من اللّه غاية الآمال. ولا تجزعوا من المصائب و البليات، فإن اللّه سبحانه وتعالى ما أنزل العباد في دار الدنيا إلا لمصارف الأحكام الإلهية والأقدار الربانية مما تضيق منه النفوس من أجل البلاء والبؤس. و لم يجد العباد مصرفا عن هذا ولا إمكان للعبد من التمكن من دوام الراحة من كل بلاء في الدنيا، بل على العاقل أن يعلم أن أحوال الدنيا أبدا متعاقبة بين ساعات انقباض وانبساط وخيرات وشرور وأفراح وأحزان لا يخرج أحد ممن سكن الدنيا على هذا المقدار. فإن نزلت مصيبة أو ضاقت نائبة، فليعلم أن لها وقتا تنتهي إليه ثم يعقبها الفرج و السرور. فإن من عقل هذا عن اللّه في تصاريف دنياه تلقى كل مصيبة بالصبر و الرضا بالقضاء والشكر التام على النعماء والسلام. انتهى

ثم الوصية الثالثة

قال رضي اللّه عنه: بعد حمد اللّه جل ثناؤه يصل الكتاب إلى كافة أحبابنا الفقراء كل واحد باسمه وعينه عموما من غير تخصيص. السلام عليكم ورحمت اللّه تعالى و بركاته. من أحمد بن محمد التجاني. وبعد، نسأل اللّه سبحانه وتعالى لكافتكم وعامتكم أن يفيض عليكم بحور العناية والمحبة منه و الرضا منه سبحانه وتعالى على طبق ما منح من ذلك أكابر العارفين من عباده وأهل الخصوصية حتى تكون عنده جميع مساويكم ممحوة غير مؤاخذين بها وجميع ذنوبكم وآثار سهوكم مقابلة بالصفح والتجاوز منه غير مقابَلين بها. ونسأله سبحانه وتعالى أن يكتبكم جميعا في ديوان أهل السعادة الذي ما كتب فيه إلا أكابر أوليائه وأهل خصوصيته بوجه لا يمكن المحو ولا التبديل وأن يكحل بصائركم بنوره الذي رشه على الأرواح في الأزل وأن يواجهكم بفضله في الدنيا والآخرة وأن ينظر فيكم بعين رحمته التي من نظر إليه بها صرف عنه جميع مكاره الدنيا والآخرة.

هذا وليكن في علمكم أن جميع العباد في هذه الدار أغراض لسهم مصائب الزمان إما بمصيبة تنزل أو بنعمة تزول أو بحبيب يفجع بموته أو هلاكه أو غير ذلك مما لا حد لجمله وتفصيله.فمن نزل به منكم مثل ذلك، فالصبر الصبر لتجرع مرارتها فإنه لذلك نزل العباد في هذه الدار. ومن كبا به منكم جواده عن تحمل ثقلها ومقاومة ما يطرأ عليه من أعبائها، فعليه بملازمة

أحد الأمرين أو هما معا وهو أكمل: الأول ملازمة يا لطيف ألفا خلف كل صلاة إن قدر وإلا ألفا في الصباح وألفا بالليل، فإنه بذلك يسرع خلاصه من مصيبته. والثاني مائة صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بالفاتح لما أغلق الخ ويهدي ثوابها له صلى الله عليه وسلم أن قدر مائة خلف كل صلاة وإلا مائة صباحا ومائة في مساء و ينوي بهما – أعني اللطيف والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم التي يهدي ثوابها له أن ينقذه الله من جميع وحلته ويجعل خلاصه من كربته فإنه تسرع له الإغاثة في أسرع وقت. وكذلك من كثرت عليه الديون وعجز عن أدائها أو كثر عياله واشتد فقره وانغلقت عليه أبواب أسباب المعاش فليفعل ما ذكرنا من أحد الأمرين أو هما معا فإنه يرى الفرج من الله عن قريب. ومن دهاه خوف هلاك متوقع نزوله به من خوف ظالم ولا يقدر على مقاومته أو خاف من صاحب دين لا يجد منه عذرا ولا إمهالا ولا يجد منه عذرا و لا إمهالا و لا يجد من المال ما يؤديه له أو أي أمر من كل مخوف فليلازم ما ذكرنا من أحد الأمرين أو هما معا لأنه ينقشع عنه قريب. و إن أسرع مع ذلك بصدقة قلّت أو كثرت بنية دفع ما يتوقعه من المخوف أو بنية تعجيل الخلاص من ألمه وكربه، كانت أجدر في إسراع الخلاص والفرج-(وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة).

و إياكم ثم إياكم أن يهمل أحدكم حقوق إخوانه مما هو جلب مودة أو دفع مضرة أو إغاثة على كربه، فإن من ابتلي بتضييع حقوق الإخوان ابتلي بتضييع الحقوق الإلهية. و الله في عون العبد، ما دام العبد في عون أخيه.

وصونوا قلوبكم إذا رأيتم أحدا فعل حقا يخالف هواكم أو هدم باطلا يخالف هواكم أن تبغضوه أو تؤذوه، فإن ذلك معدود من الشرك عند الله تعالى. فقد قال صلى الله عليه وسلم: الشرك في أمتي أخفى من دبيب النمل على الصفا، وأقل ذلك أن تحب على باطل

أو تبغض على حق، أو كما قال صلى اللّه عليه وسلم مما معناه هذا.

وكذا صونوا قلوبكم عمن فعل باطلا أو هدم حقا يطابق هواكم أن تحبوه أو تثنوا عليه، فإن ذلك معدود من الشرك عند اللّه تعالى. فإن المؤمن يحب الحق ويحب أهله ويحب أن يقام الحق ويعمل به ويبغض الباطل ويبغض أهله ويبغض أن يقام الباطل ويعمل به. والسلام.

استدراك

ما ذكرنا من مراعاة حقوق الإخوان، فليكن ذلك في غير حرج ولا ثقل ولا كلفة بل بما تيسر وأمكن في الوقت، إلا أن يكون في بعض العوارض يخاف من أخيه العداوة والقطيعة أو فساد القلب، فليسرع لإصلاح قلبه، فإن ذلك يستجلب الرضا من اللّه تعالى. وأما ما ذكرنا من بغض أهل الباطل، فليكن ذلك محله القلب فقط، و إن خرج إلى جارحة من الجوارح أدى إلى منكر أعظم منه. فترك إخراجه من القلب إلى الجوارح أولى والسلام. انتهت.

ومن وصاياه لبعض الإخوان رضي اللّه عنه ونفعنا به آمين

ثم الذي أعظك به وأوصيك به، عليك باللّه تعالى في سرك وعلانيتك بتصفية قلبك من مخالفة أمره والتعويل على اللّه بقلبك والرضا بحكمه في جميع أمورك والصبر لمجاري مقاديره في كل أحوالك. واستعن على جميع ذلك بالإكثار من ذكر اللّه قدر الاستطاعة بحضور قلبك، فهو معين لك على جميع ما أوصيتك عليه. وأكبر ذكر اللّه فائدة وأعظمها جدوى وعائدة هي الصلاة على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مع حضور القلب، فإنها متكفلة بجميع مطالب الدنيا والآخرة دفعا وجلبا في كل شيء. وأن من أكثر استعمالها، كان من أكبر أصفياء اللّه.

والأمر الثاني مما أوصيك به هو ترك المحرمات المالية شرعا أكلا ولباسا ومسكنا، فإن الحلال هو القطب الذي تدور عليه أفلاك سائر العبادات، ومن ضيعه ضيع العبادة. وإياك أن تقول أين نجده، فإنه كثير الوجود في كل أرض وفي كل زمان، لكن

يوجد بالبحث عن توفية أمر اللّه ظاهرا و باطنا ومراعاة ضرورات الوقت إن لم يوجد الحلال الصريح. وهذا المحل يحتاج إلى فقه دقيق واتساع معرفة بالأحكام الشرعية. ومن كان هكذا لم يصعب عليه وجود الحلال.

والأمر الذي لا بد منه بعد هذا، و هو بداية جميع الأمور ونهايتها، هو تعلق القلب باللّه بالانحياش إليه والرجوع إليه وترك ما سواه عموما وخصوصا. فإن قدر العبد على ارتحال القلب إلى اللّه بكل وجه وعلى كل حال بحركة القلب حسا، فهو الغاية، وإن لم يقدر فليلازم بعد كل صلاة هذا الدعاء ثلاثا أو سبعا، ثم يمر به على قلبه في غير الصلوات، وبحمل نفسه عليه، يصير له ذلك حالا. والدعاء هو هذا:

اللهم عليك معولي وبك ملاذي وإليك التجائي وعليك توكلي وبك ثقتي وعلى حولك وقوتك اعتمادي وبجميع مجاري أحكامك رضاي وبإقراري بسريان قيوميتك في كل شيء وعدم احتمال خروج شيء دق أو جل عن علمك وقهرك حتى لحظة سكوني. انتهى. فإذا داوم عليه، كل ما رأى من أحوال النفس ما لا يطابق هذا الدعاء، ذكّر نفسه بمعاني ذلك الدعاء وصبر على حمل نفسه، سهل عليه حينئذ تعلق القلب باللّه برفض كل ما سواه. وهذا باب كبير من العلم يعلمه من ذاق أدنى شيء من علوم الرجال ويعلم قدره، فلا تهمله.

وعليك بإصلاح نفسك قدر الاستطاعة، فإن العمر قصير والسفر طويل والعقبة صعبة والحمل ثقيل والحساب بين يدي اللّه شديد والعمل بأمر اللّه هو المنجي من جميع هذه الأمور. قال الشيخ الصالح والصدر المبرز العارف باللّه سيدي محمد بن السماك رضي اللّه عنه: من أقبل على اللّه بقلبه أقبل اللّه عليه برحمته وصرف وجوه الناس إليه. ومن أعرض على اللّه أعرض اللّه عنه جملة. ومن كان مرة مرة، فإن اللّه يرحمه وقتا ما.

و الحاصل، عليك باللّه برفض ما سواه، وإذا ابتليت بمعاملة الناس ومخالطتهم فخالطهم للّه وعاملهم للّه، فإن اللّه يحب الإحسان إلى خلقه.

وأكبر ما أحظك عليه هو كثرة الصلاة بحضور القلب على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، فهو الكنز الأكبر والذخر الأفخر. انتهت

ومما أوصى به رضي اللّه عنه جميع تلاميذ أينما كانوا

ونص الوصية

قال رضي اللّه عنه: أما بعد فأوصيكم بما أوصى اللّه به قال. سبحانه وتعالى (ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا اللّه). و قال سبحانه وتعالى (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا...) إلى قوله سبحانه و تعالى: (أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين). وقال سبحانه وتعالى (واعتصموا بحبل اللّه جميعا ولا تتفرقوا). وقال سبحانه وتعالى:(ومن يتق اللّه يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب...) إلى قوله (قد جعل اللّه لكل شيء قدرا). وقال سبحانه وتعالى: (ومن يتق اللّه يجعل له من أمره يسرا) إلى قوله (ويعظم له أجرا).

واعلموا أن التقوى قد صعب مرامها وتناءت بعدا عن أن تمد يد أحد خطامها وكلت الهمم دونها، فلا يصل فيه أحد سألها واحتكامها

إلا الفرد الشاذ النادر لما طبعت عليه القلوب و النفوس من الإدبار عن اللّه وعن أمره بكل وجه واعتبار، و وحلها في رتع أحوال البشرية وحلا لا مطمع لها في الانفكاك عنه. وهذا حال أهل العصر في كل بلد من كل ما على الأرض إلا الشاذ النادر الذي عصمه اللّه تعالى. وبسبب ما ذكرنا هاج بحر الأهوال والفتن و طما يم المصائب والمحن وغرق الناس فيه كل الغرق وصار العبد كلما سأل النجاة من مصيبة وعصم منها اكتنفته مصائب. و في هذا قيل: سيأتي على الناس زمان تتراكم فيه بحور المحن والفتن، فلا ينفع فيها إلا دعاء كدعاء الغريق.

وليكن ملازمتكم الأمر المنجي لما ذكرنا أو مطفئ لأكثر نيرانه وهو كثرة الاستغفار والصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم وذكر لا إله إلا اللّه مجردة وذكر (لا إله إلا اللّه أنت سبحانك أني كنت من الظالمين) و قوله (حسبنا اللّه ونعم الوكيل)، فإنه بقدر الإكثار من هذه الأذكار تتناءى عن العبد كثرة المصائب وشرور الأوزار. وبقدر تقليله منها يقل بعده عن المصائب والشرور. و ليكن لكل واحد منكم قدر من هذه الأذكار على قدر الطاقة.

وعليكم بكثرة التضرع والابتهال لمن له كمال العز و الجلال، فإن اللّه كريم بعباده ودود. فإنه أكرم وأعظم فضلا من أن يتضرع إليه متضرع أحاطت به المصائب والأحزان ومد إليه يديه مستعطفا نواله راجيا كرمه وأفضاله أن يرده خائبا أو يعرض عنه برحمته. و العاجز من عجز حتى على التضرع والابتهال. ومن ضيع نفسه من اللّه، فلا جابر له.

وليكن لكم بباب اللّه لمات على مرور الساعات و كرور الأوقات، فإن من اعتاد ذلك في كرور أوقاته غشيته من رحمة اللّه ونفحاته ما يكون ماحقا لمصائبه وكدوراته أو مسهلا لثقل أعباء ما ثقل عليه من ملماته. فإن اللّه سبحانه وتعالى غني كريم يستحي لكرمه إذا رأى عبدا قد تعود الوقوف في بابه ولو في أقل

الأوقات أن يسلمه للمصائب التي لا مخرج له منها أو يدحه بهلكة يعز عليه الخلاص منها. احفظوا هذا العهد واركضوا في هذا الميدان و لو في أقل قليل من مرور اليوم والليلة تجدوا التيسير في جميع الأمور و الخلاص من كثير من الشرور. وإن قدر الواحد على إن يكون تضرعه في كل ليلة:

إلهنا أنت المحرك والمسكن لكل ما وقع في الوجود من الخيرات والشرور وفي حكمك الحل والعقد لجميع الأمور، وبيدك وعن مشيئتك تصاريف الأقدار والقضاء المقدور، وأنت أعلم بعجزنا وضعفنا وذهاب حولنا وقوتنا عن تباعدنا مما يحل بنا من البلاء والشرور، وعن اتصالنا بما نريد الوقوع فيه من الخيرات وما يلاءم أغراضنا في جميع الأمور. وقد وقفنا ببابك، والتجأنا لجنابك و وقفنا على أعتابك مستغيثين بك في صرف ما يحل بنا من الشرور ، وما ينزل بنا من الهلاك مما يجري به تعاقب الدهور مما لا قدوة لنا على تحمله ولا قوة لنا على طله، فضلا عن وبله، وأنت العفو الكريم والمجيد الرحيم الذي ما استغاث بك مستغيث إلا أغثته ولا توجه إليك مكروب يشكوا كربه إلا فرجته ولا ناداك ضرير من أليم بلائه إلا عافيته ورحمته. وهذا مقام المستغيث بك والملتجئ إليك، فارحم ذلي وتضرعي بين يديك وكن لي عونا وناصرا ودافعا لكل ما يحل بي من المصائب والأحزان. ولا تجعل عظائم ذنوبي حاجبة لما ينزل إلينا من فضلك ولا مانعة لما تتحفنا به من طولك. و عاملنا في جميع ذنوبنا بعفوك وغفرانك وفي جميع زلاتنا وعثراتنا برحمتك وإحسانك، فإنا لفضلك راجون وعلى كرمك معولون ولنوالك سائلون ولكمال عزك وجلالك متضرعون، فلا تجعل حظنا منك الخيبة والحرمان ولا نيلنا من فضلك الطرد وخذلان، فإنك أكرم من وقف ببابه السائلون وأوسع مجدا من كل من طمع فيه الطامعون، فإنه لك المن الأعظم والجناب الأكرم وأنت أعظم كرما وأعلى مجدا من أن يستغيث

بك مستغيث فترده خائبا أو يستعطف أحد نوالك متضرعا إليك، فيكون حظه منك الحرمان. لا إله إلا أنت يا علي يا عظيم يا مجيد يا كريم يا واسع الجود يا بر يا رحيم. (عشرين مرة) تذكر هذه الأسماء من قولك: لا إله إلا أنت الخ، ثم صلاة الفاتح لما أغلق (عشرا) في أوله وعشرا في آخره. فإن المداومة لهذا الدعاء في كل ليلة سبعا أو خمسا أو ثلاثا تدفع عنه كثيرا من المصائب والأحزان، وإن تحتم عليه نزولها نزل به لطف عظيم فيها. انتهى.

ومما أوصى به أيضا رضي الله عنه جميع تلاميذه

ما نصه: بعد السلام عليكم ورحمة اللّه. أما بعد فالذي أوصيكم به وإياي المحافظة على قوله صلى اللّه وسلم: ثلاث منجيات و ثلاث مهلكات. فإما المنجيات فتقوى اللّه في السر والعلانية وكلمة الحق في الرضا والغضب والقصد في الغنى والفقر. و أما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء برأيه. و على

قوله صلى اللّه عليه و سلم: ما تحت قبة السماء إله يعبد من دون اللّه من هوى متبع. و على قوله صلى اللّه عليه وسلم: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. وعلى قوله صلى اللّه عليه وسلم: لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا اللّه العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا.الحديث.

و هذا، و إن ورد في ميادين الجهاد في قتال الكفار، فهو منقلب في هذه الأزمنة في الصفح عن شر الناس. فمن تمنى بقلبه أو أراد تحريك الشر منه على الناس سلطهم اللّه عليه من وجه لا يقدر على دفعهم. وعلى العبد أن يسأل اللّه العافية من تحريك شر الناس وفتنهم. فإن تحرك عليه من غير سبب منه، فالوجه الأعلى الذي تقتضيه رسوم العلم مقابلتهم بالإحسان في إساءتهم. فإن لم يقدر فبالصفح و العفو عنهم إطفاء لنيران الفتنة. فإن لم يقدر فبالصبر لثبوت مجاري الأقدار. ولا يتحرك في شيء من إذايتهم لإساءتهم. وإن اشتعلت عليه نيران شرهم، فليدافع بالتي هي أحسن بلين ورفق. فإن لم يفد ذلك، فعليه بالهرب إن قدر والخروج عن مكانه. فإن عوّقت العوائق على الارتحال، ولم يجد قدرة، فليدافع بالأقل فالأقل من الإذاية. فليفعل ذلك ظاهرا أو يكثر التضرع إلى اللّه والابتهال سرا في دفع شرهم عنه مداوما ذلك حتى يفرج اللّه عليه. فإن هذه الوجوه التي ذكرناها هي التي تقتضيها رسوم العلم.

و الحذر الحذر لمن تحرك عليه شر الناس منكم أن يبادر إليه بالتحرك بالشر لمقتضى حرارة طبعه وظلمة جهله وغرة نفسه، فإن المبادرة للشر بهذا، وإن كان مظلوما فاضت عليه بحور الشر من الخلق يستحق الهلاك به في الدنيا والآخرة. وتلك عقوبته لإعراضه عن جناب اللّه أولا. فإنه لو فزع إلى اللّه بالتضرع و الشكاية واعترف بعجزه وضعفه لرفع اللّه عنه ضرر الخلق بلا سبب أو بسبب لا تعب عليه فيه أو يشغلهم اللّه بشاغل يعجزون عنه. فإما أن يفعل اللّه له هذا و إما أن ينزل عليه اللطف العظيم

أو الصبر الجميل فيكابد غصص تلك الشرور و ربما هو فيه من اللطف والصبر حتى يرد عليه الفرج من اللّه تعالى، فيكون مثابا دنيا وأخرى. وأما ثواب الدنيا فبحمد العاقبة وظهور نصره في الخلق على قدر رتبته. وإما ثواب الآخرة فبالفوز بما لا غاية له من ثواب الصابرين الذي وعده اللّه تعالى. قال سبحانه وتعالى (وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا).وقال سبحانه وتعالى (واعلموا أن اللّه مع الصابرين). وقال تعالى حاكيا عن نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام (أنه من يتق ويصبر فإن اللّه لا يضيع أجر المحسنين). وقال تعالى (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به إلى الصابرين). وإلى غير ذلك من الآيات.

ولعدم اعتبار الناس لما ذكرنا ترى الناس أبدا في عذاب عظيم من مكابدة شرور بعضهم بعضا ووقعوا بذلك في الهلاك الأعظم في الدنيا والآخرة إلا من حفته عناية إلهية، فإن العامة لا يرون في تحريك الشر عليهم إلا صورة الشخص الذي حركه عليهم لغيبتهم عن اللّه سبحانه وعن غالب حكمه، فنهضوا في مقابلة الشرور بحولهم و احتيالهم و صولة سلطان نفوسهم، فطالت عليهم مكابدة الشرور وحبسوا في سجن العذاب على تعاقب الدهور. فإن الكَيِّس العاقل إذا انصب عليه الشر من الناس أو تحركوا له بالشر، رآه تجليا إلهيا لا قدرة لأحد على مقاومته إلا بتأييد إلهي فكان مقتضى ما دله عليه علمه وعقله الرجوع إلى اللّه بالهرب والالتجاء إليه وتتابع التضرع والابتهال لديه والاعتراف بعجزه وضعفه، فنهض معتصما باللّه في مقابلة خلقه. فلا شك أن هذا تدفع عنه الشرور بلا تعب منه، و لو التهبت عليه نيران الشر من الخلق لعجزوا عن الوصول إليه لاعتصامه باللّه تعالى. فإن من تعلق باللّه تعالى لا يقوى له شيء. قال سبحانه وتعالى (ومن يتق اللّه يجعل له مخرجا إلى قوله فحسبه). وهذا الباب الذي ذكرناه، كل الخلق محتاجون إليه في هذا الوقت.

فمن أدام السير على منهاجه سعد في الدنيا والآخرة ومن فارقه وكله اللّه إلى نفسه، فنهض إلى مقابلة الشرور بحوله واحتياله، فهلك كل الهلاك في عاجله ومآله. وفيما ذكرنا كفاية

وعليكم بشكر النعم الواردة من اللّه تعالى بسبب أو بلا سبب والشكر يكون في مقابلتها بطاعة اللّه تعالى إن قدر على أن تكون كلية، وإلا فالأبقع خير من الأسود. وأقل ذلك شكر اللسان، فلا أعجز ممن عجز عن شكر اللسان. وليكن ذلك بالوجوه الجامعة للشكر فاعلا ذلك في شكر اللسان تلاوة الفاتحة في مقابلة ما أنعم اللّه عليه شكرا و لينه عند تلاوتها أنه يستغرق شكر جميع ما أحاط به علم اللّه من نعمة عليه الظاهرة و الباطنة والحسية والمعنوية والمعلومة عند العبد والمجهولة لديه والعاجلة والآجلة والمتقدمة والمتأخرة والدائمة والمنقطعة. ويتلو بهذه النية ما قدر عليه من الفاتحة من مرة إلى مائة مرة. فمن فعل ذلك كتبه اللّه شاكرا. وكان ثوابه المزيد من نعمه على قدر رتبته بحسب وعده الصادق.

وأما وجوه المحامد الجامعة فهي كثيرة لا أطول بذكرها مثل قوله صلى اللّه عليه وسلم: لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك. ومنها: إلهي لك الحمد و لك الشكر مثل جميع ما أحاط به علمك من صفاتك وأسمائك وجميع محامدك التي حمدت بها نفسك بكلامك والتي حمدك بها كل فرد من خلقك بأي لفظ ذكروك به كل حمد من ذلك ومن جميع خلقك عدد ما أحاط به علمك على جميع ما أحاط به علمك من نعمك علي. فهو حمد جامح لأنواع المحامد مستغرق للشكر على جميع النعم.

وأحذركم لكل من خوله اللّه نعمة أن يمد يده بها فيما لا يرضي اللّه مثل شرب الخمر والوقوع في الزنا ومد اليد بها في المعاملة في الربا أو صرفها في وجوه طلب الرياسة والسلطنة وفي طلب إذاية المسلمين من سفك دمائهم أو نهب أموالهم أو هتك حريمهم أو

بإذاية و لو بأقل قليل، فإن الفاعل بهذه الأمور بما أنعم الله عليه مستحق لسلب النعمة من الله مع ما يعرض له من مقت الله وغضبه. فإن فعل هذه الأمور أو بعضها بما أنعم الله عليه ولم ير من الله سلب نعمه، فليعلم في نفسه أنه ممن كمل عليه غضب الله وسخطه في الدنيا والآخرة.

والسعيد إذا وقع في شيء من هذه الأمور يرى عن قريب تعجيل العقوبة ويرى التنبيه في قلبه من الله أن هذه المصيبة وقعت على تلك الفعلة

وأوصيكم في معاملة الأسواق على محافظة قواعد الشرع و أصوله على حسب ما يعطيه الوقت. و تجنبوا جميع وجوه الغش والتدليس والكذب في تقويم الأثمان واقتحام ما حرم الله من بذلك بنصوص الشرع. فإن المنهمك في ذلك يهلك كل الهلاك.

ثم إذا ألجأت الضرورة واشتدت الحاجة ولم يجد العبد ملجأ إلا أن يأخذ قوته مما حرم شرعا فليأخذ قدر ما يتقوت، وليكن جاريا في ذلك على حكم المضطر في أكل الميتة فإنه إنما يأكلها بلاغا وسدا للفاقة لا كسبا وتمولا.

و أحذركم أن تتهافتوا في المعاملات المحرمات شرعا تهافت الجهلة من العامة محتجين بعدم وجود الحلال المعين يريدون أن يسقطوا عنهم الأحكام الشرعية في المعاملات. فقد صاروا في ذلك كأنهم لا تكليف عليهم، وهو كذب على الله و زور. فقد قال سبحانه وتعالى (يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان) الآية. فهذه الآية وإن نزلت في مطلب خاص فهي مشتملة على كل ما تحتمله من القضايا إما تضمنا و إما تلويحا. والعالم يأخذ حكمه من كل آية في كل ما تحتمله وإن لم تنزل لأجله، والواقع منه من الآية في قضيتنا هذه إن الذي في الأرض هز ما أمكن وجدوه من حلال أصلي أو عارض على حسب عوارض الوقت وهي الأمثل فالأمثل على حسب ما فصلنا في جواب المعاملة. وخطوات الشيطان التي نهى الله

عنها هي المعاملات المحرمة شرعا حيث يجد العبد عنها معدلا. فإن لم يجد عنها معدلا و ألجأته عوارض الأقدار بحكم القهر و الحتم إلا أن يأخذ قوته من المحرم شرعا، وإن لم يأخذ منه مات في الوقت أو مات بعض عياله جوعا لضيق الوقت وفقد السبيل لغيره، فهو الواقع في قوله تعالى:(فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه). ولا تلتفتوا لما نقل عن السيد الحسن بن رحال في قوله: كل عقدة لا يوجد فيها إلا من يعامل بالحرام فهي حلال فهو قول باطل لكونه تغافل عن ضبط القاعدة الشرعية فيه والتحقيق فيها هو ما ذكرناه قبلها آنفا يشهد له قوله صلى اللّه عليه وسلم: دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. وقوله صلى اللّه عيه وسلم: إذا أمرتكم بشيء فافعلوا ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فانتهوا. أو قوله سبحانه وتعالى (فاتقوا اللّه ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا). وقول الشاعر:

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وفي هذا مع ما في الوصايا الأول كفاية والسلام. انتهى.

فصل في بعض سائله رضي اللّه عنه ونفعنا به آمــين

منها رسالة التحدث بعمة اللّه عليه والإخبار بأن اللّه تعالى أعطاه مقاما لم يصله أحد من الأولياء. قال رضي اللّه عنه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلى اللّه سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما بمحمد اللّه يصل الكتاب إلى يد أحبابنا وأصفيائنا فلان وكافة الفقراء الذين معه بالأغواط كل واحد منهم باسمه وعينه. السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته. من كاتبه إليكم أحمد بن محمد التجاني.

وبعد، نسأل اللّه عز وجل أن يتولاكم بعنايته وان يفيض عليكم بحور فضله وولايته وأن يكفيكم هم الدنيا والآخرة وأن ينجيكم من فقر الدنيا وعذاب الآخرة.

يليه إعلامكم أن فضل اللّه لا حد له، وأن الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاء. وأقول لكم أن مقامنا عند اللّه في الآخرة لا يصله أحد من الأولياء ولا يقاربه لا من صغر ولا من كبر، وان جميع الأولياء من عصر الصحابة إلى النفخ في الصور ليس فيهم من يصل مقامنا ولا يقاربه لبعد مرامه عن جميع العقول وصعوبة مسلكه عن

أكابر الفحول. ولم أقل ذلك حتى سمعته منه صلى الله عليه وسلم تحقيقا. و ليس لأحد من الرجال أن يدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب ولو عملوا من الذنوب ما عملوا وبلغوا من المعاصي مت بلغوا إلا أنا وحدي. و وراء ذلك مما ذكر لي فيهم وضمنه صلى الله عليه وسلم لهم أمر لا يحل لي ذكره ولا يرى ولا يعرف إلا في الآخرة.

ومع هذا كله فلسنا نستهزئ بحرمة ساداتنا الأولياء ولا نتهاون بتعظيمهم. فعظموا حرمة الأولياء الأحياء والأموات، فإن من عظم حرمتهم عظم الله حرمته ومن أهانهم أذله الله وغضب عليه. فلا تستهزئوا بحرمة الأولياء. انتهى.

وفي هذه الرسالة بشارة عظيمة لأصحاب سيدنا رضي الله عنه ثبتنا الله على صحبته ومحبته وكذلك جميع الأحباب إلى الاستقرار معه في عليين آمين.

وفيها أيضا كرامة باهرة ومرتبة فوق الأولياء فاخرة لسيدنا رضي الله عنه ومتعنا بطول بقائه آمين.

ومحل هذه الرسالة تكتب مع جملة كرامات سيدنا ولكن قدمتها هنا خوفا من تضييعها وحرصها عليها لأني فرطت في بعض كلام الشيخ حتى ضاع. فنحن قوم مفرطون، تداركنا الله بالعقل الكافل آمين. وللمناسبة بينها وبين ما تقدم من الوصايا انتهى.

ومن أجوبته رضي الله عنه لبعض الإخوان ونصها

قال كاتبه أحمد بن محمد التجاني: بعد السلام التام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما ما ذكرتم من رؤية النبي صلى الله عليه في النوم، نسأل الله أن يمكنكم منها عاجلا. ولكن عليكم إن أردتموها بالمداومة على جوهرة الكمال، سبعا عند النوم على وضوء دائما، فإنها كفيلة بها وهي: اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية... الخ

وأما سند طريقنا، فطريقنا عنه صلى الله عليه وسلم اتصالا منه إلينا. وسندنا أيضا في الورد المعلوم مع السيفي عنه صلى الله وسلم متصلا إلينا.وأما المسبعات العشر فأخذناها مشافهة عن شيخنا الشيخ محمود الكردي المصري رضي الله عنه وهو أخذنا عن الخضر مشافهة. وأما أحزاب الشاذلي ووظيفة زروق ودلائل الخيرات والدور الأعلى فكلها أخذنا الإجازة فيها عن شيخنا القطب الكامل سيدي محمد السمان قاطن المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام.

وأما ما ذكرتم من شرط اتحاد الوقت للخلوة فهو أمر مطلوب في جميعها ولا يضر أن تخلف إلى غير وقته، اللهم إلا في الأسماء الإدريسية، فإنه أن تخلف الوقت تضرر العامل ضرار كبيرا. و أجزنا لكم في الورد وفي كل ما ذكرنا لكم سنده مما طلبتم فيه السند. نفعكم الله بذلك والسلام هـ

فصل في مسائل من علوم الشيخ الزاهرة مترجما عليها بعبارته الباهرة

فمن ذلك كلامه على جواهر القلب السبعة. قال رضي الله عنه: القلب فيه سبعة خزائن، كل خزانة محل جوهرة من الجواهر السبعة. فالجوهرة الأولى جوهرة الذكر والجوهرة الثانية جوهرة الشوق والجوهرة الثالثة جوهرة المحبة لله والعشق. و الجوهرة الرابعة جوهرة السر وهو غيب من غيوب الله تعالى لا تدرك ماهيته ولا تعرف. والجوهرة الخامسة جوهرة الروح والجوهرة السادسة جوهرة المعرفة والجوهرة السابعة جوهرة الفقر.

و الجوهرة الأولى جوهرة الذكر، إذا انفتحت في قلب العبد يكون أبدا منفردا عن وجوده غائبا عن شهوده ويسمى نعد السالكين ذهولا عن الأكوان. وطمأنينة القلب بذكر الله

و الجوهرة الثانية جوهرة الشوق إلى الله وهو أن يكون العبد أبدا في الشوق و الاشتياق إلى الله بطلب الموت في كل نفس في كل نفس لحرارة الاشتياق مشتعلة فيه

والجوهرة الثالثة جوهرة المحبة، فإذا انفتحت في القلب،يكون العبد أبدا راضيا عن اللّه و راضيا بحكمه بلذة وإيثار لذلك الرضا عن كل ما عداه لو وقع به الوقت أعظم الهلاك لكان أحب اللّه من جميع الشهوات

و الجوهرة الرابعة جوهرة السر وهو غيب من غيوب اللّه لا تعرف ماهيته ولا تدرك وحكمه أن يكون العبد في كل حال لا يتحرك إلا للّه ولا يسكن إلا للّه ولا يقع فيه شيء من مخالفة الشرع أصلا لكمال طهارته

والجوهرة الخامسة جوهرة الروح وهو أن يكاشف بحقيقتها وماهيتها كشفا حقيقيا حسيا، بحيث لا يخفى عليه من جملها وتفصيلها شاذ ولا فاد، وهي حضرة ورود الاصطلام سكرا وصحوا ومحقا.

والجوهرة السادسة جوهرة المعرفة وهو تمكين العبد من الفعل بين حقيقة الربوبية والعبودية ومعرفة حقيقة بجميع أحكامها ومقتضياتها ولوازمها وهي حضرة البقاء والصحو.

و الجوهرة السابعة وهي جوهرة الفقر إلى اللّه تعالى إذا انفتحت في العبد يشهد افتقاره إلى اللّه واضطراره إليه في كل نفس من أنفاسه فلا يزعجه عن هذا التمكين ورود كل عظم من أضداد فقره. ومن تمكن من هذه الجوهرة صار أغنى الناس باللّه الخلق باللّه عن كل شيء بحيث أنه لا يبالي بجميع الخلق أحبوه أم أبغضوه أو أقبلوا عليه أم أدبروا عنه لكمال غناه باللّه تعالى. فمن تمكن في هذه الجوهرة أمن السلب في حضرة الحق سبحانه وتعالى والسلام. وهذا نهاية مقام السالكين.

ولنرجع إلى ما قاله الشيخ رضي اللّه عنه في حقيقة الذكر. قال حقيقة الذكر أدنى مراتبه أن ينسى ما دونه. وأعلاه هي أعلا مراتب الاصطلام، وأعلا مراتب الاصطلام أن يشهد نفسه عين ذلك الوجود، وهو المعبر عنه بالسحق والمحق. حقيقة الاصطلام أوله ذهول عن الأكوان وهو المعبر عنه بالسكر ووسطه فناء عن الأكوان مع علمه بفنائه، وأعلاه فناء عن

الأكوان و فناء عن فنائه.والمرتبة العليا منه أن يشهد نفسه عين ذلك الوجود وهو المعبر عنه بالسحق والمحق.

حقيقة السحق والمحق عبارتان مترادفتان وهو فناء العبد بالكلية.

قال ابن الفارض رضي اللّه عنه

و منذ عفا رسمي و هِمتُ وهَمتُ في وجودي فلم تعثر بكوني حقيقتي

وقال غيره

حيرتني في أمري مذ غبت عني حتى خطبتني في سري من أنت قلت أنت

ومن كلام سيدنا رضي اللّه عنه مسألة في محبة الخلق للّه سبحانه وتعالى

قال رضي اللّه عنه: محبته للثواب ومحبته لآلائه ونعمه ومحبته لما هو عليه من الكمال والجلال والجمال، ومحبته لذاته. أما محبته للثواب فمعلومة وكذلك محبته لنعمه. وهاتان المحبتان لعامة المؤمنين منهما حظ ونصيب، ولكن قد تزولان هاتان المحبتان بزوال سببهما.

وأما المرتبة الثالثة، فسببها ثابت وهو ما عليه ربنا من أوصاف الكمال والعظمة والجمال. وهذه لصغار الأولياء، ولكن لا تلحق المرتبة الرابعة، لأن الرابعة مجردة عن الأسباب، والعلل والأوصاف. وهذه لا تكون إلا لمن فتح عليه ورفع عنه الحجاب وشاهد أسرار الأسماء والصفات من المواهب والحقائق و الكمالات. قال رضي اللّه عنه: وفي الحديث دليل المرتبة الأولى والثانية. قال صلى

اللّه عليه وسلم: أحبوا اللّه لما يغذيكم به من نعمه وأحبوني لحب اللّه وأحبوا أهل بيتي لحبي. وقالت ربيعة العدوية رضي اللّه عنها:

أحبك حبين حب الهوى وحب لأنك أهل لذاك

إشارت للمرتبة الرابعة والثالثة.
قال رضي اللّه عنه: والمحبة الصادقة هي التي تورث الغيرة لصاحبها.
قيل للشبلي رضي اللّه عنه: متى تستريح؟ قال: إذا لم نر له ذاكرا غيري. و قال أبو يزيد رضي اللّه عنه لصاحبه حين قال له وهلا سألته المعرفة: اسكت غرت على من أن يعرفه غيري.
وقال ابن الفارض رضي اللّه عنه في هذا المعنى:

فدَع عنك دعوى الحب و ادعُ لغيره فؤادك وادفع عنك غيك بالَّتِـــي
وجانِب جناب الوصل هيهات لم يكن وها أنت حي إن تكن صادقا مُتِ
هو الحب إن لم تقض لم تقض مأربا من الحب فاختر ذاك أو خل خلة
فقلت لها روحي لديك و قبضهـــا إليك فمن لي أن تكون بقبضتـــي

وقال قبل هاذ الموضع :

فقالت هوى غيري قصدتَ ودونه اق تَصَدتَ عَمِيًّا عن سواءِ محجّتـي
وغرّك حتى قلتَ ما قلتَ لابسًـــا به شَينَ مَينٍ لَبسُ نفس تَمَنّـــتِ
وفي أنفُس الأوطار أمسيتَ طامعـا بنفس تعدَّتْ طورها فتعـــدَّت
وكيف بحبي، و هو أحسنُ خُلَّـــةٍ تفوز بدعوى وهي أقبح خَلـــت
وأين السُّهى من أكمهٍ عن مـــراده سها عمهًا لكن أمانيكَ غـــرت

ورمتَ مراما دونه كم تطاولـــتْ بأعناقها قوم إليه فجُـــــــذَّت
أتيتَ بيوتا لم تنل من ظُهورهـــا وأبوابها عن قرع مثلك سُـــدَّت
وبين يدي نجواك قدَّمتَ زخرفـــا تروم به عِزًّا مراميه عَـــزَّت
وجئتَ بوجه أبيض غيرَ مُسقِـــطٍ لجاهك في دارَيْكَ خاطِبَ صفوتي

وقال قبل هذا:
وعن مذهبي في الحب ما لِيَ مذهبٌ وإن مِلتُ يوما عنه فارقتُ مِلَّتـــي
ولو خَطَرَتْ لي في ســـواك إرادة على خاطري سهوا قَضَيتُ بردَّتي

وقال في الكافية:

كُلُّ مَن في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حِماكا

مسألة الفقير ابن وقته: معناه هي لأصحاب المراقبة الكبرى، وهو في كل وقت بحسب ما يصادفه من التجلي يتلون بتلوين تجلياته في بمقابلتها بالعبودية والأدب ليعطي لكل تجل حقه من العبودية والأدب. هـ
مسألة التوحيد الخاص: قال الجنيد، علم التوحيد مباينٌ لوجوده، و وجوده مفارق لعلمه. فإذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد تناهت إلى الحيرة. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: من عرف الفصل والوصل والحركة والسكون، بلغ القرار في التوحيد. هـ
مسألة الأسماء القائمة التي يطلبها الكون وهي التي لا وجود للكون بدونها وهي التي تعثر عليها العارفون هي الأسماء العاليات التي من عرفها علم منها لماذا وجدت تلك الذات و ما مراد الله منها وما عاقبة أمرها من خير أو شر واستقرارها في الدار الآخرة.

فتعلم من هذا أن كل ذرة من الكون لها اسم، و هكذا أجزاء الكون كله ذرة ذرة.

ثم قال سيدنا رضي اللّه عنه: إذا أراد الكبير أن يتوجه إلى كون من الأكوان فيتوجه إليه باسمه الخاص به، فيأتيه كرها وكذلك عسكرة الأسماء، وهي خارجة عن أسماء الكون وهي في التوجه الكبير مثل أسماء الكون سواء. وهذا من المكتوم الذي لا ينبغي أن يذكر للعامة. انتهى معنى لفظه رضي اللّه عنه ومتعنا بطول بقائه. آمين

مسألة قال سيدنا رضي اللّه عنه: للّه سبحانه وتعالى أحكام من القدر في خلقه بما هو مخالف لصورة الشرع ترد على تلك الأحكام أحكام من المقابلات تسمى بلسان الحكمة عقوبات وجزاء. ولا بد منها ومن ورودها. فتارة يصرف الحق سبحانه وتعالى تلك العقوبات الواردة على تلك الذنوب بوجه من وجوه الصرف، وهي كثيرة كسبق صدقة أو صلة رحم أو إغاثة ملهوف أو شفاعة ولي... إلى غير ذلك من الوجوه، و تارة ترد العقوبات بلا صارف فتتلقاها ذوات أهل التصرف فتقع في ذواتهم، وتارة تزيد على ذوات أهل التصرف فتقع على أصحابها. ومن تعرض من الأولياء لدفع ذلك عنهم طلبا لراحتهم سلطه اللّه عليه، فإنها لا تخرج مجانا. هـ

مسألة قال رضي اللّه عنه: للّه تصريف في بعض خلقه أن يجعل الدنيا في أيديهم، فمن حفظها منهم مع المحافظة على أمر اللّه تعالى فيها من غير تضييع حفظها اللّه في يديه وصانه بها، و جعلها له بركة. و من ضيعها من يديه تهاونا بها ضيعه اللّه تعالى وأحوجه إليها ولم يجدها في يديه. هـ

مسألة قال رضي اللّه عنه: معنى أن كل ولي قدمه على قدم نبي، أي يذوق ذوق ذلك النبي و يتوجه توجه ذلك النبي من غير إحاطة بما كان عليه ذلك النبي، بل يحصل له قسط و نصيب مما كان عليه ذاك النبي.هـ

مسألة قال رضي اللّه عنه: وأما محبته صلى اللّه عليه وسلم للنساء والطيب المذكورين في الحديث، و الحديث صحيح يقتضيان أن له بشرية مثلنا. الجواب إن له بشرية صلى اللّه عليه وسلم كغيره من الأنبياء والرسل، لكن تلك البشرية معصومة من مخالفة الأحكام الإلهية مطلقة فيما إذن لها فيه كالجماع والأكل والشرب. وليس أن تلك البشرية معصومة من جميع توابعها، فإنه لو كان كذلك ما وقع التناسل من جسد آدم عليه الصلاة والسلام ولا خرجت حواء منه ولبطلت عمارة الدارين التي هي مراد اللّه من العالم.

واعلم أن لكل عارف محبتين، محبة في روحه متعلقها الذات المقدسة منشأها مطالعة الجمال القدسي. وهذه المحبة تستأصل جميع وجوه المحبة وعروقها وإليه يشير قوله صلى اللّه عليه وسلم: اللهم اجعل حبك أحب إلي... إلى أن قال: ومن الماء البارد للعطشان ...الخ. فهذه هي المحبة الواقعة في الروح. ومحبة له من حيث البشرية هي قوله صلى اللّه عليه وسلم: حبب إلي من دنياكم الخ. فهذه المحبة لا تناقض تلك المحبة ولا تسمى نقصان لأن هذه المحبة في البشرية وضعها اللّه سبحانه وتعالى للرسل للتألف مع الخلق وتأدية الأحكام الإلهية وتبليغ الرسالة والتناسل الذي تقع به عمارة الدارين. فإن ذلك هو عين الكمال الإلهي.

فإن الرسول لو بقي على المحبة الأولى، مجردا عن المحبة البشرية، لبطلت الأحكام الإلهية و بطلت الرسالة و بطل التناسل و بطلت عمارة الدارين ،لأن صاحب تلك المحبة لا يلتفت لغير اللّه أصلا و لا يبالي بغير اللّه أصلا، شاهد ذلك أن الملائكة العالين غرقوا في محبة ذاته. فهم دائبون الهيمان في جمال اللّه وجلاله سكارى لا يفيقون من المحبة. ولما لم تكن فيهم المحبة الثانية، لم يعلموا بآدم ولا إبليس ولا كلفوا بالسجود لآدم ولا يحضرون بيعة القطب لأنهم غائبون عن التألف بغير

الله تعالى. فلو كانت الرسل هكذا لبطلت الرسالة لعدم التألف بغير الله.

ولما أراد الله إنفاذ ما سبق في علمه من إرسال الرسل لخلقه وضع الله فيهم المحبة البشرية يتألفوا بغير الله تعالى، فيتم مراد الله تعالى بتبليغ الرسالة وثبوت الأحكام الإلهية والقيام بحق التكليف وظهور التناسل وكمال عمارة الدارين. وهذا غاية الكمال. فإن هذه المحبة البشرية فيهم موجودة ولم ينقصوا بها عن محبة الملائكة العالين لذات الله تعالى، فإنهم مماثلون لهم فيها، وكان كمالهم بهذه المحبة البشرية فكل محبة فيهم من البشرية والأصلية لا تهدم أختها ولذلك صحت له الخلافة صلى الله عليه وسلم لتألفه بالعوالم بالمحبة البشرية.

وهذا هو معنى اسمه محمد يحمده جميع العوالم بما أفاض عليهم من الحضرة الإلهية. و المحبة الأصلية هي التي يسمى فيها أحمد لأن تلك الحضرة لا يشاركه فيها مخلوق. فهو أحمد من حمد الله في ذلك المقام لعلو علمه بالله تعالى بما ليس لغيره فيه مطمع. وهذا ينبئك عن حضرتيه صلى الله عليه وسلم: حضرته المحمدية وحضرته الأحمدية.

ثم قال رضي الله عنه: وخلافة الإنسان على العوالم إلا إذا كان كل جزء من العالم يجد نسبته فيه. فنسبت ما فيه للبهائم من الأكل والشرب والجماع ونسبت ما فيه للملائكة من الولوع بالحضرة القدسية وكمال الهيمان في جلال الله وجماله. فاشتغاله بالحضرة القدسية، وهي الحضرة التي فيها الملائكة لا يشغله عن تأدية حقوق حضرة البهائم من الأكل والشرب والجماع وسائر التقلبات البشرية. وهذه الحضرة لا تشغله عن الولوع و الهيمان في الحضرة الإلهية. فإن الكل من الحضرتين مظاهر الكمالات الإلهية وإنما يذم الراتع في الحضرة البهيمية إذا شغل بها عن الاستغراق في الحضرة الإلهية. وأما إن كان يعطي لكل ذي حق حقه، فذلك غاية الكمال وما سمعت من

إطلاق حضرة البهيمية، فلا يطلق ذلك على الكامل صلى الله عليه وسلم ولا يقال أن له صفة البهيمية، وإنما يقال أن في مطلق الإنسان من نسب الحضرة الإلهية نسبة ما عند البهائم كغيرها من جميع الموجودات. و هذا من حيث التكميل في مطلق الإنسان من كونه مظهرا لجميع الحضرة الإلهية لا من حيث الذم والسلام. هـ

مسألة: سئل سيدنا رضي الله عنه هل خرج النبي صلى الله عليه وسلم حين ولادته من المحل ومن تحت الصرة ومن أصحاب شيخنا الذين ضمنوا له ووعدوا بالفضل المذكور ؟ فأجاب رضي الله عنه

أما المسألة الأولى، وهو خروجه من تحت الصرة لا من محل الولادة، فلا يكون ما سمعته من المخبر إلا أنه سمعه منه صلى الله عليه وسلم ثم أني رأيت في بعض التقاييد هنا نقل صاحبه من كتاب الشفا لابن سبع قال أنه صلى الله عليه وسلم خرج من تحت الصرة ولم يخرج من محل الولادة، وكذا غيره من جميع إخوانه من النبيئين والمرسلين. هكذا نقله ابن سبع. و لعل المستبعد لذلك، يقولون لنا، لو كان هذا كما قيل لنقل وتواتر لأنه من أهم الأمور ولا شك أن الولادة يحضرها جمع من النسوة، والنسوة أشد الناس حرصا على إفشاء ما يرين من العجب. فلو وقع هذا الخارق لرأينه كل النسوة حضرن لوالدة كل نبي من النبيين ولو وقع لأفشته النساء الحواضر لعدم صبرهن على الكتم. ولو حدث به النسوة لتواتر في أقطار الأرض. وسكوت النسوة عليه على عدم وقوعه، وهو الخروج من تحت الصرة.

والجواب على هذا المحط أن هذا خرق عادة أذن الله في ستره وعدم إفشائه للخلق وذلك يستدعي نظرين: النظر الأول أن الإخفاء لما خفي والظهور لما ظهر هو أمر موكول إلى الحق سبحانه وتعالى يظهر ما يشاء بسبب أو بلا سبب. ولو توفرت دواعي الإخفاء، و يخفي ما شاء بسبب أو بلا سبب. و لو توفرت دواعي الظهور، وهذا من ذلك القبيل. والنظر الثاني أن خروج الصفوة العليا من تحت

الصرة تنزيها عن محل القذر، فيكون أمره أن اللّه تعالى يفتح الأغلقة كلها من ألام من جلد و صفاق وأرحام حتى يخرجه ويردها كما كانت في أسرع من طرفة عين ويردها كذلك. وهذا غير بعيد في قدرة اللّه تعالى.

ثم أنه إن أراد اللّه تعالى الإخفا ألقى الغفلة على النساء الحواضر، مثل أن يمسسنها فيغلق ما زال أمرها متأخرا عن الولادة وهي تتوجع فيغفلن عنها فيفتح اللّه المرأة الوالدة من تحت الصرة، فيخرج الولد من طرفة عين ويردها إلى حالتها الأولى في الالتئام في أسرع من طرفة عين ويجري الدم من محل الولادة. فتقول النسوة قد خرج الولد فيأتي النسوة ولا يرين أنه خرج من محل الولادة لوجود الدم وعدم وجود أثر الدم من تحت الصرة ويقع الكتم من آلام الولادة للنبي بأمرين:

الأمر الأول إلقاء سر من الأسرار الإلهية على قلبها، فيرتبط القلب عن الإفشاء بأمر اللّه لوجود ذلك السر. قال سبحانه وتعالى(وأصبح فؤاد أم موسى فارغا أن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها)، كما ربط اللّه على قلوبهن في حال الحمل إن رأين شيئا من الأحوال الخارقة الدالة على نبوءة ذلك الولد في نوم أو يقظة. و الأمر الثاني لو أرادت الأم الوالدة إفشاء ذلك لتحققت التكذيب من النساء الحواضر لظهور الدم في محل الولادة وعدم وجود الأثر من تحت الصرة لا عينا ولا أثرا ولا شاهد يصدقها فتتوفر دواعي العادة على تكذيب ما تدعيه إن ادعت، فيحملها تحقق هذا التكذيب على الكتم فلذا لم ينقل من هذا الأمر شيء. فهذا هو الجواب عن ذلك المحط. انتهى الجواب عن المسألة الأولى.

ثم المسألة الثانية أن الأصحاب الذين أشير إليهم هم آخذوا الورد و المحب المفتوح عليه بلا ورد. انتهى. ثم المسألة الثالثة: تقول عند تلاوة الفاتحة نويت تلاوة كذا بتلاوة الفاتحة ثم تقرؤها.

وهذا لازم عند كل فاتحة أريد بها ذلك. ولا بد عند هذه النية من الطهارة الكاملة. انتهى

وأورد صاحب هذا السؤال المتقدم مسألة قال: إن قلتم انه طاهر صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يخرج من محل القذارة، فكيف دخل معه، وهو نطفة. فليزم أيضا ما هربتم منه أولا. أو نقول خلق من ريق أبيه كما قاله بعض من هرب من أن النطفة قذرة. فأجاب الشيخ رضي الله عنه لا يصح كونه خلق من ريق أبيه بل من النطفة كغيره من الأنبياء وسائر البشر. و دخلت النطفة من المحل المعلوم كغيرها و لم تكن النطفة كخروجه حين الولادة، لأنها حين الدخول عارية عن الروح. و أما عند الولادة فبسبب طهارة الروح الكريم خرجت من غير المحل.

قال السائل: فما تقول في الروح حين كانت في الرحم والدم معها فأجابه بأن الرحم طاهر والدم قبل خروجه من المحل طاهر كذلك. انتهى

مسألة سمعته رضي الله عنه يقول: تفكرت في اختصاص سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بيوم الاثنين، فتبين لي أنه لما كان هو الوجود الثاني، ولم يتقدمه إلا الوجود القديم. و كذلك هذا اليوم، هو الثاني من الأيام و لم يتقدمه إلا يوم الأحد، فلهذا كان تقلب أطواره صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين. فيه ولادته و فيه هجرته و فيه دخوله لطيبة و فيه أرسل. و كذلك سيدنا آدم، على نبينا وعليه أفضل الصلاة و السلام، في اختصاصه بيوم الجمعة وتقلب أطواره فيه، لمناسبة وجودية، لأن سيدنا آدم هو الوجود الأخير من الموجودات وهو المعبر عنه عند العارفين بالتجلي الأخير واللباس الأخير. وهذا اليوم الأخير من الأيام التي خلق الله فيها خلقه. قال تعالى: (خلق السموات والأرض في ستة أيام) و في اليوم السابع قال تعالى: (ثم استوى على العرش) على ما أراد وعلم ولم يخلق فيه مخلوقا.

فلهذه المناسبة كانت أطوار سيدنا آدم عليه السلام من خلق و دخوله الجنة و خروجه منها و توبته فيه. انتهى كلامه بالمعنى رضي اللّه عنه.

ثم قلت لسيدنا على هذا القياس يكون يوم الاثنين أفضل من يوم الجمعة لاختصاص أطوار سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم به؟ قال لي: التفضيل أمر إلهي لا علة له ولا يقاس، يفضل اللّه سبحانه و تعالى ما شاء بما شاء على شاء. فما سمع من التفضيل لمخلوق من خبر اللّه وخبر رسوله صلى اللّه عليه وسلم. فهو المفضل وما لا فلا. هـ

و سمعته يقول: وصف مشترك بين القديم و الحادث وحقيقته واحدة لا تتبدل ولا تتغير، و لكن مع القديم يكون قديما وبالنظر للحادث يكون حادثا. قال و هو الآن الدائم عند العارفين. و هذا من الإشكالات الصعبة. قلت و لا يتفطن إليه إلا أهل العلم باللّه. جعلنا اللّه منهم. آمين

مسألة: سئل رضي اللّه عنه على إهداء ثواب الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم، فأجاب. فاعلم أنه صلى اللّه عليه وسلم غني عن جميع الخلق جملة وتفصيلا فردا فردا وعن صلاتهم عليه وعن إهدائهم ثواب الأعمال له صلى اللّه عليه وسلم بربه أولا، و بما منحه من سبوغ فضله وكمال طوله. فهو في ذلك عند ربه صلى اللّه عليه وسلم في غاية لا يمكن وصول غيره إليها ولا يطلب معها من غيره زيادة أو إفادة، يشهد لذلك قوله سبحانه وتعالى (و لسوف يعطيك ربك فترضى). و هذا الإعطاء، و إن ورد من الحق بهذه الصفة سهلة المأخذ قريبة المحتد، فإن لها غاية لا تدرك العقول أصغرها، فضلا عن الغاية التي هي أكبرها. فإن الحق سبحانه وتعالى يعطيه من فضله على قدر سعة ربوبيته ويفيض على مرتبته صلى اللّه عليه وسلم على قدر حضوته ومكانته عنده. وما ظنك بعطاء يرد من مرتبة لا غاية لها وعظمة ذلك العطاء على قدر تلك المرتبة. ثم يرد على

مرتبة لا غاية لها أيضا، وعظمته على قدر وسعها أيضا. فكيف يقدر هذا العطاء و كيف تحمل العقول سعته. و لذا قال سبحانه وتعالى (و كان فضل اللّه عليك عظيما). و أقل مراتبه في غناه صلى اللّه عليه وسلم أنه من لدن بعثته إلى قيام الساعة، كل عامل يعمل للّه ممن دخل طوق رسالته صلى اللّه عليه وسلم، يكون ثواب عمله بالغا ما بلغ، فليس يحتاج مع هذه المرتبة إلى زيادة إهداء الثواب لما فيها من كمال الغنى الذي لا حد له. و هذه أصغر مراتب غناه صلى اللّه عليه وسلم. فكيف بما وراءها من الفيض الأكبر و الفضل الأعظم الأخطر الذي لا تطيق حمله عقول الأقطاب فضلا عمن دونهم.

و إذا عرفت هذا، فاعلم أنه ليست له حاجة إلى صلاة المصلين عليه صلى اللّه عليه وسلم ولا شُرِعَتْ لهم ليحصل له النفع بها، صلى اللّه عليه وسلم. و ليست له حاجة إلى إهداء الثواب ممن يهدي له ثواب الأعمال. وما مثل المهدي له في هذا الباب ثواب العمل متوهما أنه يزيده به صلى اللّه عليه وسلم أو يحصل له به نفعا إلا كمن رمى نقطة قلم في بحر طوله مسيرة عشر مائة ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك متوهما أنه يمد هذا البحر بتلك النقطة و يزيده. فأي حاجة لهذا البحر بهذه النقطة وما عسى أن تزيد فيه.

وإذا عرفت رتبة غناه صلى اللّه عليه وسلم و حضوته عند ربه، فاعلم أن أمر اللّه للعباد بالصلاة عليه صلى اللّه عليه و سلم ليعرفهم علو مقداره عنده وشفوف مرتبته لديه وعلو اصطفائه على جميع خلقه، وليخبرهم أنه لا يقبل العمل من عامل إلا بالتوسل إلى اللّه به، صلى اللّه عليه وسلم. فمن طلب القرب من اللّه والتوجه إليه دون التوسل به صلى اللّه عليه وسلم معرضا عن كمال جنابه و مدبرا عن تشريع خطابه، كان مستوجبا من اللّه غاية السخط و الغضب وغاية اللعن والطرد والبعد وضل سعيه وخسر عمله ولا وسيلة إلى اللّه به صلى اللّه عليه وسلم كالصلاة عليه صلى اللّه

عليه وسلم وامتثال شرعه. فلذا، فالصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم فيها تعريف لنا بعلو مقداره عند ربه وفيها تعليم لنا بالتوسل به صلى اللّه عليه وسلم في جميع التوجهات و المطالب لا غير. هذه من توهم النفع له بها صلى اللّه عليه و سلم لما ذكرناه سابقا من كمال الغنى.

و أما إهداء الثواب له صلى اللّه عليه و سلم، فتعقّل ما ذكرناه من الغنى أولا ثم تعقّل مثالا آخر يضرب لإهداء الثواب له صلى اللّه عليه وسلم بملك عظيم المملكة ضخم السلطنة قد أوتي في مملكته من كل متمول خزائن لا حد لعددها. كل خزانة عرضها وطولها من السماء إلى الأرض مملوءة، كل خزانة على هذا القدر ياقوتا أو ذهبا أو فضة أو زرعا أو غيرها من المتمولات. ثم قدِّرْ فقيرا لا يملك مثلا غير خبزتين من دنياه، فسمع بالملك واشتد حبه وتعظيمه له في قلبه فأهدى لذلك الملك إحدى الخبزتين معظما له ومحبا، و الملك متسع الكرم، فلا شك أن الخبزة لا تقع منه ببال لما هو فيه من الغنى الذي لا حد له. فوجودها عنده وعدمها على حد سواء. ثم الملك لاتساع كرمه عَلِمَ فقر الفقير وغاية جهده وعلم صدق حبه وتعظيمه في قلبه وأنه ما أهدى له الخبزة إلا لأجل ذلك، و لو قدر على أكثر من ذلك لأهداه. فالملك يظهر الفرح و السرور بذلك الفقير و بهديته لأجل تعظيمه له و صدق حبه لا لأجل انتفاعه بالخبزة، ويثيب على تلك الخبزة بما لا يقدر من العطاء لأجل صدق المحبة لا لأجل النفع بالخبزة .

وعلى هذا التقدير وضرب المثل قدر إهداء الثواب له صلى اللّه عليه وسلم. وأما غناه عنه صلى اللّه عليه وسلم فقد تقدم ذكره في ضرب المثل بعظمة البحر المذكور أولا و أمداده بنقطة القلم. وأما إنابته صلى اللّه عليه وسلم فقد ذكر لها المثل بإهداء الخبزة للملك المذكور والسلام انتهى.

فصل

قال شيخنا رضي الله عنه ونفعنا به آمين. الكلام على التفضيل بين الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وبين تلاوة القرآن.

أما تفضيل القرآن على جميع الكلام من الأذكار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الكلام، فأمره واضح أوضح من الشمس كما هو معلوم في استقراءات الشرع وأصوله، شهدت به الآثار الصحيحة. وتفضيله من حيثيتين:

الحيثية الأولى كونه كلام الذات المقدسة المتصفة بالعظمة والجلال. فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام.

والحيثية الثانية ما دل عليه من العلوم والمعارف ومحاسن الأدب و طرق الهدى ومكارم الأخلاق والأحكام الإلهية والأوصاف العلية التي لا يتصف بها إلا الربانيون. فهو في هذه المرتبة لا يوازيه كلام في الدلالة على هذه الأمور. ثم أن هاتين الحيثيتين لا يبلغ فضل القرآن فيهما إلا عارف بالله، قد انكشفت له بحار الحقائق فهو أبدا يسبح في لججها.

فصاحب هذه المرتبة هو الذي يكون القرآن في حقه أفضل من جميع الأذكار والكلام لحوزه الفضيلتين لكونه يسمعه من الذات المقدسة سمعا صريحا.

و المرتبة الثانية في القرآن دون هذه من عرف معاني القرآن ظاهرا وألقى سمعه عند تلاوته كأنه يسمعه من الله يقصه عليه ويتلوه

عليه مع وفائه بالحدود. فهذا أيضا لاحق في الفضيلة بالمرتبة الأولى إلا أنها دونها.

و المرتبة الثالثة في تلاوة القرآن: رجل لا يعلم شيئا من معانيه، ليس له إلا سرد حروفه ولا يعلم ماذا نزل عليه من العلوم والمعارف. فهذا إن كان مهتديا كسائر الأعاجم الذين لا يعلمون معاني العربية، إلا أنه يعتقد أنه كلام اللّه ويلقي سمعه عند تلاوته معتقدا أن اللّه يتلوا عليه تلاوة لا يعلم معناها. فهذا لاحق في الفضل بالمرتبتين إلا أنه منحط عنهما بكثير كثير، بشرط أن يكون مهتديا موفيا بالحدود والواجبات غبر مخل بشيء منها.

و المرتبة الرابعة رجل يتلوا القرآن سواء علم معانيه أو لم يعلم إلا أنه متجرئ على معصية اللّه، غير متوقف على شيء منها. فهذا لا يكون في حقه أفضل، بل كلما ازداد تلاوة ازداد ذنبا وتعاظم عليه الهلاك، يشهد له قوله سبحانه وتعالى(ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه...إلى قوله : فلن يهتدوا إذا أبدا). وقوله سبحانه و تعالى (ويل لكل أفاك أثيم يسمع آيات اللّه تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها... إلى قوله: عذاب عظيم)، و قوله تعالى(قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل). الآية. وكل من يحفظ القرآن ولم يقم بحدوده فقد اتخذه هزءا. قال سبحانه و تعالى (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن... إلى قوله: ولا تتخذوا آيات اللّه هزءا). وقوله صلى اللّه عليه وسلم: ما بال أقوام يُشَرِّفُون المترفين ويستخِفُّون بالعابدين ويقولون بالقرآن ما وافى أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه، فعند ذلك يومنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض. الحديث.

أراد صلى اللّه عليه وسلم أنه يصدق عليهم الوعيد الذي في الآية قال سبحانه: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض... إلى قوله أشد العذاب). و قوله صلى اللّه عليه وسلم: إن من أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه اللّه بعلمه. و قوله سبحانه

وتعالى (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى... إلى قوله وكذلك اليوم تنسى). فمن ترك العمل بالقرآن، فقد نسيه و الوعيد ثابت عليه. فمثل هذا لا يكون القرآن في حقه أفضل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. فأصحاب المراتب الثلاثة الأولى القرآن في حقه أفضل من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم. و صاحب المرتبة الرابعة، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في حقه أفضل من القرآن.

وبيان ذلك انه يزداد من الله تعالى بتلاوة القرآن طردا ولعنا إلا أن يكون صاحب مرتبة إلهية في الغيب مدخرة له في المعرفة بالله العيانية. فإنه إن كان بهذه المثابة، وحاله في المرتبة الرابعة كما ذكرناه فتمحى جميع ذنوبه في الغيب وتكتب له جميع تلاوته حسنات لأجل المرتبة التي حصلت له من الله بطريق المحبوبية. فإن خلا من هذه المرتبة، فهو عند الله بين أمرين: أما أن يعامله بالعفو في الآخرة وعدم المؤاخذة بالعذاب على ذنوبه لسبب من الأسباب المعلومة في الغفران، و هي كثيرة. وإما أن يناقشه ربه بالحساب في الآخرة ثم يقول له لنؤاخذنك بها ذرة ذرة.

فصاحب هذه المرتبة، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل له من تلاوة القرآن لكونه أن الله يصلي عليه بكل صلاة عشرا عشرا وجميع الملائكة في كورة العالم عشرا عشرا لكل صلاة. فيفوز بذلك بالسعادة الأبدية. فإن هذا الوعد من الله محقق الوقوع وهو واقع لكل مطيع وعاص. فكل من صلى عليه ربه وصلّت عليه الملائكة، فهو من أهل السعادة. فصاحب هذا الحال يقع له الهلاك والشقاء بتلاوة القرآن وتقع له السعادة بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم قال رضي الله عنه: إن قال قائل: قد ذكرتم في فضل القرآن على سائر الأعمال ثم قلتم في حق العاصي: إن الصلاة على النبي

صلى اللّه عليه وسلم أفضل من القرآن وهذا أمر مناقض لما عيه الإجماع؟ قلنا إن القرآن هو محل القرب والتداني ومحل العلو والتعالي، ولا يقبل لا قليلا ولا كثيرا من سوء الأدب. فإنه حضرة برزت فيها الأحدية لجميع كمالاتها وتجلت فيها الصمدية بعلو جلالها، فلا يدخلها إلا الطاهر الكامل. و من دخلها، و أساء فيها شيئا من الأدب لعن وطرد. ولا كذلك الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم، فإنه صلى اللّه عليه وسلم حضرة القرب والتداني كما في القرآن وهو أيضا حضرة التنزل بالرحمة الكاملة للطاهر الكامل وللعاصي الجاني. ولاشتماله صلى اللّه عليه وسلم على الأمرين، وتنزل اللّه به رحمة للعالمين كان كل من تعلق به صلى اللّه عليه وسلم رحم وأعطي من الخير ما لا غاية له، إذ هو نسبة الرحمة الإلهية حيث قال:(ورحمتي وسعت كل شيء).

وأما الحضرة الأولى فقد أشار لها بقوله (لن ينال اللّهَ لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم)، و قوله سبحانه وتعالى(ويحذركم اللّه نفسه). فأنت ترى الترويع والتقريع لسماع سطوة الجلال فيما سمعت من الخطاب. وأما الرحمة فقد قال فيها (ورحمتي وسعت كل شيء)، و ما ذكر فيها تخويفا ولا تحذيرا. فلذلك كانت الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم ينال فضلها المطيع والعاصي دون القرآن، فإنه لا يفوز بفضله إلا الموفي بحقوق مرتبة القرب. فإذا عرفت هذا، عرفت النسبة بينه و بين الصلاة عليه صلى اللّه عليه و سلم. انتهى

.....مكة قال فيها بلد اللّه الحرام. وقد قال سبحانه و تعالى في حقها (ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم). و ورد فيها أن السيئة مكتوبة فيها بمائة. فإنها المحل الخاص بالحق سبحانه وتعالى، فلا تقبل شيئا من سوء الأدب. فمن تجاسر فيها على شيئ من سوء الأدب شدد عليه العذاب والنكال. فلا يتأتى الاستقرار فيها إلا لمن تعلق قلبه باللّه، فلا يخطر فيه غيره.

كذلك القرآن لا تليق تلاوته إلا لمن اطمأن قلبه بالله، فلا يخطر فيه غيره.

وأما المدينة فقد قال صلى الله عليه وسلم في حقها تنفي خبث صاحبها كما تنفي النار خبث الحديد، أو كما قال صلى الله عليه وسلم، يشير إلى كثرة العفو عن الذنوب فيها. و لا كذلك مكة، فإن المدينة حضرة التنزل بالرحمة الإلهية لكونه صلى الله عليه وسلم فيها، حيث أرسل رحمة للعالمين وهي أن الرحمة لا تختص بالمطيع.

و إجمال الأمر في ذلك: أن حضرة القرآن ومكة، العباد فيها طالبون للحق يريدون الترقي إلى الاتصال به في علو كماله، فاشترط في حقهم في هذه المرتبة كمال الطهارة من إلمام غيره بقلوبهم وإلا طردوا. و في حضرة المدينة والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم الحق هو الذي تنزل لعباده وطلبهم دون أن يطلبوه على ما هم عليه وتنزل لهم بالرحمة أن ينيلهم من فضله على أي حالة كانوا. ولذا ورد في مكة والمدينة أنهما محرمتان على الدجال لأنهما الحضرتان الخاصتان بالحق، واللعين يدعي أنه عين المرتبة الإلهية كذبا و زورا، فطرد عنها.

ثم أخبر أن المدينة تزلزل بأهلها ثلاث مرات عند ورود الدجال عليها ليخرج منها كل منافق مرتاب ولم يرد ذلك التزلزل بمكة لأن المدينة محل الجمع والاشتراك للمؤمن والكافر والبر والفاجر واشتمال الرحمة على جميعهم فزلزلت ليخرج إلى الدجال من أراد الله شقاوته، وإن كان من اشتمال الرحمة عليهم. وأما مكة فلم يكن فيها في ذلك الوقت إلا أهل القرب والتداني، فما احتاجت إلى التزلزل قال سبحانه وتعالى في حقهم(ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون). و قال تعالى في حق القرآن (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة) الآية. فإقامة الصلاة إذا كانت على أتم وجوهها قال فيها (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)، فهو المناسب لتلاوة القرآن. وأما الصلاة عليه

صلى اللّه عليه وسلم، فقد قال صلى اللّه عليه وسلم في حقها في المصلي عليه: أمر اللّه حافظيه ألا يكتبا عليه ذنبا ثلاثة أيام، فما ذكر صلى اللّه عليه وسلم العصمة من الذنوب بسببها ولكنه ذكر ترك المؤاخذة بسببها وكذلك صورة الرحمة الإلهية المنزل بها.

والقرآن شرط في تلاوته إقامة الصلاة وهي صورة الطهارة من سوء الأدب، حيث قال (تنهى عن الفحشاء والمنكر). فتأمل الفرق في الجواب إن كنت ذا فهم والسلام. فلما انتهى كلام الشيخ رضي اللّه عنه آمين قلت له الثواب المرتب على تلاوة القرآن إنما هو بالنظر لفضل القرآن دون أحوال التالين له. وإذا سلم هذا فثوابه حاصل حتى للفاسق . فقال رضي اللّه عنه: فهذا أمر يحتمل أنه يكتب له من تلاوة القرآن كما قلتم لاكن يظهر أبطاله من جهة وهو عدم عمله بالقرآن، فإن تلاوة القرآن مع عدم العمل هو المثل الذي ضربه اللّه لأهل التوراة، فقال سبحانه وتعالى (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا). و معلوم أن الحمار لا نفع له في حمل الأسفار على ظهره وقوله. ثم لم يحملوها أي لم يعملوا بما فيها. وقوله سبحانه (الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولائك يؤمنون به. و حق تلاوته هو العمل بما فيه. ومن أعرض عنه بعدم العمل به، فما تلاه حق تلاوته اهـ.

قلت فما تقدم من كلام شيخنا رضي اللّه عنه في ذكر تفضيل التلاوة لأصحاب المراتب الثلاثة على الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم وانتفاع صاحب المرتبة الرابعة بالصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم وتفضيلها في حقه على التلاوة، فإن ذلك في مطلق الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم من غير تخصيص. وأما إذا نظرنا لبعض الكيفيات والصيغ وبعض الأوراد وما ورد فيها من الفضل، فإنها أعظم من جميع الأذكار والأعمال على العموم من غير شذوذ في كثرة الفضل والثواب. لاكن لما كانت الآثار

التي وردت فيها، لم تبلغ درجة الصحيح وبعضها من أخبار الأولياء الغيبية تركها الشيخ رضي الله عنه حين تعرض لذكر فضل القرآن لما شاع وذاع من فضله على جميع الأذكار عند الأمة، ولا منازع. فهذا سبب ترك التعرض لذكرها مع القرآن.

و السبب الثاني الشفقة على المسلمين أن يموت أحدهم كافرا لأنه إذا اطلع على هذا الكلام لا يصدقه إلا أن يكون اعتقاده في هذا الشيخ متين أو محبته قوية أو ممن سبقت له السعادة في الأزل، فيسلم الأمر لله ولا يعترض. وأما من لم يكن على هذا الوصف، فبمجرد اطلاعه على هذا ما خالف ما عنده وما وصل إليه عقله سرى الاعتراض لقلبه وربما يجرحه بلسانه ولم يقتصر حتى بسبب الشيخ كأنه محيط بما عند الله من الخيرات ولم يتفطن أن أحكام الشريعة لا يحيط بها إلا الفرد الجامع. وإذا سب الشيخ ولم يتب مات كافرا والعياذ بالله.

فهذا سبب ترك تعرض الشيخ لذكر هذا الفضل العظيم كما قدمنا لا أنه عنده بصحيح في نفس الأمر. و كلامنا هذا فيها أخبرنا به من الغيب، لأنه أخبره به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم لا فيما وردت به الآثار، لكن بعضه.سأل شيخنا عنه سيد الوجود صلى الله عليه و سلم و أخبره بصحته و بعضه فلا. وسنذكر ما سأل عنه إن شاء الله فيما يأتي لتتم الفائدة.

وأحاديث فضائل الأعمال عند العلماء لا بحث فيها، فإنها مقبولة والعامل بها مأجور لأن كل من عمل لله عملا موافقا للشرع ظاهرا وباطنا فيؤجر عليه ولا يضيع مجانا قال الله تعالى (إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا). و ورد في الخبر: من بلغه عن الله خير في عمل فعمل به لله رجاء ذلك الخير، أعطاه الله ذلك، وإن لم يكن كذلك. انتهى بالمعنى.

و المؤكد على من أراد الشروع في أي عمل كان فلا يدخل فيه إلا بعد التصديق للخبر به فإن ذلك شرط في صحته. وهذا في أعمال الشريعة كلها. ومما اتفقت عليه هذه الأمة، وكذلك ما أخبر

به أصحاب البصائر من أولياء الله فلا ينتفع به العامل إلا مع التصديق لهم وعدم الاعتراض عليهم. ومن لم يكن على هذا الوصف الذي ذكرناه فلا يدخل في عمل فإن دخل فلا يحصل له إلا التعب والملل.

ومن جملة كلام الأولياء ما أودعناه من كلام شيخنا رضي الله عنه في هذا المجموع المسمى بروض المحب الفاني خصوصا ما سنذكره فيما يأتي بعد من فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما يتبعها من تعرضنا لفضل بعض الأوراد تبرعا منا للأجر وجلب الخير للمسلمين وإن كانت ليست من كلام سيدنا رضي الله عنه. فالخلق عيال الله أحبكم إلى الله أنفعكم لعياله. و الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه.

ولا تقل أطلت الكلام هنا وخرجت عن الغرض من جمع كلام سيدنا كما أشرنا له في أول الكتاب ،لأن هذا الباب هو زبدة هذا الكتاب ورأينا أنه لا يحصل النفع به إلا من دخل في زمرة الأحباب أو كان ممن رزق التسليم من ذوى الألباب. فلذا أوضحت فيه العبارة ولم نكتف بالإشارة. فمن وجد من الإخوان الواقفين على كلام شيخنا التصديق والاعتقاد ، فليحمد الله على حصول المراد. و ليشمر على ساقه ويدخل هذا البحر الخضم العظيم الأمواج ليلتقط من جواهره ويواقيته ما ينفعه في حياته وبعد موته. ويكون محصلا لجميع أمانيه وأمله.

ومن وجد نفسه على خلاف ما ذكرنا فليحذر نفسه من مطالعة ما سطرنا ، فإنه إن طالعها على هذا الحال ربما يسرع التكذيب لقلبه بما يرى من الأمور التي لا تسعها دائرة عقله ويكون ربحه هلاكه بيده وساعيا في حتف أنفه، وتجارته الكفر المخلد في النار من مات عليه. نعوذ بالله من سوء الاعتقاد. ما أقبحه من مراد. فالحذر الحذر إخواني من هذا الباب وهذه نصيحة مني لجميع المؤمنين.

نسأل اللّه النفع والربح لنا ولهم دنيا وأخرى آمين، و صلى اللّه على سيدنا محمد خاتم النبيين وأمام المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

شمس طالعة، وأنوار ساطعة

باب من فيض بحر الفضل الوافر الجزيل بغنائم باردة من غير سلاح ولا صهيل.

أعلم أيدنا اللّه وإياك بروح من اللّه إنه لا يوفق للعمل بما في هذا الباب إلا من سبقت له السعادة في أزل الإرادة أو شمر في الخدمة لنيل المئارب ورفع الحجاب وقصد الدخول للحضرة من ناحية الباب.

قال تعالى (وآتوا البيوت من أبوابها). و الأبواب هم الأحباب (أولئك الذين هداهم الله أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده و اتبع من أناب إليه). و الباب الأعظم هو سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم ومفتاحه هو التعلق به ظاهرا وباطنا والثناء عليه مما أثنى الله عليه. قال الله تعالى(إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما). وقال صلى الله عليه وسلم: أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة، أكثرهم علي صلاة. و من أعظم الثناء عليه وأكثره، الصلاة عليه بالياقوتة الفريدة وهي المعلومة عند أصحابنا بصلاة الفاتح لما أغلق إلخ. والاسم الأول سماها به شيخنا رضي الله عنه ولنشرع الآن في ذكر عظيم فضلها.

سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول: كنت حين رجعت من مصر إلى تلمسان مشتغلا بذكرها لما رأيت من المرة الواحدة منها بستمائة ألف صلاة كما هي في وردة الجيوب وغيرها. وذكر صاحب الوردة عن صاحبها سيدي محمد البكري، وكان قطبا رضي الله عنه . قال: من ذكرها مرة ولم يدخل الجنة، فليقبض صاحبها عند الله. وبقيت نذكرها إلى أن ارتحلت من تلمسان إلى أبي سمغون. فلما رأيت الصلاة التي المرة الواحدة منها بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات، تركت الفاتح لما أغلق إلخ واشتغلت بها وهي:

اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلاما يعدل جميع سلامهم، لما رأيت فيها من كثرة الفضل. ثم أمرني بالرجوع، صلى الله عليه وسلم على صلاة الفاتح لما أغلق إلخ. فلما أمرني بالرجوع إليها سألته صلى الله عليه وسلم عن فضلها فأخبرني أولا أن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ست مرات. ثم أخبري ثانيا أن المرة الواحدة منها تعدل من كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبيرا وصغير ستة ألاف مرة.

فقلت للشيخ رضي اللّه عنه: وهل القرآن داخل في الرواية الثانية أم لا؟ قال: يحتمل دخوله فيها. قلت لأنه ذكر. ومن جملة الأدعية دعاء السيفي، ففي المرة الواحدة منه ثواب صوم رمضان وقيام ليلة القدر وعبادة سنة وسورة القدر مثله في الثواب كما أخبر به شيخنا عن سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم.

ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه: وأما صلاة الفاتح لما أغلق، فإني سألته عنها أولا أنها بستمائة ألف صلاة وهل في جميع تلك الصلوات أجر من صلى بصلاة مفردة؟ فقال صلى اللّه عليه و سلم ما معناه: نعم يحصل في كل مرة منها أجر من صلى بستمائة ألف صلاة مفردة. فسألته صلى اللّه عليه وسلم: هل يقوم منها طائر واحد على الحد المذكور في الحديث لكل صلاة وهو الطائر الذي له سبعون ألف جناح إلخ الحديث أم يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة وثواب تسبيحهم للمصلي على النبي صلى اللّه عليه سلم؟ فقال صلى اللّه عليه وسلم: بل يقوم منها في كل مرة ستمائة ألف طائر على تلك الصفة في كل مرة.

ثم قال رضي اللّه عنه: فسألته صلى اللّه عليه وسلم عن حديث أن الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم مرة تعدل ثواب أربعمائة غزوة كل غزوة تعدل أربعمائة ألف حجة هل صحيح أولا؟ فقال صلى اللّه عليه وسلم: بل صحيح. فسألته صلى اللّه عليه وسلم عن عدد هذه الغزوات هل يقوم من صلاة الفاتح لما أغلق إلخ مرة أربعمائة غزوة فقط أم يقوم أربعمائة غزوة لكل صلاة من الستمائة ألف صلاة وكل صلاة عن انفرادها أربعمائة غزوة؟ فقال صلى اللّه عليه وسلم ما معناه أن الصلاة الفاتح لما أغلق بستمائة ألف صلاة، و كل صلاة من الستمائة ألف صلاة بأربعمائة غزوة. ثم قال بعده صلى اللّه عليه وسلم "أن من صلى بها أي بالفاتح إلخ مرة واحدة حصل له ثواب ما إذا صلى بكل صلاة وقعت في العالم من كل جن وإنس وملك بستمائة ألف صلاة من أول الدهر إلى وقت تلفظ المصلى بها، أي كأنه صلى بكل صلاة ستمائة ألف صلاة

من جميع صلوات المصلين عموما ملك وجن وإنس وكل صلاة بأربعمائة غزوة وكل صلاة من ذلك بطائر وكل صلاة من ذلك بزوجة من الحور وعشر حسنات ومحو عشر سيئات ورفع عشر درجات وأن يصلى عليه وملائكته بكل صلاة عشر مرات.

قال الشيخ رضي اللّه عنه: فإذا تأملت بقلبك علمت أن هذه الصلاة لا تقوم لها عبادة في مرة واحدة، فكيف بمن صلى مرات ماذا له عند اللّه. وهذا حاصل في كل مرة منها.

ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه وأخبرني أنها لم تكن من تأليف البكري، أي صلاة الفاتح لما أغلق إلخ و لكنه توجه إلى اللّه مدة طويلة أن يمنحه صلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم فيها ثواب جميع الصلوات وسر جميع الصلوات وطال طلبه مدة ثم أجاب اللّه دعوته، فأتاه المَلَك بهذه الصلاة مكتوبة في صحيفة من النور. ثم قال الشيخ رحمه اللّه فلما تأملت هذه الصلاة وجدتها لا تزنها عبادة جميع الجن و الإنس و الملائكة. قال رضي اللّه عنه: وقد كان أخبرني عن ثواب الاسم الأعظم فقلت أنها أكثر منه فقال صلى اللّه عليه وسلم: لا بل هو أعظم منها ولا تقوم له عبادة.

قال رضي اللّه عنه: فالمرة الواحدة من الاسم بستة آلاف مرة من صلاة الفاتح والمرة الواحدة منها تعدل من كل ذكر ومن كل تسبيح ومن كل استغفار ومن كل دعاء في الكون كبيرا أو صغيرا ستة آلاف مرة كما سبق.

وقال الشيخ رضي اللّه عنه: يكتب لذاكر صلاة الفاتح لما أغلق مرة ستة آلاف من ذكر كل حيوان وجماد. و ذكر الجمادات هو ذكرها للاسم القائم بها، لأن كل ذرة في الكون لها اسم قائمة به. و أما الحيوانات، فأذكارها مختلفة كما هو معلوم. وهذا ما أخبر به سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم شيخنا و وسيلتنا رضي اللّه عنه من فضل صلاة الفاتح لما أغلق إلخ. و كتبته من عبارة الشيخ بعضه من لفظه وبعض بالمعنى.

ولنرجع إلى ما عبر به الشيخ رضي اللّه عنه في فضل الفاتح وما يتبعها.
قال: و من الأدعية من فضله يعدل قيام ليلة القدر، أعني مرة واحدة كالسيفي، كما تقدم. فإذا تأملت فضل مرة واحد من الاسم من فضل ليلة القدر بالنسبة لفضل دعاء واحد كالسيفي، وجدت في المرة الواحدة من الاسم ستة وثلاثون ألف ألف ليلة القدر، لأن المرة الواحدة من الاسم بستة آلاف من الصلاة المذكورة و المرة منها بستة آلاف من الدعاء المذكور. فإذا ضربت ستة آلاف في ستة آلاف كان الخارج ستة وثلاثون ألف ألف. هذا في المرة الواحدة بالنسبة لدعاء واحد. و أما ما فوق المرة من الاسم لا يعلم قدره إلا اللّه. فسبحان من يوتي فضله من يشاء. فهنيئا ثم هنيئا لمن أوتي هذا الخير العظيم، لا حرمنا اللّه منه بمنه وكرمه آمين.
ومن أجوبة سيدنا و وسيلتنا إلى اللّه عن صلاة الفاتح إلخ. قال رضي اللّه عنه: و أما سؤالكم عن صلاة الفاتح لما أغلق فإنها وردت على هذه الكيفية من الغيب، وما ورد من الغيب كماله ثابت خارج عن القواعد المعلومة ليست من تأليف مؤلف و وراء هذا أن كيفيات وردت عنه صلى اللّه عليه وسلم في الصلاة الخالية من السلام و هي كيفيات نبوية متعبد بها، فلا التفات لما يقوله الفقهاء والسلام.
وخاصية الفاتح لما أغلق إلخ أمر إلهي لا مدخل فيه للقياس. فلو قدرت مائة ألف أمة، في كل أمة مائة ألف رجل، و عاش كل واحد مائة ألف عام يذكر في كل يوم مائة ألف صلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم من غير صلاة الفاتح لما أغلق وجمعت ثواب هذه الأمم كلها في مدة هذه السنين كلها في هذه الأذكار كلها، ما لحقوا كلهم ثواب مرة واحدة من صلاة الفاتح لما أغلق. فلا تلتفت لتكذيب مكذب ولا لقدح قادح فيها، فإن الفضل بيد اللّه يؤتيه من يشاء. فإن للّه سبحانه وتعالى فضلا خارجا عن دائرة القياس. و يكفيك قوله سبحانه (ويخلق ما لا تعلمون).

فما توجه متوجه إلى اللّه تعالى بعمل يبلغها، و إن كان ما كان و لا توجه متوجه إلى اللّه بعمل أحب إليه منها ولا أعظم عنده حظوة منها إلا مرتبة واحدة، وهو من توجه إلى اللّه باسمه العظيم الأعظم لا غير. فهو غاية التوجهات و الدرجة العليا من جميع التعبدات ليس لفضله غاية ولا فوق مرتبته نهاية. وهذه الصلاة الفاتح لما أغلق تليه في المرتبة في التوجه والثواب والفوز بمحبة اللّه لصاحبها وحسن المئاب. فمن توجه إلى اللّه تعالى بها مصدقا بهذا الحال فاز برضا اللّه و ثوابه في دنياه وأخراه بما لا تبلغه جميع الأعمال. شهد بها الفيض الإلهي الذي لا تبلغه الآمال. وليس يحصل هذا الفضل المذكور إلا مع التسليم. و من أراد المناقشة في هذا الباب وهذا المحل فليترك، فإنه لا يفيد فيه استقصاء حجج المقال. و أترك عنك محاججة من يطلب الحجاج فإن الخوض في ذلك ردًا و جوابا كالبحر، لا تنقطع منه الأمواج، والقلوب في يد اللّه هو المتصرف فيها والمقبل بها و المدبر بها.

فمن أراد اللّه سعادته والفوز بثواب هذه الياقوتة الفريدة جذب قلبه إلى التصديق بما سمع فيها وعرَّفه التسليم لفضل اللّه تعالى، فإنه لا يأخذه الحد والقياس فصرف همته في التوجه إلى اللّه تعالى والإقبال على اللّه تعالى بشأنها، فلا تعلم نفس ما أخفي له من قرة أعين. ومن أراد اللّه حرمانه من خيرها صرف اللّه قلبه بالوسوسة وبقوله من أين ياتي خبرها، فاشتغل بما قلنا لك. و من أطاعك في ذلك وأعرض عمن ناقشك في البحث عن تحقيق ذلك، فإنا أخذناه من الوجه الذي تعمله وكفى.

وأما سؤالكم عن سند طريقنا، فإنا أخذنا عن مشايخ عدة رضي اللّه عنهم، فلم يقض اللّه منهم بتحصيل المقصود، و إنما سندنا واستنادنا في هذه الطريق عن سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم. قد قضى اللّه بفتحنا و وصولنا على يديه ليس لغيره من الشيوخ فينا تصرف وكفى.انتهى الغرض من هذا الجواب.

و قول الشيخ رضي اللّه عنه: فإنا أخذناه من الوجه الذي تعلمه أراد أنه سمع فضلها من النبي صلى اللّه عليه وسلم كما قدمنا لأن صاحب الجواب المبعوث إليه عالم بهذا الحال. ولهذا قال له الشيخ من الوجه الذي تعلمه.

و سمع وسيلتنا من النبي صلى اللّه عليه وسلم لهذه الصلاة خاصة عظيمة في السلوك ليس هذا محلها.

و ذكر سيدنا رضي اللّه عنه كلاما كان سائلا سأله عما ذكر عن عظيم فضل هذه الصلاة و هل خبر سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم بعد موته كحياته سواء؟ فأجاب رضي اللّه عنه: الأمر العام الذي كان عاما للأمة طوي بساط ذلك بموته صلى اللّه عليه وسلم، و بقي الأمر الخاص الذي كان يلقيه للخاص. فإن ذلك في حياته وبعد موته دائما لا ينقطع وأن صلاة الفاتح لما أغلق أفضل من جميع وجوه الأعمال والعبادات وجميع وجوه البر على العموم والإطلاق وجميع وجوه الشمول والإمكان من دائرة الإحاطة فقط. فإن ذكره أفضل منها بكثير دون غيره من الأعمال والسلام.

فإن قلت ربما يطلع بعض القاصرين على هذا الفضل فيقول إذا كان هذا كما ذكرتم فينبغي الاشتغال به أولى من كل ذكر حتى القرآن؟ قلت له: بل تلاوة القرآن أولى لأنها مطلوبة شرعا لا لأجل الفضل الذي ورد فيه، بل لكونه أساس الشريعة وبساط المعاملة الإلهية، و لما ورد في تركها من الوعيد الشديد في خبر السنة وفي الآية على أحد التأويلات. فلهذا لا يحل لقارئه ترك تلاوته.

وأما الفضل الصلاة التي نحن بصددها، فإنه من باب التخيير، لا شيء على من تركه. و ثانيا إن هذا الباب ليس موضوعا للبحث والجدال، بل هو من باب فضائل الأعمال. و أنت خبير بما قال العلماء في فضائل الأعمال من عدم المناقشة.و قولنا أن هذا الباب...إلى قولنا المناقشة ليس حقيقة بل هو صحيح في نفس الأمر، و إنما أدخلته في فضائل الأعمال لعدم شهرة إسناده بين

العلماء. وأما صحته فهي عندي كالشمس في أفق السماء. فلا تشك فيها أي في جميع ما أخبرنا به شيخنا عن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم من فضل هذه الصلاة وغيرها من جميع أخباره. فإن كنت من الموفقين لهذا الخير العظيم، فادخل في باب التسليم واترك عنك دائرة العقل القاصر فيما أخبر به ذوو البصائر. فإن فضل الله لا حد له و لا يحصره حاصر ولا تكن من أهل التخييل والجدال وألق سمعك لما أبديه لك من اليواقيت وللآل، غير معترض بكثرة قيل و قال. قال ابن الفارض رحمه الله:

ولا تكن ممن طيَّشته دروسه بحيث استقلَّت عقله واستفزت
فثم وراء النقل علم يدِقُّ عن مدارك غايات العقول السليمة

و أجاب الشيخ رضي الله عنه عمن أراد المناقشة التي أوردناها قائلا: لا معارضة بين هذا و بين ما ورد من فضل القرآن و الكلمة الشريفة، لأن فضل القرآن و الكلمة عام أريد به العموم. و هذا خاص، ولا معرضة بينهما لأنه كان صلى الله عليه وسلم يلقي الأحكام العامة للعامة في حياته، يعني إذا حرم شيئا حرمه على الجميع وإذا افترض شيئا افترضه على الجميع. و كذلك سائر الأحكام الشرعية الظاهرة، ومع ذلك كان صلى الله عليه وسلم يلقي الأحكام والخاصة للخاصة. و كان يخص ببعض الأمور بعض الصحابة دون بعض، وهو شائع ذائع في أخباره صلى الله عليه وسلم. فلما انتقل إلى الدار الآخرة، وهو كحياته في الدنيا سواء، صار يلقي إلى أمته الأمر الخاص للخاص. و لا مدخل لأمر العام للعام، فإنه انقطع بموته صلى الله عليه وسلم وبقي فيضه للأمر الخاص للخاص. ومن توهم أنه صلى الله عليه وسلم انقطع جميع مدده على أمته صلى الله عليه وسلم كسائر الأموات فقد جهل رتبة النبي صلى الله عليه وسلم وأساء الأدب

معه ويخشى عليه أن يموت كافرا إن لم يمت كافرا إن لم يتب من هذا الاعتقاد. هـ.

قلت للشيخ رضي اللّه عنه و هل كان سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم عالما بهذا الفضل المتأخر في وقته؟ قال: نعم هو عالم به. قلت: ولم لم يذكره لأصحابه رضوان اللّه عليهم أجمعين لما فيه من هذا الخير الذي لا يكيف؟ قال: منعه أمران: الأول أنه علم بتأخير وقته وعدم وجود من يظهره اللّه على يديه في ذلك الوقت. ثانيا أنه لو ذكر لهم هذا الفضل العظيم في هذا العمل القليل لطلبوا منه أن يعنيه لهم لشدة حرصهم على الخير، ولم يكن ظهوره في وقتهم. فلهذا لم يذكره لهم.

ونظر آخر غير ما تقدم، و هو أن اللّه تبارك و تعالى لما علم ضعف أهل هذا الزمان وما هم عليه من التخليط و الفساد رحمهم وجاد عليهم بخير كثير في مقابلة عمل يسير(يختص برحمته من يشاء) في الوقت الذي يشاء. ولا يقال أن خبره بعد موته ليس كخبره في حياته. هما سيان في جميع ما أخبر به صلى اللّه عليه وسلم إلا في التفصيل المتقدم من العام للعام والخاص للخاص كما تقدم.

ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه: وهذا الفضل المذكور فيما دون الفرائض، وأما هي فلا لحديث أي الأعمال أفضل يا رسول اللّه قال صلى اللّه عليه وسلم الصلاة في أول مواقيتها. الحديث.

قلت للشيخ رضي اللّه عنه: على هذا أن صاحب هذه الصلاة الذي يذكرها له فضل أكثر من جميع من تقدمه من عباده اللّه المؤمنين لكون جميع صلواتهم على النبي صلى اللّه عليه وسلم و جميع أذكارهم و أورادهم تضاعف له، كما تقدم في فضل صلاة الفاتح. و كذلك غيرها كالجوهرة و كقول دائرة الإحاطة؟ قال: هو كذلك، ولكن كل واحد من الصحابة بلّغوا الدين مكتوبا في صحيفته جميع أعمال من بعده ومن وقته إلى آخر هذه الأمة. و إذا فهم هذا، ففضل الصحابة لا

مطمع فيه لمن بعدهم ولو كان من أهل الكثير المذكور في هذا الباب، و لمرتبة الصحبة أيضا.

ثم ضرب مثالا لعمل الصحابة مع غيرهم. قال: عملنا مع عملهم كمشي النملة مع سرعة طيران القطاه. و صدق الشيخ رضي اللّه عنه فيما مثل به لأنهم حازوا قصبات السبق بصحبة سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم. و قال في حقهم صلى اللّه عليه وسلم: إن اللّه اصطفى أصحابي على سائر العالمين سوى النبيين والمرسلين وقال صلى اللّه عليه وسلم: لو أنفق أحدكم مثل أُحُد، ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه. هـ.

وذكر الشيخ رضي اللّه عنه وجها آخر لبيان فضل أهل المراتب. قال: إن الثواب المتقدم ذكره لي بسبب خاصية في بعض الأذكار، كما قدمنا، إنما هو المعتاد لكل عامل. مثلا إذا كان يحصل له في ذكره عشر حسنات أو مائة أو ألف أو أكثر فهذه هي التي يتضاعف فضلها لعامل الخاصية كصلاة الفاتح وغيرها. و هذا بالنظر لغير أهل المراتب. وأما هم فيتضاعف لهم العمل بحسب مراتبهم. فليس مرتبة الرسالة كمرتبة النبوءة ولا الصديقية كالنبوءة، ولا يشملهم القياس وإنما هو بالنظر للغالب أو للجميع مع قطع النظر عن المرتبة. قال سيدنا جبريل عليه السلام للنبي صلى اللّه عليه وسلم: إن عمر حسنة من حسنات أبي بكر، بعد أن قال له: لو حدثتك بفضائل عمر في السماء قدر عمر الدنيا، ما فرغت أو كما قال، مع أنهما كانا في العمل سواء أو متقاربين وإنما سبقه بحسب المرتبة لا بحسب العمل. ولهذا قال صلى اللّه عليه وسلم: ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة وإنما فضلكم بشيء وقر في صدره. هـ. رضي اللّه عنه وعن جميع أصحاب سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم.

وسمعت الشيخ رضي اللّه عنه يذكر تفاوت الأولياء في العمل والثواب قال: منهم من يومه كالمعتاد لغيره ومنهم من يومه كليلة القدر ومنهم من يومه بألف سنة ومنهم من يومه كيوم المعارج،

خمسين ألف سنة. فقلت له هذا في العمل نفسه أو تضاعف الثواب؟ قال: منهم من يعمل قدر ما يعمل غيره من العمل في المدة المذكورة، يعمله هو في يوم واحد. ومنهم من يكون أجر عمله في يوم واحد كما إذا عمل في المدة المذكورة. قلت له: الذي عنده السر المعلوم، وهو الاسم الأعظم عنده أكثر من هذا القدر على ما سمعناه منك مرارا؟ قال: ذلك لا يقاس عليه لأنه من الناذر لأن الفضل الذي يعطي له لا يعلمه إلا الله. رزقنا الله ما رزقهم آمين بمحض فضله وكرمه. قال ابن الفارض رحمه الله ورضي الله عنه آمين في معنى ما تقدم

و اتلوا علوم العالمين بلفظة واجلوا على العالمين بلحظة
وفي ساعة أو دون ذلك من تلى بجموعه جمعي تلى ألف ختمة

فائدة .قال الشيخ رضي الله عنه: عدد ألْسِنَةِ الطائر الذي يخلقه الله من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، الذي له سبعون ألف جناح إلخ الحديث هي ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف، إلى أن تعد سبع مراتب وستمائة وثمانون ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف إلى أن تعد سبع مراتب وسبعمائة ألف ألف ألف ألف ألف، إلى أن تعد خمس مراتب. فهذا مجموع عدد الألسنة. وكل لسان يسبح الله بسبعين ألف لغة في كل لحظة وكل ثوابها للمصلى على النبي صلى الله عليه وسلم في كل مرة. هذا في غير الياقوتة الفريدة. وأما فيها فإنه يخلق في كل مرة ستمائة ألف طائر على الصفة المذكورة كما تقدم. فسبحان المتفضل على من يشاء من عباده من غير مَنٍّ و لا علة.

وسئل شيخنا رضي الله عنه عن معنى صلاة الفاتح لما أغلق، فأجاب رضي الله عنه: معناه الفاتح لما أغلق من صور الأكوان، فإنها كانت معلقة في حجاب البطون وصورة العدم، ففتحت مغاليقها بسبب وجوده صلى الله عليه وسلم وخرجت من صورة العدم إلى

صورة الوجود ومن حجابية البطون إلى نفسها في عالم الظهور، إذ لولا هو ما خلق الله موجودا ولا أخرجه من العدم إلى الوجود. فهذا أحد معانيه. والثاني أنه فتح مغاليق أبواب الرحمة الإلهية، و بسببه انفتحت على الخلق. و لولا أن الله تعالى خلق محمدا صلى الله عليه وسلم ما رحم مخلوقا. فالرحمة من الله تعالى لخلقه بسبب نبيه صلى الله عليه وسلم. فبسببه تفتحت مغاليق أبواب الرحمة الإلهية.

و الثالث من معانيها هي القلوب التي أغلقت على الشرك مملوءة به، و لم يجد الإيمان مدخلا لها، ففتحت بدعوته صلى الله عليه وسلم حتى دخلها الإيمان وطهرها من الشرك وامتلأت بالإيمان والحكمة.

قوله الخاتم لما سبق من النبوءة والرسالة، فإنه ختمها وأغلق أبوابها صلى الله عليه وسلم، فلا مطمع فيها لغيره. وكذلك الخاتم لما سبق من صور التجليات الإلهية التي تجلى الحق سبحانه بصورها في عالم الظهور، فإنه صلى الله عليه وسلم أول موجودا أوجده الله تعالى من حجاب البطون وصورة العمى الرباني. ثم ما زال يبسط صور العوالم بعدها بظهور أجناسها بالترتيب القائم على المشيئة الربانية جنسا بعد جنس إلى أن كان آخر ما تجلى به في عالم الظهور الصورة الآدمية. فلم يخلق بعدها من أجناس الخلق. وكان وجود تلك الصورة الآدمية على ظهور صورته صلى الله عليه وسلم، وهو المراد في الصورة الآدمية. فكما افتتح به ظهور الوجود كذلك أغلق ظهور صور الموجودات، صلى الله عليه وسلم وعلى آله. هـ من إملاء شيخنا رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

و من خواص الفاتح لما أغلق الغيبية أن من ذكرها عددا معلوما بشرط خلو خاطره من جميع 2916631 بالليل والنهار أياما معدودة فتح الله عليه.

و من الخواص الغيبية جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال. من فضائلها أن المرة الواحدة منها تعدل تسبيح العالم ثلاث مرات. و منها أن من قرأها سبعا إلى ما لا نهاية له يحضره روح النبي صلى اللّه عليه وسلم والخلفاء الأربعة ما دام يذكرها كثّر أو قلل. ومنها أن من لازمها أزيد عن سبع مرات يحبه النبي صلى اللّه عليه وسلم محبة خاصة ولا يموت حتى يكون من الأولياء. و قال الشيخ رضي اللّه عنه، من داوم عليها سبعا عند النوم على طهارة كاملة و فراش طاهر يرى النبي صلى اللّه عليه وسلم. و هذا ما بلغنا من خصائصها.

ومن الأمور الغيبية ياقوتة الحقائق في التعريف بسيد الخلائق. فمن فضائلها تحصيل خير الدنيا والآخرة، وأن من قرأها مرتين صباحا ومرتين مساء لم يكتب عليه ذنب. وسنذكر فضلها إن شاء اللّه تعالى فيها يأتي.

ومن الأخبار الغيبية بعض فضائل سورة الفاتحة. قد أخبرنا الشيخ فيما أخبره به سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم قال: و أما الفاتحة قد ذكر لنا أن فيها بكل مرة أجر ختمة من القرآن. فقلت له صلى اللّه عليه وسلم: بلغني في بعض الأخبار أن من تلاها مرة فكأنما سبح اللّه بكل تسبيح سبَّحه به جميع خلقه في كورة العالم. فهل يحصل فيها هذا الثواب كله؟ فقال لي صلى اللّه عليه وسلم: فيها أكثر من ذلك ويحصل لتاليها في كل مرة بعدد حروفها وحروف القرآن بكل حرف سبع قصور وسبع حور. و قد قيل أن حروف القرآن ثلاثمائة ألف وإحدى وعشرون وخمسة وسبعون(321075 حرف). فإذا ضربتها في سبعة وهو عدد الحور، لكل حرف سبعة، يخرج لكل حرف ألف ألف ومائتا ألف وسبع وأربعون ألف وخمسمائة وخمسة وعشرون حوراء(1247525).

وفي سورة القدر ثلاثمائة ألف وستون ألفا، لكونها فيها فضل صيام رمضان. و كل يوم منه باثني عشر ألفا. وإذا جمع هذا العدد مع

الأول يكون ألفى ألف وستمائة ألاف وسبعة آلاف وخمسمائة وخمسة وعشرون هـ.

وأما في الصلاة فيتضاعف له مرتين إن صلى جالسا و أربع مرات إن صلى قائما. هذا للفذ. فإذا قرأها في صلاة الجماعة فيتضاعف بمائة وثمان مرات. وإذا نظرت إلى عدد الركعات وهي سبعة عشر ركعة بين النهار والليل يصير ثمانية عشر مائة وثلاثون، أعني فضلها المتقدم في عدد الحروف ألفي ألف إلخ تتضاعف إلى هذا القدر ومثله تسبيح العالم ومثله قيام ليلة القدر ومثله عبادة ستين ومثله ختمات من القرآن حاصل من قراها في صلاة الجماعة فيعطى من الأجر في اليوم الواحد أربعة آلاف ألف ألف وسبعمائة ألف ألف وستة وثمانون ألف ألف وثلاثمائة وستون ألفا وتسعمائة حوراء مع الأجر المتقدم مع تسبيح العالم إلى ختمات القرآن وقراءة الإمام له قراءة. و في الحديث: من صلى خلف الإمام، فقراءة الإمام له قراءة هـ.

ثم قال سيدنا رضي اللّه عنه: وهذا لمن لا يعرف معنى التفسير. و أما من علم التفسير فيتضاعف له الأجر مرتين وهو مائتا حسنة لكل حرف. ثم قال بعد كلام: ولا تكتب عليه سيئة في تلك السنة أعني قارئ الفاتحة مرة.

ثم قال رضي اللّه عنه وهذا في غير نية الاسم وأما مع نيته فلا يحيط بفضلها إلا اللّه. ولا يستعظم هذا في جنب اللّه، فإن فضل اللّه لا حد له ولا نهاية والسلام. قال الشيخ رضي اللّه عنه يريد مع ما تقدم.ثم قال الشيخ رضي اللّه: قال صلى اللّه عليه وسلم ويجاورني في عليين.

هذا ما ذكر فيها. قال: من تلاها مرة له جميع هذا الثواب في كل مرة. وأما من تلاها وهو يعتقد أنه يتلو أم س ق أم غ ك ن معها بتلاوة ..... فيها، فإنه يحصل له في كل مرة تلاوة ..... وثواب تلاوتها فإن حروف ..... تامة فيها. فكلما تلاها فقد تلاه معها. وهذه الخاصية في الفاتحة فقط دون ما عداها من المتلوات

التي كملت فيها حروف أم ش ق. وأعلم أن من تلاها متعبدا لله من غير شعور بتلاوة .....معها كان له الثواب الأول. ومن تلاها معتقدا أنه يتلوا ..... معها لوجود كمال ..... فيها، كان له ثواب تلاوتها وتلاوة .....في كل مرة منها. و أما ثوابها وحدها ففيه ثواب سورة القدر ، و هي تعدل قيام ليلة القدر و صيام رمضان و عبادة سنة، لكونها تعدل ختمة من القرآن، و من الختمة سورة القدر. هـ

ومن الأخبار الغيبية روح الصلوات على النبي صلى الله عليه وسلم وهي: اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. ولها خاصية عظيمة في السلوك، وهي أن من ذكرها خمسة وعشرين ألفا خمس مراتب بنية خاصة لكل مرتبة من مراتبها في خلوة وقت الذكر حصل مراده. فهذا ما سمعناه فيها من أخبار الغيب.

ومن أخبار الغيب الصلاة التي كان يلاقي بها الواسطة المعظم رحمه الله سيد الوجود صلى الله عليه وسلم. إذا ذكرها عددا معلوما. وهي: اللهم أجمع جميع أذكار الذاكرين وجميع صلوات المصلين واجعل لي جميع الأذكار ذكري وجمع الصلوات صلاتي على سيدنا محمد شفيع المذنبين وعلى آله بحر الكاملين عدد ما في علمك يا رب هـ.

ومن أخبار الغيب كيفية زيارة سيدنا محمد المخفي رحمه الله المدفون ببلاد أشلف قرب البحر، وهو أن من وقف على قبره واستقبل 331 م ث و صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ق ي ث مرة لم يدخل النار ولا يراها بعينه ولا الصراط ويكون في قبة مع الصحابة العشرة في موقف الحشر، و يشفع فيمن أحب بأمر الله وأمره صلى الله عليه وسلم من جميع أحبابه أو كل من أراد. انتهى ما سمعنا من سيدنا رضي الله عنه من أخبار الغيب التي أخبره به سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم التي

يمكن ظهورها وإفشاؤها لما فيها من النفع لمن عمل بها من المؤمنين.

وأما التي لا يمكن إفشاؤها فلم نكتبها في هذا المجموع صونا لها، ولأنها من الأمور الخاصة للخاصة. وهذا موضوع للعامة، و إن أمكنني بعض منها أي بإذن من الشيخ أو رأيت أنه لا ينكر كتابتها هنا في أثناء الكتاب إن شاء الله لأني سمعت منها كثيرا له المنة وله الحمد.

وأما ما وردت به الآثار التي وعدنا بكتبه في أول الباب:

فمنها رفع العمل وهي: اللهم صل على سيدنا محمد النبي عدد من صلى عليه من خلفك وصلى على سيدنا محمد النبي كما ينبغي لنا أن نصلي عليه وصل على سيدنا محمد النبي كما أمرتنا أن نصلي عليه. فقد ورد في بعض الآثار أن من صلى بها عشرا في الصباح وعشرا في المساء رفع له مثل عمل أهل الأرض هـ.

وفي حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أخبرني جبريل عليه السلام عن ثواب أعطاه الله لإبراهيم عليه السلام. قال ذات يوم الحمد لله قبل كل أحد و الحمد لله بعد كل أحد و الحمد لله على كل حال. فأمر الله الملائكة يكتبون الحمد لله قبل كل أحد كأجر ألف حجة مبرورة و كأجر من صام الدهر و قامه و كأجر من كان له ملء الأرض ذهبا فأنفقه في سبيل الله.

وفي بعض كتب الأدعية عن نافع عن عبد الله بن عمر قال: قال جبريل لعيسى ابن مريم عليهما السلام مررت بإسرافيل وهو في السماء السادسة في ملأ من الملائكة وهو يدعو و هم يؤمنون على دعائه وهو يقول: تباركت إلهي من الدهر إلى الدهر وتعاليت إلهي من الدهر إلى الدهر وتقدست إلهي من الدهر إلى الدهر وأنت ربي ورب كل شيء لا إله إلا أنت يا أكرم الأكرمين والفتاح بالخيرات اغفر لي ولعبادك الذين آمنوا بما أنزلت على رسولك. قال جبريل: سألت إسرافيل عن ثواب هذه الكلمات قال لي من قالها في دهره مرة واحدة ما شقي بعدها أبدا. ولا يقولها عبد ثم

يسأل الله حاجة إلا قضاها الله له ولم يقلها عبد كل صلاة إلا يقبل الله صلاته وسائر عمله .هـ

وفي خبر أن من قال كل يوم مائة مرة: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته مات على حسن الخاتمة.

وهذا استغفار سيدنا الخضر على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام:

اللهم إني أستغفرك من كل ذنب تبت إليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ما وعدتك من نفسي ثم لم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطني فيه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علي فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أذنبته في ضياء النهار أو سواد الليل في ملا أو خلا أو سر أو علانية. يا حليم.

قال الشيخ رضي الله عنه من ذكره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر هـ.

فهذا هو المنسوب لسيدنا الخضر عليه السلام. وأما الاستغفار المتقدم في الوصية ففي كتاب البركات. قال صلى الله عليه وسلم: لو أن لصاحب هذا الاستغفار من الذنوب مثل السموات السبع و الأرضين السبع والجبال الرواسي بعد قطر المطر وورق الشجر وماء البحر وعدد الرمل لحطه الله عنه و كتب له عدد ذلك حسنات و لا يفتقر أبدا. انتهى

وفي كتاب البركات أيضا قال النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ إذا سلم الإمام يوم الجمعة قبل أن يثني رجليه فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد وقل أعوذ برب الفلق وقل أعوذ برب الناس سبعا سبعا، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، و أعطي من الأجر عدد من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. رواه في الأربعين المحررة. وفي كتاب ابن السني: من قال ذلك أعاذه الله من السوء إلى يوم الجمعة الأخرى. يذكر في حديثه فاتحة الكتاب ويقول بعد ذلك: اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا

معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك. فمن كان عليه من الذنوب حشو الدنيا يغفر الله له هـ.

ومن الأذكار العظيمة: سبحان من لا يعلم قدره غيره سبحان من لا يصف الواصفون قدر صفاته. فإن فيه فضلا عظيما ومن ذكره أي دوام على ذكره أغناه الله.

وكذلك من الأذكار العظيمة: سبحان الدائم الباقي سبحان الحي القيوم سبحان الله وبحمده سبحان الباعث الوارث سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح سبحان العلي الأعلى سبحانه وتعالى. من دوام عليه سنة لم يمت حتى يرى منزله من الجنة أو يُرى له. و ذكر هذا الخبر عبد الملك بن الحبيب رحمه الله وزاد: سبحان الوارث سبحان الملك القدوس. قال و يرى النبي صلى الله عليه وسلم في نومه. و قد جرب هذا الخبر غير واحد، فجاء على ما قال. و قال عمر بن محمد المغربي: قلتها ثلاثة أيام كل يوم مائة مرة، فكان لا يزال الرجل يلقاني يقول رأيت لك كذا وكذا والحمد لله رب العالمين. هـ.

و في نزهة المجالس كذا لأبي هريرة رحمه الله تعالى: أوحى الله إلى موسى عليه السلام: أتحب الأمان من أهوال يوم القيامة؟ قال: نعم. قال قل: أستغفر الله العظيم لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات. فإنه من قالها كل يوم خمسا وعشرين مرة كتب الله له أجر سبعين صديقا. هـ.

سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول: من قال هذه الكلمات أربع مرات بعد عصر يوم الخميس غفرت له ذنوب ثمانين سنة وهي: يا دائم الفضل على البرية يا باسط اليدين بالرحمة والعطية يا صاحب المواهب السنية صل على سيدنا محمد خير البرية واغفر لنا يا مولانا في ذي العشية. و وجدت مقيدا بخط سيدنا بعد عصر يوم الجمعة. و فيها زيادة على هذه الرواية وهي: يا دائم الفضل على البرية يا باسط اليدين بالرحمة والعطية يا صاحب المواهب

السنية صل اللهم على سيدنا ومولانا محمد خير البرية واغفر لنا واستجب في هذه العشية. عشر مرات كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وزاحم سيدنا إبراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام في يوم القيامة. هـ.

و من مكفرات الذنوب ثمانون من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الجمعة تكفر ذنوب أربعمائة عام، عامين متقدمة وعامين متأخرة. قال الشيخ رضي الله عنه: وأكدها وأحسنها وأفضلها أن تكون بالفاتح لما أغلق إلخ. فمن يحفظها فلا يؤثر عليها في كل موطن لما فيها من كثرة الفضل الذي قدمناه في أول الباب.

و أما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين مرة بعد عصر يوم الجمعة فإنها معلومة عند عامة المسلمين الذين في المدن وبعض القرى ثمانين مرة تكفر ثمانين سنة هـ. و كذلك وظيفة اليوم و الليلة ثلاثا في الصباح وثلاثا في المساء كما تقدم في الوصية فإنه إن قالها صباحا لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم وإن قالها في المساء لم يكتب عليه ذنب في الليل كذلك.

و كذلك من المكفرات كما تقدم في الوصية: اللهم مغفرتك أسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي ثلاثا صباحا وثلاثا مساء كما تقدم في الوصية. و في الإحياء عن النبي صلى الله عليه وسلم: من قال سبحانك اللهم وبحمدك ظلمت نفسي وعملت سوء فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. غفرت ذنوبه ولو كانت مثل ذبيب النمل.

و أما المسبعات العشر، فإن من ذكرها مرة لم تكتب عليه ذنوب سنة مع ما فيها من الفضل العظيم وهي هذه: 1 الفاتحة -2 قل أعوذ برب الناس-3 قل أعوذ برب الفلق-4 والإخلاص-5 قل يا أيها الكافرون-6 وآية الكرسي-7 سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا

اللّه واللّه أكبر ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم- 8اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى لآله وأصحابه وسلم- 9اللهم اغفر لي ولوالدي اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات- 10اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا ولآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور رحيم جواد كريم رءوف رحيم. سبعا سبعا. فهذه هي الرواية التي أخذها شيخنا عن شيخه سيدي محمود الكردي وهو أخذها عن الخضر عليه السلام مشافهة وهي بالتنكيس كما هي هنا. هـ

ومن هذه المعنى صلاة التسبيح، فإن من صلاها غفر اللّه له ذنبه أوله وآخره قديمه وحديثه خطاه وعمده صغير وكبير سره وعلانيته. أن تصلي أربع ركعات تقرا في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فإذا فرغت من القرآن في الركعة الأولى قل سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر خمسة مرة ثم تركع ثم تقولها في الركوع عشر مرات ثم ترفع رأسك من الركوع ثم تقولها عشرا كذلك ثم تسجد فتقولها عشر كذلك ثم ترفع رأسك من السجود فتقولها عشرا كذلك وأنت جالس. فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة. تفعل ما ذكرت لك في أربع ركعات. إن استطعت أن تصليها في كل يوم فافعل، و إلا ففي كل جمعة مرة و إلا ففي كل شهر مرة، و إلا ففي عمرك مرة واحدة. فإن كنت في الليل فسلم اثنين، وإن صليتها بالنهار فأنت بالخيار، أن شئت تسلم من اثنين وإن شئت من أربع بتسليمة واحدة.

وأما دعاء يا من أظهر الجميل فهذا لفظه على الرواية التي سمعناها من الشيخ رضي اللّه عنه وهي هذه: يا من أظهر الجميل وستر القبيح ولم يؤاخذ بالجريرة ولم يهتك الستر ويا عظيم العفو ويا حسن التجاوز ويا وا سع المغفرة ويا باسط اليدين بالرحمة ويا سامع كل نجوى ويا منتهى كل شكوى ويا كريم الصفح ويا عظيم

المن ويا مبتدئا بالنعم قبل استحقاقها يا رب ويا سيدي ويا مولاي ويا غاية رغبتي أسالك أن لا تشوه خلقي ببلاء الدنيا ولا بعذاب النار هـ.

فائـــدة من قرأ هذه الكلمات صباحا ومساء لم يكتب عليه الملكان ما يضره في يومه وليلته وهي: مرحبا بالملكين الكريمين الحافظين الكاتبين أكتبا علي بأني أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله هـ.

وفي جواهر الغوث جاء ذات يوم أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: يا رسول الله نحن نسكن في البادية والمدينة بعيدة علينا لا نستطيع حضور الجمعة دلنا على عمل نجبر به باديتنا، فنشتغل به. فقال عليه الصلاة والسلام: إذا طلعت الشمس تصلي ركعتين تقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة قل أعوذ برب الفلق وفي الثانية قل أعوذ برب الناس وبعد السلام تقرأ آية الكرسي وسبع مرات ثم تقوم وتصلي أربع ركعات أخرى تقرا في كل ركعة بعد الفاتحة إذا جاء نصر الله وقل هو الله أحد خمسة وعشرين مرة وبعد السلام تقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم سبعين مرة. ثم قال صلى اله عليه وسلم: بالله الذي قلب محمد في أمره كل مؤمن من الرجال والنساء يصلي بهذه الصلاة على حسب ما أمرت يوم الجمعة فأنا ضامن له الجنة ولم يقم من مصلاه إلا مغفورا له وينادي منادي من تحت العرش يا عبد الله استأنب العمل إن الله قد غفر لك الذنوب الماضية والآتية.

فإن قدرت تنفد من أقطار الرحمة المحيط ولا تقدر، فانظر كيف تعمل ويحصل لمصلي هذه الصلاة ثواب التوراة والإنجيل والفرقان وثواب صيام الدهر وثواب الطائعين بالبيت وبيت المقدس ومسجد المدينة كأنه بناها بيده ويكتب له ثواب بعدد الحجر والمدر وأوراق الشجر ورمل الصحراء وثواب الأنبياء من لدن آدم المصطفى إلى محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: هذا لكل أحد ليس مخصوصا بالأعرابي في البطحاء. فقامت أم زيد بن ثبت وطافت حول الأعرابي وقالت ما حصل لنا هذا الثواب إلا منك وأعطاه عبد الرحمان بن عوف ثوبين وألف درهم ورجل آخر أعطاه ثوبا وسبعين دينارا. فرجع الأعرابي فرحا إلى قومه. و فضل هذه الصلاة لا يعلمها إلا الله. فمن شك فهو كافر بالله هـ.

ولتكفير الصلاة الفائتة من صلى يوم الجمعة قبل العصر أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وسورة الكوثر خمسة عشرون مرة، فإذا فرغ استغفر الله عشرا وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم خمسة عشر مرة كانت كفارة الصلاة الفائتة. قال عثمان رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال، كانت هذه الصلاة كفارة للصلاة الفائتة، و لو مائة سنة. وقال علي رضي الله عنه: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول كانت هذه الصلاة كفارة للصلاة الفائتة خمسمائة سنة. و قالت عائشة رضي الله عنها: سمعت النبي صلى اله عليه وسلم يقول هذه الصلاة كفارة للصلاة الفائتة ألف سنة. من صلى هذه الصلاة ولا قضاء عليه إن كان في صلاة أبيه و أمه فوائت، كانت كفارة. نقل عن غير الحضرة الغوثية اهـ.

وفي رواية جواهر الغوث قدس الله سره، من فاتته الصلاة ولم يدر كم هي ينبغي له أن يصلي يوم الجمعة أربع ركعات بتسليمة واحدة يقرأ في كل واحدة بعد الفاتحة آية الكرسي سبعا وإنا أعطيناك الكوثر خمسة عشر مرة. عن أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من فاتته صلاة سبعين سنة تكون كفارة لها. قالوا يا رسول الله لا يزيد عمر الإنسان على سبعين أو ثمانين. قال صلى الله عليه وسلم صلواته وصلوات أبويه وأولاده وينوي: نويت أن أصلي لله تعالى أربع ركعات تكفيرا لقضاء ما

فات مني في جميع عمري صلاة النفل متوجها إلى القبلة. الله أكبر وبعد السلام يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ويدعوا بهذا الدعاء: بسم الله الرحمن الرحيم اللهم يا سابق الفوت ويا سامع الصوت ويا محي العظام بعد الموت صل على محمد وعلى آل محمد واجعل لي فرجا ومخرجا مما أنا فيه فإنك تعلم ولا أعلم وأنت تقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب يا واهب العطايا ويا غافر الخطايا يا سبوح و يا قدوس رب الملائكة والروح رب اغفر لي وارحم و تجاوز عما تعلم فإنك أنت العلي الأعظم يا ستار العيوب. و يا غافر الذنوب يا ذا الجلال والإكرام وصلى الله على سيدنا و مولانا محمد وآله وصحبه أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين هـ.

وروى القاضي مجد الدين في كتاب الصلاة والبشرى. حدثنا مسند إلى إلياس والخضر عليهما الصلاة والسلام قالوا: سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول إذا جلستم مجلسا فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله يوكل الله بكم ملكا يمنعكم حتى لا تغتابوا أحدا. فإذا قمتم فقولوا بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله، فإن الناس لا يغتابونك، ويمنعكم الملك من ذلك. و في حديث آخر أنه إن كان مجلس خير كان ذلك كالطابع و إن كان مجلس شر كان ذلك كفارة له هـ.

بشـــارة: و في البخاري ومسلم والنسائي عن عبادة بن الصامت عنه صلى الله عليه وسلم: من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وابن أمته كلمة ألقاها إلى مريم و روح منه و أن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء، على ما كان من العمل.

فائدة جليلة قال الشيخ العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتابه المسمى بالدلالة على الله عز وجل عن سيدنا أبي

العباس الخضر على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام فقال سالت أربعة وعشرين ألف نبي عن استعمال شيء يأمن به العبد من سلب الإيمان فلم يجبني أحد منهم عن ذلك حتى اجتمعت بالنبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن ذلك فقال: أسئل جبريل عليه السلام عن ذلك. فسألته فقال حتى أسئل رب العزة عن ذلك، فقال له الله عز وجل: من واظب على قراءة آية الكرسي و آمن الرسول إلخ السورة وشهد الله إلا الإسلام وقل اللهم مالك الملك إلى حساب وسورة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة عقب كل صلاة أمن من سلب الإيمان اهـ.

اللهم يا رب محمد وآل محمد صل على محمد و على آل محمد و أعط محمد الدرجة الرفيعة في الجنة. اللهم يا رب محمد وآل محمد اجز محمد ما هو أهله. و في رواية اللهم يا رب محمد وآل محمد صل على محمد وعلى آل محمد وأجز محمد صلى الله عليه سلم ما هو أهله هـ.

ففضل الصلاة الأولى من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم بها مرة أو أكثر أتعب سبعين كاتبا ألف صباح و لم يبق حق للنبي صلى الله عليه وسلم إلا أداه وغفر له ولوالديه. وفضل الثانية مثل الأولى أيضا ويزاد فيها وحشر مع محمد صلى الله عليه وسلم وأهل بيته يوم القيامة انتهى.

وأما سيد الاستغفار فمن ذكره مرة في الصباح و مات في يومه دخل الجنة وإن قالها في ليلته ومات دخل الجنة ولفظه: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك و وعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت وأبوئ لك بنعمتك علي و أبوئ بذنبي فغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت .هـ

و من هذا المعنى اللهم أني أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك و أنبيائك ورسلك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك

أربع مرات. وإن كان في المساء: اللهم إني أمسيت إلخ إن مات في يومه ذلك أو ليلته دخل الجنة هـ

لطيفـــة. سئل سيدنا رضي الله عنه عن قولهم أفضل ما هو أهله إلخ فأجاب: للربوبية أفاضات متباينة في الكيفية والعظم واللذات والخواص على المرتبة الواحدة المفاض عليها، سواء كان الفيض في مقابلة عمل أو توجه من المرتبة المفاض عليها أو في غير مقابلة شيء. والحق سبحانه و تعالى، لم تخل رتبته طرفة عين من هذا الفيض أبدا سرمدا. وهذا الفيض هو المعبر عنه بالفضل والعطايا والمنح والإنعام إلى ما يتبع ذلك من ظهور سر العناية منه والمحبة منه سبحانه و تعالى و التعظيم والتبجيل والتكريم للمرتبة المفاض عليها ما ذكر قبل من المنح و العطايا.

و إذا علمت هذا، علمت قطعا أن ما أفاضه الحق على نبيه صلى الله عليه وسلم عاجلا وآجلا من العطايا و المنح التي لا تقدر العقول على درك أدانيها، فضلا عن أقاصيها وعلمتَ أن تلك الإفاضات منه سبحانه وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم متباينة الكيفيات و الحدود في الكثرة و القلة و الصغر و العظمة. و في كل ذلك يلوح للناظر فيها تصريحا لعلو رتبته صلى الله عليه وسلم عن جميع خلق الله وعظمة مكانته على كل ما عداه وأهليته صلى الله عليه وسلم لتلك العطايا الثابتة له بحكم عناية الحق سبحانه به وصحبته فيه. فهو أهل لقليلها كما هو أهل لعظيمها.

و الداعي طلب من الله عز وجل أن يجازي نبيه، صلى الله عليه وسلم عما علمنا من الخيرات والمكارم و ما أتاح لنا صلى الله عليه وسلم من النعم العظيمة و المواهب لنا العظائم التي تدهش العقل ويكبر جواد عزمه عن الإحاطة بأقل قليل منها، و ما بذل لنا من النصيحة و علمنا من مكارم الأخلاق و الآداب التي تصلح لمن توجه بها إلى حضرة الربوبية. ثم ما وقانا به في ذلك من

أليم العذاب الذي لا تطيق العقول وصفه وما أعقبنا بسبب ذلك من النعيم السرمدي الذي يدهش العقول ذكره.

و كان شكره صلى اللّه عليه وسلم علينا في هذا غير متناه، إذ لو استغرقنا طول أعمارنا في القيام بشكره صلى اللّه عليه وسلم، لم نؤد حتى مثقال هبئة في مقابلة بره صلى اللّه عليه وسلم. و لما علم الداعي عجزه عن القيام بشكره صلى اللّه عليه و سلم على ما ذُكر، رد ذلك إلى الحق سبحانه وتعالى، لما له من سعة القدرة الإلهية على توفية شكره عنا صلى اللّه عليه وسلم بأضعاف مضاعفة. فكأن الداعي يقول: يا ربنا إذا علمت عجزنا عن القيام بشكره الواجب علينا، فأجزه عنا بأعظم ما منحت رتبته العظيمة من مواهبك و منحك التي خصصته بها، التي كان أهلا لعظيمها كما هو أهل لقليلها، صلى اللّه عليه وسلم. فجازه عنا بأعظم ما هو أهله من منحك ومواهبك، ليكون ذلك منك سبحانك نيابة عنا في شكرنا له، الذي لا طاقة لنا به والسلام انتهى.

قال المؤلف رضي اللّه عنه: قولهم حتى لا يبقى من الصلاة شيء و حتى لا يبقى من الرحمة شيء. قال شيخنا رضي اللّه عنه: معناه كل ما سبق في علمك ونفذ به حكم مشيئتك أنك تهبه لخلقك... إلى غاية نهايته و بعد استقصائه، فاجعل ذلك على نبيك سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم. هـ.

فافهم هذا المهيع الصافي والتعبير الوافي، و لا تلتفت لمناقشة الألفاظ المضطربة بين أهل الظاهر، أكرمنا اللّه وإياك بمحبة الكُمَّلْ. آمين.

فصل
فيما وردت به الآثار أنه فدية من النار

وفي حديث البزَّار: من قرأ قل هو الله أحد... إلخ ألف مرة، اعتقه الله من النار وتُحْمَلُ عنه التبعات هـ.

بشـــارة نقل القاضي ابن سبع في كتابه إيضاح البيان عن كشف حقائق البرهان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قرأ قل هو الله أحد إلخ في دهره مائة ألف مرة من يوم جرى عليه القلم إلى يوم يموت وجبت له الجنة، بلغت ذنوبه ما بلغت، و لو كانت مثل رمل عالج و مثل زبد البحر و لو كانت مثل رمل الأرض إلى عنان السماء و بني له مائة ألف مدينة من النور هـ. وأخرج الخيار في فوائده عن حذيفة رضي الله عنه: من قرأ قل هو الله أحد إلخ ألف مرة اشترى نفسه من الله تعالى هـ.

وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم إنه قال: من قرأ قل هو الله أحد إلخ مائة مرة على طهارة كطهارة الصلاة يبدأ بفاتحة الكتاب، كتب الله له بكل حرف عشر حسنات و محا عنه عشر سيئات و رفع له عشر درجات و بنا له مائة قصر في الجنة و رفع له من العمل في يومه ذلك مثل عمل نبي و كأنه قرأ القرآن ثلاثة وثلاثين مرة هـ.

وأما الفدية من الهيللة فسبعون ألفا. و قد وجد بخط العلامة سيدي الباجي رحمه الله ما نصه: ذكر القرطبي أن من قال سبعين ألفا

في حياته لا إله إلا اللّه، جاء يوم القيامة و لا حساب عليه و لا عقاب و أنه يحضر المحشر و هو ينظر فراغ الفصل بين الخلائق حتى يروح مع أهل الجنة إلى الجنة هـ.

قال الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي فيما وجد بخطه رحمه اللّه، وفدية الهيللة ينبغي العمل بها و العمدة فيها الكشف، و إن لم يثب فيها الحديث، بل يوكل علم ذلك إلى اللّه و ذلك هو الشأن في أمور الآخرة.

و من قرأ البسملة متصلة بالفاتحة في نفس واحد مرة ففيها فدية من النار.

و من كلام سيدي محمد بن ناصر الدرعي رحمه اللّه: ينبغي لكل عاقل أن يفدي نفسه ومن أحبه من النار. و الفدية من الكلمة الشريفة، و هي لا إله إلا اللّه محمد رسول اللّه سبعون ألفا. و يشترط الجمع بين اللفظتين و يكون ذلك في يوم أو شهر أو أزيد من ذلك.

و الفدية من بسم اللّه الرحمن الرحيم لا غير اثنا عشر ألفا بل ألف مرة. و من الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم ألف مرة. و من قل هو اللّه أحد إلخ مائة ألف . و من سبحان اللّه وبحمده ألف مرة، و لكن بعد صلاة الصبح خاصة. و من الحمد للّه ألف مرة كذلك. و من يا لطيف 14431هـ. فالذي تقدم وردت به الآثار.

و أما ما ورد من طريق الكشف: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الكامل وعلى آله صلاة لا نهاية لها كما لا نهاية لكماله وعد كماله ـ وفي رواية وعد كماله مرة واحدة بفدية من النار. و هي بخمسمائة صلاة أي المرة الواحدة منها.

و كذلك: اللهم صل وسلم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آل سيدنا ومولانا محمد الذي ما ولد قط مثله في الوجود ولا يوجد في الوجود ، مرة واحدة بفدية من النار. هـ أعني من ذكرها مرة واحدة لم يدخل النار. هكذا ذكرها صاحب وردة الجيوب.

و كذلك: اللهم صل وسلم على الفاتح الخاتم سيدنا محمد وعلى آله صلاة لا نهاية لها كما لانهاية لكمالك وعد كماله: مائة مرة بفدية من النار. و قال بعض من أثق به جربت فصحت. و كذلك الهيللة سبعون ألفا من هذا الباب أيضا.

فأودعت إليك أيها الأريب في هذا الباب من الفضائل الفوائد العجب العجيب فإن كنت باحثا على فعل الخيرات فاعمل بما ذكرت لك و حافظ عليه من المحبطات كالردة. نسأل اللّه السلامة والعافية منها. و قذف المحصنات و تأخير العصر إلى الغروب في الصلاة والاسترسال في أكل الحرام وعدم إعطاء الإيجارات. وأحذر من العجب جهدك، فإنه من المفسدات. وسنزيدها بيانا و وضوحا إن شاء اللّه فيما يأتي من كلام الشيخ على قوله تعالى (و لو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا اللّه). الآية.

خاتمة

قال شيخنا رضي اللّه عنه: الملازمة على الصلاة عليه صلى اللّه عليه وسلم بركتها تدرك الرجل و أولاده و أولاد أولاده. و أما صلاة الفاتح لما أغلق، فهي ضامنة لخير الدنيا وخير الآخرة لمن التزم دوامها، لكن بالإذن الصحيح. و ما كان بغير إذن ففيه الثواب المذكور فيها دون هذه الخاصية، وهو خير الدنيا و الآخرة. فلا يحصل إلا بالإذن الصحيح والسلام هـ.

قلت ومن أراد الاستقامة فعليه بكثرة الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم. و كثيرا ما يحض الشيخ أصحابه على الملازمة على الصلاة على النبي، صلى اللّه عليه وسلم. قال الإمام الساحلي رضي اللّه عنه : و أعلم أن الذكر الخاص لهذا المنزل أي الاستقامة هو الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم للمناسبة

التي بينها وبين حال طالب اتباع السنة والموافقة التي يقتضيها اقتفاء أثر الشرع. قال الله عز وجل (إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما). ففيه تقديم الأخبار بصلاة الله وملائكته على النبي صلى الله عليه وسلم قبل طلب الصلاة عليه من المؤمنين إشارة ثبوت محبة الله والملائكة إياه. و طلب من المؤمنين الأمر الذي تحصل به محبته، و هي الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: أقرب الناس مني مجلسا يوم القيامة أكثرهم علي صلاة، و هل يكون القرب منه الأعلى قدر إتباعه والتزام طاعته وهل يكون إتباعه إلا على قدر محبته وهل تكون محبته الأعلى قدر ذكره؟.

وأعلم أن الله عز وجل أوجب علينا محبته وإتباعه. والناس في محبته درجات. فمِنْ ناقِص و من كامل. و من المعلوم أن الذكر يؤكد محبة المذكور وأن المحبة تؤكد أمر الإتباع للمحبوب. فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وسيلة إلى حبه، وحبه وسيلة إلى إتباعه، وإتباعه واجب، و وسائل الواجبات واجبة. فإذا تعذر هذا، فالمحبة تكون بحسب ذكر المحبوب من الإقلال والإكثار والغيبة والحضور. فقد جاء: من أحب شيئا أكثر من ذكره. و كذا من أكثر من ذكر شيء أحبه. وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يكمل للمؤمن إيمانه حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين. فإذا تمكنت محبة النبي صلى الله عليه وسلم في الباطن وخالطتها بشاشة القلوب، دعت ضرورة إلى إتباع سنته وطريقته بحسب محبته.

ولذلك تأكد أمر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم لأنها تستلزم محبته ومحبته تستلزم إتباعه. قال بعض أهل العلم رضي الله عنهم: من علامات حب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة الصلاة والثناء عليه والدعاء له و إتباع سنته و معاداة من خالفه ومحبة من وافقه، مع ما في الصلاة عليه من سر آخر في إتباعه وهو

العبادة. قال الإمام المتقدم: و للصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم خصوصية في تنوير الباطن، فإذا صلى العبد على النبي صلى الله عليه وسلم، داخل باطنة منها نور تشرق به أرجاؤه، فيذهب الظلام بإشراق ذلك النور، فيظهر للباطن إذ ذاك من الاهتداء والقيام بإتباع النبي صلى الله عليه وسلم ما كان عنه غائبا. ثم قال ومع ذلك فالسالك طالب طريق النجاة وسبيل المعرفة ولا مطمع في ذلك إلا بدليل، و لا دليل كرسول الله صلى الله عليه وسلم. فلابد له من التمسك بركابه و التعلق بأذياله. و لهذا يقرر أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مطلوبة في كل مقام ومع كل مقام ومع كل حال هـ.

ولا يطمع في كمال إتباعه من قَصَّرَ في محبته، كما لا يطمع في محبته من قصر في ذكره. واعلم أن حبه صلى الله عليه وسلم يتأكد علينا من وجوه أعظمها وأعلاها محبة الله تعالى إياه، إذ من اختصه لله تعالى بمحبته العظمى، فواجب على كل قلب و روح إخلاص المحبة له ليتألف مع روحه هـ .

و إخلاص المحبة له لا يكون إلا بالإدمان على ذكره والإكثار من الصلاة عليه و يجتهد في إحضار ذكره لتلمح معنى الكيفية التي يدركها. فعلى قدر تدبر المعنى يكون التأثير، و ليدفع الخواطر الواردة حال الذكر للمغايرة لمعناه. و ليتصور الصورة النبوية في فكره كأنه بين يديه سائلا من الله تعالى الصلاة عليه. وكلما خرج من هذا المعنى عاد إليه حتى يستصحبه، و لو في أغلب الأحوال. ثم قال: واعلم أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ذكر من ذكر الله، فلا يختلج في فكرك ما تفوه به بعض المحجوبين من تلمح معنى الشريعة المطرودين عن تحقيق وجوه العبادات فقالوا: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ليست من ذكر الله تعالى توطئه على ترك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واستدراجا للإقلال منها والعياذ بالله خروج عن دائرة العلم وإخلاد إلى حضيض الحرمان.

وقد جاء في بعض الآثار إن الله تعالى قال: يا محمد من أحبك فقد أحبني ومن ذكرك فقد ذكرني. وليست كيفية ومن كيفيات الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا و فيها اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته . فكيف يكون ذكر اسم من أسماء الله أو صفة من صفاته غير ذاكر لله، ومع ذلك فالقيام بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم قيام بأمر الله تعالى حين أمر بالصلاة عليه، والقيام بالأمر ذكر للآمر. و هل المصلي على النبي صلى الله عليه وسلم إلا يناجي ربه بطلب الصلاة منه على النبي صلى الله عليه وسلم. فقد تضمنت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في تنوير الباطن وتزكية النفس عجائب يجدها السالك ذوقا، سوى ما تضمنته من الأسرار والفوائد هـ.

ثم قال فإن قلت لقد بلغت في ذكر هذا المنزل و وكّدت في شأن الأتباع للنبي صلى الله عليه وسلم بما لم يسبق لغيرك. ممن تكلم في المقامات فالجواب أن حاملي على ذلك ما قصدته في توطئة حال الشريعة عند السالك ليلا يذهل عنها أو عن شيء من رسومها عند صدمات الحقائق كما قد جرى لبعضهم فهلك مع ما بلغني أن ناسا من أهل زماننا فمن يدعي سلوك طريق القوم ويتكلم في التحقيق حملهم ما هم عليه من الجهل على أن حلّوا أيديهم من العروة الاتباعية ومن قوانين الأحكام الشرعية وركنوا إلى ما لاح لهم أو توهموه من سراب الجهل بقيعة البواطن، فظنوا أنه ينبوع من الحقائق. و لو تأملوه لم يجدوه شيئا، فمالوا بذلك إلى الحرمان وركبوا بذلك طرائق الخذلان. نعوذ بالله من الهوان والخسران. فقالوا: إنما تبلغ الغاية بذكر الله. و ذكر النبي صلى الله عليه وسلم حجاب عن الغاية. وقد تَردُ على السالك في بداية أمره خواطر من هذا القبيل، واجب عليه أن يدفعها عن نفسه ويعلم أنها من قبيل الشيطان يزخرف بها هذا المأخذ الخسيس ويرقش بها هذا المسلك الوعر ليكر بذلك ويستدرج إلى الكفر الصريح

والزندقة المحضة. فمن حفظه اللّه من ذلك أظهر له فيه اثر الشر والمكر، فتعوذ منه ودافعه عن نفسه. ومن خذله اللّه بذلك فزين له شيطانه سوء عمله حتى رآه حسنا اتخذه دينا وسلكه طريقا. فلذلك بسطت الكلام في هذا المنزل رافعا فيه الأشكال و داعيا إلى محض السعادة الأبدية بإتباع النبي صلى اللّه عليه وسلم.انتهى كلام الساحلي رضي اللّه عنه ملخصا بحسب الحاجة.

وهذه ياقوتة الحقائق المشار إليها في أثناء الباب وافتتاحها اسم الجلالة ثلاث مرات اللّه اللّه اللّه. اللهم أنت اللّه الذي لا إله إلا أنت العالي في عظمة انفراد حضرة أحديتك، التي شئتَ فيها بوجود شؤونك و أنشأتَ من نورك الكامل نشأة الحق و أنطقتها و جعلتَها صورة كاملة تامة تجد منها بسبب وجودها من انفراد أحديتك قبل نشر أشباحها و جعلت من أثر هذه العظمة و من بركتها شبحة الصور كلها جامدها و متحركها و أنطقتها بإقبال التحريك و التسكين و جعلتها في إحاطة العزة من كونها قبلة منها و فيها و لها و تشعشعت الصور البارزة بإقبال الوجود و قدّرت لها و فيها و منها ما يماثلها مما يطابق أرقام صورها و حكمت عليها بالبروز لتأدية ما قدرته عليها و جعلتها منقوشة في لوحها المحفوظ الذي خلقت منه ببركاته و حكمت عليها لما أردت لها و بما تريد بها و جعلت كل الكل في كلك و جعلت هذا الكل من كلك و جعلت الكل قبضة من نور عظمتك روحا لما أنت أهل له و لما هو أهل لك. أسألك اللهم بمرتبة هذه العظمة و إطلاقها في وجد و عدم أن تصلي و تسلم على ترجمان لسان القدم اللوح المحفوظ و النور الساري الممدود الذي لا يدركه دارك و لا يلحقه لاحق الصراط المستقيم ناصر الحق بالحق. اللهم صل و سلم على أشرف الخلائق الإنسانية و الجانية صاحب الأنوار الفاخرة. اللهم صل و سلم عليه و على آله و أولاده و أزواجه و ذرياته و أهل بيته و إخوانه من

النبيئين و الصديقين و على من آمن به و اتبعه من الأولين و الآخرين. اللهم اجعل صلاتنا عليه مقبولة لا مردودة. اللهم صل على سيدنا و مولانا محمد و آله. اللهم اجعله لنا روحا و لعبادتنا سرا و اجعل اللهم محبته لنا قوة أستعين بها على تعظيمه. اللهم و اجعل تعظيمه في قلوبنا حياة أقوم بها و أستعين بها على ذكره و ذكر ربه. اللهم و اجعل صلاتنا عليه مفتاحا و افتح لنا بها يا رب حجاب الإقبال و تقبل مني بركات حبيبي و حبيب عبادك المومنين ما أنا أوديه من الأوراد و الأذكار و المحبة و التعظيم لذاتك. اللّه اللّه اللّه. آمين. هو هو هو. آمين و صل اللّه على سيدنا محمد آمين.

وأما جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال فهي التي أمر الشيخ أصحابه بقراءتها في الوظيفة وهذا نصها: اللهم صل وسلم على عين الرحمة الربانية والياقوتة المتحققة الحائطة بمركز الفهوم والمعاني، و نور الأكوان المتكونة الآدمي صاحب الحق الرباني البرق الأسطع بمزون الأرباح المالئة لكل متعرض من البحور و الأواني ونورك اللامع الذي ملأت به كونك الحائط بأمكنة المكان. اللهم صل وسلم على عين الحق التي تتجلى منها عروش الحقائق عين المعارف الأقوم صراطك التام الأسقم اللهم صل وسلم على طلعة الحق بالحق الكنز الأعظم إفاضتك منك إليك إحاطة النور المطلسم صلى اللّه عليه وعلى آله صلاة تعرفنا بها إياه. هـ

باب سرور الأخوان بالبشرى بذكر شيء من مناقب شيخنا والكرامات الكبرى

ومن كرامة شيخنا العامة الكبرى وهو مكن رآه يوم الجمعة أو يوم الاثنين دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب. و سألته رضي اللّه عنه أن هذه الكرامة تحصل لمن نظرك و لو مع عدم الاعتقاد و التصديق فيك؟ فأجاب رضي اللّه عنه: بل لا يُظفَر بهذا الخير إلا مع التصديق في القابل له وعدم المعادات إلى الممات. و هذا الحكم عام في كل من أخبر بمثل هذه الكرامة من أولياء اللّه، كسيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي اللّه عنه، فيما نقل عنه أن من رآه إلى أحد عشر، كلهم يدخلون الجنة. قال بعض من نقل هذه الكرامة عنه: يقول الرائي للمرئي أشهد أني

رأيتك. قلت مع الشرط المتقدم، لأن إخبارات الغيب كلها لا ينتفع بها إلا مع التصديق للمخبر.

قال الشيخ رضي اللّه عنه: قال لي، أعني سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم: أنت من الآمنين و كل من رآك من الآمنين إن مات على الإيمان. ثم قال بعده: من رآك يوم الجمعة أو يوم الاثنين دخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا يدخل النار ولا يراها سواء كان مطيعا أو عاصيا.

ومن كراماته الكبرى رضي اللّه عنه أن كل من أحبه و كل من أحسن إليه بخدمة أو غيرها ، و كل من أطعمه ، كلهم يدخلون الجنة بلا حساب و لا عقاب و يكونون معه في عليين، في جوار النبي صلى اللّه عليه و سلم. و يكونون آمنين من عذاب اللّه من الممات إلى دخول الجنة . قلت و هذا كله بشرط عدم معاداته رضي اللّه عنه من حصول سبب من الأسباب المذكورة إلى الممات الموعود بالخير، كما سنذكره من كلام الشيخ رضي اللّه عنه.

أما من حصل له سبب من هذه الأسباب التي ذكرناها و انعكس لضرها ، و العياذ باللّه من معادات الشيخ أو بغضه أو إدايته ، فقد ذكر الشيخ رضي اللّه عنه أنه يموت على سوء الخاتمة إن لم يتب، فضلا أن يحصل له ما ذكر من دخول الجنة و عدم المحاسبة. و سنبينه إن شاء اللّه كله مفصلا من كلام شيخنا في مواضعه.

قال رضي اللّه عنه: فلما رأيت ما صدر منه صلى اللّه عليه و سلم ذكّرت الأحباب. ومن وصلني إحسانهم و من تعلق بي بخدمة، و أنا أسمع أكثرهم يقول لي: نحاسبك بين يدي اللّه إن دخلنا النار و أنت ترى، فنقول لهم: لا أقدر على شيء.

فلما رأيت منه هذه المحبة صلى اللّه عليه و سلم و صرّح لي بالمحبة بلسانه، سألته صلى اللّه عليه و سلم لكل من أحبني و لم يعادني بعدها و لكل من أحسن لي بشيء من مثقال ذرة فأكثر و لم يعادني بعدها و آكد ذلك من أطعمني طعامه. قال رضي اللّه عنه: كلهم يدخلون الجنة بلا حساب و لا عقاب إلا من استثناه

الشيخ رضي اللّه عنه و هو من عاداه بعد الأسباب المذكورة، فإنه لا مدخل له في هذا الخير. نسأل اللّه السلامة من معادات شيخنا و كذلك جميع أولياء اللّه.

و من كراماته الكبرى رضي اللّه عنه أن كل من أخذ عنه ذكرا و داوم عليه إلى الممات، مع دوام المحبة في الشيخ و دوام الاعتقاد ودوام التصديق، فهو آمن من عذاب اللّه من الممات إلى دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب، و أن يدخل في أول الزمرة الأولى و أن يكونوا كلهم معي في عليين في جوار النبي صلى اللّه عليه وسلم وأن تغفر له جميع ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر وأن ترفع عند محاسبته على كل شيء وأن تؤدى عنهم تبعاتهم من خزائن فضل اللّه لا من حسناتهم.

قال الشيخ رضي اللّه عنه سألته صلى اللّه عليه وسلم لكل من أخذ عني ذكرا أن تغفر لهم جميعا ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر وأن تؤدى عنهم تبعاتهم من خزائن فضل اللّه لا من حسناتهم وأن يرفع اللّه عنهم محاسبته على كل شيء وأن يكونوا آمنين من عذاب اللّه من الموت إلى دخول الجنة وأن يدخلوا الجنة بلا حساب ولا عقاب في أول الزمرة الأولى وأن يكونوا كلهم في جوار النبي صلى اللّه عليه وسلم فقال لي صلى اللّه عليه وسلم ضمنت لهم هذا كله ضمانة لا تنقطع حتى تجاورني أنت وهم في عليين. قال الشيخ رضي اللّه عنه و كل هذا وقع يقظة لا مناما.

ثم قال: فهذا ما وقع وأنتم الأحباب لا تحتاجون إلى رؤيتي إنما يحتاج إلى رؤيتي من لم يكن حبيبا ولا أخذ عني ذكرا ولا أكلت طعامه، وأما هؤلاء فقد ضمنهم لي بلا شرط رؤية مع زيادة أنهم في عليين معنا ولا يظن ظان أن عليين هي وعموم الجنة على حد السواء، بل النسبة بينهما أنه لو خرجت حبة عنب أو غيرها من الثمار التي في الجنة الأولى إلى الدنيا فضلا عن الحور لأطفأت نور الشمس. ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الثانية

إلى الأولى لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم. و لو خرجت حبة عنب أو غيرها من الجنة الثالثة إلى الثانية لأطفأت جميع أنوارهم وفتنتهم. ولو خرجت حبة عنب أو غيرها من الرابعة إلى الثالثة لأطفأت جميع أنوارهم. ولو خرجت حبة عنب من الخامسة إلى الرابعة لأطفأت جميع أنوارهم. و لو خرجت حبة عنب من السادسة إلى الخامسة لأطفأت جميع أنوارهم. و لو خرجت حبة عنب من السابعة إلى السادسة وهي الفردوس، أي السابعة. و عليون فوق الفردوس. ولو خرجت منه حبة عنب إلى الفردوس لأطفأت جميع أنوارها وفتنتهم عن كل ما عندهم. و عليون مقام الأنبياء و أكابر الأولياء من هذه الأمة و من اهتدى من الأمم السابقة من غير نبوءة من عداهم. فاعرف النسبة بين عليين والجنات وقس عليه كل ما خلق الله في الجنة من حور وقصور وغيرها. فإذا تأملت هذا عرفت قدر جنة عليين من الجنات وأي نسبة بينها.

وقد تفضل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ضمن لي دخول من ذكرتهم إليه بلا حساب ولا عقاب واستقرارهم فيها. وأن من رآني فقط، غايته يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا يعذب ولا مطمع له في عليين إلا أن يكون ممن ذكرتهم، وهم أحبابنا. و من أحسن إلينا و من أخذ عنا ذكرا فإنه يستقر معنا في عليين وقد ضمن لنا هذا بوعد صادق لا خلف له، إلا أني استثنيت من عداني بعد المحبة والإحسان، فلا مطمع له في ذلك. و طلبته أيضا أن يموتوا كلهم على الإيمان. فإن كنتم متمسكين بمحبتنا، فابشروا بما أخبرتكم به، فإنه واقع بجميع الأحباب قطعا هـ.

قلت وأما من أخذ الذكر فله كرامة زائدة على ما ذكر وهو دخول والديه وأزواجه وأولاده الجنة بلا حساب ولا عقاب بشرط أن لا يصدر منهم سب ولا بغض ولا عداوة في جانب الشيخ رضي الله

عنه. و الأولاد المذكورون المراد بهم المنفصلون عن آخذ الذكر لا الحفدة، و هم من تحتهم من الذرية.

ومن كراماته رضي اللّه عنه أن من أحبه لا يموت إلا وليا بشرط أن يدوم عليها إلى الممات. قال الشيخ رضي اللّه عنه: قال لي، يعني سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم، أنت حبيبي وكل من أحبك حبيبنا ولا يموت حتى يكون من الأولياء. ثم قال رضي اللّه عنه وضمنت الولاية لكل من أحبني أن لا يموت إلا وليا ولو كان على أي حالة. فتمسكوا بعهدنا. انتهى كلامه رضي اللّه عنه.وهذه الكرامة التي وقعت لشيخنا رضي اللّه عنه وهي دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب لمن أخذ ورده ودخول والديه معه وأزواجه وأولاده كذلك كما قدمنا، لم نسمع بمثلها فيما بلغنا من أخبار ساداتنا الأولياء رضي اللّه عنهم. وأن وقع لهم أن من رأى من رآهم يدخل الجنة كما قدمنا في سيدي عبد الرحمن الثعالبي رضي اللّه عنه. و كذلك سلطان الأولياء سيدي مولاي عبد القادر الجيلالي رضي اللّه عنه، نقل عنه أنه قال: من رأى من رآني إلى سبعة كلهم يدخلون الجنة و كذلك مريده و مريد مريده إلى قيام الساعة، كلهم يدخلون الجنة. و كذلك نقل عن سيدي مولاي التهامي رحمه اللّه دفين وزان، أنه طلب التحرير لأهل عصره، فأجيب.

ولم ينقل عن واحد من هؤلاء أنه ذكر عدم الحساب لأصحابه أو لمن رآه كما ذكر شيخنا رضي اللّه عنه وأن كانوا كلهم ذكروا دخول الجنة كما قدمنا. و هذه خصوصية للشيخ رضي اللّه عنه له ولأصحابه. نسأل اللّه أن يكتبنا في ديوان أصحابه دنيا وأخرى من غير تغير منه إلينا ولا بغض للمظاهر ولا باطنا، من الآن إلى الاستقرار في عليين آمين.

قلت وأخبرنا شيخنا رضي اللّه عنه قال: قلت لرسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، هذا الفضل خاص بمن أخذ عني الذكر مشافهة أو هو لكل من اخذ ولو بواسطة فقال لي كل من أذنت له وأعطى

لغيره فكأنه أخذ عنك مشابهة وأنا ضامن لهم. وهذا الفضل شامل لمن تلا هذا الورد سواء رآني أو لم يرني والسلام.

والمؤكد على كل من طالع هذه الكرامات من إخواننا أن لا يأمن من مكر الله بالتعويل عليها، كما تقدم من كلام الشيخ رضي الله عنه في الوصية الأولى. قال عز وجل (فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون). قال الشيخ رضي الله عنه محذرا لأصحابه مما ذكرنا ومرشدا لهم لما فيه صلاحهم: وأقول لكم أن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ضمن لنا أن من سبنا لا يموت إلا كافرا. و أقول للإخوان أن من أخذ وردنا وسمع ما فيه من دخول الجنة بلا حساب ولا عقاب وأنه لا تضره معصية، أن من سمع ذلك و طرح نفسه في معاصي الله لأجل ما سمع واتخذ ذلك حبالة إلى الأمان من عقوبة الله في معاصيه ألبس الله قلبه بغضنا حتى يسبنا. فإذا سبنا أماته الله كافرا. فاحذروا من معاصي الله ومن عقوباته ومن قضى الله عليه منكم بذنب فلا يقربنه إلا وهو باكي القلب خائف من عقوبات الله والسلام. انتهى كلامه رضي الله عنه.

وهذا الكلام يدل على شدة اعتناء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بالشيخ وأنه من أهل الخصوصية العظمى عند الله تعالى وعند رسوله صلى الله عليه وسلم حيث كان كل من سبه و لم يتب، أماته الله كافرا والعياذ بالله. نسأل الله المسالمة من سبه ومن سب جميع أولياء الله آمين.

سمعت الشيخ رضي الله عنه يقول: لما أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أن من سبني لا يموت إلا كافرا قلت له أن العارف بالله سيدي عبد الرحمن الثعالبي ذكر أن الحاج لا يموت على سوء الخاتمة. قال له سيد الوجود صلى الله عليه وسلم: من سبك ولم يتب مات كافرا، و لو حج، و لو جاهد. و توبة من سبك لم تقبل إلا إذا كان بين يديك. و ذُكر عند الشيخ رضي الله عنه رجل ممن ينتقد عليه وهو يكثر من صلاة الفاتح

لما أغلق ثم قال لعله ببركتها يعفو الله عنه ويرجع إلى الخير. ثم قال إذا لم يبغضه النبي صلى الله عليه وسلم قلنا كيف يبغضه؟ قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم كل من سعى في هلاكك و إذايتك، فأنا غضبان عليه. و من غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم تكتب له صلاته عليه ولم تنفعه. ثم قال الشيخ رضي الله عنه: شكوت له صلى الله عليه وسلم قلت له لم نطق تركها قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنا راض عنك على كل حال ونحبك على ما كنت عليه أو كما قال صلى الله عليه وسلم وأنت حبيبي وكل من يحبك حبيبنا. نسأل الله دوام المحبة مع هذا السيد الكريم عند الله وعند رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن كرامات سيدنا رضي الله عنه أنه يشفع في أهل عصره كافة. والعصر هو من يوم ولادته إلى يوم موته. فقد أخبرني رضي الله عنه قال: قال لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أعطيت الشفاعة في أهل العصر كافة وهذه الكرامة لم نسمعها قط لغيره من ساداتنا الأولياء إلا ما وقع لمولاي التهامي رضي الله عنه كما قدمناها. فقلت له: والذي يتكلم في جانبك من أهل العصر؟ قال أنعم لميت لم تنله شفاعتي لأنه يموت كافرا والعياذ بالله. و الكافر لا شفاعة له فيه. فقلت له رضي الله عنه وهل تمكن منك الشفاعة في الدنيا للمبغضين من غير توبة منهم؟ قال لي لم يكن لصرف قلوبهم عنا وما سبق نسأل الله العافية مما ابتلى به بعض المبغضين. وهذا الكلام سمعه منه رضي الله عنه بعض الأصحاب.

ومن كرامته رضي الله عنه أنه يصل على يديه عشر مائة ألف مضروبة في نفسها. كل هذه ضمنها لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وعددها ألف ألف ألف ألف. و من يعرف طريق الضرب، فليختبر بنفسه يجد صحة الضرب لأن قاعدته معلومة لا تنخرم عندك. و بعد أن أخبرني بهذه الكرامة، وهي الشفاعة في أهل العصر.

أخبرني أن سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم، لا يفارقه في كل وقت، وهي أعظم الكرامات له رضي اللّه عنه، ألا أنها ليست خاصة به، بل يشاركه فيها بعض الأولياء كما تقدم في شرحه لكلام المرسي رضي اللّه عنه وعن جميع الأولياء.

و أما ما طلبه شيخنا رضي اللّه عنه من سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم وضمنه له، فهو أمر عجيب لم يكن لغيره فيما علمنا. فإنه قال لي رضي اللّه عنه: كتبت فيما مضى ثلاثين حاجة طلبتها من اللّه ومن النبي صلى اللّه عليه وسلم، فضمنها لي سيد الوجود صلى اللّه عليه و سلم كلها. منها بلوغ الغاية أقصى مقام القطبانية التي ما فوقها إلا مقام النبوءة. و منها الجمع بينها وبين الفردانية العليا. و منها صولة الجيلاني رضي اللّه عنه. و منها أني طلبت الشفاعة في عشر مائة ألف ألف ألف ألف إلى أن تعد عشر مراتب. و هذا قبل أن يذكر لي أنه أعطي الشفاعة في أهل عصره. و منها أني طلبت دخول الجنة مني إلى الجد العاشر من أجدادي وكذلك من أحسن إلي ولو بمثقال حبة من خردل وغيرها من المسائل التي لم يذكرها لي. ثم قال: و كلها، أي المسائل التي طلبها من اللّه، ضمنها لي رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم. وهذا من أكبر مناقبه رضي اللّه عنه.

وحدثني رضي اللّه عنه أنه قال: قال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم إذا بلغت مقام كذا يكون لك تصرف عظيم وتكون لك عوالم وتربح على يدك ناس وتخسر أخرى. و هذه من مناقبه وليست خاصة.

و حدثنا رضي اللّه عنه أنه قال قال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم لك في الجنة أربعون مقاما من مقامات (.....). وقال رضي اللّه عنه قال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم مقامك هو مقام ا م ذ م ق ااا م ر ت غ ث. ثم قال رضي اللّه عنه قال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه و سلم يعطي اللّه لذاكر الفاتح لما أغلق من الحور في الجنة بقدر ما فيها من الثواب. قلت له رضي

اللّه عنه: بكل حسنة حوراء؟ قال: نعم، سبحان المتفضل على من يشاء بما شاء باختياره. و ذكر لي هذا الفضل يوم الجمعة السابع عشر من ذي الحجة الحرام عام 1204.

و من مناقبه رضي اللّه عنه قال: طلبت من سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم أن يضمن لي قبول أعمالي كلها، فقال صلى اللّه عليه وسلم: كل أعمالك مقبولة، على أي حالة كنت. و طلبته صلى اللّه عليه وسلم فقلت له: أردت تمكين المحبة منك ومن اللّه لي و دوام الرضا منك ومن اللّه لي. فقال صلى اللّه عليه وسلم ما معناه: هو في الأوراد التي أعطيتها لك. ثم قال رضي اللّه عنه: و ضمن لي الأمان من البلاء. قلت له: من بلاء الآخرة أو الدنيا؟ قلا رضي اللّه عنه: أو ليس قال لي صلى اللّه عليه وسلم أنت من الآمنين، و كل من أحبك من الآمنين. قلت له: نعم. فعند ذلك فهمت مراد الشيخ رضي اللّه عنه، و أنه مأمون من بلاء الدنيا. فلله الحمد وله الشكر على هذه المنة العظمى هـ

ومن مناقبه رضي اللّه عنه، أنه في عام اثنين بعد المائة و بعد الألف في شهر اللّه رجب قال لي: تأخر عني نزول المقام الأكبر الموعود به. فتخوفت و قلت لعله معلق علي بعض الشروط، و إذا لم تعمل ينتفي وقوعه ويطول تأخيره، وما ذلك شك منه، أنما هو محقق عنده كالشمس في أفق السماء، وأنما أخذه رضي اللّه عنه الخوف الذي يأخذ الأكابر مثله من الخوف من مكر اللّه. قال رضي اللّه عنه: سألت رسول اللّه صلى عليه هل حصول هذا المقام لي و نزولي فيه تمكيني منه نفذت به المشيئة في الأزل و مسطر في أم كتاب وأحاط به علم اللّه في الأزل ونفذت كلمة كن في الأزل بأنه يوجد ومضت حكمة اللّه ببروزه للوجود؟ أو ما هذا معناه من عبارته رضي اللّه عنه. فأجابه في هذا كله، صلى اللّه عليه وسلم أنه كائن كما ذكره و واقع لا محالة من غير شك ولا خلاف إلا وقت النزول في المقام والوصول إليه. قال لي رضي اللّه عنه: لم يعينه لي. فانظر رتبة هذا السيد مع سيد

الوجود صلى اللّه عليه وسلم و مساعفته في جميع ما طلبه منه من أمور الدنيا والآخرة، وما ذلك إلا لحبه فيه وعلو مقامه عند اللّه كما قدمناه فيما أخبرنا به هـ.

ومما أكرم اللّه به شيخنا رضي اللّه عنه أن أعطاه من الاسم الأعظم صيغا عديدة وعلمه كيفية سلوكه وأخبره بما فيه من الفضل العظيم الذي لا حد له ولا حصر وما فيه من الخواص العظام و كيفية الدعاء به. وكل هذا أخبر به سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم وعلم الشهود كما سنبينه إن شاء اللّه من كلام الشيخ رضي اللّه عنه، أي مما يمكن ذكره في هذا المجموع. فقد سألته رضي اللّه عنه ومتعنا بحبه في اليوم الذي ذكرت له الأدعية العظيمة التي طلب فيها أمورا لم يطلبها غيره فيما علمنا عن مقامه الموعود به، و أردت أن يصحح ما سمعته منه فيما مضى مفترقا، فأجابني رضي اللّه عنه قال: أعطاني سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم الاسم الأعظم الخاص بسيدنا علي كرم اللّه وجهه و رضي عنه بعد أن أعطاني الاسم الأعظم الخاص بمقامه هو، صلى اللّه عليه وسلم. وقال الشيخ رضي اللّه عنه قال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم: هذا الاسم لا يعطى إلا لمن سبق أنه يصير قطبا، أي الاسم الذي هو خاص بسيدنا علي.

وقال رضي اللّه عنه قلت لسيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم: أذن لي في جميع أسراره وجميع ما احتوى عليه، ففعل صلى اللّه عليه وسلم. فقلت لشيخنا رضي اللّه عنه: يفهم من كون هذا الاسم خاصا بسيدنا علي كرم اللّه وجهه ولا يعطى لغيره، أن مقامه فوق جميع الصحابة قال لي: نعم وصرح لي صلى اللّه عليه وسلم وقال لي مقامك هو مقام: ا م د م ق ||| م ز ت غ ث. قلت للشيخ: هل وصل أحد هذا المقام من غيرهم؟ قال: قال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم وصله ابن العربي الحاتمي رضي اللّه عنه. وفي مرة أخرى قال لي وصله الشيخ عبد القادر الجيلالي. قلت

للشيخ ذكره صلى اللّه عليه وسلم؟ قال لي: نعم. و قال صلى اللّه عليه وسلم وأخذ منه الجنيد العشر، و كذلك البصري أو البوصيري أخذ كل منهما العشر، وغلبهما التجلّي على استيفاء المقام والتمكن منه.

و ذكر لي الشيخ رضي اللّه عنه أمرا آخر في علو مقامه مما يوجب كتمه وصونه من الأسماء لما فيه من تحيُّر العقول والطباع. و قد شرح لي معناه في موضع غير هذا أو ضرب له مثالا تقريبا للفهم. وقال الشيخ رضي اللّه عنه: سألت اللّه أن يجمع لي بين مقام الفردانية الذي هو مقام مفاتيح الكنوز و بين مقام القطبانية، فأعطاه لي وضمن لي على القطع. فقلت له وهل أعطي أو أجمع لأحد غيرك؟ قال لا، بل لم يعط إلا لي هـ.

وسمعته رضي اللّه عنه ورزقنا محبته آمين قال: أعطيت أربع كيفيات من صيغ الاسم الكبير واحدة خاصة بسيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم ولا يلقنها إلا القطب وواحدة خاصة بسيدنا علي كرم اللّه وجهه و واحدة من الغيب و واحدة أخذها عن بعض الناس. و كل هذه الصيغ أذن لي فيها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بجميع أسرارها وأنوارها وجميع ما تحتوي عليه إلا أن الأولين من عنده صلى اللّه عليه وسلم والأخريين واحدة من الغيب ثم طلب الإذن فيها من النبي صلى اللّه عليه وسلم فأذن له فيها صلى اللّه عليه وسلم و واحدة أخذها من بعض الناس ثم أذن له فيها صلى اللّه عليه وسلم.

وسمعته يقول رضي اللّه عنه قال لي: سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم لا مقام فوقك إلا مقام ا م ز س ر م و ا م ص ر ت ع ع. و ضرب رضي اللّه عنه مثلا لذلك المقام الذي ما فوقه إلا مقام ا م ص ت ع ع. قال كمقابلة الشمس بجرم صقيل صافي في غاية الصفاء. ثم هذا الجسم قابله جسم آخر، ثم هذا الثاني قابله ثالث ثم ثالث قاله رابع ثم رابع قابله خامس . ولا شك أن ضياء الشمس يتجلى فيهم كلهم إلا أنه في الذي يلي قرص الشمس

بالغ الغاية في النورانية، والذي يليه في درجته ولكن أضعف منه والثالث أضعف من الثاني ثم الرابع أضعف من الثالث والخامس أضعف من الرابع، ولكن النور كله متصل من الأول حتى الخامس.

فالأول هو المقام الذي تحت مقام سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم وهو مقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، و هو المقام الممثل بالشمس والمقامان اللذان تحته لجميع الرسل و المقامان اللذان تحتهما لسائر الأنبياء عليهما الصلاة والسلام والخامس هو أعلى مقامات الأولياء، و هو مقام الخلفاء الأربعة. و من مَنَّ اللّه عليه به من غيرهم من أكابر الأقطاب كالحاتمي و الجيلالي رضي اللّه عنهما و كشيخنا رضي اللّه عنه، إلا أنه أعلى من الشيخين المذكورين في المقام كما تقدم في المثال السابق. و رضي اللّه عن شيخنا وعن جميع ساداتنا الأولياء.

وأما ثواب الاسم الأعظم، أي بعضه لا كله الذي سأل شيخنا سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم و أخبر به. قال الشيخ رضي اللّه عنه: وأما ثواب تلاوة الاسم الأعظم الكبير الذي هو مقام قطب الأقطاب، فإنه يحصل لتاليه في كل مرة سبعون ألف مقام في الجنة، في كل مقام سبعون ألفا من كل شيء من القصور و الولدان و الأنهار، إلى غاية كل ما هو مخلوق في الجنة، ما عدا الحور وأنهار العسل فله في كل مقام حوراء وسبعون نهرا من العسل. و كل ما خرج من فمه هبطت عليه أربعة من الملائكة المقربين، فكتبوه من فيه وصعدوا به إلى اللّه وأروه له. فيقول الجليل جل جلاله: اكتبوه من أهل السعادة، و اكتبوا مقامه في عليين في جوار محمد صلى اللّه عليه وسلم.

هذا في كل لفظة من ذكره. وله في كل مرة ثواب جميع ما ذكر اللّه به على السنة جميع خلقه في سائر عوالمه. وله في كل مرة ثواب ما سبح به ربنا على لسان كل مخلوق من أول خلق العالم... إلخ. و له ثواب صلاة الفاتح لما أغلق بتمامها وله ثواب

سورة الفاتحة وله ثواب من قرأ القرآن كله أعني بكل مرة أجر ختمة. ومن تلك الختمة الفاتحة وسورة القدر وغيرها. و له في كل مرة من تلاوته ثواب كل دعاء وقع في الوجود له ثواب عظيم أو صغير. وكلما تلاه التالي، تلته معه جميع ملائكة عوالم اللّه بأسرها. وكل ملك يتلوه بجميع ألسنته، فإن من الملائكة من له سبعون لسانا ومنه من له ستون لسانا وهكذا، أي القليل عنده لسان واحد وهم ملائكة الأرض التي نحن فيها.

هكذا أخبر من سمع من المحل الذي لا يطرقه الريب. و الحاصل ما دام يتلوه، فملائكة جميع العوالم تتلوه معه بألسنتها كلها وثواب ذكرهم بجميع ألسنتهم لتالي الاسم في كل مرة سواء قلل أو أكثر. قال الشيخ رضي اللّه عنه: فقلت لسيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم: هل ذكر الملك مثل ثواب تلاوة الآدمي كل مرة بسبعين ألف مقام في الجنة و ثواب ما ذكر بعده من كل تسبيح وكل ذكر و من دعاء جميع القرآن و صلاة الفاتح لما أغلق الخ أم ينقص ثواب ذكر الملك عن ذكر الآدمي؟ فقال صلى اللّه عليه وسلم: ثواب ذكر الملك يضاعَف على ثواب ذكر الآدمي بعشر مرات. إن الذي يحصل من الثواب في ذكر الآدمي في مرة يحصل في ذكر الملك مرة مثله عشر مرات وثواب جميع ذلك، أعني ذكر الملائكة بجميع ألسنتها لتالي الاسم قدرها ما تلاه قليلا أو كثيرا.

استـــدراك

قال الشيخ رضي اللّه عنه: قال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم في أول الكلام على الاسم، أما ثوابه فكل من تلاه من عموم أمتي فله ثواب ختمة من القرآن بكل مرة فقط بلا زائد. هذا لكل من علم الاسم الأعظم وتلاه. وأما من علم أن هذا الاسم وهو اسم 141631 م د ا ض، وأنه بخصوصه هو اسم ذات اللّه دون ما عداه من أسماء اللّه. أراد صلى اللّه عليه وسلم |أن ما عداه من أسماء

اللّه كلها، أسماء الصفات و الكمالات، وليس للذات إلا هذا الاسم. قال لي من علمه هكذا وأنه هو اسم ذات اللّه الخاص بها، كان له جميع الثواب المذكور الزائد على ختمة من القرآن. وإن لم يعلم ذلك منه فليس إلا ختمة من القرآن فقط. وأن من تلا الفاتحة بلا شعور من تلاوة الاسم معها، كان له ثواب الفاتحة فقط. ومن تلاها وهو يعتقد ث م ي ث ومعها لوجود خ ز و ق فيها، كان له ثواب تلاوتها وثواب ث م ي ت ا م ش ن معها.

ثم قال رضي اللّه عنه: تأملوا بأفكاركم تعلموا أنه لا يقوم لتلاوة هذا الاسم عبادة. انتهى كلامه رضي اللّه عنه في هذا المحل. وهذا من أكبر مناقب سيدنا رضي اللّه عنه و هو من الإخبار بفضل ثواب الاسم الأعظم لأنه لم يكن في كتاب ولا أخبر به أحدا من الأولياء فيما علمنا. و قد أظهره اللّه على يد شيخنا رضي اللّه عنه. فمن هذا أثبتناه في المناقب وقلنا من أكبرها، وهو كذلك.

ثم سألته رضي اللّه عنه عن فضل الاسم الأعظم الذي لكل من اتصل به أو الخاص به أو بالأولياء وعن تراكيب الاسم كم هي وما أعظمها؟ فأجاب رضي اللّه عنه: أما فضل الاسم الأعظم الذي لا يعطى لكل واحد، فهو ما عرفته، أي ما ذكر أعلاه أي ما قدمناه في الورقتين قبل هذا. ثم قال رضي اللّه عنه: وأن فضل صلاة الفاتح الخ جزء من ستة آلاف جزء منه. ثم قال لي: هذا لكل أحد اتصل به ولو كان محجوبا لكن بشرط أن يعرف أنه اسم الذات كما تقدم.

فقلت له هذا الفضل في كل تركيب أو خاص بتركيب واحد لأني سمعت أن له سبعين تركيبا؟ قال لي: هذا ذَكَره فلان، و أخبرني أنه اطلع عليه في بعض الكتب فقط لا من الغيب. و هذا الفضل أعلاه خاص بالكيفية التي أعطاها سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم للشيخ. و أما غيرها ففيه نصف هذا الفضل. ثم قال لي: سألت من اللّه أن يعطيني مهما ما ذكرت الاسم مرة

ذِكْرَه كل ملك في كورة العالم ألف ألف ألف إلى ثلاث مرات، وأن تكون كل مرة من ذكر كل ملك تعدل من صلاة الفاتح الخ ستين ألفا. فضمنت لي وأعطيتها.

وقال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم: هذا كله جزء واحد من إحدى عشر جزء من ذكر صاحب التجلي الخاص، فإنه يحصل له هذا الفضل عند ذكر كل حرف من حروف الاسم. قلت له: هذا خاص بك أو لكل واحد من أصحاب التجلي الخاص؟ قال لي بل لكل واحد منهم. قلت له: والفضل الذي مهما ما ذكرت كلمة من كل ذكر على الإطلاق ذكرت معك سبعون ألف ملك وذكر كل ملك بسبعة آلاف كلمة. قلت له: كلمة أو حسنة؟ قال لي بل كلمة و كل كلمة بعشر حسنات. ثم قال لي: وهذا الفضل هو الخاص بي ولم يعط لغيري. ثم سألته عن مقام عام 1203.

وسألته يوما عن تحقيق فضل قول دائرة الإحاطة فأجابني رضي اللّه عنه قال: إذا قدرت ذاكرا ذكر جميع أسماء اللّه في كل لغة هو نصف مرة من ذكر الكبير مرة مما سواه من الكيفيات. ويضاعف بذكر كل ملك عشر مرات كما تقدم. ثم يضاعف الفضل المذكور إلى سبعمائة ألف ألف مرتين. فإذا ذكر الذاكر عشرة آلاف مرة من الكبير، وهو جزء من سبعمائة ألف، فهذا فضله الكبير. و أما غيره ففي كل كيفية النصف من هذا الفضل العظيم. ثم قال رضي اللّه عنه: فهذا لا يعرفه النساء، بل خاص بالرجال لأنها مرتبة عظيمة فلا تعطى إلا لمن سبق أنه محبوب عند اللّه. جعلنا اللّه من المحبوبين آمين.

وسمعته مرة أخرى يقول رضي اللّه عنه: لو اجتمع جميع ما تلاه الأمة من القرآن من بعثته صلى اللّه عليه وسلم إلى النفخ في الصور لفظا لفظا فردا فردا في القرآن ما بلغوا لفظة واحدة من الاسم الأعظم. و كان ذلك بالنسبة للاسم كنقطة في البحر

المحيط. وهذا مما لا علم لأحد به واستأثر اللّه به عن خلقه وكشفه لمن شاء من عباده. انتهى كلامه رضي اللّه عنه.

قلت وينبغي لمن اطلع على هذا أو مثله في هذا المجموع أن يدخل باب التسليم ولا يخوض بعقله فيما بلغه علمه ليلا يهلك، لأن الشيخ رضي اللّه عنه كان لم يذكر شيئا من مثل هذا إلا ما سمعه من سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم تصريحا أو ضمنا. والشيخ تارة يذكر لنا كلام سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم بعينه وتارة يعبر لنا بحسب فهومنا و ما يمكن الإخبار به. ومع هذا لم يخبرنا بجميع ما أخبره به، وإنما أخبرنا بالنزر منه. و هذا النزر لم نذكر جميعه في هذا المجموع وإنما ذكرت هنا ما يمكن ذكره هـ

وسمعته رضي اللّه عنه يقول: إن الاسم الأعظم هو الخاص بالذات لا غيره وهو، أي الاسم الأعظم اسم الإحاطة. ولا يتحقق بجميع ما فيه إلا واحد في الدهر، وهو الفرد الجامع. هذا هو الاسم الباطن. وأما الاسم الأعظم الظاهر فهو اسم المرتبة الجامع لمرتبة الألوهية من أوصاف الإله و مألوهاته وتحته مرتبة أسماء التشتيت. ومن هذه الأسماء فيوض الأولياء. فمن تحقق بوصف كان فيضه بحسب تلك الأسماء. ومن هذا كانت مقاماتهم مختلفة وأحوالهم كذلك وجميع فيوض المرتبة بعض من فيوض اسم الذات الأكبر.

وسمعته يقول رضي اللّه عنه: إذا ذكر الذاكر الاسم الكبير يخلق اللّه من ذكره ملائكة كثيرة لا يُحصي عددها إلا اللّه. ولكل واحد من الألسنة بعدد جميع الملائكة المخلوقين من ذكر الاسم ويستغفرون في كل طرفة عين للذاكر أي كل واحد يستغفر في كل طرفة عين بعدد جميع الألسنة. وهكذا إلى يوم القيامة.

وقال رضي اللّه عنه سألت سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم عن فضل المسبعات العشر وأن من ذكرها مرة لم تكتب عليه ذنوب سنة؟

فقال لي صلى اللّه عليه وسلم فضل جميع الأذكار وسر جميع الأذكار في الاسم الكبير. فقال الشيخ رضي اللّه عنه علمت أنه أراد صلى اللّه عليه وسلم أن جميع خواص الأذكار وفضائلها مطوية فيه أي في الاسم الكبير هـ. ثم قال رضي اللّه عنه مرة أخرى يكتب لذاكر الاسم بكل ملك خلقه اللّه في العالم فضل عشرين من ليلة القدر ويكتب له بكل دعاء كبيرا وصغيرا ستة وثلاثون ألف ألف مرة، بكل مرة من هذا الاسم. نسأل اللّه أن يمن علينا بتعليم هذا الخير العظيم.

وسمعته رضي اللّه عنه يقول: فمن قدر أن ذاكرا ذكر جميع أسماء اللّه تعالى في جميع اللغات تساوي نصف مرة من ذكر الاسم من ذكر كل عارف. وأما ذكره الخاص به المرة الواحدة بألف ألف ألف من فضل الاسم عند غيره من الأولياء. وكل ملك يضاعف فضله في جميع كورة العالم بألف ألف ألف. و كل مرة واحدة من هذا التضعيف تساوي جميع أذكار العالم من أوله إلى وقت الذكر. هـ هذا الآن. وإذا وصل إلى الموعود به حصل له هذا عند كل حرف من حروف الاسم. وهذا خاص به لا مطمع فيه لغيره. هكذا سمعته منه رضي اللّه عنه ومتعنا بحبه آمين .

قلت ومن إملاء الشيخ رضي اللّه عنه لبعض خواص أحبابه في بيان فضل الاسم الأعظم الكبير الذي هو خاص برسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم إذا ذكره أحد بما فيه من الثواب عشرة آلاف من الثواب المتقدم كان جزءا من سبعين ألف جزء من ثواب هذا الفضل لكل أحد، و لو لم يكن مفتوحا عليه إذا علم مرتبته. يريد أن الكلمة الواحدة منه تضاعف إلى سبعين ألف ألف. وأما ثواب الفرد الجامع إذا ذكره مرة واحدة تضاعف إلى ألف ألف ألف ثلاث مرات ويذكره معه لسان كل ملك في العالم ألف ألف ألف ثلاث مرات. وثواب كل كلمة من الفرد الجامع ومن ذكر الملائكة بجميع ألسنتها بستين ألف مرة من الفاتح لما أغلق

الخ. وكل ما تقدم من ذكر الفرد وذكر الملائكة في المراتب الثلاث أعني مراتب الآلاف الثلاث يضرب في إحدى عشر.

هذا ثواب الفرد الجامع لكل ذات من ذوات الفرد الجامع وهي ثلاثمائة وستة وستون ذاتا. ويتضاعف هذا الثواب كله للذات التي هي بمكة بمائة مرة. هذا للفرد الجامع. وأما للعامي الذي علم مرتبته إذا ذكر الاسم الأعظم مرة ذكرته معه جميع الملائكة بجميع ألسنتها وجميع ثواب كل لسان يعادل جميع ثواب الفاتح الخ ستة آلاف مرة. هـ ما سمعناه من الشيخ رضي اللّه عنه وما فهمناه من عبارته. رزقنا اللّه رضاه ومحبته آمين.

وحدثنا رضي اللّه عنه قال: قال سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم أن الاسم الأعظم مضروب عليه حجاب و لا يطلع اللّه عليه إلا من اختصه بالمحبة. ولو عرفه الناس لاشتغلوا به وتركوا غيره .ومن عرفه وترك القرآن والصلاة على ما يرى فيه من كثرة ثواب الفضل فإنه يخاف على نفسه. انتهى رضي اللّه عنه. وقال لي مرة رضي اللّه عنه: لو قدرت مائة ألف رجل يذكر واحد منهم كل يوم مائة ألف من الاسم الكبير ويعيش كل واحد منهم مائة ألف سنة لم يساوي ثوابهم حتى نصف مرة من صاحب المقام. وفي عبارة له رضي اللّه عنه: لو قدرت أن جميع أسماء اللّه المفردات والمركبات في كل لغة من جميع اللغات ذكرت في مرة واحدة لم تبلغ إلا نصف فضله أي الصيغة الكبيرة من الكبير. وقال لي: هذا الفضل المذكور كله هو جزء من مائة ألف جزء أو أقل، أعني تقدير مائة ألف رجل المذكور أعلاه لا تقدير جميع أسماء اللّه. وبقيت مرتبة النهاية من هذا الفضل في هذه الخصوصية التي ليس فوقها فضل وهي أنه إذا و صلها سيدنا يصير هذا الفضل المذكور كله يكتب له عند كل نطق بحرف من حروف ذكر الاسم الأعظم. فسبحان المتفضل على من يشاء بغير حساب.

وسمعته رضي اللّه عنه يقول أن الفضل المذكور في الاسم الكبير خاص بالصيغة التي هي خاصة به عليه الصلاة والسلام التي لا يلقنها ولا يأذن فيها إلا للقطب الجامع. وأما غيرها من صيغ الاسم ففيها النصف من ثواب الاسم الكبير. هذا لكل من أخذ صيغة من الاسم الأعظم بسند متصل .وأما من عثر عليه من غير إذن في كتاب أو غيره فثوابه حرف بعشر حسنات فقط لا غير. هكذا سمعته منه في شهر اللّه صفر عام 1203.

وقال سيدنا رضي اللّه عنه: و الحق الذي لا عليه زيادة أن أقل الملائكة ألسنة له واحد وأكثرهم العالون لكل واحد سبعون لسانا و الكروبيون لكل واحد ستون لسانا. وكل من كان تحتهم إلى ملائكة الأرض فأقل ممن هو فوقه. وهذا في غير الملائكة التي يخلق اللّه من ذكر قول دائرة الإحاطة كما قدمنا، فإن ألسنتهم على قدر عددهم ولا يحصي عددهم إلا اللّه سبحانه وتعالى. وكذلك السنة الطائر الذي يخلقه اللّه من الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم كما تقدم، لأن هذين النوعين المذكورين خارجان من الحد المذكور في ألسنة الملائكة التي ذكرنا. وما ذكر في كتب بعض أهل الكشف من أن الملائكة منهم من لهم رؤوس عديدة وألسنة عديدة في الرأس، فاللّه أعلم بما ذكر لأن ما ذكرنا هنا هو من إخبار سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم لوسيلتنا. وخبره لا يطرقه الشك فضلا عن شيء آخر.

وأما ما ذكر في الإبريز فلم ندر هل هو من إخبار الشيخ لصاحب الكتاب أو نقله مما هو مودوع في الكتب. وعلى أنه من الكتب فهو محتمل. وأن كان من كشف شيخه فهو كامل، فيؤول على أنه رأى بعضا من الملائكة على الصفة المذكورة في الإبريز. واللّه أعلم بمراده.

ومن خواص قول دائرة الإحاطة أن من علمه اللّه له، أي لفظه دون أسراره كان مأمونا من السلب لا يقدر عليه أحد، وإن كان لم

يفتح عليه بالولاية ولا يقدر على سلبه إلا القطب. ومن خواصه أن من يعرفه لا يموت حتى يكون من أولياء الله. و هذا ما سمعنا من خواصه من شيخنا رضي الله عنه. وأما سلوك قول دائرة الإحاطة قال سيدنا: أما مدته فهي ش ت ع و ا ز ت لا ص يوما. وأما عدد ذكره فهو ا خ ذ غ ه ز ا م ق ا وعلامة الإجابة: ث ا ذ ر ص خ ت و ا م خ ق ت. رزقنا الله هذا الخير الأتم بالإذن الأعم من غير مشقة ولا هم آمين.

ولنذكر سلوك الفاتح هنا لأنه مناسب لهذا المحل. قال شيخنا رضي الله عنه: من ذكرها 135 و ش ت غ ث ا م ق ، في ا م و ا ز ومثلها في ا م لا م ، خ ل و خ ا ط ر ه، أ ي س م ت. ومن جميع ا م د لا ا ك ز. فمن قدر على هذا وسلكها س ت غ ث ا ء ا ق قضيت حاجته إن شاء الله. هكذا سمعته من الشيخ رضي الله عنه، ولكن كل ما تقدم من السلوك في الفاتح و فيما قبلها فلابد من الإذن الصحيح. و أما من غير الإذن، فلا ثمرة إلا أن ينوي الثواب في الفاتح، فيحصل له كما تقدم والسلام.

وهذا أي الطريق المتقدم في أعظم مناقب الشيخ رضي الله لأنه من العلوم التي خصه الله بها دون غيره من الأولياء أي بعضها لا كلها.

ومما خصه الله به رضي الله عنه مفتاح القطبانية، و هو لا يعطى و لا يذكره إلا من سبق في علم الله أنه يصير قطبا. و قال لي أيضا في هذا الذكر خواص عظام من جملتها أن من سلكه إحدى عشر يوما، فكل حاجة دعا به فيها مرة واحدة حصلت. وفيه إجابة كالاسم الأعظم ولو حصل لعامي لحصلت له الإجابة فضلا عن المفتوح عليه. ولم يذكره لي بعينه في هذه الساعة رضي الله عنه. وكيفية وصوله للشيخ رضي الله عنه أي سبب حصوله في يده أن الواسطة المعظم رحمه الله أتاه الملك ا م ن غ س ت به. فلما نزلا له هو و ي م د و، قال ا م ل ت لا ز، ح م ض ق لا ز علمه تم بعد ذلك حضر له رسول الله صلى الله وسلم

وقال له: أبعثه للتجاني فطلب الواسطة رحمه الله الإذن فيه من النبي صلى الله عليه وسلم فقال له: أنه خاص بالتجاني ولا يعطى إلا لمن سبق في الأزل أنه قطب وهو كذلك سبقت له القطبانية.

ومما خص به شيخنا رضي الله عنه كيفية سلوك ز ي د ا م ص م ي ا ث. و مما خص به كيفية سلوك ذ ي ز ا م ص ي ا ر والدعاء به والتصرف به. و كذلك ك م ش ن ا م س ا س خص بتصريفه من غير سلوك وكذلك الأسماء ا م ن ز س لا و وخص بأسرار أخر غير هذه. و هذه الأسرار لم يذكرها أحد من أرباب النواميس ولا غيرهم فيما علمنا ورأينا وإنما خص الله سيدنا ووسيلتنا فعلمها. وما ذلك إلا لخصوصية له عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن علومه التي لا يطلع عليها إلا أرباب الكشف مثله سمعته يقول رضي الله عنه: مكتوب على كل فلك حرف من حروف قول دائرة الإحاطة، به يتحرك وهو له كالروح للجسد. وسمعته رضي الله عنه يقول أن العارف يصير حرفا من حروف الذات. قلت له: أن الحرف ذات والعارف ذات، كيف يصيرا ذاتا واحدة؟ قال لي معناه أن العارف يصير يتصرف بذاته كالحرف لا إنه يصير عين الحرف. قلت له و لماذا لم يتصرف بالأسماء العالية وعسكرة الأسماء؟ قال لي أما الأسماء العالية فلا يعرفها ولا يطلع عليها إلا الفرد الجامع. و أما عسكرة الأسماء وغيرها من أسماء الله فيعرفها العارفون ولكن العارف يغلبه الحياء من الله أن يطلب حاجته بأسماء الله. ولكن إذا أراد حاجة يوجه همته إليها، فتقضى إن أراد الله قضاءها.

و أخبرني رضي الله عنه قال: كان يحدثني قلبي أن من عرف صاحب الوقت بعينه وهو الفرد الجامع وعرف الاسم الخاص به ودعا بهما استجيب له في الحين. و بقيتُ زمانا على هذا حتى أخبرني به سيد الوجود صلى الله عليه وسلم كما كان في قلبي سواء

بسواء. قلت له: ما المراد بالسم الخاص به هل هو الاسم الأعظم أو غيره؟ قال رضي اللّه عنه: لا بل هو غيره لأن كل واحد من الخلق له اسم من الأسماء العالية وهو الذي به قوام ذاته، كما قدمنا. فهو المراد هنا.

و قال الشيخ الأكبر رضي اللّه عنه في قوله تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها)، ليس المراد الذي قاله المفسرون، و لو كان كذلك ما ظهرت الخصوصية لآدم عليه السلام، وإنما المراد بها الأسماء العالية لأن كل مخلوق في الكون إلا وله اسم على قدره في العظم و به قوامه.

قال: قال صاحب الإبريز عن شيخه رضي اللّه عنهما في قوله تعالى وعلم آدم الأسماء كلها والمراد بالأسماء، الأسماء العالية لا الأسماء النازلة، فإن كل مخلوق له اسم عالي واسم نازل. فالاسم النازل هو الذي يشعر بالمسمى في الجملة والاسم العالي هو الذي يشعر بأصل المسمى، ومن أي شيء هو وبفائدة المسمى ولأي شيء يصلح الفأس من سائر ما يستعمل فيه، و كيفية صنعة الحداد له. فيعلم من مجرد سماع لفظه، هذه العلوم والمعارف المتعلقة بالفأس. وهكذا كل مخلوق.

والمراد بقوله تعالى الأسماء كلها، الأسماء التي يطيقها آدم ويحتاج إليها سائر البشر أولها بهم تعلق وهو كل مخلوق من تحت العرش الذي تحت الأرض هـ .قلت ومن علم هذا علم الوجود تفصيلا ويسمى صاحب العلم الكامل وليس هذا إلا الفرد.

وقول البوصيري:

لك ذات العلوم من عالم الغيب ومنها لآدم الأسماء

سألت الشيخ رضي اللّه عنه هل معناها هو ما ذكر من كلام صاحب الإبريز وكلام الحاتمي رضي اللّه عنهما أي عجز البيت لا صدره؟ فأجاب رضي اللّه عنه: نعم. وأما صدر البيت فقال رضي

اللّه عنه هو مشهده الخاص به صلى اللّه عليه وسلم الذي لا مطمع لأحد فيه، لا نبي ولا ولي. و صدق صاحب الهمزية رضي اللّه عنه في قوله

رتب تسقط الأماني حصرى دونها ما وراءهن وراء

بعد قوله:

وترقى منه إلى قاب قوسين وتلك السيادة القعساء

وسألته رضي اللّه عنه عن قوله: إنما مثلوا صفاتك للناس البيت فأجاب قال معناه: أن الأنبياء والمرسلين إنما ظهر عليهم من صفات النبي صلى اللّه عليه وسلم إنما هو كظهور النجم في الماء. قال الشيخ ولهذا قال أويس القرني رضي اللّه عنه للصحابة: ما رأيتم منه إلا ظله. قالوا و لا ابن أبي قحافة؟ قال: ولا ابن أبي قحافة هـ.

وتقاعس عن إدراك حقيقة سره جميع الكبراء. قال أبو يزيد البسطامي رضي اللّه عنه: أرسلت همتي طامعا في الوقوف على الحقيقة المحمدية أو عبارة هذا معناها وجدت بيني وبينها ألف حجاب من نور، لو دنوت لواحد لاحترقت كما تحترق الشعرة في النار هـ.

ومن مناقبه سمعته يقول رضي اللّه عنه: أخبرت من الغيب أني أقطع المقامات التي بين المعرفة و القطبانية في مقدار ما بين الظهر والعصر. وأما ما بين القطبانية إلى مقامه الموعود به وهو فوق مقام مفاتح الكنوز، وليس فوقه مقام في الولاية قال أقطعها في مقدار ما يقرأ القارئ سورة القدر مرتين. قلت له وكم عددها؟ قال لا تحصى. قلت له: أما هو الذي أخبرتنا به فيما مضى، وهو أعلى جميع المقامات وما فوقه إلا مقام الأنبياء والرسل؟ قال: نعم. وفي رواية عنه رضي اللّه عنه أن قال قال لي تدخل المعرفة الكبرى في وقت الظهر وتقطع جميع المقامات التي

بين المعرفة و القطبانية من الظهر إلى العصر. و تدخل القطبانية في وقت العصر.و في رواية أخرى عنه رضي اللّه عنه أنه قال: قال لي تدخلها في الساعة العاشرة من النهار. هكذا أخبرت بها. ثم قال والعاشرة هي العصر هـ .و بعضه بالمعنى. وكتبت هذا في غرة جمادى الأولى عام 1203 في يوم السبت.

وسألته رضي اللّه عنه عن عدد المقامات التي بين المعرفة و القطبانية. فأجاب رضي اللّه عنه أن عددها مائة ألف مقام وثمانية وأربعون ألف مقام. قال الشيخ رضي اللّه عنه حاكيا كلام الحاتمي أن المقام الأول من مقامات المعرفة فيه شيء من المكر الخفي، ولا يأمن صاحبه إلا إذا انتقل عنه للذي فوقه. وبين الأول والثاني سبعمائة ألف حجاب. وبين الثاني والثالث سبعمائة ألف حجاب.

وهكذا لا يزال المرتقي يقطع الحجب إلى ما لا نهاية له. فإن المقامات ما لا تنتهي فكذلك الحجب بين كل مقام ومقام لا تنتهي. هذا بعد الوصول. و أما الحجب التي قبل الوصول إلى المعرفة فعند جمهور العارفين أنها سبعون ألف حجاب. وقال بعضهم أكثر. وقال بعضهم أقل. و أما عند الشيخ فعدد الحجب التي قبل الوصول إلى المعرفة مائة ألف حجاب وخمسة وستون ألف حجاب. وهذا هو الصحيح لأنه أخبر به سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم.

وأما حد المعرفة قال الساحلي رضي اللّه عنه هي إحاطة العبد بعينه. قال الشيخ رضي اللّه عنه مع محادثة الحق له وعلمه بما احتوت عليه روحه من الأسرار والمعارف. وأما عدد المقامات والمنازل من أول المعرفة إلى القطبانية مائة ألف وثمانية وأربعون وألف مقام ومائتا ألف وثمانية وأربعون ألف منزل. قال الشيخ رضي اللّه عنه: يلزمه في كل مقام وظائف. وآداب غير التي لزمته في الذي قبله. و أما المواقف فقال الشيخ الأكبر رضي اللّه عنه: اعلم يا بني وفقك اللّه أن القلب إذا تخلص و صفا وارتقى من المنازل

ما ذكرناه من التجليات ما تقدم، يوقفه الحق سبحانه في غيبة يجذبه إليه فيها جذبا كليبا يوقفه في تلك الغيبة مائة ألف موقف وثلاثة وعشرون ألف موقف وستمائة وسبعة وثمانين موقفا مختلفة، يعطيه في كل موقف من الأسرار ما قدره اللّه تعالى في شربه. وهذه الأسرار من خزائن الغيرة. مكتمة عند القوم لا سبيل إلى أن يبوح بها أصلا ولا يعلمها أحد سواه. انتهى من مواقع النجوم ومطالع أهلة الأسرار والعلوم.

وأما عدد الحضرات قال الشيخ الأكبر رحمه اللّه: اعلم يا بني أن القلب إذا تحقق الأسرار المكتمة التي حصلت في منزل الأنبياء وأدخله اللّه سبحانه من الحضرة الإلهية ستمائة حضرة وستا وعشرين حضرة إلا أبا بكر الصديق رضي اللّه عنه، فإنه أدخله اللّه في هذا المقام ستمائة حضرة وخمسا وعشرين حضرة. وأما السادسة والعشرون، فهي له حضرة الوزن خاصة. ونحن لنا حضرة الوزن، وهي لنا السابعة والعشرون غير أن هذه الحضرة الوزنية التي لنا متفاضلة بيننا. وما فاز بها على الكمال إلا الصديق الأكبر. وليس له سابعة وعشرون كما لنا. وعدمها كمال في حقه رضي اللّه عنه، و وجودها كمال في حقنا، كما أن النبي صلى اللّه عليه وسلم في هذه الحضرة، أعني المقام ستمائة حضرة و أربع و عشرون حضرة ينقص عن الصديق بدرجة، و هو الكمال في حقه. فالخامسة والعشرون له حضرة الوزن الكلي، وغيره من الأنبياء ليس مثله في هذا المقام أعطاه في كل حضرة سرا لا يجده في حضرة أخرى. انتهى من مواقع النجوم.

ثم قال الشيخ الأكبر رضي اللّه عنه: اعلم يا بني أن قلب العبد المحقق الصوفي إذا صفا وتحقق، صار كعبة لجميع الأسرار الإلهية تحج إليه من كل حضرة وموقف وترد عليه في كل جمعة مادام في ذلك المقام ستمائة ألف سر ملكوتي واحد منها إلاهي، وخمسة أسرار ربانية ليس لها في حضرة الكون مدخل. وما بقي فأسرار الكون، و لكنها متعلقة بهذه الأسرار.

فأول ما يرد عليه السر الإلهي ثم الخمسة ثم ما بقي فوجا فوجا. هذا في كل جمعة. فافهم ما رمزناه وخذ قفله تسعد إن شاء اللّه. انتهى من المواقع أيضا.

ومن مناقبه رضي اللّه عنه كنت ذات يوم معه فوق سطح دار فحضرت الصلاة وليس معنا أحد إلا اللّه سبحانه فسألني عن أمر في نفسي فأخبرته بما ظهر لي في تلك الساعة، فأمرني بخلافه رضي اللّه عنه. فقلت له: نعم ثم قال لي: إذا أنا وصلت إلى مرادي أو تهنيت بذلك الأمر الموعود أو ما يقرب على هذا المعنى، فإني لا أخرج لأحد بل أغلق بابي و لا أخرج للناس على هذه العادة إلا للواردين وأرجع إلى داري إلا أن يخرجني اللّه قهرا فلا حيلة لي. قلت له لعل اللّه أراد بك الظهور قال إلا أن يكون ذلك. فقلت له: إذا وصلت مقامك فتستوي عندك الخلق وعدمهم، لأن الكامل لا يلتفت إلى الخلق ولا يرى لهم وجودا قال نعم ولكن طلبت أمورا من اللّه وضمنت لي بحمد اللّه وفيها من اللذات ما يشتغل عن الالتفات إلى غيرها.

قلت له وما هي هذه الأمور؟ قال لي رضي اللّه عنه: سألت اللّه أن يعطيني في كل مقدار طرفة عين مائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف تجلي إلى أن تعد عشر مائة ألف أو أزيد. هكذا إلى الأبد، و كل تجلي منها لا يحيط به العارف الكبير ولا يفصله ولا يفرغ منه إلا في مائة ألف ألف عام. قال وسألته أيضا أن نحيط بتفصيلها وجميع ما احتوت عليه من أسرار وحقائق وغير ذلك في طرفة عين. ومع هذا أنها لا تشغلني عن مشاهدة الأكوان. ومقتضيات البشرية وكذلك الأكوان لا تشغلني مشاهدتها عن مشاهدة التجليات بل نشاهد التجليات ونفصلها كأني محجوب عن غيرها من رؤية الأكوان ونشاهد الأكوان كأني لم أشاهد التجليات.

و هذا كله في آن واحد في كل طرفة عين. وهكذا إلى الأبد، فأعطيت هذا كله وضمنه لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم.

فلما سمعت هذا منه رضي اللّه عنه بهر عقلي حتى حملني شدة الفرح والسرور فقلت: ادعوا اللّه لي أن يبقيني حيا حتى تنزل هذا المقام وتخبرني به يتكامل سروري. وقبل أن يذكر لي هذا الخير العظيم عن نفسه بشرني بأمر يلحقني منه أنا وبعض الإخوان. فله الشكر والمنة. فأنا أرجو وعده الصادق. لا حرمنا اللّه منه أنا وبعض الإخوان والمحبين آمين. نسأل اللّه أن يمتعني بمحبة هذا الإمام الأكبر والياقوت الأحمر من الآن إلى دار عليين مع الرسول الكبير سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم.

وقال رضي اللّه عنه: قال لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم غفر اللّه لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. قلت له بغير خاصية؟ قال لي: نعم. قلت له: لعله لأجل مقامك الموعود به؟ قال: نعم. ثم قال لي: أعطاني سرا، من ذكره لم يكتب عليه ذنب. قلت له: أ هو الإسم الكبير؟ قال: لا، بل هو غيره ولم يذكره لي. هذا من أكبر مناقبه رضي اللّه عنه.

سمعته يقول رضي اللّه عنه أن من استغرق في ذكر الفاتح لما أغلق الخ ثمانية آلاف ألف ألف ألف عام إلى أن تعد خمس مراتب هكذا وثمانمائة ألف ألف ألف إلى أن تعد أربع مراتب أيضا على أن الذاكر يقدر في كل ساعة زمانية يذكر من الفاتح لما أغلق الخ أربعمائة مرة. فهذا كله يساوي مرة من ذكري للاسم الكبير بالخصوصية التي خصنا اللّه بها، وهو ذكر الملائكة معنا مهما ما ذكرنا ذكرا، أي ذكر كان من القرآن وغيره، وعددهم سبعون ألفا. وهذا الفضل المتقدم من ذكر البشر به نسبة إلى ذكرنا. وأما من ذكر الملائكة فاستغراق سبعة عشر ألف ألف عام. ومنهم من له لسان واحد و هو أقلهم و هم ملائكة الأرض. وأكثرهم له سبعون لسانا وهم العالون. هكذا أخبر من الغيب رضي اللّه عنه.

قال وأما عدد الفاتح في هذا الاستغراق المذكور والذي يعادل مرة من ذكر سيدنا رضي اللّه عنه، فهو تسعة وعشرون مائة ألف ألف

ألف ألف ألف ألف ألف، إلى أن تعد سبعة مراتب و ثمانية و عشرون مائة ألف ألف ألف ألف ألف ألف إلى أن تعد ستة مراتب. هكذا قرر لي رضي اللّه عنه ومتعنا بمحبته آمين. ثم قال لي هذا قبل مرتبة النهاية، وهي مرتبة الكامل. فلا يعلم ما لها من الفضل إلا من خصه اللّه بها أو من شاء من عباده. نسأل اللّه أن يرزقنا ما رزق عباده المحبوبين من هذا الفضل الكبير والخير الكثير آمين.

ومرة أخرى قال سيدنا رضي اللّه عنه: وأما قدر ثواب صلاة الفاتح الخ فالمرة الواحدة منها إذا ذكرتها تعادل عبادة ثمانية وعشرين مائة عام أعني للمستغرق فيها، على تقدير أنه كل يوم يذكر عشرة آلاف بين الليل والنهار من صلاة الفاتح لما أغلق الخ. فقلت له هذا بالنظر للذاكرين معك؟ قال: نعم لأنه أخبرنا، مهما ذكر ذكرت معه سبعون ألف ملك والمرة الواحدة من أذكارهم أي من كل واحد من الملائكة المذكورين تضاعف بسبعين ألف مرة وثواب أذكارهم كلها لسيدنا كرامة من اللّه بمحض فضله هـ.

فائـــــدة

في اعتبار كثرة الملائكة وأنهم خلق اللّه وفي الحديث عنه صلى اللّه عليه وسلم أطت السماء وحق لها أن تئط، ما فيها موضع قدم إلا وفيه ملك ساجد أو راكع. وروى أن بني آدم عشر الجن، والجن وبنو آدم عشر حيوانات البر، وهؤلاء كلهم عشر الطير، وهؤلاء كلهم عشر حيوانات البحر، وكل هؤلاء عشر ملائكة الأرض الموكلين، وكل هؤلاء عشر ملائكة السماء الدنيا، وكل هؤلاء عشر ملائكة الثانية. ثم على هذا الترتيب إلى السابعة. ثم الكل في مقابلة ملائكة الكرسي، نزر قليل. ثم

هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستمائة ألف سرادق، طول السرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السموات والأرض وما بينهما فإنها تكون شيئا يسيرا وقدرا صغيرا. وما من موضع قدم منها إلا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم، لهم زجل بالتقديس والتسبيح.

ثم كل هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحفون حول العرش كالقطرات في البحر، ولا يعلم عددهم إلا اللّه. وقيل حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين و مكبرين. ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير. ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا الأيمان على الشمائل، ما منهم أحد إلا وهو يسبحه بما سبح الآخر. ثم كل هؤلاء في ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل عليه السلام نزر قليل. و قيل بين القائمتين من قوائم العرش خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام وذكر يونس بن عمر رحمه اللّه في عظم العرش أن له ثلاثمائة وستة وستين قائمة قدر كل قائمة كالدنيا ستون ألف مرة. وبين القائمتين ستون ألف صحراء في كل صحراء ستون ألف عالم. انتهى وفوق العرش سبعون حجابا في كل حجاب سبعون ألف عام. بين كل حجاب. سبعون ألف عام. و كل ذلك معمور بالملائكة الكرام. وكذا ما فوق الحجب السبعين من عالم الرقا بتشديد الراء وتشديد القاف. انتهى.

فانظر رحمك اللّه ماذا أعد اللّه من الخيرات لمن وفقه اللّه من المؤمنين. فإن هؤلاء الملائكة كلهم يصلون عشرا على من صلى اللّه مرة واحدة. هكذا دائما كثر أو قلل. وهذا في غير الياقوتة الفريدة. وأما هي فإن من صلى بها مرة فتكتب له بكل صلاة صدرت من كل ملك في العالم ستمائة ألف صلاة مع صلاة كل ملك عليه عشرا. فهذا في عموم المؤمنين. وأما من خصه اللّه من أهل محبته، كمن منحه اللّه بقول دائرة الإحاطة، فإن

كل ملك يذكر معه بجميع ألسنته إذا ذكره سواء كثر أو قلل. وهكذا دائما. و ذكر كل لسان من الملك يضاعف على ذكر الآدميين بعشر مرات كما قدمناه في محله.

فعلى هذا فالملائكة لهم حق علينا أن نثني عليهم كما أثنوا علينا واستغفروا لنا. اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وسلم وصل على جميع الأنبياء والمرسلين وصل على جميع الملائكة والمقربين وسلم عليهم في كل يوم ألف ألف في ألف ألف من الآن إلى الاستقرار في عليين آمين.

وسألت الشيخ رضي اللّه عنه كيف نثني على الملائكة لأجل ثنائهم علينا واستغفارهم لنا فأجابني رضي اللّه عنه: أما أنا فأقول: اللهم صل وسلم على كل واحد من أنبيائك ورسلك وملائكتك عدد ما في علمك يا رب .انتهى. قلت له: هذا الثناء والاستغفار ما حكاه اللّه إلا على الحافين من حول العرش؟ قال لي قال تعالى (هو الذي يصلي عليكم وملائكته) قلت له نعم فالصلاة عامة من جميع الملائكة، وهي من أعظم الثناء. فحق علينا منكرهم أي شكر جميع الملائكة لأجل صلاتهم علينا هـ.

وفي ثناء الملائكة علينا واستغفارهم لنا معشر المؤمنين إشارة إلى تعظيم نوع الآدمي على سائر خلق اللّه ومكانته عند اللّه لكون ملائكة اللّه الكرام يصلون على المؤمنين ويستغفرون لهم. وفيه نوع من الخدمة يعلمه أهل الحق. جعلنا اللّه منهم.

وفي الخبر من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه، ومن الشكر الثناء بالقلب واللسان لمن أسدى إليك معروفا. ومن فهم هذا يعلم أن الثناء على الوسائل من أعظم الشكر عند اللّه، ولهذا أكثرنا الثناء على وسيلتنا رضي اللّه عنه لما وصلنا على يديه من الخير المذكور والفضل الكبير. ومن جملة ثنائنا على وسيلتنا رضي اللّه عنه جمع هذا التأليف المبارك لأنه من الخير الباقي والصدقة الجارية. جعله اللّه خالصا لوجهه الكريم آمين.

وسألته رضي اللّه عنه عن مجازاتنا للكافر إذا وصل إلينا خير على يديه. قال لي قل له: أماتك اللّه مسلما. قلت له يتغير ولم يرض، و تغيير الخلق منهى عنه عند مجازاته. فقال لي: قل له أماتك اللّه على الدين الذي يرضاه لك اللّه. قلت له: فهذا يحبه ولكن هو يحب أن يميته على دينه ونحن نحب دين الإسلام. قال: فاطلب له الخير عند اللّه، ولا عليك في نيته. قلت له وهل نطلب له المغفرة والرحمة. قال: لا للنهي الوارد في الآية (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين). الآية.

ومن مناقبه رضي اللّه عنه سمعته يقول: ضمن لي من الأصحاب، كرامة من اللّه وفضلا ألف ألف ألف ألف من الرجال إلى أن تعد أربع مراتب، كما تقدم ومائة ألف ألف من النساء الخ. و ضمن لي سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم الغنى ما دمت حيا ولأولادي وأولادهم وكذلك أي أولاد الصلب والحفدة. وضمن لي الولاية لأولاد الصلب. وأما الحفدة فنسيتُ. وهذا غاية الاعتناء من رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بشيخنا رضي اللّه عنه لكونه ضمن له الدنيا والآخرة.

وحدثنا يوما رضي اللّه عنه ببعض ما أعطاه سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم وما ساعفه عليه في مسائله التي يطلبها فقلت له: ما رأينا أحدا من أولياء اللّه وما سمعنا بأحد اعتنى به صلى اللّه عليه وسلم وأعطاه كل ما طلبه منه مثلك فإنك طلبته في جميع ما يخصك وما تعتني به من أمورك حتى في الغنى في الدنيا و ساعفك فيه وحتى في الحال الذي يعتري بعض الأولياء ظاهرا أنه لا يأخذك وضمنه لك. فهذا هو غاية الاعتناء، وهو كله مصدق في جميع ما ذكرته ولم ينكر كلمة منه لأن هذا كله سمعته منه قبل هذه الساعة.

وكان في هذا اليوم متوجعا من رأسه رضي اللّه عنه فقلت له: من البرد أو من شدة الحرارة؟ فقال لي: كلاهما. فقلت له كيف ذلك: قال لي: كنت تاركا ذكر الاسم قبل هذه الساعة لشدة ما حل

بي من الحرارة التي لا تطاق بسبب ذكره. فإلي قبل هذا اليوم بيوم، قلت في نفسي أن الزمان بَرُدَ حره، فعدت إلى ذكر الاسم. فمن حين ذكرته والأمر يتزايد علي وذاتي تَسْتَفُّ الريح. فقلت له ليس تستف الريح، وإنما هو أمر آخر فتبسم وسكت رضي اللّه عنه، لأنه كان أخبرني بالأمر الذي يدخل ذات ذاكر الاسم الأعظم لأن الذات هي التي تذكره. و قال لنا: كان أعطاني سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم طلسما عظيما مركبا فيه الاسم الأعظم وقال لي أحمله معك، فإنها لا تضرك حرارة الاسم. فحملته مدة. فلما لم تضرني حرارته وضعته وقلت له: لا أحمله حتى للفتح، فساعفني. فلما اشتدت بي الحرارة عدت لحمله فلم يُغن شيئا. وكتبت هذا في آخر شهر اللّه المحرم فاتح العام الثالث في القرن الثالث عشر.

ومن كثرة إحسان شيخنا رضي اللّه عنه للمؤمنين قال لي: كل يوم أصرف لجميع الموحدين ثواب مرة من الاسم الأعظم من الثواب الخاص. و قدر ثواب هذه المرة من ذكر سيدنا قال لي مثل عبادة ثلاثة عشر عاما ونصفا. وفي كل يوم قدر من يذكر الاسم الأعظم مائة ألف مرة من غير ذكر سيدنا الخاص به. وقدر كل مرة من هذه المائة ألف مثل من يذكر الفاتح ستة آلاف مرة. و قدر كل مرة من الفاتح مثل عبادة العالم من أوله إلى وقت الذاكر لها ستة آلاف أيضا. و ثواب الفاتح معلوم عندنا، كما قدمناه في محله.

ومن رحمته رضي اللّه عنه للموحدين أنه قال لي: كل يوم أدعو لجميع أهل التوحيد من آدم إلى آخر الدنيا بدعاء خاص كان ركّبه حين كان في تلمسان، وهذا قبل أن يظفر بقول دائرة الإحاطة. وطلبت منه الإذن في هذا الدعاء الذي يدعو به لكافة أهل التوحيد وفي دعاء آخر له تطلب كل حاجة وفي حمد كان ركبه وفي صلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم له، فأذن لي في جميع ذلك.

وهذا هو الدعاء المبارك الذي يدعو به كل يوم للموحدين: بسم اللّه الرحمن الرحيم اللهم إني أسألك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى آله عدد ما في علمك وأن تعطيني كذا وكذا جمعا أو فردا من كل ما شئت من ابتداء خلقك إلى انتهاء مدة يوم القيامة في كل مقدار طرفة عين لكل واحد على انفراده عشرين فيضة من بحور رضاك وأن تعطي كل واحد في كل فيضة أوفر حظ ونصيب من كل خير سألك منه سيدنا محمد نبيك ورسولك صلى اللّه عليه وسلم ما علمت من ذلك وما لم أعلم من خيرات الدنيا والآخرة والنجاة من كل شر استعاذك منه سيدنا محمد نبيك ورسول صلى اللّه عليه وسلم ما علمت من ذلك وما لم أعلم من شرور الدنيا والآخرة ومغفرة جميع ذنوبهم ما تقدم منها وما تأخر في الدنيا والآخرة وأداء جميع تبعاتهم من خزائن فضلك وكرمك في الدنيا والآخرة وهذا كله غير الذي تقدم. وأسألك أن تعطيني وكل واحد منهم جميع ذا وذاك وأن تجيبني وكل واحد منهم في جميع ذا وذاك بمحض فضلك وكرمك آمين. انتهى.

وهذا في غير عموم أهل التوحيد وأما في عمومهم فيصل فيه إلى خيرات الدنيا والآخرة فقط، ولا تزد. ثم تقول والذي في كل فيضة غير الذي في الأخرى الخ لأن الدعاء بما يقي لعموم أهل التوحيد دعاء بما علم أن اللّه لا يفعله فهو كمن يسأل من اللّه النبوءة والرسالة بعد نبينا صلى اللّه علي سلم. فهو إذا لم يكن كافرا لم يبعد عن الكفر، لأن اللّه عز وجل قضى حكمه في ذلك وأخبرنا به وأن من سأل اللّه مناقضة ما مضى به حكمه كان داخلا في الكفر به لأنه سأل من اللّه جورا وهو قدوس عن الجور. فهو يريد من اللّه أن لا يكون قدوسا لكون ما مضى به حكمه وهو حين العدل ونقيضه عين الجور والسلام. انتهى كلامه رضي اللّه عنه.

وهذا الدعاء فيه ثلاث مراتب: مرتبة لجميع الموحدين ومرتبة لنفس الداعي ومن أراد تخصيصه ومرتبة لجميع من أحسن اليه أو بينهما محبة أو له حق عليه. فمن أراد الدعاء بمرتبة من المراتب الثلاثة فليركب لكل واحدة ما يناسبها من المطالب. فافهم. هكذا سمعته من الشيخ رضي اللّه عنه.

وأما الدعاء الذي قلنا لطالب كل حاجة فهو: اللهم إني أسألك بما وارته حجب جلالك من سبحات وجهك التي لو ظهرت للوجود لتدكدك الوجود وانحرف وصار محض العدم، أسألك أن تصلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد وأسألك أن تعطيني كذا وكذا.

وأما الحمد الذي ركبه سيدنا رضي اللّه عنه فهو: يا اللّه لك الحمد من ابتداء خلقك إلى الأبد بدوام بقائك في كل مقدار طرفة عين. لك الحمد مثل جميع ما أحاط به علمك من كل ما حمدت به نفسك بكلامك صفة وقدرا و بكل لسان من جميع خلقك كل حمد مضاعف عدد ما أحاط به علمك على جميع ما أحاط به علمك من نعمك علي وعلى جميع خلقك من ابتداء خلقك إلى أبد الأبد. انتهى

وأما الصلاة التي ركبها رضي اللّه عنه فهي: كل اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه من ابتداء خلقك إلى أبد الأبد بدوام بقائك في كل مقدار في مقدار طرفة عين صل عليه وعلى آله وصحبه مثل جميع ما أحاط به علمك من جميع صلواتك عليه وجميع صلوات جميع مخلوقاتك عليه مفردة ومركبة من ابتداء خلقك إلى أبد الأبد كل صلاة من ذلك عدد ما أحاط به علمك. انتهى

ولسيدنا رضي اللّه عنه أدعية ومطالب لم أر مثلها ولم أقف عليها لأحد ممن انتهج طريق الدعاء من أولياء اللّه ولم أكتبها هنا لما فيها من الطول، فإنها تحتوي نحو ثلاثة أحزاب أو أربعة، بل ذكرناها في آخر الكتاب. و طلب فيها أمورا ما أظن أحد طلبها. بعضها في

مقامات العارفين وأحوالهم وبعضها في مراتب الجنة. وأخبرني أنها كلها ضمنت له رضي اللّه عنه ومتعنا بمحبته وطول بقائه آمين. فمن وقف عليها يعلم وسع علم شيخنا رضي اللّه عنه وغزارة عبارة فهمه وعلو مقامه عند اللّه ومعرفته بأحوال رجال اللّه وتفصيل مراتبهم في مقاماتهم.

وأشير لك إلى شيء من بعض لفظه في مطالبه. وأما كلها فلا، لأنها بحر زاخر لا قعر له لتتعلم كيفية الطلب ماذا تطلب و ماذا يناسبك، إن كنت كيسا فطنا. واللّه الموفق للصواب وهو يدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم.

قال رضي اللّه عنه ونفعنا ببركاته وبعلومه ومتعنا بحبه مع طول بقائه آمين: يا رب أسألك بفضلك من فضلك وبجودك من جودك وبكرمك من كرمك وبمجدك من مجدك أن لا تميتني حتى تبلغني أقصى قطبية سيدنا فلان، وأقصى قطبية سيدنا فلان. و تمادى هكذا إلى أن عد خمسين من الأكابر أو أزيد من خمسين. ثم قال وخلافة هؤلاء و غوثيتهم و فردانيتهم و إماميتهم و جامعيتهم في كل ما جمعت جميع تلك القطبية والخلافة والإمامة من سائر العلوم الضرورية والنظرية والكشفية و النقلية والأدبية وسائر المعارف، معارف ذاتك وصفاتك وأسمائك وأفعالك وجميع الأسرار والأنوار والأعمال والأحوال والمقامات والمنازلات و الكشوفات والفتوحات واليقين والتوحيد والمشاهدة والمحبة والتخصيص والأدب بين يديك والفهم عنك والفقه في دينك وطوالع تجلياتك في جميع المطالع والقيام بحقوق ربوبيتك والاستغراق في شهود عظمتك وجلالك وعزك وكبريائك و دوام الذبول والذوبان من هيبتك وسطوة جلالك والخمود والجمود تحت عواصف رياح مقاديرك وكمال القيام بك لك إسلاما وإيمانا وإحسانا وعلما وعملا وحالا ومنازلة ومقاما وتخلقا وتحققا.

وحاصل الأمر ان لا تميتني حتى تعطيني جميع ما أعطيتهم في جميع قطبانيتهم في حياتهم إلى مماتهم من جميع التحف والمواهب من كل ما ذكرته وما لم أذكره من كل ما أحاط به علمك وأن تعطيني مع ذلك قطبية كل قطب من بعثته صلى الله عليه وسلم إلى النفخ في الصور كائنا ما كان وخلافة كل خليفة و غوثية كل غوث وجامعية كل جامع وفردية كل فرد من بعثته صلى الله عليه وسلم إلى النفخ في الصور... إلى أن قال: وأن تعطيني مع هذا في هذه القطبية جميع ما أعطيته لسيدنا طلحة وسيدنا الزبير. و تمادى هكذا إلى أن عد نحو الستين من أكابر الصحابة والتابعين ومن تبعهم.

إلا أن العدد الأول ما ذكر فيه إلا من اشتهر بالقطبانية من الصحابة وغيرهم ثم قال في هذا الثاني بأن تجعلني وارثا لجميع هؤلاء في جميع العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأعمال والأحوال إلى أن ذكر أمورا كثيرة من هذا المعنى مثل ما تقدم أو أزيد. ثم قال: وأن تجعل مقامي في هذه القطبانية والفردية و الغوثية و الخلافة والجامعية في العظم بحيث تتلاشى وتضمحل في جنبه مقامات جميع الأقطاب والأفراد و الأغواث و الخلفاء والجامعين وجميع العارفين من المحبين والمحبوبين والسالكين والمجذوبين وأن تجعل فتحي فيها في كل طرفة عين و لمحة على نسبة ليلة القدر من غيرها، بل أزيد بألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف ألف إلى أن عد كثيرا من هذه الآلاف.

ثم قال: وأن تجعلني في هذه القطبية القطب الفرد الغوث الجامع الخليفة الأعظم الذي يكون مدده من رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا واسطة والنائب عنك وعنه والخليفة عنك وعنه في جميع العوالم التي له التصرف العام المطلق الشامل الكامل في جميع العوالم المستمد من سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان وعلي و إسرافيل وجبريل و ميكائيل وعزرائيل والروح الذي هو سلطان جميع العوالم وجميع الأكوان

الذي نسبته في أولياء عصره كالشمس في سائر الكواكب وتمادى في هذا المنوال.

ثم قال في دعاء آخر: يا رب، مطلبي منك أن توصل على يدي إلى المعرفة كذا وكذا إلى أن ذكر عددا كثيرا ما طلبه أحد من أولياء اللّه فيما علمنا. وأما ما طلبه في الجنة من ملك وخدام وحور وقصور من كل نوع من أنواع الجنة في جميع ما احتوت عليه من كل شيء ذكر في الجنة أو لم يذكر وهو ممكن طلب من هذا الأمر ما تقصر عنه العقول وتكل عنه الألسنة. و كل نوع ذكر منه آلاف مضروبة في نفسها إلى أن يحسب كل مرتبة مضروبة فيما فوقها، إلى أن يصل عددا ما أظن أحدا يحصيه غيره رضي اللّه عنه. ثم قال لي رضي اللّه عنه: كل ما طلبته فهو مضمون لي أن نبلغه كله. له الحمد وله المنة

وله رضي اللّه عنه قصيدة استفهامية في أول عمره يتمنى بها بلوغ ما احتوى عليه الدعاء المتقدم من الأحوال المذكورة فيه وهي:

ألا ليت شعري هل أفوز بسكـــــرة من الحب تحيي مني كل رميمة

وهل لدرى الإحسان ترقى عوالمـــي و هل تتجلى الذات فيها لفكرتـي

وهل لي بغيب الغيب باللّه غيبـــــة تغيب كلي عن جميع الخليقـة

وهل نفحات القرب فضلا تعمنـــــي و قد هدمت مني رسوم الطبيعـة

وهل جذبات بالتجلي تؤمنـــــــي فتسلبني عن كل كلي وجملتـي

وهل واردات الوصل منا تزف لـــي لكي أرتقي العلياء من كل رتبة

وهل أردن بحر الشهود فيشتفي غليلي بغوصي فيه في كل لمحـــت

وهل تطلعن شمس المعارف جهــرة بباطن قلبي والهدى لي زفـــت

وهل ارتقى عرش الحقائق واصــلا إلى اللّه محفوفا بكل كريمـــة

و هل حلة التوحيد ألبسها وقـــــد تمكن سري من بساط الحقيقــة

وهل لي بجمع الجمع باللّه وصلــة وقد طلعت شمس الوصول بقبلتي

وهل وابل العلم اللدني هاطـــــل إلي ويبقى دائما كل لحظـــة

وهل أملي من هذه بالغ المـــــدا فيا حبذا أم لا بلوغ لمنيتـــي

وهل تجمع الأيام شملي ببغيتـــي و نيل مرادي أم أموت بحسرتي

و له أبيات في التشمير والحزم لقيام الليل وعبادة اللّه خلل بها بيتين لبعض الفضاء في هذا المعنى وهما:

تريد المجد ثم تنام ليـــــلا لقد أطمعت نفسك بالمحـــال

يغوص البحر من طلب اللآلئ و من طلب العلى سهر الليالي

ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه مخللا بأبيات مناسبة لها كالشرح لها

تريد المجد ثم تنام ليـــــلا لقد أطمعت نفسك بالمحـــال

لقد رمت الحصاد بغير حرث يغوص البحر من طلب اللآلئ

فدع عنك التعلل بالأمانـــي و جد تنل مقامات الرجـــال

فليس ينيلها سعي الهوينـــى ولا بالهون ترقى للجبـــال
ألا خل التكاسل والتوانـــي ونفسك جر عن فهم النكـــال
وخذ في الكد واختر من وشمر بعزم أن سوم الدر غالـــي
فمن ركنت سجيته لعجـــز تقاعس عن محاولة المعالـــي
فإن قصد المفاخر لم ينلـــها و من طلب العلا سهر الليالـي

وله أبيات أخرى رضي اللّه عنه محاذيا بها أبياتا لبعض الأدباء فيها مناسبة جيدة وهي

كل من قلل أنجاله كان من الزلات أنجى له
كل من قلل أقواله كان على الطاعة أقوى له
كل من قلل أفعاله أوشك أن ترجع أ فعى له

هذه لغيره رضي اللّه عنه وهذه الخمسة هي التي للشيخ رضي اللّه عنه وهي:

كل من راقب أحواله كان لذا الخيرات أحوى له
كل من يرعى أعماله كان على الإرشاد أعمى له
كل من باين أعلا له كان عن الخسران أعلا لـه
كل من فارق أوحاله وارد بالخير أوحالـــــه

وله بيت في حقيقة الكون عند العارفين رضي اللّه عنه عن جميع ساداتنا الأولياء ونفعنا بعلومهم آمين وهي:

أراك تراني بحيث لا تراني و من العجائب أن تراني فلا تراني

قال في معناها رضي اللّه عنه الكون كله وجود، ومن حيث أن حقيقته وجود الحق صفة واسما لا ذاتا. والكون كله عدم من حيث صورة الغيرية فيه، فإنه لا وجود له من هذه الحيثية يشهد

لذلك قوله تعالى(وبرزوا لله الواحد القهار). فإن عين الأحدية فيه فاضت بالقهر الماحق لجميع صور الأغيار، فلم يبق إلا كونه واحد لا مشاركة فيه للوجود.

إنما الكون خيال وهو حق في الحقيقة
كل من علم هذا حاز أسرار الطريقة

وللشيخ رضي الله عنه قصيدة لم يذكر لنا منها إلا البيت الأول وهو:

أعن حضرة العرفان أكرم حضرة تساءل حقا بالبيت بلهفتي

نسأل الله أن يطلق لسانه بها حتى نسمعها منه بتمامها آمين.
وذكر لي الشيخ رضي الله عنه أنه استحضر كتابا في ذهنه من أوله إلى آخره بأبوابه وفصوله ومسائله وقال لي: ذكرت فيه بعض مغاليط الفقهاء أهل العلم الظاهر وأهل علم الكلام وفوائد لم يذكرها غيره. وقال لي سميته: كتاب النص و الفتوي فيما عمت به البلوى. وإلى الآن لم يخرجه لنا و قال: لو أدرت التأليف لألفتُ ألف مجلد، ولكن لم أصلح له. و قال هذا تواضعا منه رضي الله عنه.
و أما غزارة علمه رضي الله عنه فيشهد بها حتى أهل الانتقاد عليه. هذا في العلم الظاهر، و أما الباطن فكاد أن يختص به
وأما استقامته في أحواله وتواضعه في دينه، فيشهد بها كل من رآه، و مع هذا كله قال لم أكن أهلا للتأليف رضي الله عنه لزهده في الرياسة وأسبابها. وقال لي مرة بعد أن كتبت عليه جوابا في مسألة سأله عنها بعض الإخوان ،لو سألني أحد أربع سنين وأنا أملي عليه وهو يكتب لم أفرغ ولكن لم أحفظ ما أمليه عليه وهذه أحوال أهل العلم اللدني و مع هذا إذا سأله أحد في الفتوى يقول له: لا أدري إلا إذا رأى هتك بعض الحرمات.

ومن بعض فيوض علومه رضي اللّه عنه هذا النزر الذي أودعناه في هذا المجموع المبارك. نسأل اللّه أن يتممه على ما أردناه وأن ينفع به من طالعه أو ملكه.

وسألته رضي اللّه عنه على حقيقة الولي فأجاب رضي اللّه عنه: هو من تولى اللّه أمره بالخصوصية مع مشاهدة أفعال الحق سبحانه. ومرة قال مع مشاهدة الأفعال والصفات. قلت أو يجهل الولي أو العارف شيئا من أحكام الشريعة المطلوبة في حقه قال: نعم ألا بالتعليم والسؤال. ولا تفاض من غير تعلم إلا للنّادر من العارفين. و لا يحيط بمعرفة أحكام الشريعة وجميع العلوم التي يحتاج إليها الناس إلا الفرد الجامع لأنه هو الحامل للشريعة في كل عصر، و لو كان أميا لم تسبق له قراءة. انتهى.

قال الشيخ العياشي رحمه اللّه ورضي اللّه عنه الولاية مِنَّةٌ تقدمتها خدمة. انتهى. وقال شيخنا رضي اللّه عنه: هي محض منّة تقدمها محض خدمة.

و سألته عن حقيقة التصوف فأجاب رضي اللّه عنه: هو امتثال الأمر واجتناب النهي الظاهر والباطن، من حيث يرضى لا من حيث ترضى.

وسمعته يقول رضي اللّه عنه ونفعنا به آمين يقول: الولاية عامة وخاصة. فالعامة هي من آدم عليه السلام إلى عيسى عليه السلام. والخاصة هي من سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم إلى الختم. و المراد بالخاصة، هي من اتصف صاحبها بأخلاق الحق الثلاثمائة على الكمال و لم ينقص منها واحدا. إن للّه ثلاثمائة خلق، من اتصف بواحد منها دخل الجنة. وهذا خاص بسيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم و من ورثه من أقطاب أمته الشريفة إلى الختم. هكذا قال ونسبه للحاتمي رضي اللّه عنه. قال سيدنا ولا يلزم من هذه الخصوصية التي هي الاتصاف بالأخلاق على الكمال أن يكونوا كلهم أعلا من غيرهم في كل وجه، بل قد يكون من لم يتصف بها أعلا من غيره في المقام، وأظنه يشير

إلى نفسه رضي اللّه عنه وبعض الأكابر، لأنه أخبره سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم بأن مقامه أعلا من جميع المقامات كما تقدم. انتهى

وقال رضي اللّه عنه: حقيقة العلم هي ملكة تحصل في الشخص بحسب استقرائه لضوابط العلم وقوانينه يقرر بسببها أن يرفع جميع وجوه الإشكال والتلبيس عن ذلك العلم وأن يأتي فيه باستشهادات تفصل حقائق ذلك العلم من مجازاته وارتباط لوازمه من ملزوماته وانفصال ما يوجب الفرق بين مفترقاته،من غير أن يسمع ذلك من مدارسة علم ولا تعليم ولا مطالعة كتب ولا تفهيم. بل بحسب ما تعطيه القوة الملكية لا الصورة المنقولة. و المنقولة عندهم إما عن قوة ضرورية وإما عن أسماع خبرية. انتهى من إملائه رضي اللّه عنه والسلام.

ومن مناقبه رضي اللّه عنه أن الواسطة المعظم رحمه اللّه أعطي ذات ليلة بين المغرب والعشاء إناء مملوءا ماء ضاءت منه البيت كلها ولم يدر حقيقة الإناء، أي من أي جوهر. وأما الشراب الذي فيه، فماء له نور ساطع. فلما رآه على هذه الصفة قام و نادى الشيخ وهو في بيت ذكره. فلم يجبه فرجع إلى موضعه. فلما فرغ الشيخ قال له: مالك تنادي علي؟ قال له وضع لي إناء فيه شراب على الوصف المتقدم، فقلت في نفسي لا نصلح لشرابه فسيدي هو الذي يصلح له. فناديتك، فلما لم تجبني رجعت فوجدته قد رفع. قال الشيخ رضي اللّه عنه: سألت النبي صلى اللّه عليه وسلم في رجوعه وشرابه فقال لي: اصبر حتى يأتيك وتشربه. هذا ما أخبرنا به رضي اللّه عنه ولم يزد. و إلى الآن لم ندر أأتاه وشربه أو هو في انتظاره. فانظر رحمك اللّه تعالى هل يكون هذا إلا للمحبوبين عند اللّه.

ومن مناقبه رضي اللّه عنه سمعته يحدث ببعض ما تفضل اللّه به عليه. قال: قال الواسطة المعظم رحمه اللّه أتاني ملك من أعظم الملائكة وأفضلهم وقال لي: إذا سمعت الملائكة اسمي ترتعد

هيبة لقربي من اللّه، و أحمد التجاني فضله عند اللّه أعظم من فضلي. وهذا الملك هو الذي علمه مفتاح القطبانية كما قدمناه. جعلنا اللّه من أحباب صاحب هذا الجاه العظيم عند اللّه دنيا وأخرى آمين.

ومن مناقبه رضي اللّه عنه كنت ذات ليلة نائما بإزاء الواسطة المعظم رحمه اللّه فأيقظني بقرب النهار وقال لي: احفظ هذه الأبيات معي لئلا ننساها. فذكرها لي مرات فحفظتها. فسألني عن معناها فقلت له لا أدري. فلما جاء وقت الضحى ذكرها للشيخ وسأله عن معناها فأمره أن يسأل عنها سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم فشرحها له شرحا عجيبا مخاطبا فيه شيخنا ووسيلتنا أبا العباس التجاني نفعنا اللّه ببركاته. آمين. و أسر له ببعض الأمر كالموصي له وصرح صلى اللّه عليه وسلم بالولاية في شرح هذه الأبيات كأنه يبشره بما يأتيه من الخيرات ويحقق له أمره الذي هو عليه. وهذا كله دليل على محبته في شيخنا واعتنائه به. ولولا خوفي من الشيخ لكتبت هذه الأبيات هنا ليتحقق أمره للطالبين لما يرون العجب العجاب مما لم يوضع قط في كتاب، وإنما هو من منح الفتاح الوهاب لمن اختصه من الأحباب. و هذه الأبيات المذكورة:

فبالمجد والتحميد تتجلى ذاتـــــه و بالقصد كان المنع لي وحـــــــــدي

وبحق الحق بالحق ترى حقيقتـــه و بالحق لا بالحق احتجب عني زنـــــدي

و في تدبير أمره إحاطة قدرتـــه و بالقصد لا بالقصد احتجب عنهم أخـــدي

فاغرق في بحر الوحدة ترى وحدته ترتفع عنك الحجب حتى ترى الأسود بالضد

ومن مناقبه رضي اللّه عنه سمعته يقول: إذا خرج السعال مني في حال الذكر نرى نورا يخرج من فمي مثل البرق حتى تضئ البيت كلها وأنا جالس في الظلام. وكلما وقع مني السعال يخرج معه هذا النور. و كنا مرة نذكر بين يديه أحوال الأولياء و ما يشاهدونه وما يقع لهم من الخوارق التي من وراء طور العقول. قال رضي اللّه عنه: ما وقع لي من هذا الأمر إلا مرة واحدة كنت سكرت من أول النهار إلى العصر فشاهدت عوالم لا تحصى ولا مثال لها في هذا العالم ولا يصوره الفكر و كأني مِلك عليها و أتصرف فيها.

وقد كان رضي اللّه عنه في بعض الأوقات يقول: قلبي يحدثني بأنه يقع كذا وكذا لبعض الأمور يعينها، فتخرج كما قال رضي اللّه عنه. كما أخبرني بخراب قرية قبل وقوعه فوقع. و أخبرني بقدوم بعض خواصه من أحبابه فقدم، و بمجيء الأمير الظالم تارة يقول حدثني قلبي بأنه كذا وكذا وتارة يقول سمعت قلبي يقول كذا وكذا، فيخرج كما أخبر رضي اللّه عنه.

قال بعض أهل الطريق: من كرامة منزل الإخلاص فقد تصدق أكثر خواطره. فإذا هجس الخاطر في نفسه فيتحدث به فيكون كما أخبر. وأما إجابة الدعاء من شيخنا رضي اللّه عنه فمرارا يخبرنا بما دعا فيجاب رضي اللّه عنه، وهي أيضا من كرامة منزل الإخلاص. وأما وقايته من الأعداء مع كثرتهم ولم يمكنهم اللّه منه وحفظه من الغرق في البحر. وكل هذا من كرامة هذا المنزل. وأما سماع الصوت من غير رؤية الشخص فقال لي حين كنت في تلمسان: إذا ذكرت أسمع من يذكر ذكري ولا أراه. وهذا كله عند أهل الطريق معدود من باب الكرامات. وأما تيسير الأرزاق والبركات فيها ومعها وفيضانها دائما فمشاهد عند الخاص والعام، يشهد به حتى أهل الانتقاد من غير تعب ولا اهتمام.

قال الساحلي رضي اللّه عنه وهو من كرامات منزل التقوى. وأما وقوع ما يسنح في باطنه وتيسيره على نحو ما سنح، فهو من كرامات منزل الطمأنينة. وأما رؤية الملائكة، فقد تقع لصاحب منزل المراقبة و وقعت لبعض أصحاب الشيخ رضي اللّه عنه ورحمه. سمعته يحدث رضي اللّه عنه قال: سمعت ببعض الرجال من أهل الكشف في جبال الزبيب يقال له سيدي محمد بن الحسن، فذهبت لأزوره فلما وصلت له قال لي: ستبلغ إلى مقام كذا يشير إلى المقام الذي أخبرني به سيدي أحمد بن عبد اللّه الهندي ساكن مكة زادها اللّه شرفا وتعظيما، وهو مقام أبي الحسن الشاذلي رضي اللّه عنه. وكان سيدي أحمد بن عبد اللّه طريقه نقشبندية.

وأما وصوله فبالسر الذي ورثه منه الشيخ رضي اللّه عنه وهو ورثه عن ولي من أعمال مصر من طنطة. وقد ضرب لي مثالا رضي اللّه عنه لمقامه الذي خص به ولم يشاركه فيه أحد من أكابر الأقطاب فضلا عن غيرهم ممن هو تحتهم بعبارة أَبْيَنُ من التي تقدمت. ولذلك كتبتها هنا. وأخبره بما لم يمكن ذكره فضلا عن كتابته وذكره لي الشيخ رضي اللّه عنه ففرحت غاية الفرح من كوني علمت أن الشيخ كاشف عن اعتقادي فيه والتصديق بجميع ما سمعته منه. ولذلك ذكر لي من مقامه ما لم يمكن ذكره لغيري.

فله الحمد وله المنة على هذه النعمة. فقال رضي اللّه عنه مثال ذلك كطلوع الشمس وسطوعها في محل صقيل شفاف، ثم ظهر نور الشمس الساطع في هذا المحل في محل آخر مثله في الصفة مقابلا له في مكان لم تطلع فيه الشمس ثم قال لي هذا الثاني مثله ثالث. ثم قابل هذا رابع مثله ثم قابله خامس مثله وكلهم محجوبون عن الشمس ما عدا الأول. ونور الشمس مع ذلك يتراءى فيهم كلهم لأن الجرم الصقيل معلوم يظهر فيه ما قابله من النور، ولكن الظهور متفاوت. فليس الأول كالثاني وهكذا إلى

الخامس. فالشمس مثال لمقام إبراهيم على نبينا وعليه الصلاة والسلام والمحلان بعدها لجميع الرسل والمحلان اللذان بعدها لجميع الأنبياء والخامس هو المقام الخاص أراد به رضي اللّه عنه. قلت له: وأي نسبة بين الخامس ومقام سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام؟ فقال لي المدد منه. فقلت له: مدد الجميع من مقام نبينا عليه الصلاة والسلام؟ فقال لي هو كذلك، ولكن بواسطة سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. فقلت له: هذا للكل؟ قال لي: لا، بل خصوصية لصاحب هذا المقام أراد مقامه الخاص به رضي اللّه عنه.

وحكى لنا رؤية رآها تدل على فضل المسبعات العشر نحو رؤية إبراهيم التيمي إلا أنه لم يذكر الملائكة كما ذكر إبراهيم. فقال لنا لما ذكرتها نحو سبعة أيام قبل أن نأخذها عن الشيخ محمود رضي اللّه عنه رأيت كأني دخلت الجنة وأن أمشي وأجيء فيها فقلت له الجنة بوصفها المذكور؟ قال نعم رأيت كلما يذكر فيها من أنهار وأشجار وغيرها إلا الحور فلم نر إلا واحدة على كرسي جالسة. فلما مددت يدي نحوها قالت لا تقربني فإني لصاحبك. كففت عنها قلت له: على نعت الحور العين المذكور من الحسن والجمال قال لي: نعم، إلا في الجسم في كبر الجسم، فإنها مثل نساء الدنيا فقط. فقلت له وهل تعرف صاحبك الذي هي له فسكت.

و له مرائي حسان يرى فيها سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم سأذكرها إن شاء اللّه في أثناء هذا المجموع المبارك.

وسألته رضي اللّه عنه عن ترتيب المسبعات العشر وفضلها قلت له: الترتيب الذي أخذته عن الشيخ محمود الكردي رحمه اللّه غير الذي في الأجوبة الناصرية. قال لي الترتيب الذي عند الناس كله بالتنكيس لأن الرواية عن إبراهيم التيمي بالتنكيس هي التي أخذها عن الخضر عليه السلام وكذلك التي أخذتها أنا عن الشيخ محمود رحمه اللّه فإني لما تلاقيت معه قال لي: خذ

عني المسبعات العسر قلت له بشرط ألا نذكرها إلا مرات بحسب التيسير. قال لي: نعم. فلما ذكرها لي بالتنكيس سألته عنه. قال لي خذها كما سمعتها مني، فإن هذه الرواية هي الصحيحة أو الحق. و قد أخبر شيخنا قبل أن يأخذها عن الشيخ محمود سيدي محمد معتوق بسوسة أنه سمع من الشيخ محمود أنه أخذها عن الخضر عليه السلام مشافهة. قلت له فإذا كانت هذه الرواية هي الصحيحة لأن الخضر أخذها عن النبي صلى اللّه عليه وسلم كما روى عنه فكيف رتبها سيدي محمد بن ناصر في أجوبته على غير هذا الترتيب؟ فقال لي ولعله أراد يتبع السنة في ترتيب القرآن. ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه و أظنه ما فعل إلا بالإذن لأنه كان من الرجال رضي اللّه عنه.

قلت فانظر هذا الالتماس الحسن والجواب النفيس من شيخنا عن أولياء اللّه. هكذا ينبغي للمؤمن الحقيقي التماس المعاذير لأولياء اللّه والعلماء العاملين. وبهذه الرواية أي رواية التنكيس أذن لنا الشيخ رضي اللّه عنه. فما بيننا وبين سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم إلا ثلاث من الوسائط كما قدمنا. فافهم فله الحمد وله المنة على هذه النعمة نسأل اللّه النفع بها على الدوام آمين.

وسئل رضي اللّه عنه عن تسمية مفاتيح الكنوز الأربعة بهذا الاسم، فأجاب رضي اللّه عنه سموا بذلك لأن اللّه خصهم بمفاتيح خزائن العلوم ومفاتيح خزائن الأنوار ومفاتيح خزائن الأسرار ومفاتيح الأرزاق ومفاتيح خزائن التحقيق. وفي ظني أن سيد الوجود صلى اللّه عليه و سلم وهو الذي سماهم للشيخ بهذه التسمية. وسألت الشيخ رضي اللّه عنه عن تسمية الأفراد بهذا الاسم، فأجاب رضي اللّه عنه: أن مشهدهم للحق سبحانه من وراء المراتب أعني مشاهدة الحق في الخلق.

فكل من يشاهد الحق في غير المراتب فهو من الأفراد. فقلت له لما ذكر بعضهم أن عددهم أربعة كالمفاتيح فقال لي رؤوس الأفراد أربعة وأما عددهم فكثير، وكلهم خارجون عن دائرة

القطب في المقام من كل وجه ولا يدرون ما أخص اللّه القطب به عليهم. وأما المفاتيح فإنهم يعلمون أنه مخصوص عليهم بأسرار الاسم الأعظم وفيوضه ومعارفه. وأما خصوصيته في مشهده الخاص به الذي لا مطمع لغيره فيه، فلا علم لهم به ولا يدرون هذا أنه خاص به وليس لهم به علم أصلا.

وسأل سيدنا رضي اللّه عنه سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم عن التفضيل بين القطب وبين مفاتيح الكنوز ونص سؤاله رضي اللّه عنه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله. أسأل من فضل سيدنا رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم أن يتفضل علي بالجواب في هذه المسألة، وهي التفضيل بين الغوث الجامع، خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، و بين مفاتيح الكنوز. فإن اعتقادي أنا أنه أفضل منهم بأمور: الأول استخلافه له صلى اللّه عليه وسلم دونهم. و الثاني تخصيصه بأسرار الاسم الأعظم، اسم الذات وبتجلياته دونهم. و الثالث تخصيصه بالتجلي الذاتي المحض دونهم. واعتقادي أن في أسرار الاسم الأعظم وفي التجلي الذاتي من العلوم والمعارف والأسرار والآداب والقوة ما لا وجود له في تجليات جميع الأسماء والصفات وأسرارها.

فكيف لا يكون أفضل منهم؟ و قد ذكر العارف باللّه الشيخ عبد الرحمن الشامي أنهم أوسع منه في العلم باللّه ومعرفته ومقامهم عند اللّه أعلا من مقامه، وهم أقرب إلى اللّه ومقصدنا تحرير الجواب من سيدنا صلى اللّه عليه وسلم من هو عند اللّه أعلى مقاما وأكبر وجاهة وأقرب إلى اللّه وأوسع في العلوم والمعارف و أعظم قدرا عند اللّه، هل مفاتيح الكنوز أو الغوث الجامع؟ انتهى سؤال شيخنا.

و هذا جواب سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم ونصه: قل له هكذا. هو أعلا منهم في مقامات و مراتب أورثه اللّه التجلي الكامل المحيط بالتجليات كلها. و أورثه اللّه الاسم الأعظم بجميع

إحاطته. و أرثه اللّه المدد من النبي صلى اللّه عليه وسلم بلا واسطة. و أورثه مدد جميع الأولياء يكون على يديه وتحريك الجمادات وتحريك كل حي حي و بالإمارة على كل شيء. وبالتعظيم على كل شيء. و بالمعاني التابعة للكلام المتقدم هذا المفتاح الذي أورثه من النبي و هو خليفته صلى اللّه عليه وسلم في ذلك.

وأما مفاتيح الكنوز قل له أعلا منه لأن اللّه أورثهم مفاتيح العلوم وخزائن الأرزاق و مددها ومفاتيح خزائن الأنوار و مفاتيح خزائن الأسرار و خزائن الكنوز ومفاتيح خزائن التحقيق بكل شيء شيء. و أورثهم مشاهدتها وتحقيقها والإحاطة بها واستمدادهم من النبي صلى اللّه عليه وسلم بلا واسطة. يحضران القطب وما تقدم للقطب المخصوص به، لم يكن لهم حظ فيه وهم يدرونه من غير التجلي لم يدروه.

قل له هذا المعنى فهمه غميض على من لم يحظ بشيء منه. و من أخصه اللّه بشيء منه عرف هذا القدر وعرف مقاديره في مواضعه. واللّه أعلم بها. فضل اللّه شيئا على شيء. هكذا قل له. انتهى من خط من سمع من سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم. و أولتُ بعض كلمات وحروف من خط الكاتب على ما فهمت. و لعله سبق قلم من الكاتب واعتذر عليها رحمه اللّه حين سألته بأنه عند مشاهدته صلى اللّه عليه وسلم تعتريه مثل الغيبة من هيبته صلى اللّه عليه وسلم. و لذلك لم يضبط القلم.

قلت وهذا التفصيل المتقدم بين القطب والمفاتيح إنما هو بين المفاتيح وجمهور الأقطاب. و أما خواص الأقطاب رضي اللّه عنهم كالشيخ عبد القادر الجيلاني و الحاتمي و صاحب السؤال المتقدم، و هو شيخنا رضي اللّه عنه وسقانا من بحر عرفانه ، فإنهم فوق مفاتيح الكنوز من كل وجه وحال. لا مطمع للمفاتيح في مشاركتهم في مقامهم لأن مقامهم ما فوقه إلا النبوءة كما قدمناه. فانظر في مواضعه. وهؤلاء متفاوتون في

هذا المقام المذكور. و وسيلتنا أعلا منهم كلهم رضي اللّه عنه كما أخبره به سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم وأخبرنا به هو به في رسالة التحدث بالنعمة المقدمة في باب الوصايا وغيرها، فراجعها إن شئت.

و ما ذكرت في شأنه إلا ما سمعت منه رضي اللّه عنه ونفعنا بعلومه الزاخرة آمين. ومن خواص هؤلاء الكبار رضي اللّه عنهم أن ولد الزنى لا نصيب له في السعادة الأبدية كما نص عليه الشيخ الأكبر رضي اللّه عنه في مواقع النجوم ومطالع الأهلة والعلوم من باب الكشف. وأما علماء الظاهر فالخلاف فيه عندهم. فمنهم من أدخله دائرة المتكفلين له مالهم وعليه ما عليهم. ومنهم من ألحقه بالحيوان البهيمي كطريق أهل الكشف. وأخبرني بعض أهل الكشف رضي اللّه عنه أن ولد الزنى ليس له من الخير شيء، إلا أن يتطهر. قال وتطهيره هو أن يصحب أحدا من العارفين الكبار أو يأكل معه أو يخدمه أو يتقرب إليه بسبب من أسباب المحبة. قال والكبار المذكورون هم المفاتيح الأربعة. ثم إلا أفراد الأربعة. ثم الفرد الجامع.

وفي رواية عنه ثم الثلاثة الذين تحته. قلت و هما الوزيران وخليفة القطب. ثم قال رضي اللّه عنه، وكذلك غير ولد الزنا إذا أحب أحدا من هؤلاء الكبار فإنه لم يكتب عليه شيء من مساويه. و تثبت له حسناته بحسب محبته لأحد من ذكر. انتهى كلامه رضي اللّه عنه ورحمه آمين. قلت فلله الحمد وله المنة على هذه النعمة العظيمة الجسيمة، و هي أن سيدنا ووسيلتنا إلى اللّه من رؤوس هؤلاء الكبار المتقدم ذكرهم، لا نشك فيه كما أخبرنا عن سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم. وخبره له يقظة لا مناما كما قدمناه. وخبره لا يطرقه الريب صلى اللّه عليه وسلم. فنحن على بينة من هذا والحمد للّه.

فواجب علينا أن نثني على وسيلتنا ما بقينا لما وصلنا من الفضل بسببه ولما نرجوه من الخيرات وما هي بأول بركاتكم يا آل أبي

بكر. وخص الله مفاتيح الكنوز الأربعة والأفراد الأربعة بأمور لم تكن لغيرهم من عامة الأقطاب، فضلا عن الأولياء: منها أن البيت المعظم وهي الكعبة المشرفة تطوف كل يوم سبعا بكل واحد منهم، وهو في مكانه. ومنها تسليم السحاب على كل واحد منهم. و كذلك الجراد و في ظني يصبح على كل واحد منهم ويمسي كذلك. و منها أن المفاتيح كل واحد منهم يدرك من العلوم المحمدية اثنين وسبعين علما. والأولياء لا يصل إليها منهم إلا بعض الكمَّل كمولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ، كما حكى عنه سيدي عبد الرحمن الشامي قال أنه أدرك اثنين وسبعين علما وأبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه أحد وسبعين علما. نقص على شيخه بواحد. و منها النور الطالعة من الأولياء إلى العالم العلوي غاية ما يطلع للقطب إحدى عشر.

و أما الإفراد فلكل واحد ثلاثة عشر، والمفاتيح أكل واحد خمسة عشر.

وهذه الخصوصية لهم على عامة الأقطاب وأما الخاصة من الأقطاب كالجيلالي والحاتمي ومن شاركهم مقامهم. فالغالب أن لهم ما للمفاتيح من الخصوصية المذكورة ويزيدون عليهم بأمور لم يشم لها المفاتيح رائحة ولا علم لهم بها، فضلا عن إدراكهم لها كمشهدهم الخاص وإحاطتهم بما احتوى عليه قول دائرة الإحاطة من الأسرار والمعارف والفيوض وغيرهم من العلوم التي لا مطمع لغيرهم فيها. و الخلافة كما تقدم. إلا أن هذه الأمور الثلاثة لعامة الأقطاب ونحن مقصدنا خاصة الخاصة منهم كما ذكرنا.

أما طواف البيت المحرم، فقد ذكره الشيخ عبد القادر وصرح به في قوله: كل قطب يطوف بالبيت سبعا، وأنا البيت طائف بخيامي

وأما إدراك العلوم المحمدية وكثرة حبوب الأنوار التي هي أجزاء النبوءة كما في معنى رؤية المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا

من النبوءة. والإكثار من ذكر قول دائرة الإحاطة الذي لم يطق الكامل من الرجال إلا مرة أو مرتين من ذكره، إلا ما خص به سيدنا عيسى بن مريم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام وتسليم السحاب. فهذه لم يذكروا منها شيئا إلا أن بعضها طلبه شيخنا من اللّه وضمنه له سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم، و هو أن يذكر كل يوم من قول دائرة الإحاطة عشر مائة ألف. ولكن بعد وصوله على مقامه الأكبر الموعود به الذي ما فوقه إلا النبوءة كما تقدم لنا كلامه رضي اللّه عنه وطلب من اللّه أن يدرك جميع العلوم المحمدية، وهي مائة علم وإحدى عشر علما. فضمن له سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم أن يدركها بتمامها ولم أدر هذه خاصة بشيخنا رضي اللّه عنه لطلبه لها من اللّه، أو هي له ولمن اشترك معه في المقام كالسيدين المذكورين وغيرهما ممن نزل هذا المقام كالأربعة رضي اللّه عنهم.

ولذلك قلت فيما تقدم فالغالب أن لهم ما للمفاتيح من الخصوصية لأن المقام الواحد لا يختل وحارز من دخول الغير. فهذا ما ظهر لنا من كلام الأكابر، واللّه أعلم بغيبه. وما ذكرته عن شيخنا مما ضمن له من عدد ذكر قول دائرة الإحاطة الذي لم يطلبه أحد غيره من الأكابر فضلا عن إدراكه . وكذلك ما ضمن له من إدراك جميع العلوم المحمدية التي لم يذكر عن غيره، فهو من أكبر مناقبه رضي اللّه عنه ومن أعظم خصوصيته التي خصه اللّه بها رضي اللّه عنه ومتعنا بطول بقائه آمين .

قال رضي اللّه عنه فمن وصل إلى ستة وستين من العلوم المحمدية أو أزيد ، فلا يضره مجالسة الخلق ولا مكالمتهم. فلا يسمع إلا من اللّه واستوت خلوته وجلوته. قال والعلم الأول من العلوم المحمدية فيه اثنان وسبعون جزءا. كل جزء ينقسم على اثنين وسبعين جزء، الجزء الأول من هذه الأجزاء الصغيرة يحيط بجميع المدارات الفلكية والحركات الكوكبية. ومن عرف

هذا العلم الأول قدر على أن يفسر كل آية من القرآن باثنين وسبعين وجها من التفسير. فهذا الذي سأل مولانا عبد السلام بن مشيش رضي اللّه عنه بقوله: اللهم ألحقني بنسبه و حققني بحسبه. طلب من اللّه أن يحققه بنسبته صلى اللّه عليه وسلم من الحضرة الإلهية ويحققه بحسب ذلك النسب وهي العلوم المحمدية. و الأولياء فيها كل على قدر نصيبه ومحتده. فغاية ما يدرك منها اثنان وسبعون كما تقدم إلا ما خص اللّه به وسيلتنا كما تقدم يختص برحمته من يشاء

و إن قلت ما الذي أنالك فضله ففضل إلا لاه لا ينال بحيلة
ولا تقل لي بماذا نلت جيدهـا فما يقال لفضل اللّه ذا بكـم

وما ذكرناه من العلوم المحمدية في عددها وتقسيم الأول منها إلى تلك الأجزاء المذكورة، حكاه شيخنا عن بعض العارفين من أهل الكشف رضي اللّه عن جميع ساداتنا الأولياء. و كذلك حبوب الأنوار التي قدمنا ذكرها حكاها عن سيدي عبد الرحمن الشامي رضي اللّه عنه. قال جلست مع بعض الأولياء وهم يجولون في معنى حديث رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوءة. فكل واحد قال ما عنده فيه فقلت لهم أنا ما ظهر لي من جهة الكشف، فلم يقبلوه لكوني أميا. فذهبنا نحن وإياهم إلى الخضر عليه السلام فوافقني فيما ظهر لي من الكشف كشفه، رضي اللّه عنه. قال: رأيت في قلب كل إنسان ستة وأربعين حبة. فالحبوب التي في قلوب الكفار سود والتي قلوب المؤمنين لها نور وشعاع، ولكن متفاوت بالقوة والضعف. وهذه الحبوب هي محل الوحي.

و في صدر كل إنسان، شمس طالعة. فإذا نام خرجت وبقيت الحبوب التي كانت مستورة تحت تلك الشمس. وهذه الحبوب، إذا نام الإنسان يطلع منكل واحد عدد مخصوص ويصل إلى محل

مخصوص من العالم العلوي. فأما المؤمن العاصي فلا تطلع منه حبة بل هي باقية في قلبه، ولها شعاع كشمس العشية. و المؤمن الصالح تصعد من قلبه حبة واحدة وتصل إلى سماء الدنيا. و لكل واحد من الأولياء الصغار ثلاثة و تصل في الصعود إلى السماء الثانية. وللشهداء من الأولياء خمسة وتصعد إلى الثالثة. و لجملة العارفين غير أهل التصرف سبعة و وصولها إلى الرابعة. ولأهل التصرف تسعة ووصولها إلى الخامسة. و للغوث إحدى عشرة و عروجها إلى السادسة. وللأفراد ثلاثة عشر و عروجها إلى السابعة. ولمفاتيح الكنوز خمسة عشر وتعرج متفرقة. فثمانية منها تذهب إلى الفردوس وسبعة تذهب إلى عالم الأمر. ولجميع النبيئين ثمانية عشر. و للرسل إحدى وعشرون. وللأكابر منهم وكلهم أكابر عليهم الصلاة والسلام ثلاثة وعشرون. ولسيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم ستة وأربعون كاملة.

وهذا هو معنى الحديث. و صدق رضي اللّه عنه لأنك إذا تأملت ما ذكره هنا ظهر لك معنى الحديث في غاية الظهور والوضوح. و أما ما ذكره غيره فغير ظاهر و كلامه هكذا بالمعنى من سماع شيخنا رضي اللّه عنه. قال: والذين لهم ثلاثة وعشرون حبة من الرسل هم أبونا آدم وإدريس وموسى وعيسى و إلياس ورجل آخر. قال سيدي عبد الرحمن: وفهمت عنه أنه عنى نفسه. قلت للشيخ: كيف يختلف ما ذكره هذا السيد في الخضر لِعَدِّهِ له من الرسل. وما ذكر الشيخ الأكبر وعده من الأولياء الكبار. وكل واحد منهم أخبر عن جهة ما ظهر له من الكشف. قال لي: هو من الأولياء على التحقيق، كما عند الشيخ الأكبر. و فيما رواه إبراهيم التيمي عنه في روايته المسبعات العشر. ولما رأى النبي صلى اللّه عليه وسلم قال له: صدق الخضر وعده له صلى اللّه عليه وسلم من رؤوس الأولياء وهم الأفراد. و إبراهيم التيمي ثقة صدوق. و أما ما ذكره الشامي وغيره فلعله اعتمد على ما يسمعه

من عامة المؤمنين، وأن الخضر نبي ولم يخبر عنه من جهة الكشف. قلت له فإذا كان وليا فكيف يطلع له من الحبوب ما يطلع للرسل. قال لي ولعلها خصوصية له وهي جائزة. قلت كما خصه اللّه بالعلم الذي لم يطلع عليه الكليم وهو من أكبر الرسل و يخصص اللّه الصغير بما لم يكن عند الكبير إنه على كل شيء قدير إلا ما حجره الحق سبحانه وتعالى كالنبوءة والرسالة، فإنهما لا مطمع فيها للأولياء. واللّه يوفقنا إلى الحق وإلى الطريق المستقيم آمين.

و سأله يوما بعض الإخوان بحضرتنا على فضل الاسم الأعظم الكبير، هل يحصل لكل من ظفر به؟ فأجاب رضي اللّه عنه: إذا كان بالإذن الصحيح يحصل. فطلب منه السائل الإذن، ولعله كان عنده تركيب من تراكيبه. قال له الشيخ: هو بالمواهب لا بالطلب.

ثم شكونا له ما نجد من التخليط في قلوبنا وقلة نفع الذكر. قال: لم ينفع الذكر إلا مع حضور القلب. ثم قال لنا على سبيل المداعبة، وأنا كذلك في التخليط وقلة الحضور، قلت له: أو ليس قلت لي حين كنا في تلمسان تذكر ألفا من الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم وقلبي حاضر في كلها؟ قال: نعم كنت كذلك قبل هذا الوقت. و أما من حين ظفرت بالاسم الأعظم انحلت ذاتي حتى تركت الحضور في الأذكار كلها، وصرت نتعمد قلة الحضور ليخف عني ما ينالني من الحرارة البالغة الغاية. فلم ينفعني ذلك بل استوى الحضور عني والتخليط في تأثير حرارة الذكر. ثم قال ومن هذا صرت أحب الخوض مع العامة وكثرة السؤال عن أخبارهم أو ما هم فيه لأني نجد بعض الراحة فيه مما نجده من ألم حرارة الذكر.

قلت له: ها نحن نكثر عليك التخليط و الحكايات، ولكن أدع اللّه لنا عسى أن ننتفع في الآخرة بسببك لأن لك عند اللّه مقاما كبيرا ونحن اتسع علينا بحر التخليط و بعد ساحله إلا أن يعفو

اللّه. فدعا رضي اللّه عنه لنفسه ولنا بالعفو. نسأل أن يتقبل منه. وهذه الحالة كانت لبعض الأكابر رضي اللّه عنه كان يقول لأصحابه: اهدروا علينا تؤجروا. وذلك لما ينازل بواطنهم.

وأما شدة الحرارة في ذات الشيخ وكثرة سخانتها حتى في زمن البرد فضلا عن وقت الحر فيعرفها الخاص والعام من أصحابه. و أتلف مالا كثيرا في الدواء لذهابها و لم تذهب لكون سببها إلهي لا طبيعي0 وهو رضي اللّه عنه عالم بهذا، ولكن حمله على التداوي، واللّه أعلم، الطمع في ذهابها لأنه من الجائز أن تذهب بالدواء و التسلي به لأن أكثر الأدوية التي تأتيه من المدن إذا استعملها يشتكي لنا بزيادة الحرارة بسببها. فعلمنا أن سبب الحرارة أمر إلاهي كما قلنا. و لو كان طبيعيا لأذهبه ما يذهب غيره من مجربات الأدوية التي يستعملها غيره من الناس. واللّه أعلم بغيبه وما انطوى عليه باطن أوليائه.

قال المؤلف رضي اللّه عنه و بعد، فإن صورة هذا العدد 3664657296 مثال ضربه سيدنا رضي اللّه عنه لترقي العارف في كل لحظة. قال: إذا فرضنا أنه في المرتبة الرابعة من مراتب الترقي، وأردنا أن نعرف كم تترقى في كل لحظة قال رضي اللّه عنه: فتضرب الأربعة في نفسها والخارج في نفسه. ثم الخارج أيضا في نفسه ثم الخارج في نفسه. فيخرج العدد المرسوم أعلاه. ثم في كل لحظة يترقى إلى مرتبة أعلى من مرتبته التي هو فيها بقدر ضربها في نفسها. وهكذا أي يفيض عليه في المرتبة العليا التي يترقى إليها من العلوم والمعارف والحقائق والدقائق والحكم والمواهب ومن جميع ما فاض عليه في المرتبة السفلى بقدر ضربها في نفسها.

ثم قال رضي اللّه عنه: إذا عبد العارف ألف عام مثلا أو مائة ألف وغفل لحظة، فالذي فاته في تلك اللحظة أكثر من عبادته في المدة المذكورة بحسب ضرب لحظاته في نفسها من أول فتحه إلى وقت غفلته في تلك اللحظة المغفول عنها. فإذا فهمت هذا علمت أن

كل لحظة من العارف أعظم من التي قبلها بأضعاف مضاعفة في الفيض من جميع ما فتح الله على العارف. و كل فيض على قدر صاحبه. فمنهم من فيضه في لحظة أعظم من فيض غيره ألف عام. وإلى هذا أشار الجنيد رضي الله عنه في قوله: لو أقبل مقبل على الله ألف سنة أو مائة وغفل عنه لحظة أو أعرض عنه، لكان الذي فاته في تلك اللحظة أكثر وأعظم من عبادة تلك المدة. هـ

قال المؤلف رضي الله عنه: وقد وردت أسئلة على سيدنا رضي الله عنه نصها:

الحمد لله. سيدي رضي الله عنكم وأرضاكم. رجل استشكل عليه أمور، فنريد من الله ثم منكم أن تبينوا لنا ما ظهر لكم من فضلكم.

فمنها ما هذه الأنوار المشرقة على أهل البدايات في الطريق؟ هل هي أنوار أزلية في كل مؤمن يكشف له عنها بسبب التوبة أم لا تشرق إلا عند تمكن القلب من الإيمان.

وما يعطل نور البصيرة عن شهود المنة. وما يكون المشروب عن طعم برد الرضا بما يفعل المحبوب. وبما يجول المريد في الملك عن الأكوان الظلمانية. وبما يجول في الملكوت. هل بالعلوم أو بالفهوم؟ وهل للعقل مجال في ذلك. وهل للعلوم إدراك للتحقيق الذي سلك عند القوم. وهل للفهوم إدراك للعالم الإنسي.

وما قمر التوحيد الذي هو ممتد من شمس المعارف. وما رياح الصبا التي تشغف الأرواح. وهل هي على يد الشيخ أو على يد النبي صلى الله عليه وسلم.

وهل الشيخ دال بمقاله أم دال على الله بأفعاله، أم له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح إلى الحضرة القدسية. وما يعتقد في الشيخ هل هو مظهر للحقائق التي لا تدركها العقول ولا الفهوم أم هو حاكم للنفوس لتقوى الأرواح فقط ؟ أم هو قوت الأرواح لتقبل من

الواردات ما تطيق أم خليفة النبي صلى الله عليه وسلم يبلغ من أسراره الباطنة التي لا يدركها من اشتغل بعلم الظاهر؟

فإن كان كما قلنا، دالا بظاهره فقط وغالب عليه الحس، فليس للمغلوب أن يربي في مواضع الأرواح. و هل للشيخ تصريف في روح الروح أم هو برزخ الأرواح فقط إلى أن يبلغ المريد ويرجع عنه أم لا ينفصم عنه أبدا؟

والسؤال عن أحوال الشيخ ما السبب في كونه تارة يجمع على نفسه وتارة على النبي صلى الله عليه وسلم وتارة على الله سبحانه وتعالى. كل ذلك مدرج في صفاته وأحواله أم لا؟

بين لنا سيدي رضي الله عنك كل مسألة بعينها بما يشفي الغليل، فلم نجد أحدا من يشفي غليلي حتى انتهيت لعلمك الذي يبرئ عليلي. فالله الله سيدي في كشف ما غمق علي وحل رموز ما أشكل لدي بوهب رباني وعلم عرفاني وسر إلاهي، كل مسألة بما لها من الكلام من غير إجحاف. و إن أطنبت فهو المقصود من هذه العلوم العرفانية. والله يديمك نفعا للعباد في جميع البلاد.

هـ

قال رضي الله عنه: الجواب عن هذه الأنوار أنها ليست أزلية بل هي مخلوقة تأنيسا من الله لأهل الطريق . و ليست لازمة لكل سالك ولا في كل مقام ولا في كل حال ولا في كل توجه فقد تقع و قد لا تقع.

وقوله وما يعطل نور البصيرة عن شهود المنة؟ الجواب عن هذا أن منة الحق، وهو نور العطاء البارز من حضرته المثير للمنح الواردة من خزائن الأسماء والصفات، هو مما استبد به الحق. لا تتصل به أنوار البصائر حتى تراه عيانا. وإنما ترى البصائر ما برز عنه من المنح فقط. و أما ذلك النور الوارد من الحضرة المثيرة للمنح، فإنما ذاك من مادة المشيئة الإلهية، وهو من الكنوز التي استبد الحق بعلمها. فلا يطلع عليها أحد. و قد يكشفه الله تعالى لبعض الخاصة الكبار حتى يروها عيانا.

و قوله و ما يكون المشروب عن طعم برد الرضا بما يفعل المحبوب؟ الجواب أن المشروب هو تلذذ صاحبه بالمعاطب والمهالك و فوادح المصائب تلذذا يماثل تلذذ البالغ الغاية في الجوع لألذ المطاعم وأكبرها شهوة ولذة. و ليس هذا من تعمل العبد ولا حيلة له في الوصول إليه، إنما هو محض موهبة من مواهب الحق يؤتيه من يشاء بفضله. وقد ينتهي به التلذذ بذلك حتى ينسيه الإحساس بآلام تلك المصائب والمهالك.

وقوله: وبما يجول المريد في الملك عن الأكوان الظلمانية وبما يجول في الملكوت. هل بالعلوم أو بالفهوم. وهل للعقل مجال في ذلك. وهل للعلوم إدراك لتحقيق الذي سلك عند القوم. وهل للفهوم إدراك للعالم الإنسي؟

الجواب في هذا كله أن جولان المريد في الملك والملكوت، إما بالخيال أو بالأرواح. وكل ذلك لا يكون لا بالعلوم ولا بالفهوم، بل بأنوار قدسية مقذوفة من حضرة الحق ترد على من وردت عليه فتكسبه بذلك صفاء وتمكينا وقربا من الحضرة الإلهية يقدر بسبب ذلك على الجولان في الملك والملكوت والجبروت وحيث أراد اللّه به.

و قوله: وما قمر التوحيد الذي هو مستمد من شمس المعارف؟ الجواب أن قمر التوحيد هو شهود الوحدانية للّه تعالى شهودا ذوقيا وكشفا عينيا يقينيا في جميع مفترقات الوجود حتى يرى جميع مفترقاتها في اتحادها كالجوهر الفرد الذي لا يقبل القسمة. و هذا الشهود، لو رام غيره، لم يقدر من مطالعة الكثرة وغيرها. ويعبر عنه عند العارفين بالتفريد المطلق. ولا ينال إلا بعد صفاء المعرفة وكمالها.

وقوله: وما رياح الصبا التي تشغف الأرواح؟ وهل هي على يد الشيخ أو على يد النبي صلى اللّه عليه وسلم؟

الجواب أن رياح الصبا هي أنوار المنن الواردة من حضرة الحق المشتملة على الأنوار القدسية والأحوال العلية والأخلاق الزكية

والطهارة والصفا والغرق في بحر اليقين. ويعبر عنها عند العارفين بالجذب. تأتي بسر الألطاف الإلهية لمن أحبه اللّه واصطفاه وأهّله لمطالعة حضرته وارتضاه.

فإذا وردت على الأرواح أو على القلوب أو على الأسرار أخذتها وجذبتها إلى الحضرة بحكم القهر والصولة حتى لا تقدر على التخلف عنها. و ورودها، أنها هو من محض منة الحق بلا سبب، بل بحكم عناية الحق واصطفائه لمن شاء و تَردُ في الحقيقة المحمدية، ثم تنبع منها. و قد يكون الشيخ حاضرا معها وقد لا يكون حاضرا. وقد تأتي بتوجه همة الشيخ إذا أرادها من اللّه لبعض تلامذته وقد تمتنع ولا تؤثر فيها همته.

و قوله وهل الشيخ دال على اللّه بمقاله أو دال على اللّه بأفعاله أو له قوة وأسرار يجلب بها الأرواح للحضرة القدسية؟

الجواب أن دلالته على اللّه بكليته ظاهرا و باطنا بأقواله وأفعاله وأحواله وحركاته وسكناته.

قوله: وأما جلبه الأرواح الخ الجواب عن هذا هو ما سبق في جواب رياح الصبا.

وقوله: وما يعتقد في الشيخ هل هو مظهر للحقائق التي لا تدركها العقول ولا الفهوم أم هو حاكم للنفوس لتقوى الأرواح فقط أم هو قوت الأرواح لتقبل من الواردات ما تطيق أم هي خليفة النبي صلى اللّه عليه وسلم يبلغ من أسراره الباطنة التي لا يدركها من اشتغل بعلم الظاهر؟. فإن كان كما قلنا دال بظاهره فقط وغالبا عليه الحس، فليس للقلوب أن ترقى في مواضع الأرواح.

الجواب في هذا كله أن الشيخ في الطريق بمنزلة الدليل. يعرف الطريق ومخوفها ومأمنها ويعد لكل محل ما يستحق من الراحلة والزاد. وهو للأرواح والقلوب بمنزلة الطبيب الماهر في معرفة الأمراض العارضة، و من أين مادتها وكيفية معالجتها كما وكيفا ومعرفة الأدوية التي يلقيها على تلك الأمراض حتى

تعود القلوب والأرواح إلى كمال صحتها. فهذا غاية ما عند الشيخ.

وأما ما وراء ذلك من الفيوض والتجليات والأنوار والأسرار والأحوال والعلوم والمعارف والتوحيد و التفريد والترقي في المنازل والمقامات، فإنما هو بيد الخلاق الواحد سبحانه وتعالى يعطي منه ما يشاء ويمنع منه ما يشاء، والشيخ سبب في ذلك على القانون المذكور أولا فقط.

وقوله وهل للشيخ تصريف في روح الروح أم هو برزخ الأرواح فقط إلى أن يبلغ المريد ويرجع عنه أم لا ينفصم عنه أبدا وأسأل عن أحوال الشيخ ما السبب في كونه تارة يجمع على نفسه وتارة على النبي صلى اللّه عليه وسلم و تارة على اللّه سبحانه. أ كل ذلك مدرج في صفاته وأحواله أم لا؟ و السلام.

الجواب أن روح الروح هو روح حضرة القدس الذي يأتي بالفيض الأقدس مشحونا بالعلوم و المعارف والأسرار والأنوار والحكم والرقائق والتحف والمواهب التي لا تدرك ولا تعقل والأخلاق والأحوال واليقين والتوحيد والكشف التام والشهود الأكبر والمعرفة البالغة الغاية في جميع المراتب حقية و خلقية معرفة ذوقية عينية لا اعتقادية. هذا هو الروح المعبر عنه بروح الأرواح. و الأرواح له كالأجساد الكثيفة للأرواح الحيوانية تدبر الأجساد. وأي روح من أرواح البشر سرى فيها هذا الروح و تركب فيها كتركيب الأرواح الحيوانية للأجسام الكثيفة كأن ذلك الروح حيا بالحياة الأبدية الباقية، لا يطرأ عليها موت لا في الدنيا ولا في الآخرة ولا يذوق الموت التي يذوقها البشر، وإنما موته عبارة عن مفارقة روحه الحيواني لجسده الكثيف فقط.

ثم تتصل بما لا معرفة بحقائقه لأحد من وجوه النعيم واللذة التي لا تكيف ولا يعرفها إلا من رآها. وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه) الآية.

وأما برزخية الأرواح فهي الأرواح الواصلة إلى حضرة الحق بكمال المعرفة و صفاء اليقين و روح المشاهدة و برزخها التي بينها و بين الحضرة هي الحقيقة المحمدية لا غير. و لا برزخية للشيخ في هذا.

و هل غاية تولى الشيخ للمريد إلى أن يصل للحضرة ثم ينفصم عنه أو لا ينفصم عنه أبدا؟ الجواب أنه ينفصم عنه عند وصوله إلى مطالعة الحضرة الإلهية. و لا يبقى عليه من ملاحظة الشيخ إلا تعظيمه واحترامه وإجلاله ومعرفة شفوف رتبته عليه. فإنه إن قطع التلميذ نظره عن هذا في حق شيخه، سلب وطرد. و كون أحوال الشيخ تارة يجمع على نفسه وتارة على النبي صلى اللّه عليه وسلم وتارة على اللّه.

الجواب انه لا منافاة بين أحوال الشيخ في هذه الثلاثة، فإنه إن دل على اللّه تعالى كان ذلك غاية المطلوب. و إن دل على النبي صلى اللّه عليه وسلم بالجمع عليه كان ذلك جمعا على اللّه لأنه صلى اللّه عليه و سلم، الخليفة المطلق على اللّه ظاهرا و باطنا. فالمجتمع عليه مجتمع على اللّه تعالى. أو دل الشيخ بالجمع على نفسه، فهو خليفة النبي صلى اللّه عليه و سلم في الدلالة على اللّه والدعوة إليه. وجمع الناس على نفسه، جمع على اللّه تعالى لأنه خليفة صحيح. هـ

قال المؤلف رضي اللّه عنه سمعت شيخنا رضي اللّه عنه يقول ذكر لي بعض من ينتسب إلى الطريق، و هو بعيد عنها، و سماه لي بعينه و أنا أعرفه الآن و لم أذكر اسمه. قال: إن العارف يسقط عليه التكليف. قلت له لا يسقط عنه، بل هو كغيره ولا يحل هذا ولا يقوله أحد. قال لي بل هو واقع. قلت له: ما تقول في عموم الرسالة هل شامل له أم لا؟ فإن قلتَ شامل فهو مكلف وأن قلت لم يشمله، فهو خارج عن عموم الرسالة.فيلزمك ما يلزم المكذب. فقال ذلك الرجل هو داخل في العموم، و لم يكلف. قال الشيخ: قلت له أنت تدعي معرفة المنطق والقاعدة عند

أربابه أن من سلم القياس يسلم النتيجة قطعا، ولم يمكنه إنكارها. وأنت كيف تسلم القياس وتنكر النتيجة؟ ثم قال الشيخ: قلت له إذا ترتب الحد على هذا العارف الذي تقول، هل يقام عليه الحد أم لا؟ فإن قلت يقام عليه، فهو مكلف وإن قلت لا يقام عليه فقد خرجت من الشريعة لتكذيبك عموم أخبارها. فقال الرجل يقام الحد على العارف ولا نقول أنه مكلف. قلت له: هذا هذيان لا يعقل. فبقي على عناده ولم يرجع بعد تبيين الحق له. نعوذ باللّه من العناد وأهله.

ومن دليله الذي لا مناسبة بينه وبين ما هو فيه أن ذكر كلام الشيخ في العينية وهو قوله:

فإن كنت في علم الشريعة عاصيا فأنا في علم الحقيقة طائع

و معنى كلام الشيخ رضي اللّه عنه أن كل ما يصدر من أفعال المكلفين وأقوالهم، وافق الشرع أم لا فهو بإرادة اللّه، وحيث كان كذلك كانوا كلهم منقادين تحت قهره وإرادته ولم يخرج أحد من تحت إرادة اللّه. و لكن إما إن يوافق الحكمة أو يوافق المشيئة. فإذا علمت هذا ظهر لك أن كل الخلق منقادون لما يريد منهم الحق سبحانه وتعالى. ولهذا عبر الشيخ بالطاعة. هكذا فهمته وحققته من شيخنا رضي اللّه عنه.

وأما ما ذكر الرجل في العارف معنى سقوط التكليف عنه هو رفع المشقة التي تنشأ عن مكابدة النفس ومجاهدتها، لأن العارف لا مشقة عليه في العبادة. قلت له هذا قول الباطنية بعينه، وهم خارجون عن ربقة الإسلام بالإجماع لأنهم هم القرامطة الذين هدموا بيت اللّه الحرام. و مذهبهم أن الشريعة كلها على خلاف ما عندنا، لأن عندهم قواعد الإسلام هي غير هذه الأفعال التي حدها لنا الشارع. وإنما هي أمورا أخر. قبحهم اللّه وأخزاهم و أذل من تبعهم في اعتقادهم الفاسد آمين.

فرضي اللّه عن الشيخ كيف يأتي بالحجة القاطعة النزاع ولا يسع الخصم إلا الإسعاف والإتباع. هـ

قال المؤلف رضي اللّه عنه:انتهى ما فهمت من معنى كلامه في هذه القضية رضي اللّه عنه وأدام النفع به آمين.

قال المؤلف رحمه اللّه: قولهم حتى لا يبقى من الصلاة شيء و قوله حتى لا يبقى من الرحمة شيء.

قال شيخنا رضي اللّه عنه: معناه كل ما سبق في علمك ونفذ به حكم مشيئتك أنك تهبه لخلقك إلى غاية نهايته. وبعد استقصائه، فاجعل ذلك كله على نبيك سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم. انتهى

لطيفـــــة

قال المؤلف رحمه اللّه. سمعت الشيخ رضي اللّه عنه يقول أن الروح طوله مسيرة تسعمائة ألف عام وثمانون ألف عام وكذلك عرضه. ثم قال هذا في أرواح العارفين. وأما غيرهم فكالحمامة أو أقل. وأما مسكن أرواح المؤمنين أصحاب الحجاب فمن السماء الأولى إلى الرابعة. و أما من الرابعة فما فوقها، فمسكن أرواح العارفين على تفاوتهم انتهى.

باب في معنى بعض السمعيات من الأحاديث والآيات التي سألت الشيخ رضي اللّه عنه ونفعنا به آمين ومتعنا بطول حياته آمين

و سألته رضي اللّه عنه عن بعض الآيات الواردة في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بعد أن وقفت على كلام بعض العلماء و ما قال فيها و ما نسب لصفوة اللّه من خلقه مما لا يليق بمنصب الرسالة والنبوءة والملائكة. منها قوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) الآية ومنها قوله عز وجل (وتخشى الناس واللّه أحق أن تخشاه) وغيرهما مما سيأتي ذكره.

فأجاب رضي اللّه عنه ومتعنا بطول بقائه آمين وسقانا من بحر عرفانه وأدام لنا حبه من الآن إلى الاستقرار في عليين. آمين

اعلم أن الذنوب في حق الأنبياء التي هي اقتحام المنهي شرعا مستحيلة في حقهم لا تتصور منهم لثبوت العصمة لهم مما دق وجل منها. و الذي وقعت فيه المغفرة منه في حقه صلى اللّه عليه وسلم هي التي تصدر من الأنبياء بلسان الإباحة الشرعية. لكن يتناولها طلب الترك من وجه إجمالي لا تصريحي. و طلب الترك ها هنا ليس المحرم شرعا، وإنما بطلب ترك ذلك الأمر، وإن كان في نفسه مباحا تنزيها لعلو مقامهم للتدنس بملابسة ذلك المباح الذي تناوله وجه طلب الترك من وجه آخر.

فإن المباحات في حق الأنبياء منقسمة إلى قسمان:

- قسم يتمحض فيه حكم الإباحة في كل وجه، لا يعارضه طلب الترك في وجه من الوجوه. فهذا لا عتاب عليه.
- وقسم من المباح يتناوله حكم الإباحة من وجه ويتناوله طلب الترك من وجه أو وجوه . فهذا إن تفطنوا له وعلموه، تركوه ولم يقتحموه. و إن غفلوا عن وجه طلب الترك فيه و اقتحموه لأجل ما فيه من الإباحة وقع العتاب لهم. و هذا هو الذنب المعهود في حقهم لتعلم أن هذا الذنب لم يكن من قسيم المحرم عليهم شرعا و لا من قسيم ما سمعوا طلب الترك في عينه، بل هو داخل في جملة طلب الترك. فهو ليس بذنب شرعا، وإنما أطلق عليه اسم الذنب مجازا أو إن كان مباحا لغيرهم من العامة وطلب

منهم تركه لعلو مقامهم. فهو كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين. فهذا الذنب هو في نفسه مباح شرعا، ولكن طلب منهم تركه لأجل تنزيه المقام لعلو جلالهم.

وأما ما ذكر من الغفلة، فليس هي الغفلة المعهودة في حق العامة، وهي الإعراض عن مطالعة الحضرة الإلهية، ولكن الغفلة هاهنا في حقهم هي النسيان. و النسيان غير مستحيل في حقهم لأنه جبلة بشرية. فقد قال صلى اللّه عليه وسلم إنما أنا بشر أنسى كما تنسون. فإذا نسيت فذكروني. وكما في قضيت حديث ذي اليدين حيث سلم من ركعتين في الرباعية صلى اللّه عليه وسلم. فقال ذو اليدين: أ قصرت الصلاة أو نسيت يا رسول اللّه؟ فقال صلى اللّه عليه وسلم: لم تقصر و لم أنس. فقال له بل نسيت. فلما قال له ذلك سأل صلى اللّه عليه وسلم أبا بكر وعمر فقالا لهما:أ حق ما يقول ذو اليدين؟ فقالا: نعم. فرجع للصلاة وأكملها.

فظهر لك من هذا الخبر أن النسيان يطرأ على الأنبياء في تصرفات الأحكام الشرعية و هي الصلاة. فهي أعظم ما يطلب شرعا. ونسي صلى اللّه عليه وسلم بعض أجزائها. فهو دليل على أن النسيان في تصرف الأحكام الشرعية، غير مستحيل في حقهم بشاهد هذا الحديث. و لتعلم أن النسيان المذكور هنا غير الملحوظ في قوله تعالى (فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا). فإن ذلك هو تعمد الترك للعمل بأمر اللّه مع العلم به و عدم نسيانه.

ولكن النسيان هاهنا هو الترك فقط.و النسيان المعبر عنه في حق الأنبياء ينقسم قسمان فقط لا ثالث لهما: القسم الأول هو الطارئ بالجبلة البشرية وهو نسيان الحكم في الأمر وعدم الوقوع في بال الشخص. فهذا صاحبه معذور لا يؤاخذ به شرعا.

والقسم الثاني من النسيان أن يطرأ على أكابر الصديقين والأنبياء في حضرة ذي الجلال سبحانه وتعالى من التجليات والواردات ما يذهل

العقل وينسيه الأحكام التي كان يعلمها أو بعضها بسبب السطوة الطارئة من التجلي أو الوارد. فهذا أيضا كالنسيان الجبلي، إذ صاحبه معذور. و هذه هي وجوه النسيان في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

قلت للشيخ رضي اللّه عنه: و هل يطرأ النسيان على الرسول قبل تبليغ ما أمروا به كما طرأ بعد التبليغ؟ قال: لا. ولو نسي شيئا مما أمر بتبليغه للخلق لبعث اللّه إليه الملك و ذكره به ليتم الدين الذي أراده سبحانه وتعالى لأنه هو الحافظ له حتى يكمل ما أراده من شرعه. قال تعالى(لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه و قرآنه) لأنه كان صلى اللّه عليه وسلم يعجل بقراءة ما يسمعه خوفا من النسيان.

ثم قال إنما وقعت المعاتبة على النسيان الطارئ بسبب الجبلة أو بسبب الواردات لعلو مقامهم ولطلب تنزيهه مما يدنسه. فهذا وجه الغفلة عن وجه طلب الترك فيما تمحض فيه حكم الإباحة. و مثال ذلك في قضية نوح عليه الصلاة والسلام حيث غرق ولده بعدما سمع من اللّه أن أهله ناجون، فتحير وسأل اللّه عن ذلك في القرآن. إذ وجه الإباحة أن السؤال مباح له في طلب تحقيق ما أشكل عليه مما ذكر عنه في الآية. و هذه القضية يتناولها وجه طلب الترك مما عرف في شرائع جميع الأنبياء من طلب ترك البحث عن سر القدر لاستبداد الحق به. قال سبحانه وتعالى (لا يسأل عما يفعل). و لما غفل عن هذا الوجه لكونه يتناول القضية والغفلة، طرأت عليه بأحد القسمين اللذين ذكرناهما لا القسم الثالث عوتب حينئذ لغفلته. قال سبحانه وتعالى (فلا تسألني ما ليس لك به علم). الخ الآية.

وكقضية موسى عليه الصلاة والسلام في قتل النفس. فإن وجوه الإباحة فيها أنها كافرة لا عهد لها ولا ذمة تترك لأجلها. وظلمت بما فعلت بالإسرائيلي الذي استغاث به. ولما عليه من نصرة المظلوم إذا كان يقدر عليه. ولم يكن الإسرائيلي منه إلا

يضربه فوكزه غير قاصد لقتله فقضى عليه. وكل هذه الوجوه مصرحة بالإباحة ومثله كان خطأ غير قاصد له. و وجه طلب الترك فيها أن أرواح الكفار، وإن كفروا لم يبح إراقة دمائهم إلا بالإذن الإلهي. والإذن الإلهي لا يكون إلا بعد تبليغه دعوة الرسالة و إبايتهم عن أمر اللّه و تلذدهم بعد الإنذار و التلوم. فحينئذ بإذن اللّه في قتلهم وقتالهم للرسل. فلما لم يكن شيء من هذا الذي لم يرفع طلب الترك، وإن كثرت فيه وجوه الإباحة كان العتاب واقعا من هذا الباب. فلما تفطن موسى عليه السلام لهذا قال (هذا من عمل الشيطان أنه عدو مضل مبين). الخ الآية.

وكقضية نبينا عليه الصلاة والسلام حيث استشار أصحابه رضي اللّه عنهم في أسارى بدر ، فأشار بعضهم بالقتل وبعضهم بالعفو و أخذ الفداء. فنزلت الآية (ما كان لنبي إلى قوله تعالى عظيم) وكقوله تعالى (وتخشى الناس واللّه أحق أن تخشاه) بعد قوله (أمسك عليك زوجك). الآية. و أمثال هذه. و كقولة سيدنا يوسف عليه السلام للذي هو ناج منهما (أذكرني عند ربك). وقس ما لم يذكر على ما ذكر.

حاصله أن الأمور المطلوبة فعلا وتركا في حق الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الأول طلب الفعل كالواجبات. فلا يمكن تركه من النبي. الثاني طلب ترك الفعل كالمنهيات، فلا يمكن ارتكابه من الأنبياء بل النبي. وما بينهما، فهو فيه بالخيار. و لكن هذا أيضا ينقسم إلى قسمين: قسم يقع الإذن فيه بعينه. إما يفعله أو تركه. وهذا لا عتاب فيه. و القسم الثاني لا يسمع الإذن فيه. و هذا تارة المطلوب تركه من النبي، ويفعله كالأمثلة المتقدمة في الآيات لعدم علمه به أو لغفلته عنه، وتارة العكس وهو طلب فعله من النبي ويتركه لما ذكرنا من غفلته عنه أو عدم علمه به. فهذا القسم من المباح هو الذي يقع العتاب عليه لصفوة اللّه من خلقه أو العتاب و المواخذة ما عدى سيد الوجود صلى اللّه

عليه وسلم. و المواخذة المذكورة هي ببعض مصائب الدنيا فقط. و هذا التحصيل فهمته من كلام الشيخ رضي الله عنه وليس هو من لفظه.

ثم قال رضي الله عنه: ولا يقال الغفلة عن بعض هذه الأمور التي عوتب عليها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جهل في حقهم، فإن الجهل المستحيل في حقهم عليهم الصلاة والسلام إنما هو الفعل الصادر عن متابعة الهوى والغفلة عن حضرة الله تعالى بانهماك النفس في شهواتها والولوع بمألوفاتها. أما من استغرق في مشاهدة حضرة الله في جميع لحظاته، مع كمال مراعاته لأدب الحضرة الإلهية مع توفيته بما يلزمه من القيام بالحقوق الإلهية، ولا يلتفت لهوى نفسه حتى في أقل قليل، فإن هذا لا يلم بساحته الجهل. إلا أن هناك أمورا في الحضرة الإلهية لم يصل إليه العلم بها ولا يقال أنه جاهل بها لأن الجهل انتفى بالصفة المذكورة. وإنما ذلك من عدم الإحاطة بأمر الله، إذ علم الله لا يحيط به محيط. فلا يعلمون من وراء المرتبة التي ينتفي الجهل بها إلا ما أعلمهم الله به. وما لم يعلمهم به بقي محتجبا عنهم إحاطتهم بعلم الله. قال تعالى (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما يشاء).

قلت للشيخ رضي الله عنه: فما هو الفتح المذكور في قوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا)؟ قال هو فتح الحديبية. قال تعالى (فجعل من دون ذلك فتحا قريبا). قلت له ذكر في الإبريز أنه المشاهدة. قال لي: معاني القرآن واسعة والشيخ مسلم له فيما قاله، لأنه صاحب بصيرة نافذة. و كذلك ما قاله في قوله تعالى (وتخشى الناس) الآية أن النبي صلى الله عليه وسلم مفتوح عليه في صغره ولم يكن صاحب مجاب حتى يقال أنه فتح عليه في ذلك الوقت والله أعلم بما أراد ذلك الشيخ.

و إذا فهمت هذا علمت أن الذنوب التي ذكرت في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام والأفعال التي تصدر منهم في صورة المخالفة ليست بذنوب حقيقية، وإنما هي مباحة في نفس الأمر لهم، أي

في شرع كل من فعل ذلك الفعل. و إنما وقع العتاب عليها أو العتاب و المؤاخذة في الدنيا ببعض مصائب الدنيا كما قدمنا، حاشا سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم. إنه لم يقع له شيء من المؤاخذة على ما فعله وهو المعبر عليه بغفران ما تقدم من ذنبه وما تأخر. واللّه أعلم.

كما حكا اللّه عن سيدنا سليمان على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام من قوله: لأطوفن الليلة على مائة امرأة كلهن تأتي بفارس يقاتل في سبيل اللّه. فلم يقل إن شاء اللّه، فعوقب بشق إنسان كما في الخبر . قال صلى اللّه عليه وسلم: لو قال سليمان إن شاء اللّه، لكان ما قال. انتهى. فقول سيدنا سليمان عليه السلام مباح، لكن عوتب للأمر الذي ذكره شيخنا فيما تقدم. كما بينه الحديث و اللّه أعلم بذلك.

وكذلك من هذا القبيل وقع لصاحب الحوت عليه السلام حين خرج من قومه فارا بنفسه كما قال سبحانه وتعالى (وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه) الآية. فعاقبه بالتقام الحوت وإن كان خروجه مباحا لأنه للّه لا لنفسه. ولكن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يؤاخذون بمثل مثاقيل الذر لعلو مرتبتهم عند اللّه كما قدمنا. وذكر صاحب الإبريز عن شيخه رضي اللّه عنهما معنى مغاضبا أي غاضبا عليهم حيث تركوا ما فيه رشدهم وصلاحهم من الإيمان به والاستسلام لأمره حتى نزل بهم أمر اللّه تعالى و عذابه بحسب ما يظهر للناظر. فإن العذاب كان فوق مساكنهم. فلما رأى ذلك يونس عليه السلام غضب وأبق إلى الفلك المشحون.

و أما قوله تعالى(فظن أن لن نقدر عليه) فمعناه أنه ظن أن لن نهلكه بما أهلكناهم، وذلك أنه لما رأى إمارة العذاب فر عنهم ظانا النجاة و أنه لا يصيبه ما أصابهم، فأراه تعالى نوعا آخر من القدرة لم يكن في ظنه عليه السلام. فلما رأى ذلك نادى في الظلمات (أن لا إله إلا أنت سبحانك أني كنت من الظالمين) فاستجاب له

ربه ونجاه عز وجل. انتهى ملخصا. قلت وفعله هذا كله مباح ولكن عوتب لأجل الوجه الذي ذكره شيخنا رضي اللّه عنه واللّه أعلم.

وأما ضر سيدنا أيوب على نبينا وعليه الصلاة والسلام، إنما هو الالتفات إلى غيره تعالى. قال صاحب الإبريز عن شيخه: الضر الذي مسه هو الالتفات إلى غيره تعالى وهو أعظم ضر عند العارفين به عز وجل من الأنبياء والمرسلين. فهذا هو الضر الذي سأل أيوب عليه السلام ربه أن يرفعه عنه، لا ضر مرض بدنه. فإن هذا يقربه من اللّه عز وجل والذي يبعده من ربه سبحانه هو الالتفات إلى غيره والانقطاع عنه، ولو في لحظة من اللحظات. وأما المرض الذي يذكره المفسرون والمؤرخون، فلم يكن. و مدة مرضه كانت شهرين وزيادة أيام. انتهى.

وسألت شيخنا رضي اللّه عنه عما ذكر بعض المفسرين في حق سيدنا داوود على نبينا وعليه الصلاة والسلام وأنه تمنى كذا بقلبه وأمر الرجل بكذا ليفعل هو كذا وكذا. فأجاب رضي اللّه عنه قال: معاذ اللّه أن يصدر هذا من المعصوم، و إنما حكا اللّه أن الخصمين اختصما في نعاج من الغنم لا غير، كما قال سبحانه وتعالى أن (هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة، فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب) الآية إلى قوله عز وجل (و أناب).

و من المعلوم عند المحققين أن القرآن لا يفسر إلا بالخبر الصحيح ولا يصرف عن ظاهره إلا إذا كان ظاهره يلزم منه المحال. و كلا الأمرين منتف هنا. فلا خبر صحيح مفسر للآية يعتمد عليه ولا قرينة تصرفها عن الظاهر.

و إذا فهمت هذا، تبين لك أن الآية على ظاهرها و ليس كما قيل من التأويل الذي لا ينبغي أن يذكر حتى في صالح عامة المؤمنين. فكيف يقال في صفوة اللّه هذا التأويل الشيع؟ نعوذ باللّه من التخليط. و كنيت بكذا في صدر السؤال، تنزيها لمقام النبوءة

أن نذكر في حقه ما ذكره بعض الجهلة المفسرين و كذبة المؤرخين، كما ذكر هذه العبارة بعينها العارف بالله الكبير الشهير سيدي محمد السنوني رضي الله عنه.

قلت للشيخ رضي الله عنه: فمما تاب سيدنا داوودعليه السلام؟ قال رضي الله عنه: من ظنه أنه أخطأ في الحكم فقط لا غير. هذا كما أخبر الله عنه. قال عز وجل (و ظن داوود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب). فانظر رحمك الله هذه الطريقة البيضاء التي كل من سلكها باعد ما ورد لظن. فاستمسك بهذا الحبل المتين واترك عنك كل تأويل مصدره من تخييل العقل الخشين لتكون من المحسنين.

قلت للشيخ: فإذا كانت توبته مما ذكرتم، فما معنى قوله تعالى (فغفرنا له ذلك). قال لي غفر له ظنه. قلت له ظنه ليس بذنب في نفس الأمر. قال لي أكابر الصديقين ليسوا كغيرهم. فإنهم يؤاخذون بمثاقيل الذر كما قدمنا، لأن الحضرة مطلوبة بالأدب. فمن كان في حضرة الحق وغفل أو نسي و لو في أقل قليل، يؤاخذ عليه. و لم يعذر كغيره و إن كان في ظاهر الشرع غير ذنب، كما حكا الله عن سيدنا آدم على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام ذكر عذره وعاقبه بالهبوط إلى الأرض. و سنزيده بيانا فيما سيأتي. و ذكر الشيخ رضي الله عنه ما يعضد هذا من الحكايات في أدب أهل الحضرة.

منها أنه كان السري السقطي رضي الله عنه ذات يوم جالسا، فمد رجله ثم ردها بالعجلة و أخذ يتضرع إلى الله ويقول: لا أعود لمثلها أبدا. فقال له بعض الفقهاء، وكان بحضرته، فما هذا؟ فلا شيء عليك أو لا حرج. فقال له لا بأس عليك أنت أو لا شيء والفقيه قال له ذلك لأن مد الرجل مباح في الشرع و المباح لا مؤاخذة فيه. و لم يدر أن الأكابر مطالبون بالأدب في كل وقت، ولو في النسيان كما قدمنا.

ومنها أنه كان رجلان بسفينة وكانا أخوين في اللّه. فلما كان ذات يوم رأى واحد منهما حبة طعام ساقطة، فرماها في فيه.فنهره الآخر و قال له: ما هذا التجاسر. فأخذ يعتذر أليه بالنسيان و الغفلة. فلم يقبل عذره وقال له: لا أصحب من يغفل عن الحضرة ورمى بنفسه في البحر وتغيب عنه. فلما وصل إلى البيت الشريف رآه يطوف فتعلق به فقال له: لولا الأخوة في اللّه بحقها لم ترني و لم أصاحبك. فقال له: إني تائب للّه فقبله وصحبه. فإذا كانت هذه الآداب في حق أولياء اللّه، فما بالك بصفوة اللّه من أنبيائه ورسله؟ فهم أولى بمطالبة الآداب وعدم الغفلة.

وإذا فهمت هذا نذكر لك ما وقع لسيدنا آدم عليه السلام من هبوطه إلى الأرض وخروجه من الجنة. قال الشيخ رضي اللّه عنه، فهو في الصورة مؤاخذة و في الحقيقة للكمال و الاجتباء و الاصطفاء لأنه أهبطه إلى الأرض ليكون خليفة تصديقا لما سبق في علمه لقوله عز وجل (إني جاعل في الأرض خليفة). فأظهر في حكمته ما سبقت به مشيئته. و أما قوله تعالى (و عصي آدم ربه فغوى) بدليل أنه سبحانه وتعالى ذكر عذره. قال تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما). والمعلوم في الشرع أن الناسي لا يؤاخذ، و لكن الكُمَّل من عباده ليسوا كغيرهم كما قدمنا.

فقلت للشيخ رضي اللّه عنه: فإذا كان مخالفته ليست بذنب، فمما ذكر اللّه توبته؟ .قال من صورة المخالفة لأنها في الظاهر ذنب وإن كانت في نفس الأمر ليست بذنب لأن فعلها ناسيا، كما ذكر اللّه تعالى عنه في الآية، كما قدمنا. والناسي لا ذنب عليه في الشرع وإنما العتاب والمؤاخذة للغفلة عن الآداب وعدم العلم بالوجه المطلوب فعلا أو تركا كما ذكره الشيخ رضي اللّه عنه.

و لنذكر ما ذكره صاحب التنوير في إسقاط التدبير عن أبي الحسن الشاذلي رضي اللّه عنه. يظهر لك رتبة صفوة اللّه عند اللّه وفعله معهم وتتم الفائدة في هذا الفصل.

قال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي اللّه عنه: واللّه أنزل اللّه آدم إلى الأرض لينقصه وإنما أنزله إلى الأرض ليكمله. فلم يزل آدم صلوات اللّه عليه وسلامه راقيا إلى اللّه تبارك وتعالى تارة على معارج التعريف والتخصيص وتارة على معارج الذلة والمسكنة وهو التحقيق الأتم. ويجب على كل مؤمن أن يعتقد أن النبي والرسول لا ينتقلان من حالة إلا إلى حالة أكمل منهما. وأفهم قوله سبحانه وتعال: (وللآخرة خير لك من الأولى).

ثم قال: وإذا عرفت هذا، فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى له التدبير والمشيئة، وكان قد سبق من تدبير مشيئته أنه لا بد أن يعمر الأرض بنو آدم و أن يكون منهم كما شاء محسن وظالم لنفسه مبين. و كان من تدبير حكمته أن لا بد من تمام ذلك وظهوره إلى عالم الشهادة. فأراد الحق سبحانه وتعالى أن يكون تناول آدم من الشجرة سببا لنزوله إلى الأرض ونزوله إلى الأرض سببا لظهور مرتبة الخلافة التي مَنَّ بها عليه لذلك.

ثم قال الشيخ أبو الحسن رضي اللّه عنه: و اللّه لقد أنزل اللّه آدم إلى الأرض من قبل أن يخلقه لما قال سبحانه (إني جاعل في الأرض خليفة). فمن حسن تدبير اللّه لآدم أكله من الشجرة ونزوله إلى الأرض سبب إكرام اللّه إياه بالخلافة والأمانة. ثم قال بعد كلام

فائـــــدة

اعلم أن أكل آدم من الشجرة لم يكن عنادا ولا خلافا. فإما يكون نسي الأمر فتعاطى الأكل وهو غير ذاكر وهو قول بعضهم.

ويحمل عليه قوله سبحانه وتعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل

فنسي ولم نجد له عزما). وذكر وجوها غير هذه تركتها لطولها ولخصت منها محل الفائدة هـ

قال شيخنا و وسيلتنا إلى الله أبو العباس أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه ونفعنا به آمين: اعلم أن في أكل آدم من الشجرة آية للمعتبرين وأسوة للتائبين من إظهار باهر قدرة الله وعجائب صنيعه وموافقته لما سبق في مشيئته من اجتباء آدم وخلافته بسبب مخالفته وطرد إبليس ولعنه و إهانته بعد اصطفائه وتعبه بكثرة عبادته، ليعلم أن الشقاوة والسعادة ليس مرتبطة بالعلل والأسباب. وإنما السعيد من سعد في الأزل والشقي كذلك. ولذا لم تنفعه كثرة الأسباب والحيل، وذلك أن إبليس لما طرد بسبب مخالفته لأمر ربه بالسجود لآدم ولعن وكتب قلم الشقاوة الأبدية عليه وصار في الدنيا والآخرة من المغضوب عليهم أخذ يغضب مولاه ويعانده ويتوعد عباده بالغواية ويتهدد ويقسم لربه أن هذا الذي كرمت علي لأغوينه وذريته. و لم أزل به حتى تطرده كما طردتني.

قال له الحق سبحانه وتعالى بلسان حاله: إن آدم محبوب عندي في الأزل لم تضره المخالفة، وإن صدرت منه لأني خلقته من أجلي ولنفسي لنظهر فيه بمظاهر ألوهيتي. وسبق في علمي أني اجعله خليفة في خلقي ومصطفى ومجتبى عني، فأبرزته في ظاهر حكمتي على وفق ما أبطن في مشيئتي، ولو وقع في مخالفتي رغما على أنفك. وزيادة في طردك ولعنك. فاذهب فإنك رجيم وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين لأنك مخلوق لنفسك. وتعبك كان لحظك وشهواتك. وما رأيته في بدايتك فهي ملابس مستعارة لك . والأصل هو شقاوتك وطردك. ولذلك خلقتك.

وأما آدم فمخلوق للسعادة الأبدية والنعم السرمدية والخلافة العظمى.فشتان ما بين من كان سعيدا في المشيئة الأزلية و بين

من كان شقيا فيها. ولهذا يقال من سبقت له العناية لم تضره الجناية. ومن الجاري على السنة العامة المحبوب ماله عيوب.

فآدم ليس تاج الخلافة بسبب المخالفة، وإبليس ليس خلعة الشقاوة والطرد واللعن والخذلان والحرمان والخزي والنكال وأعدت له دار الهوان والعذاب والغضب مقرا للخلود بزلة واحدة وهي إبايته السجود.

فسبحان المتصرف في العباد بما أراد. فمن ذاك الوقت صار إبليس مظهرا للغواية والضلال والشقاء والبعد والخسران والعناد والغضب والفساد والزيغ والبهتان وأنواع العصيان والكفر و الباطل ومخالفة أمر ربه في كل ما ينهى عنه أو يأمر به، كما كان سيد الوجود وعلم الشهود صلى الله عليه وسلم مظهرا للهداية والتوفيق والسعادة والقرب إلى الله والربح والانقياد و الرضا والصلاح والرشد والصدق وأنواع الطاعات والإيمان بالحق والامتثال لأمر الله وجميع وجوه القربات وجماع الخيرات. فهما في عالم الحكمة عينان متقابلتان في غاية المضادة والتنافي. وأما بالنظر إلى المشيئة فليس لهما شيء من ذواتهما ولهذا قال صلى الله عليه وسلم بعثت داعيا وليس من الهداية شيء وبعث إبليس غاويا وليس من الغواية شيء.

و ما ذكرناه من المظهرين فهو في الحكمة كما ذكرنا. وأما في المشيئة فإبليس فرع على الحقيقة المحمدية لا يضاهي الأصل في كل مظهر وفي كل ما يفاض على الوجود بأسره فردا فردا.

و سمعته يقول رضي الله عنه أن نبوءة سيدنا آدم عليه السلام تؤخذ من مضمن الآيات لا من مظاهرها.

قلت والأحاديث الصحيحة هل فيها ما يدل على نبوءته أم لا؟ قال إلا ما روي عنه صلى الله عليه وسلم أن آدم نزلت عليه صحيفة الحروف وفيها تسعة وعشرون حرفا. قال بعض الصحابة إنها ثمانية وعشرون قال له صلى الله عليه وسلم بل تسعة وعشرون قال

الصحابي بلام الألف؟ قال له: نعم، يعني أن لام الألف مركب من حرفين.

ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه: والدليل على نبوءته يؤخذ من لفظ الخلافة لأن من استخلفه الحق لابد أن يكون فيه معنى ما من مستخلفة، وهو هنا احتواؤه على جميع الأسماء الكونية و الإلهية التي بها نظام الكون وقوامه كما قال سبحانه وتعالى (وعلم آدم الأسماء كلها). وعلمه بهذه الأسماء فرع عن الصديقية. ولكن الفرع هنا أعلى من المتفرع عنه. و الصديقية لا تكون إلا عن أحكام التكليف وأدبه، و إن كان العقل يجوزها بدونه، لكن الحكمة الظاهرة لا تكون الصديقية إلا عن أحكام التكليف. والأحكام التكليفية لا تكون ناشئة إلا عن أخبار نبوية، والأخبار النبوية لا تكون إلا من اللّه بعض أنبيائه أو من نبئ لبعض أتباعه. وسيدنا آدم ثبت له جميع ما ذكر من الخلافة و الصديقية، وليس قبله نبي ثبت أنه نبي عليه الصلاة والسلام وتركيب هذا الشكل معلوم لمن يعقله

وكذلك آية قوله عز وجل (فأما يا تينكم مني هدى) بعد قوله تعالى (اهبطوا) الآية. فإن الهداية لا تكون من اللّه لمن أراد أن يكون هاديا مهديا. وهذا لا يكون إلا نبيا أو وارث نبي، وسيدنا آدم لم يرث نبيا فثبت أنه نبي. فرضي اللّه عن شيخنا ما أغوصه عن المعاني الغامضة التي لم يسبق بها. انتهى كلام شيخنا بالمعنى رضي اللّه عنه.

وسألته رضي اللّه عنه عما حكى اللّه عن الخليل عليه السلام في قول تعالى (فقال إني سقيم) وقوله تعالى (فعله كبيرهم هذا) وفي الخبر: هي أختي في زوجته.

فأجاب رضي اللّه عنه. فكل هذه المقولات الثلاثة مباحة للخليل عليه السلام فإنه مشرع وخليفة، فعل ذلك بإذن إلاهي. فلا توزن أفعاله ولا تقاس على غيره لأنه ما أراد بها إلا الحق قبل ما يصدر

منه، فهو موافق لشريعته. فهذا غاية ما يذكر في حقه عليه الصلاة والسلام.

يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن الوصال. قالوا نراك تواصل قال إني لست كهيئتكم أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني. وفي المثل السائر لا يصح للضب أن يقيس الثور على نفسه.

فإذا فهم فكيف يمكن لأحد أن يتكلم بالمناقشة على من مَنَّ الله عليهم برسالته وأمَّنهم على سر وحيه وجعلهم قدوة لخلقه. وأيضا فإن شرائع من قبلنا، لم نعلم كيف كان الحكم فيها عند أهلها حتى نتكلم فيها بنفي أو إثبات. فإن شريعتنا التي بأيدينا لم يحط بأحكامها إلا أفراد من الكمل وهم أقطاب هذه الأمة، فما بالك بالشرائع التي لم نعلمها وما وصلت إلينا ولم ندر ما حكم الله فيها لأهلها فمن أراد أن يتوصل إلى معرفة أحكامها من غير خبر صحيح في شريعتنا، فهو فضولي مدخل نفسه فيما لا يعني ولا يرتكب هذا من إسلامه غير حسن، لخبر: من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه.

ومن العجب أن الأعمى يريد أن ينقد على البصير ويدله على الطريق.

و من ها هنا تفهف أن ما فعله سيدنا سليمان عليه السلام من ضرب السيوف والأعناق للخيل حين شغلته حتى توارت الشمس، كما حكا الله عنه جائز في شرعه. وكذلك جميع الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام

ثم قال الشيخ رضي الله عنه: واعلم أن أحوال الرسل عليهم السلام لا تتبع بالمناقشة والتفتيش، ويجب الاقتداء بهم في كل ما أتوا به فإن الله تعالى ذكر هداهم حين ذكرهم قال تعالى (أولئك الذين هدى الله)، فبهداهم اقتده. فلا يحل لامرئ مسلم أن يناقش في أحوال الرسل عليهم السلام. قال تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله) وقال عز وجل (ومن يطع الرسول فقد أطاع الله). وهذا عام في كل رسول. ومن أراد أن يقيس أفعال

النبوءة على غيرها فهو جاهل بحقها ومقصر في أدب رتبتها ولم يعلم أن الإذن لهم في كل ما يصدر منهم على العموم وإن وقع العتاب لهم على بعض الأمور، فإنما هو للوجه الذي ذكره الشيخ في تقسيم وجوه المباح لا غير.

وبهذا الاقتداء والتصديق من المؤمنين للرسل، تشهد أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة على الأمم الذين كذبت رسلها وأنكروا بلوغ الرسالة. فإذا قالت أمة: لم يبلغ لنا ما أرسلته به يا ربنا. يقول المولى جل جلاله، وهو أعلم بهم من يشهد لك أنك بلغتهم؟ فيقول الرسول: أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فيقول لهم المولى تبارك وتعالى: هل عندكم من شهادة سوى هذا؟ فتقول أمة محمد أو أرسلته يا ربنا؟ فيقول الرب سبحانه وتعالى: قد أرسلته إليهم. فتقول أمة سيدنا محمد: فنشهد له على أنه بلغهم ما أرسلته به إليهم. وشهدوا له لأنهم يعلمون أن الله لا يؤمن على سر وحيد إلا من كان صادقا، وصاحب هذا الوصف يستحيل في حقه عدم التبليغ.

وإذا فهمت هذا، علمت أن الذنوب التي ذكرت في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام والأفعال التي صدرت منهم في صورة المخالفة إنما فعلوه للوجه الذي ذكره الشيخ فيما قدمنا في صدر الباب أو هي مباحة له في شرعه كما قدمنا في قولات سيدنا إبراهيم عليه السلام وفعل سيدنا سليمان عليه السلام. و أما سيدنا آدم عليه السلام فقد ذكر الله عذره كما قدمناه.

وأما قوله تعالى فيما حكاه عن سيدنا يوسف عليه السلام (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) الآية قال شيخنا رضي الله عنه: هَمَّ بها يحتمل هم بالمعصية ويحتمل هم بالبطش بها، أي بالمرأة غضبا لما طلبته بفعل الفاحشة. فأما إن قلنا هم بالمعصية فإن العصمة مانعة منه. فلم يبق إلا كونه هم بالمرأة بالبطش بها غضبا لولا أن رأى برهان ربه. فلما راى برهان ربه تركها إذ علم من البرهان أنه معصوم.

وأما قوله وما أبرئ نفسي، فإنه أخبر عن حال بشريته في تحركها لطلب الفعل لما أن دعته المرأة، و القلب أدبر عن إجابة البشرية إلى ما طلبته توفية بأمر الله. فإن القلب هو المخاطب بالتكليف لا البشرية. فإن القلب إذا توقف ووقف في الحدود المأمور بها لم يضره تحرك البشرية. بخلاف ذلك لأن القلب قد سلم، وهو المراد بالتكليف يشهد قوله صلى الله عليه وسلم أن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله إلا وهي القلب.

وبعبارة فالبشرية في الأنبياء موجودة لطلب الانغماس في الشهوات، هم فيها كسائر البشر سواء كانت الشهوة محرمة أو حلالا والقلب هو القائم على البشرية بفضل أحوال الشهوات. يصرف البشرية في الشهوات الحلال و يمنعها و يقمعها عن الوقوع في الشهوات المحرمة. وهذا هو عين العصمة التي يتصف بها الأنبياء، لا زوال البشرية كما يظنه بعض الجهال.

فإن البشرية لو كانت مفقودة فيهم لم تكن لهم عصمة لعدم وجود سبب العصمة وهو ظهور البشرية بطلب الوصول إلى الشهوات المحرمة. فامتناع القلب من موافقة البشرية عن الوصول إلى الشهوات المحرمة مع وجود داعية البشرية إليها هو الأمر المسمى في عرف الشرع بالعصمة يشهد لهذا قوله صلى الله عليه وسلم: ما بعث الله نبيا ولا خليفة إلا و له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر، و بطانة لا تألوه خبالا. ومن يتق بطانة السوء وقي. فدل الحديث على وجود البشرية الداعية إلى الشهوات في الأنبياء، إلا أن القلب يستعصم من تصريف البشرية في الشهوات المحرمة، وهي العصمة والله أعلم.

فظهر من هذا الخبر أن الخواطر حتى في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، و لكن سلطان الروح قاهر لميل النفس وهواها. فلا تقدر تتحرك لشيء إلا إذا حركها، لأن سلطان الروح لا يميل للقبيح. فلذا كانوا منزهين عن الأفعال القبيحة وثبتت لهم

العصمة، لأن اللّه أيدهم بروح منه. و من أيده اللّه لا تتأتى منه المخالفة للحق، ولو فيه حتف نفسه.

ثم قال رضي اللّه عنه: وأما غيرهم من البشر، فإنهم على أقسام. فمنهم من بشريته حاكمة عليه إن شاءت فعلت، وإن شاءت تركت. فالحكم لها على الإطلاق. ومنهم تارة وتارة وهم عامة المؤمنين. و منهم من له قوة قامعة لبشريته، ولكن دون قوة الأنبياء ولذلك لم تبت لهم العصمة وإن بلغوا ما بلغوا في ارتفاع القدر. و ذلك لما سئل إمام القوم الجنيد رضي اللّه عنه: هل يفعل العارف كذا وكذا؟ أطرق ساعة ثم قال: و كان أمر اللّه قدرا مقدورا.

ومن هذه البشرية المحكوم بها لجميع بني آدم، يعلم أن ما ذكر بعض الناس في هاروت و ماروت من تمنيهم للمعصية باطل و لا يصح، لأن الميل للشهوات ليس من طبعهم. قال تعالى في حق جنسهم (عباد مكرّمون لا يعصون اللّه أمرهم ويفعلون ما يؤمرون). ثم قال: و لا يصح من هاروت و ماروت إلا ما ذكرته الآية. و ليس في الآية ذكر معصيتهم و لا عذابهم.

فعلى الموحد العاقل أن يعتقد النزاهة والطهارة في حق من طهره اللّه من الدنس، فيسلم من جميع الاحتمالات التي لم يعلم لها أصل صحيح .انتهى

ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه، و أما ما فعلو إخوة يوسف عليهم الصلاة والسلام فيحتمل أنه كان ذلك جائزا في شرع أبيهم أو فعلوه قبل نبوءتهم، لأن العصمة ليس بمجمع عليها قبل النبوءة. و هذا غاية ما يذكر في حقهم عليهم الصلاة والسلام.

قال صاحب الإبريز عن شيخه رضي اللّه عنهما: وسألته أيضا رضي اللّه عنه عن اختلاف عياض وابن حجر رحمهما اللّه في قصة هاروت وماروت، فإن الأول قص الأحاديث الواردة في ذلك وأبطلها. والثاني أثبت القصة وقال أنها وردت من طرق شتى يكاد يجزم الواقف عليها بصحة القصة ويقطع بوقوعها. وتبعه الحافظ السيوطي، فإنه أكثر من طرقها في كتابه الحبائك في أخبار

الملائک. و قال فیه أنه استوفی طرقها في تفسیره الکبیر، فقال رضي اللّه عنه ونفعنا به: الحق مع عیاض رحمه اللّه و ذکر أسرارا لا تکتب ولا تفشی والسلام. انتهی

ثم قال رضي اللّه عنه، أي صاحب الإبریز عما وقع للإخوة علیهم الصلاة والسلام. فقال الشیخ رضي اللّه عنه: الجواب واللّه الموفق للصواب أن الأنبیاء علیهم أفضل الصلاة والسلام معصومون قبل النبوءة وبعدها. والذي صدر من إخوة یوسف علیه وعلی نبینا أفضل الصلاة والسلام مأمورون به في بواطنهم، والأمر من عند اللّه ومعاتبتهم علی ذلک علی حسب الظاهر فقط إلی الغیب مع اللّه والسلام.

ثم قال رضي اللّه عنه: وغالب معاتبة الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام من هذا المعنی. ثم قال بعد کلام فقال رضي اللّه عنه: نزول الوحي یتبع خواطر الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام، فإذا خطر ببال النبي شيء أو تحدث به في نفسه نزل الوحي به وهو إذا ظهر له أنه أذنب تحدث به في نفسه وجعل یعاتبها، فینزل الوحي بالعتاب تبعا للخاطر. ثم قال وبهذا تظهر لک ثمرة عصمة الأنبیاء علیهم الصلاة والسلام وتعلم أن خواطرهم کلها أحق وأن وساوسهم کلها من اللّه.

ثم قال وسألته رضي اللّه عنه عن قوله تعالی (وتخشی الناس واللّه أحق أن تخشاه) کیف عاتب اللّه نبیه وهو سید العارفین وإمام المرسلین؟ فأجابني رضي اللّه عنه بهذا المعنی فقال: إنه علیه الصلاة والسلام لما شاوره زید في طلاق زینب وأمره بإمساکها وتقوی اللّه في معاشرتها، وکان یعلم، علیه الصلاة والسلام، أنها ستصیر إلیه وأخفی ذلک ولم یظهره رجع علی نفسه بالعتاب وقال في خاطره: تخشی الناس واللّه أحق أن تخشاه. وجعل یعاتب نفسه بهذا في الباطن، فأظهر اللّه سبحانه وتعالی ما في باطنه علیه الصلاة والسلام وأنزل الوحي به.

وأجابه رضي اللّه عنه قوله تعالى (عفا اللّه عنك) الآية لما سأله عنها. قال تحدث في باطنه بنزول آية تفضحهم، وإنما منعه هو من أن يباشر فضيحتهم الرحمة التي فيه و وصية اللّه له. فتحدث في باطنه بفضيحتهم على وجه يبين كونها من اللّه، لا منه للحياء الذي فيه صلى اللّه عليه وسلم، مثل قوله أن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم واللّه لا يستحيي من الحق. فأحب أن تنزل الآية في صورة العتاب له لتكون أبعد عن التهمة و أدخل في محض النصيحة وأزجر لهم عن الاشتغال بالنفاق مع النبي صلى اللّه عليه وسلم مرة أخرى. فإن اللّه تعالى هو وكيله على من ينافقه و خصيمه، فتضمنت صورة هذا العتاب مصالح شتى. وفي الباطن لا عتاب، وإنما ناب الحبيب عن حبيبه في المخاصمة لا غير. ولا ينبغي لأحد أن يظن بالنبي صلى اللّه عليه وسلم أنه لا يعلم الصادق من الكاذب من المعتذرين. و كيف يخفي عليه ذلك والمفتوح عليه في هذا الزمان يعلم الصادق والكاذب منهم. الزمان وأهل الفتح أجمعين إنما نالوا ما نالوا لمحبته صلى اللّه عليه وسلم تسقوا بمقدار شعرة من نوره صلى اللّه عليه وسلم. انتهى ملخصا من الإبريز.

فلما سألت سيدنا ووسيلتنا إلى اللّه عن كلام هذا العارف الكبير فيما قاله في معاينة الأنبياء واطلع عليه هو بنفسه، لأن كتاب الإبريز كان كثيرا ما يطالعه الشيخ رضي اللّه عنه قال لي: أما ما ذكره في قوله تعالى (و تخشى الناس)و في قوله تعالى (عفا اللّه عنك) الآية فهو ظاهر وهو الحق وأما غيرها من الآيات الواردات في حق الأنبياء، فلم يظهر فيها هذا الوجه الذي ذكره هذا الولي الكبير رضي اللّه عنه واللّه أعلم بمراده.

قلت إنما أطلت الكلام في هذا الباب و أودعت فيه من عبارات الأقطاب الذين يعطون النبوءة حقها ويعرفون قدرها عند اللّه تحذيرا مما هو مسطر في بعض الكتب مما لا ينبغي ذكره في حق الأنبياء، فضلا عن اعتقاده. و لأن تنزيه النبوءة عما لا يليق بمنصبها

إحدى القاعدتين اللتين هما أصل الإيمان. وهما قطب رحى الشريعة الذي عليه مدارها. ومنه ينشأ خير الدنيا والآخرة. فلذا يجب تنزيه الحق سبحانه وتعالى عما لا يليق بجنابه وتنزيه من نزهه اللّه من الأنبياء والرسل والملائكة أيضا، فإن من صحح هاتين القاعدتين بشيء جهلا أو عنادا والعياذ باللّه، لم ينفعه عمل من أعماله الحسنة.

محبطات الأعمال

ولنذكر شيئا مما علمنا من محبطات الأعمال نجانا اللّه منها آمين.

وسئل شيخنا رضي اللّه عنه عن معنى قوله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه توابا رحيما). فأجاب رضي اللّه عنه قال: فمن وقع في ذنب و جاء إليه صلى اللّه عليه وسلم مستغفرا أو تائبا وجد اللّه غفورا رحيما. و الإتيان، صلى اللّه عليه وسلم بعد موته، كحياته وقبول التوبة والعمل من كل مؤمن مقطوع بهما، إن صدر كل منها على القانون الشرعي ظاهرا وباطنا وسلمت من العوارض.

وعوارض الإبطال منها ما يكون في ذات الفعل نفسه ومنها ما يكون خارجا عن الفعل. فالتي هي من ذات الفعل هي الرياء والتصنع لجلب غرض من الخلق جلبا أو دفعا والعُجب وعدم شهود المنة. وهذا الأخير لخاصة الخاصة فقط.

وعوارض الإبطال الخارجة عن الفعل كترك صلاة العصر حتى غربت الشمس من غير عذر كالنسيان والنوم وكقذفه للمؤمن المحصن ورميه له بالزنا وكأكله أجرة الأجير بعد وفاء عمله

وكتعمده لأكل الحرام ولم يتب منه وكالردة والعياذ باللّه تعالى.

فكل ما كان من المحبطات في ذات الفعل يحبط العمل الذي وقعت فيه فقط لا تتعدى لغيره. والمحبطات الخارجة عن الفعل هي التي تحبط كل عمل تقدمها والسلام. انتهى كلامه رضي اللّه عنه.

قلت أما الرياء والتصنع والعجب التي ذكرها الشيخ فهي معلومة، فلا تحتاج إلى شرحه . وأما أكل الحرام فهو الحرام المتفق عليه كالغصب والسرقة والخيانة والربا والغضب والكذب في البيع والشراء والضرر، وكل ما أكلتَ بوجه من وجوه التعدي والظلم ،بل وكل ما أخذت بغير طيب نفس صاحبه، فهو من وجوه الحرام.

وأما خصوصية صلاة العصر فللخبر الوارد فيها، وإلا فلا مفهوم لترك صلاة العصر. بل كل من ترك الصلاة تعمدا من غير عذر أو تهاون بها ككونه يتيمم مع وجود الماء والقدرة على استعماله أو خل بشيء من أركانها جهلا أو تهاونا، فلا ينظر له يوم القيامة في عمل من أعماله. وإن كان لا ينظر فيها فصارت باطلة. وهذا هو معنى الإحباط.

وأما الردة والعياذ باللّه، فلها أسباب كثيرة قولية وفعلية وهي قليلة. أما القولية منها ما هو معلوم عند عامة المسلمين كنسبة الحدوث للمولى، تعالى اللّه عنه علوا كبيرا إما تصريحا وإلزاما كنسبة الشريك له، والشريك إما تصريحا أو نسبة بعض أفعال اللّه لغيره كالقدرية و من في معناهم من الجهال. أو بقدم شيء من العالم ومنها صدور التهاون بجلال اللّه وعظمته جهلا أو عنادا كالشتم والسب وتهور اللسان في جانب الحق، نعوذ باللّه منه. أو أريد شتم العبد فيغير اسم اللّه أو صفة من صفاته كما شاهدناه كثيرا في ألسنة العامة في أسماء العبيد المضافة لأسماء اللّه كعبد الحق وعبد الكريم وعبد الرحمن وعبد الحكيم وعبد

الباقي وعبد القادر وعبد البر وعبد الرزاق وعبد الغني وعبد الحميد وعبد الرحيم وعبد الغفور وعبد الغفار وعبد الستار وعبد الحليم وعبد الجليل وهكذا بعدم قصده لاسم اللّه . ولا بجهله.

وهذا مذهب شيخنا رضي اللّه عنه في هذا الباب وكذلك فيمن بدل حكم اللّه لغرض من أغراضه مما كان النص في عينه كتحليل المطلقة ثلاثا لزوجها الأول، غير أن تنكح زوجا غيره. وقال: إن الحكم هو وصف من أوصاف اللّه. ومن غيّر وصفا من أوصاف اللّه فهو مرتد والعياذ باللّه.

وصدق الشيخ رضي اللّه عنه لأن علماء الشريعة عندهم من استحل محرما مجمعا عليه كفر، وكذا إذا جحد ما هو معلوم من الدين ضرورة كالصلاة. ومنها التهاون بمرتبة النبوءة والملائكة كصدور شتم أو سب أو تهاون لسان أو ينسب إليهم ما يحط قدرهم عن مراتبهم العالية كارتكاب المنهيات أو عيب في ذواتهم وما في معناه. ومما هو من هذا الباب عدم الرضى بالقدر والتسخط عند نزول المصائب بالعبد حتى يقول بعض جهال عامة المسلمين: أي شيء فعلته تحتك يا رب حتى فعلت لي هذا من دون الناس؟ قال الشيخ رضي اللّه عنه: فهذه ردة تلزم التوبة منها، لأنه تضمن من كلامه نسبة الظلم لخالقه، تعالى اللّه علوا كبيرا عن الظلم والجور.

وكذلك ما يصدر عن بعض الجهال عند الغضب: لا أفعل هذا لو قالها المنادي، يتضمن من هذا القول الردة كأنه يقول لو قاله الرسول. فليحذر المؤمن من هذه الأمور الشنيعة قولا وفعلا ويحذر جهال المسلمين منها.

ومما يلحق بهذا ما ذكر بعض أهل الكشف في بعض الأمور. قال من فعل واحدة ولم يتب منها يموت على سوء الخاتمة والعياذ باللّه وهي: دعوى الولاية بالكذب وادعاء المشيخة، وهو تصدر لإعطاء الورد من غير إذن. وكذلك كثر الإذاية للخلق وكثرة

الزنا والكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعند بعضهم كثرة النميمة والغيبة. وعند بعضهم عقوق الوالدين. و هذه كلها إذا لم يتب منها، نسأل الله السلامة والعافية من جميعها.

ومما يلحق بهذا الباب سب الأولياء، نسأل الله السلامة والعافية من سب أولياء الله كلهم. فهذه أعظم أمور الردة والموت على سوء الخاتمة، ذكرناها هنا تحذيرا لعباد الله ونصيحة لهم لله. فهذه أسبابها قبل الوقوع فيها، يهرب منها العاقل.

وأما الخلاص منها بعد الوقوع فبالتوبة منها: أما في المهلكات غير الردة فبمجرد التوبة يتخلص منها إلا ما كان فيه عقوق الوالدين فبالتحلل منهم. والتوبة في الردة إما في السب الصريح في جانب الربوبية والنبوءة فيزاد مع الردة القتل حدا، إن تاب ولم يقتل فتوبته صحيحة وأمره موكل إلى الله.

وأما في غير السب الصريح فتوبته صحيحة ولا قتل عليه. وإن لم يتب من ردته قتل كفرا. وإن كان المرتد ذا زوجة أو ذات زوج بطل نكاحها. وينبغي لمن استفتياه أن لا يحكم لهما بطلقة لا بائنة ولا رجعية، بل يحكم لهما بالفسخ بينهما. فإن تراجعا فلا يحرم الزوجة. وأن تكرر من أحد الزوجين ثلاثا أو أكثر. وأما إن أفتاهما بالطلاق، ربما يتكرر من أحدهما الردة أو يكون مضت لهما طلقة أو طلقتان ولم يصبرا على الرجوع فيؤديهما إلى ارتكاب محرم صريحا مع دعوى الحلية والزوجية، فيقع في عين الكفر الذي أردنا أن نخرجه منه، وهو تحليل ما حرم الله. فهذه نكتة فسخ النكاح بين من ارتد و زوجه. فهكذا قال سيدنا ووسيلتنا إلى الله رضي الله عنه ونفعنا به آمين.

وسألته رضي الله عنه عن قوله تعالى (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار) ما معنى هذه التوبة في حقه صلى الله عليه وسلم؟ فأجاب رضي الله عنه قال: هي الحماية من مواقعة الذنوب.

فقلت لهك أما في حق النبي صلى اللّه عليه وسلم فنعم، لأنه معصوم. وأما من ذكر معه فما معنى الحماية في حقهم؟ فهل هي عدم وقوع الذنب منهم كما في حقه؟

فقال رضي اللّه عنه: معناها دوام التوبة لهم وعدم الإصرار على الذنوب. ومن كان هذا حاله كان مثل من لم يصدر منه ذنب أصلا، لقوله صلى اللّه عليه وسلم: التائب من الذنب كمن لا ذنب له. و قوله: ما أصر من استغفر، و لو عاد في اليوم سبعين مرة. و لفائدة أخرى وهي رجوع العبد إلى ربه. والرب سبحانه يحب من عباده الراجعين إليه المتعلقين به الذين ما ملجأ لهم غيره في جميع أمورهم. ومن كانت هذه حاله، مهما أذنب تاب في حينه إلى ربه كان محبوبا عند ربه.

قلت له ولعله هذا معنى الآية (إن اللّه يحب التوابين). قال لي: نعم. و لذلك قال صلى اللّه عليه وسلم: لو لم تذنبوا لذهب اللّه بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم. فهذه فائدة مقارفة الذنوب لهذه الأمة. قلت له: أن في العادة المعروفة كل من يكثر الذنوب فهو مصر لأن الغالب أن التائب لا يكثر منه صدور الذنب. و إذا كان يكثر الذنوب مع كثرة التوبة، فهو متلاعب لأن كثرة التوبة سبب في الهروب من مقارفة الذنوب، كما هو المعروف عند المسلمين فيمن تاب من ذنب أنه يهرب حتى من قرب أسبابه، فضلا عن مواقعته فيه.

فقال رضي اللّه عنه: النص ثابت، وهو قوله صلى اللّه عليه وسلم ولو عاد في اليوم سبعين مرة. و كذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم: إذا اعترف بذنبه ثم تاب منه تاب اللّه عليه. فلا يلتفت مع هذا لأقوال الناس ولا لعوائدهم. رب ذنب أدخل صاحبه الجنة. قال صاحب الحكم: معصية أورثتك ذلا واستحقارا أخير من طاعة أورثتك عزا واستكبارا. ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه: يتوب العبد ألف مرة فلا يتوب. فإذا تاب اللّه عليه مرة واحدة تاب. قلت له: ما معناه؟ قال: إذا لم يرد اللّه له التوبة لا يترك فعل الذنوب

ولو تاب ألف مرة عنها. فإذا أراد اللّه له التوبة منها وتاب عليه لم يرجع إليها أبدا. ولم تكتب عليه إذا فعلها لما قدمناه من الأخبار. وإذا لم تكتب عليه فهو تائب منها، ولو فعلها ألف مرة. ولهذا قال بعضهم: لا يكون البدل بدلا حتى يبقى أربعين عاما ولم يكتب عليه صاحب الشمال. قال الشيخ: و معنى هذا أنه مهما صدرت منه سيئة تاب منها في الحين لا عدم فعلها منه أصلا.

و مذهب شيخنا رضي اللّه عنه أن قبول التوبة قطعي كما صرح به في شرح جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال، خلافا للجمهور. و وافقه شيخه الشيخ محمود الكردي رضي اللّه عنهما جميعا حين تكلم فيها مع علماء مصر و خالفوه تبعا لمذهب الجمهور. فقال له الشيخ محمود: فمذهبي أن قبول التوبة قطعي و كفى به حجة لأنه موصوف بالعلم ومعروف بالولاية عند أهل مصر0 ومن كان هذا حاله كان رأيه أحسن ونظره أولى من نظر غيره.

قال اللّه تعالى (إنما التوبة على اللّه للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب). و قوله تعالى (من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل اللّه سيئاتهم حسنات). الآية و قوله تعالى (وهو الذي يقبل التوبة عن عباده)... إلى غير هذا من الآيات و الأحاديث الدالة على القبول، أنه قطعي لأنه وعد التائب بالقبول، و وعده لا يتخلف عند أهل الحق. فإن قيل على مذهب الجمهور أن القبول القطعي المستفاد من الوعد يمكن أن يكون في بعض الأفراد، و لا يلزم منه العموم.

قلت أن هذه الآيات المذكورة عامة في جنس التائب، و لا دليل على خصوصها بفرد دون آخر. وأيضا أن الكريم إذا وعد بأمر لا بد من وفائه عند أهل الحق. وفي التعبير بصيغة الماضي في الخبر المتقدم و هو قوله صلى اللّه عليه وسلم: تاب اللّه عليه. إشارة إلى تحقيق الوقوع، لأن تلك حقيقة الماضي في اللغة.

فإن قيل أيضا على مذهب الجمهور: لو كان القبول قطعيا لزم يعود للذنب من تاب منه. قلنا: لا يلزم بل كل ذنب يجب عليه أن يتوب منه. ولا يكون نقضا لتوبته الأولى للخبر المتقدم وهو قوله صلى اللّه عليه وسلم: ولو عاد في اليوم سبعين مرة. وقوله التائب من الذنب كمن لا ذنب له. و قوله صلى اللّه عليه وسلم: لو لم تذنبوا الحديث. فإذا قدر اللّه على العبد ذنبا رجع إلى التوبة وهكذا.

فهذا ما كلف به. وأما عدم فعل الذنب فلا طاقة له به. وفي قوله عز وجل أن اللّه يحب التوابين، إشارة إلى اعتنائه بعبده التائب من ذنبه، و قبول توبته. و لو لم يقبل اللّه توبته ما أحبه. و كذلك فرحه بعبده التائب دليل على قبول توبته.

ولا يلزم من قبول التوبة أنه قطعي أن نقطع للتائب بالسعادة كما ألزمه المقابل لأن ذلك أمر مغيب وعاقبته مجهولة لا تدرى. و هذا الذي قطع أكباد الفحول بالخوف. وإنما نحن نتكلم على ما يظهر من نصوص الكتاب والسنة، وأما السعادة فليست متوقفة على العمل الصالح وكذلك الشقاوة ليست متوقفة على فعل الذنوب، وإنما الأعمال علامات في الظاهر على ما سبق. وقد توافق ما في نفس الأمر، و قد تخالف لأن اللاحق لا يكون سببا في السابق. ولذا قال صلى اللّه عليه وسلم: و لن يدخل أحدكم عمله الجنة. قالوا ولا أنت يا رسول اللّه؟ قال و لا أنا، إلا أن يتغمدني اللّه برحمته.

قال بعض المحققين أن العبد إذا تاب و وفى بالشرائط كلها و بقي على الاستقامة ظاهرا و باطنا إلى الموت فإن قبول توبته قطعي. انتهى معنى عبارته.

قال شيخنا رضي اللّه عنه: إذا أراد شخصا بعينه لا يقطع له على مذهب الجمهور إلا أن يزاد بعد قوله ظاهرا وباطنا، و كان سعيدا في الأزل. و إن أراد عموم التائبين بالتوبة مقطوع لهم بقبولها، ولا بد من طائفة يقبل اللّه توبتهم و لكن القبول المقطوع به في

زيد وعمرو، و هو المعنى عند الجمهور. وقالوا قبول توبة زيد وعمرو ظني لا قطعي. وأما في الجملة فهو واقع و فروا من القطعي لزيد وعمرو بجهل الخاتمة. فإن الأعمال بالخواتم ولخبره: يعمل الرجل بعمل أهل الجنة الحديث.

قلت للشيخ: لا فرق بين توبة العاصي والكافر على مذهب الجمهور لأن العاقبة مجهولة في كل منهما بالنظر إلى أفراد كل جنس. فكيف قطعوا بقبولها للكافر دون العاصي؟ قال: ما قلته صحيح لأنهما بالنظر إلى المشيئة سواء وإنما حكموا بالقطع لقبول توبة الكافر لورود النص فيه بعينه. و مخالفة النص الصريح خروج من ربقة الشريعة. و إن حكموا له بالقطعي بقبول توبته، فلا يحكم له بالسعادة لجهل عاقبة أمره كيف يكون عند الله. و كذلك لا يحكم لكافر بعينه أن شقي لجهل أمر مآله. انتهى ما فهمناه من عبارة الشيخ رضي الله عنه، وليس هذا لفظه.

قلت للشيخ رضي الله عنه: أن بعض من ينتسب إلى العلم سئل يوما وأنا حاضر عن قوله تعالى (ثم تاب عليهم) ليتوبوا في حالة قراءته فوق كرسيه فلم يدر ما يقول.

قال لي الشيخ رضي الله عنه: لو كنت أنا لقلت رش عليهم من نوره فتابوا بسبب ذلك النور المنصب عليهم، وهو المعبر عنه بقوله تعالى(ثم تاب عليهم). قلت له: و من أين له بهذا الجواب؟ فرضي الله عن شيخنا، ما أغوصه على المعاني وما أوضح عبارته.

و سئل رضي الله عنه عن قوله تعالى (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم). فأجاب رضي الله عنه: النبي صلى الله عليه وسلم له الاستيلاء على جميع المراتب والانفراد بالحكم والتحكم فيها بكل وجه وبكل اعتبار. والمراتب هي أفراد المخلوقات من كل جوهر وكل ذات و كل ذرة و كل جرم. فكل ذات على انفرادها هي مرتبة للحق. فكلها مراتب إلاهية. فبهذا القدر كان أولى بكل أحد من نفسه. انتهى.

وقال في قوله تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) المراد عندي أن ما ينزل على العبد من النعم والخيرات، فهي من الله لا بسبب من جهة نفسه. و أما ما يصيبه من المصائب والقحط والرزايا، فهي بسبب سيئاته التي صدرت من نفسه بغلبة الميل إلى الهوى والشهوات وبحكم القدر السابق في علمه. وإلى هذا أضافه الحق سبحانه وتعالى إلى نفس العبد. قال سبحانه وتعالى (وليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم). وقال تعالى (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة)، أي اتركوا السعي في أسبابها من عداوة ومعصية وغيرها والله أعلم.

وسألني يوما عن قوله تعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا و يلههم الأمل فسوف يعلمون) قلت له: كأنها للتهديد. قال لي: لا وسكت ولم يجب. وجاء من قطع الكلام علينا.ثم فكرت بعد أيام وقلت له ما الجواب عليها: قال، تقدير الكلام إذا بلغتهم واعرضوا ذرهم يأكلوا ويتمتعوا و يلههم الأمل، فسوف يعلمون ما نصنع بهم في الآخرة.

قلت كأنها جواب لمحذوف قال لي: هي على حد قوله تعالى (فإن اعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظا أن عليك إلا البلاغ).

وسئل عن قوله تعالى وعنده مفاتيح الغيب الخ . فأجاب رضي الله عنه قال:نفى الله العلم بالغيب عن الخلق بهذه الآية فلا يعلمها أحد سواه، لكن العلم المنفي ما كان للخلق إليه طريق. وطرق العلم إلى الخلق من أحد ثلاث: إما بحاسة من الحواس، و إما بطريق السمع وتبليغ الخبر، و إما بطريق السمع و تبليغ الخبر، و إما بطريق الفكر وهو النظر في أمور معلومة يتوصل بالنظر فيها إلى العلم بأمور مجهولة.

فهذه الطريق هي المنفية عن الخلق، وبقيت الطريق الرابع وهي ما يقذفه الله في قلب العبد بغير حاسة ولا وساطة ولا فكر ويسمى هذا بالعلم اللدني. فإن هذا العلم غير منفي على رسول

اللّه صلى اللّه عليه وسلم ولا على غيره من النبيئين والمرسلين يشهد بهذا قوله سبحانه (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول). قال المُرسي أو صدّيق أو ولي يشهد لهذا بقوله صلى اللّه عليه وسلم أن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العلماء باللّه. فإذا نطقوا به لا ينكره عليهم إلا أهل الغرة باللّه.

وفي عبارة أخرى قال: المراد بالعلم الذي نفاه اللّه عن خلقه في الخمسة وغيرها من المغيبات وهو العلم المكتسب الذي يتوصل إليه الخلق بأحد أمور ثلاث: أما من أخبار سمعية أو بأدلة فكرية أو بمعاينة حسية. فهذه الطرق الثلاث هي التي حجر اللّه عن صاحبها أن يعلم الغيب. وأما من وهبه اللّه العلم اللدني فإنه يعلم بعض الغيب كهذه المذكورات أو غيرها كما في قصة الخضر وموسى عليهما الصلاة والسلام لأنه فعل ما حكاه اللّه عنه عن علم ولم يعلمه كليم اللّه قال اللّه تعالى (وعلمناه من لدنا علما). فهذا دليل على أن من علمه اللّه العلم اللدني، أنه يعلم بعض الغيوب التي أخفاها اللّه على كثير من خلقه.

وقال صاحب الإبريز رضي اللّه عنه: قلت للشيخ رضي اللّه عنه، فإن علماء الظاهر من المحدثين وغيرهم اختلفوا في النبي صلى اللّه عليه وسلم هل كان يعلم الخمس المذكورات في قوله تعالى (إن اللّه عنده علم الساعة... إلى خبير)، فقال رضي اللّه عن ساداتنا العلماء. و كيف ويخفى أمر الخمس عليه صلى اللّه عليه وسلم والواحد من أهل التصرف من أمته الشريفة لا يمكنه التصرف إلا بمعرفة هذه الخمس.

قال وكذا سألته رضي اللّه عنه عن قول العلماء في معرفة ليلة القدر عن النبي صلى اللّه عليه وسلم ولهذا قال: اطلبوها في التاسعة، في السابعة، في الخامسة، ولو بقيت معرفتها عنده عليه السلام لعينها. فقال رضي اللّه عنه: سبحان اللّه وغضب ثم قال واللّه لو جاءت ليلة القدر وأنا ميت وقد انتفخت جيفتي و ارتفعت رجلي

كما ينتفخ جيفة الحمار لعلمتها وأنا على تلك الحالة، فكيف تخفى على سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم. قال و قد عينها لنا في أعوام وكذا كان لنا ساعة الجمعة.

قال وسألته رضي اللّه عنه عن قوله تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد) الآية وقوله تعالى (وعنده علم الساعة) الآية وقوله صلى اللّه عليه وسلم في خمس لا يعلمهن إلا اللّه. كيف يجمع بين هذا وبين ما يظهر على الأولياء العارفين رضي اللّه عنهم من الكشوفات والإخبار بالغيوب في الأرحام وغيرها، فإنه أمر شائع في كرامات الأولياء رضي اللّه عنهم. فقال رضي اللّه عنه: الحصر الذي في كلام اللّه تعالى وفي الحديث الغرض منه إخراج الكهنة والعرافين ومن له تابع من الجن الذين كانت تعتقد فيهم جهلة العرب الاطلاع على الغيب حتى يكونوا يتحاكمون عندهم ويرجعون إلى قولهم. فقصد اللّه تعالى إزالة ذلك الاعتقاد الفاسد من عقولهم وأنزل هذه الآية وأمثالها كما أراد اللّه تعالى إزالة ذلك الواقع في نفس الأمر، فملأ السماء بالحرس الشديد والشهب. والمقصود من ذلك كله جمع العباد على الحق وصرفهم عن الباطل. و الأولياء رضي اللّه عنهم من الحق لا من الباطل. فلا يخرجهم الحصر الذي في الآية ونحوها. وقال كلام معناه هذا: من العام الذي أريد به الخصوص.قال قلت للشيخ رضي اللّه عنه أن التخصيص في آية (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحد إلا من ارتضى من رسول). بالرسول يخرج الولي، فالمعارضة باقية. فقال إنما يخرج غير الولي وإما الولي فإنه داخل في الآية مع الرسول ثم ضرب مثالا وكان الوقت وقت حراثة: لو أن كبيرا من الكبراء مثل سيدي فكان أراد الخروج لينظر إلى أرض حراثته ويختبر الفلاحين الذين فيها فإنه لا بد أن يخرج معه بعض غلمانه وأعز أصحابه عليه. فإذا بلغ إلى الموضع اطلع عليه وعلم ما فيه فإن من يكون معه من الغلمان والأصحاب والأتباع ينالهم شيء من ذلك. فكذا الرسول لا بد

من عبيد وخدمة وأحباب وأصحاب من أمته. فإذا اطلع الرسول على غيب فلا بد أن ينال أصفياء أمته شيئا من ذلك.انتهى كلامه.

قلت للشيخ رضي اللّه عنه ذات يوم: أهل الكلام وأهل القواعد العقلية يقولون في قوله تعالى(ليس كمثله شيء) ك زائدة وبعضهم يقولون تمثيلية.

فقال رضي اللّه عنه الكاف تمثيلية لا زائدة. ولكن خفي عنهم معناها لأن المثل تارة يطلق ويراد به ذات الشيء، و تارة يراد به مماثله في بعض الأوصاف. فمن الأول قوله تعالى (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) أي ذواتهم الآية. من هذا القبيل بالكاف داخلة على الذات لا على المثل، أي ليس مثل صفاته الذاتية شيء. وكذلك صفاته.

وبعبارة أخرى له رضي اللّه عنه: المثل ها هنا هي صفة الذات المقدسة. والمراد بالصفة ها هنا هي عين الذات المقدسة. فمعناها ليس كعين ذاته شيء مثلها أو يشبهها. والدليل على قوله سبحانه وتعالى (وما نحن بمسبوقين أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لا تعلمون)، معناه وما نحن بمسبوقين على أن نبدل صوركم الذاتية وننشئكم فيما لا تعلمون من الصور. و قوله تعالى (وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلا) معناه بدلنا صورهم الذاتية إلى صور غيرها. وقوله سبحانه وتعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار) الخ أي صورتها الذاتية. فبان لك ها هنا أن المثل هو عين الذات والسلام.

و سألته رضي اللّه عنه عن بعض حروف من القرآن قال فيها علماء المعقول إنها زائدة، و بعضها مستعارة لحروف غيرها هروبا مما يعطيه ظاهر اللفظ من العلة. والزائد في اللغة هو الذي لا معنى له. و حاشا أن يوجد في القرآن حرف لا معنى له. منها قوله تعالى (فبما رحمة من اللّه)، و اللام في قوله تعالى (ليعبدون) وفي

قوله (ليكون لهم عدوا وحزنا) وفي قوله تعالى (ليطاع بإذن اللّه) والواو والياء والألف في مواضع كما هي عند علماء الرسم.

فأجاب رضي اللّه عنه: العلة المستحيلة في حقه تعالى هي أن لو قدرنا شيئا يعود النفع منه على اللّه أو الضر، و تعالى مجده عن هذا علوا كبيرا، فهذه العلة هي المستحيلة في حقه تعالى، وأما العلة التي يعود نفعها أو ضررها على العباد فهذه جائزة لا شك فيها، لأن حكمة اللّه التي هي شرائع أنبيائه أظهر فيها سبحانه وتعالى الارتباط بين الأشياء من النسب والإضافات كالسبب بمسببه والعلة كقوله تعالى (من يطع اللّه ورسوله ندخله جنات ومن يعص اللّه ورسوله ويتعد حدوده ندخله نارا) إلى غير ذلك من الآيات والأخبار مما هو كثير في مثل هذا و كتوقف المشرط على الشرط.

فإذا فهمت هذا المعنى في الآيات المذكورات و جواب الحكم على العباد بما حكم اللّه به عليهم فقوله تعالى ليعبدون أي وما خلقت الجن والإنس إلا لنحكم عليهم بالعبادة. فمن لم يعبد منهم عاقبته بعذابي. و كذلك ليطاع، أي وما أرسلنا من رسول إلا لنحكم بطاعة الخلق له. فمن لم يطعه فأصنع به ما أردت من العقاب وأنواع الهلاك.

هذا هو المراد من الآيات، وإنما التبس معناها عمن صرفها عن ظاهرها لعدم التفريق بين الصفتين: صفة الحكمة وصفة المشيئة، وعدم الفرق بين العلة التي تجوز والتي لا تجوز. و من عرف الفرق بينهما زال عنه الإشكال في ارتباط الأحكام الشرعية بعضها ببعض كما قدمنا. فعلى المؤمن أن ينظر بعين قلبه إلى أن الأشياء بالنسبة لمشيئة اللّه عارية عن العلل والشروط والإضافات والنسب والأسباب كلها. وإنما حكم اللّه في أزله بما اختاره: حكم على هذا سعيدا وهذا شقيا وهذا غنيا وهذا فقيرا من غير علة ولا غرض. وينظر بعين قلبه لما أظهره اللّه في حكمته من الارتباطات بين الأمور ويرى في الظاهر أنه إذا فعل

كذا من الخير أعطاه اللّه كذا من الثواب بمحض الفضل. وإذا فعل كذا من الشر عاقبه بمحض العدل لأنه له الحكم والاختيار، إن شاء اللّه فعل وإن شاء ترك في مملكته، لا يسأل عما يفعل

قال صاحب الإبريز عن شيخه: ليس في القرآن حرف زائد، بل كلها لها معان يعرفها أهل التحقيق من أرباب البصائر. قلت و كذا العرب لا تزيد حرفا لغير معنى. وأما ما يقوله أهل النحو في الحروف كالميم بعد إذا و كالباء في الفاعل و في المبتدأ و جميع حروف الزيادة. ولعلهم أرادوا، إذا كان يفهم المعنى بدون ذلك الحرف سموه زائد و إن كان له معنى.

قال الشيخ رضي اللّه عنه: حروف القرآن ليس فيها زائد و لكن إذا كان المعنى يودى بحرف واحد، و ركب في بعض المواضع معه غيره لذلك المعنى بمعينه فيكون الحرفان معا لذلك المعنى، و ليس الأخير منهما زائد بل الأول والثاني لذلك المعنى المصدر بهما. و لذلك قال صاحب الإبريز عن شيخه رضي اللّه عنهما: إذا زيد حرف في كلمة ولم يزد فيها في موضع آخر، والكلمة هي بعينها في الموضعين أو المواضع لفظا ومعنى كالألف والواو والياء الزائدات في بعض الكلمات، فالموضع الذي زيدت فيه ليس آخر لم في التي لم تزد فيه. هكذا قال. انتهى.

و سألني الشيخ رضي اللّه عنه عن معنى حصيرا من قوله تعالى (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) فقلت له: حالا. قال لي: ما معناه؟ قلت له: حبسا لهم. أي محصورين فيها لا يخرجون. قال لي: حصيرا من إطلاق فعيل على فاعل أي حاصرة لهم. و يحتمل أن يكون بمعنى الحصير الذي هو الفراش. قلت: إنهم في وسطها ومحيطة بهم من كل جهة لا كونها تحتهم فقط حتى تكون فراشا لهم. قال لي: معلوم من الآيات الأخرى وهي قوله تعالى (لهم من جهنم مهاد) الآية. و كذلك (لهم من فوقهم ظلل من النار و من تحتهم

ظلل). و هذا كثير في القرآن. ما حذف في موضع يفسر بما هو مذكور في موضع آخر مماثلا له في المعنى.

وسألني عن قوله تعالى (و حفظا) من قوله تعالى (إنا زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا). قلت له مفعولا. قال لي: ما العامل فيه؟ قلت له تقديره وجعلناها. قال لي: نعم. ففرحت بكونه وافقني وصدقني، لأنه لا يوافق إلا على حق. رضي اللّه عنه ونفعنا به ومتعنا بطول بقائه وبحبه إلى أبد الأبد آمين.

و سئل رضي اللّه عنه عن قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى) إلى قوله (يحكم اللّه آياته). فأجاب رضي اللّه عنه: الكلام في هذه الآية من طريق التأويل.فإن التأويل كله يسعه القرآن: تأويلها أن كل رسول يتمنى إسلام المرسول إليهم و هدايتهم حرصا على أمر اللّه وشفقة عليهم. فإذا تمنى هذا ألقى الشيطان في قلوب المرسول إليهم نقيض ما تمناه، ضلالا و كفرا. فينتقص الرسول بذلك. ثم ينسخ اللّه ما يلقي الشيطان في قلوب المرسول إليهم من المعاصي والكفر والتكذيب ثم يحكم اللّه آياته. ومعناه ما تدل عليه الآيات المنزلة من الإيمان بالرسول و الفيء إلى أمر اللّه والوقوف عند حدوده، وهي الآيات المحكمة والسلام.

وأما حديث الغرانيق فباطل لا أهل له من وجهين كلاهما يقطع ببطلانه. الأول قوله سبحانه وتعالى(و ما نزات به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون). فهذا شاهد في الآية بعصمة الوحي من تطرق الشيطان.

والثاني قوله سبحانه وتعالى في الآية التي زعموا فيها الغرانيق قوله عز وجل (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل اللّه بها من سلطان). فإنه لو كان معها حديث الغرانيق لضحكت منه جميع العرب وسخروا بالنبي صلى اللّه عليه وسلم وبوحيه. و بيان ذلك أنهم يقولون: (أفرأيتم اللات و العزى) الخ الآية يقولون فيها سمع المشركون: تلك الغرانيق العلا، وأن شفاعتهن

لترتجي. ثم يقول بعد ذلك (إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباءكم ما أنزل اللّه بها من سلطان). فإن الكلام المقدس الجليل يتقدس عن مثل هذا القدر الفاحش، إذ لا يوجد في أول الآية يدل على مدح الشيء وآخرها يدل على ذمه والسلام.

قال صاحب الإبريز رضي اللّه عنه وسألته رضي اللّه عنه، أعني شيخه عن مسألة الغرانيق. وقلت هل الصواب مع عياض ومن تبعه في نفيها أو مع الحافظ ابن حجر. فإنه أثبتها وذكر نص كلامهما الخ السؤال، وتركته لطوله. فإن شئت فانظره في محله. فقال شيخه رضي اللّه عنه: الصواب في القصة مع ابن العربي و عياض و من وافقهما لا مع ابن حجر. و قط، ما وقع للنبي صلى اللّه عليه وسلم من مسألة الغرانيق. وأني لأعجب أحيانا من كلام بعض العلماء كهذا الكلام الصادر من ابن حجر و من وافقه. فإنه لو وقع شيء من ذلك للنبي صلى اللّه عليه وسلم لارتفعت الثقة بالشريعة و بطل حكم العصمة وصار الرسول كغيره من آحاد الناس، حيث كان للشيطان سلاطة عليه وعلى كلامه حتى يزيد فيه ما لا يريد الرسول صلى اللّه عليه وسلم ولا يحبه ولا يرضاه. فأي ثقة تبقى في الرسالة مع هذا الأمر العظيم؟ و لا يغني في الجواب أن اللّه ينسخ ما يلقي الشيطان ويحكم آياته لاحتمال أن يكون هذا الكلام من الشيطان أيضا لأنه كما جاز أن يتسلط على الوحي في مسألة الغرانيق بالزيادة كذلك يجوز أن يتسلط على الوحي بزيادة هذه الآية برمتها فيه. و حينئذ يتطرق الشك إلى جميع آيات القرآن.

والواجب على المؤمنين الإعراض عن مثل هذه الأحاديث الموجبة لمثل هذا الريب في الدين و أن يضربوا بوجهها عرض الحائط وأن يعتقدوا في الرسول صلى اللّه عليه وسلم ما يجب له من كمال العصمة وارتفاع درجته عليه السلام إلى غاية ليس فوقها غاية.

ثم على ما ذكروه في تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي) الآية يقتضي أن الشيطان يتسلط على وحي كل

رسول رسول وكل نبي نبي زيادة على تسلطه على القرآن العزيز لقوله تعالى (من رسول ولا نبي). فاقتضت الآية على تفسيرهم أن هذه عادة الشيطان مع أنبياء الله وصفوته من خلقه. ولا ريب في بطلان ذلك.

ثم قال رضي الله عنه ثم قلت للشيخ رحمه الله ونفعنا به: فالصحيح عندكم في تفسير قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقي الشيطان في أمنيته). وما هو نور الآية التي تشير إليه؟ فقال رضي الله عنه: نورها الذي تشير إليه هو أن الله تعالى ما أرسل من رسول ولا بعث نبيا من الأنبياء إلى أمة من الأمم إلا وذلك الرسول يتمنى الإيمان لأمته ويحببه لهم ويرغب فيه ويحرص عليه غاية الحرص ويعالجهم عليه أشد المعالجة. و من جملتهم في ذلك نبينا صلى الله عليه وسلم الذي قال له ربه سبحانه وتعالى (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يومنوا بهذا الحديث أسفا). و قال تعالى (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين). وقال تعالى (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) إلى غير ذلك من الآيات المتضمنة هذا المعنى.

ثم قال الأمة، تختلف كما قال تعالى، ولكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من كفر. فأما من كفر، فقد ألقى الشيطان الوساوس القادحة له في الرسالة الموجبة لكفره. و كذلك المؤمن لا يخلوا أيضا من وساوس لأنها لازمة للإيمان بالغيب في الغالب، و إن كانت تختلف في الناس بالقلة والكثرة، و بحسب التعلقات. فإذا تقرر هذا فمعنى تمنى أنه يتمنى الإيمان لأمته ويحب لهم الخير والرشد والصلاح والنجاح.

فهذه أمنية كل رسول ونبي. و إلقاء الشيطان فيها يكون بما يلقيه في قلوب أمة الدعوة من الوساوس الموجبة لكفر بعضهم، و يرحم الله المؤمنين فينسخ ذلك من قلوبهم ويحكم فيها الآيات

الدالة على الوحدانية والرسالة. و يبقي ذلك عز وجل في قلوب المنافقين والكافرين ليفتتنوا به.

فخرج من هذا أن الوساوس تلقى أولا في قلوب الفريقين معا غير أنها لا تدوم في قلوب المؤمنين و تدوم في قلوب الكافرين. انتهى.

ثم قال رضي اللّه عنه، و بالجملة، فالتفسير الصحيح للآية هو الذي يوفي بثلاثة أمور. العموم الذي في أولها والتعليل الذي في آخرها ويعطي للرسالة حقها وليس ذلك بحسب ما وقفت عليه إلا تفسير الشيخ رضي اللّه عنه واللّه أعلم. انتهى ما ذكره هذا العالم الكبير عن شيخه رضي للّه عنهما. و هو في غاية ما يكون من البيان و الوضوح. وهو و كلام شيخنا واحد، إلا أن شيخنا استدل بالقرآن على بطلان رواية الغرانيق العلا الخ و بالآية التي ذكرت فيها كما تقدم. وهذا القطب رضي اللّه عنه استدل عليها من خارج بالعصمة و لمرتبة الوحي والنبوءة. وكلاهما يغترف من واحد واحد. فرضي اللّه عن سادتنا الأولياء ورزقنا فهم كلامهم ونفعنا بعلومهم آمين.

و سألته رضي اللّه عنه قوله تعالى (و من أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا) فأجاب رضي اللّه عنه: قال لي هذه في الآخرة. قلت له سياق الآية يدل على أنها في الدنيا؟ قال: المعاينة تدل على أنها في الآخرة لأنا نشاهد كثيرا من الكفرة في سعة من الدنيا. ولو كان الضنك في الدنيا، لم يكونوا كذلك. فدلت سعة الدنيا التي نشاهدها بأيديهم على أن معيشة الضنك في الآخرة عمن اعرض عن اللّه. انتهى.

و قال صاحب الإبريز لشيخه: ما أراد بالمعيشة الضنك، فإنه إن أريد بذلك ضيق المعيشة أشكل الأمر بأن كثيرا من الكفرة فيهم أغنياء ولا شك أن معيشتهم واسعة لا ضيقة، والآية تقتضي أن كل معرض عن ذكره، فعيشته ضيقة. فقال رضي اللّه عنه: يسبق للعقول في الدنيا ما تصير إليه الذوات في الآخرة. وقد قضى تبارك وتعالى على الكفرة بالخلود في جهنم. فالكافر

لا تمر عليه ساعة إلا ويتذكر حاله لما يسبق إلى قلبه من الوسوسة. فإن الوسواس يحرك عليه الهم ويكدر عليه أمره، وأقله أن يقول له: لعلك لست على دين صحيح. فهذا هو الأمر الذي يقذفه اللّه في قلوب الكفرة. و به تضيق معيشتهم، و لو كانوا أغنياء وملوكا. فالمراد بضيقها، ضيقها في القلوب لا في اليد. فإن كانت بيده دنيا واسعة، وعلم أن مصيره إلى سخط اللّه، ضاقت معيشته.انتهى. وذكر المؤلف أدلة على تصحيح ما قاله شيخه رضي اللّه عنه، وأنه لا معدل عنه بحسب ما ظهر له رضي اللّه عنه.

فلما ذُكِرَ كلامه لشيخنا رضي اللّه عنه، وأظنه اطلع عليه، لأن كتاب الإبريز كان يطالعه مرات قال لي: ما ذكره هذا السيد مما يسبق لعقولهم إلى آخر كلامه، يمكن أن يكون في بعض منهم ممن له علم بالكتاب كالأحبار والرهبان. وأما عامة الكفرة الذين لا دراية لهم بما عليه، بل يعتقدون أنهم على حق وأن دينهم هو الحق، فهؤلاء لا يتفكرون وأنهم على غير حق يسبق لقلوبهم مقالة هذا السيد من الوسواس الذي يكدر عليهم أمرهم. فإذا فهمت هذا، تبين لك وأن ضيق المعيشة المذكورة في الآية إنما هو في الآخرة لا في الدنيا كما قدمنا.

وهذا من جملة الأمور التي خالف فيها شيخنا رضي اللّه عنه صاحب كتاب الإبريز. وأظنها لم تكن من الأمور التي يخبر عنها من جهة الكشف، وإنما يخبره من جهة فمه وبحسب ما يظهر له واللّه أعلم.

ومنها ما ذكره في صفة الملائكة. قال في ذات كل ملك خمسة رؤوس، والحق أن الملائكة مختلفة. فمنهم من له لسان وهم ملائكة الأرض وأكثرهم من له سبعون لسانا. وهذا الذي سمعه شيخنا من سيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم، فكيف يمكن الملك عنده خمسة رؤوس له لسان واحد. وقال شيخنا ولعل ما في الإبريز لم يكن من كشف الشيخ وإنما نقله المؤلف من

بعض الكتب و سهى في نسبته له للشيخ أو أدخله بعض النساخ والله أعلم بالغيب.

ومنها ما ذكره في أول من وضع الأسماء. قال فيه: أول من وضع اسم الجلالة أبونا آدم عليه السلام و أول من ضع عليم و قوي وعظيم ومنان سيدنا إدريس عليه السلام. وهكذا كل نبي وضع شيئا منها الخ كلامه. قال شيخنا رضي الله عنه صوابه أن يقول: أول من نطق بأسماء الله الأنبياء. وأما وضعها فهو إلاهي، لأنها من جملة كلامه عز وجل قديم أزلي. بل قال شيخنا رضي الله عنه: أسماء الكائنات كلها قديمة فضلا عن أسماء الله لأن الله تبارك وتعالى سماها في أزله وتكلم بها في سابق علمه كما هي مذكورة في كلامه العزيز، بعضها مصرح به مبين كالسماء والأرض والسحاب والكرسي والعرش والجنة والنار والملائكة وبني آدام والجن والبحور والسحاب والجبال والذهب والفضة والحديد والماء واللبن والعسل... الخ ما هو مذكور بعينه. وبعضها مجمل.

وقول مؤلف الإبريز: وإياك أن تظن... إلى قوله وذلك واضح. لم يظهر إلا لو كان يتكلم في حقائق الأسماء من لفظ ومعنى. وأما حيث كان يتكلم على أول من وضعها، أي أول من تكلم بها فظاهر وواضح أن الله تبارك وتعالى هو المتكلم بها. وإذا كان هو المتكلم بها هو الواضع لها بلا شك ولا ريب. ولكن للعلماء رضي الله عنهم غفلات.

ومنها ما ذكره في شرح الحديث الذي فيه الرؤيا الصالحة من الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوءة. قال شيخنا: الحق فيها ما قاله سيدي عبد الرحمن الفاسي رحمه الله أن في النبي صلى الله عليه وسلم وستة وأربعين حبة من النور، وهي محل الوحي وفي غيره من المرسلين والنبيئين والأولياء وصالح المؤمنين كل واحد يطلع منه عدد من الحبوب إلى العالم العلوي

ينتهي إلى محل مخصوص منه كما هو مبين في محله ،فراجعه إن شئت.

و كذلك قوله: نظرت فلم أر أحدا من صحابته صلى اللّه عليه وسلم وقع له مثل هذا الذنب. فإنه إن أراد هذا الذنب بعينه، وهو الذي ذكره بعض العلماء في تفسير قوله تعالى (ومنهم من عاهد اللّه) الآية، أنها نزلت في ثعلبة بن حاطب، فمسلم له رضي اللّه عنه فيما ذكر، لأنه من أصحاب البصائر. و إن أراد مثله فقد وقع لبعض من كان أسلم في زمانه صلى اللّه عليه وسلم ثم ارتد و مات كافرا. نسأل اللّه السلامة والعافية.

قال شيخنا: كالرجل صاحب مسيلمة الكذاب و كالرجل الذي قتل نفسه حين مدحه الصحابة في القتال، و قالوا له أنه ما ترك شاذة ولإفادة. قال صلى اللّه عليه وسلم: أما أنه من أهل النار. فلما جرح اشتد به الوجع قتل نفسه، فأخبرنا به رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار الحديث.

وقال في حقه أن اللّه يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر. و قال صلى اللّه عليه وسلم في حق الرجل: لضرس أحدهم في النار أعظم من جبل أحد. و كذلك قال في حق ذي الخويصرة الذي أمر الصحابة أن يقتلوه ولم يقتله اللّه على أيديهم في تلك الساعة، وهو الذي قال له صلى اللّه عليه وسلم يوم حنين: ما عدلت في القسمة. وهذا يدل على أنه كافر لكونه يعترض على رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم، وهو الذي قال فيه حين طلع على النبي وأصحابه وهم يمدحونه بكثرة عبادته: أني لأرى سفعة الشيطان في وجهه. وقال لو قتلتموه ما اختلف اثنان. وكذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم، أي دعاؤه: اللهم لا تغفر من جثامة حين قتل رجلا بعد نطقه بالشهادة.

فهذه الأخبار دلت على أن أصحابها وقعوا في ذنوب عظيمة من الكفر وغيره بعد أن كانوا مسلمين من جملة أصحابه صلى اللّه عليه

وسلم، إلا أن شيخنا رضي اللّه عنه قال معتذرا على ما ذكر عن الشيخ مولاي عبد العزيز رضي اللّه عنه في الإبريز: ولعله أراد بقوله فلم أر أحدا من صحابته المشهورين والذين كانت صحبتهم معه وهو حق فإنه لم يصدر منهم مثل الذنب المسؤول عند رضي اللّه عنهم، لأنه قال في حقهم أن اللّه تعالى اصطفى أصحابي على سائر العالمين ما عدا النبيئين والمرسلين.

وقال عز وجل في حقهم (كنتم خيرا أمة أخرجت للناس) الآية. وقال عز من قائل (رجال صدقوا ما عاهدوا اللّه عليه) الآية .وقال تعالى (محمد رسول اللّه والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم). وقال جل من قائل (الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا) الآية وقال تعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا). وقال تعالى(إن اللّه يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص). وهذه صفة الصحابة في القتال.

وقال تعالى (إن كنتم تحبون اللّه) الآية. وقد اتبعوه صلى اللّه عليه وسلم فهم محبوبون عند اللّه. وفي الحديث:خير القرون قرني. وقوله صلى اللّه عليه وسلم اللّه في أصحابي لا تتخذوهم غرضا من بعدي. فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم، فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللّه يوشك أن يأخذه والصحابة رضوان اللّه عليهم كلهم عدول كبراء علماء هذا مذهب أهل الحق قاطبة ورضي اللّه عن البوصيري حيث يقول في الهمزية:

أغنياء نزاهة فقراء علماء أئمة أمراء

قال بعض أهل العلم. اختلف أهل الحق رضي اللّه عنهم فيمن اقترف بعض الأكابر من الصحابة رضي اللّه عنهم وبين أقطاب هذه الأمة، والذي اختاروه أن الصحابة أفضل الأقطاب ومن تحتهم من

هذه الأمة غيرهم لأن الصحابة رضوان اللّه عليهم حازوا قصبات السبق بمشاهدته صلى اللّه عليه وسلم وبأخذ الأحكام منه وتلقي القرآن منه غضا طريا. وقال صلى اللّه عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه. والأخبار والآيات كثيرة في مدحهم رضي اللّه عنهم.

وإنما ذكرت هذه النبذة هنا لما ذكرته ممن جرا عليهم القضاء ممن سبق لأنهم بالنسبة للصحابة في غاية النذور وأيضا لم تطل صحبتهم له صلى اللّه عليه وسلم. ومع هذا إنه لم يعرفهم أحد من المسلمين لعدم شهرتهم إلا خواص من أكابر العلماء.

وأما ذو الخويصرة فقال شيخنا: لعله لم يكن مسلما في الباطن من أول وهلة ولو كان مؤمنا بالنبي صلى اللّه عليه وسلم. ما قال تلك القولة الشنيعة في حقه صلى اللّه عليه وسلم، وهو عدم العدل في القسمة. فعلى هذا، فليس بصحابي وإنما كان متسترا بالإيمان كالمنافقين.

قلت وما ذكرته في مسائل الإبريز، ليس قاصدا الاعتراض عليه بكلام شيخنا وحاشا من هذا. وإنما أردت تبيين الحق على ما ظهر لشيخنا وتنبيه الغافل عن هذه الأمور أو الجاهل بها. و مع هذا لم نقطع أنها من كلام المؤلف و لا من كلام شيخه رضي اللّه عنهما لأنه، لولا اعتمادي على شيخنا لم أقدر أن نحرف لهما لفظا ولا معنى لأن المؤلف بحر زاخر في العلم، وشيخه قطب. وكيف أحوم على واديهما.

و أيضا فإنه حملني على التحري على ما في الإبريز من مناقشة هذه المسائل أني قلت، و لعلها من تحريف النساخ أو المصوبين عند المطالعة، كما هو كثير في كتب أهل الإسلام المعتنى بها ككتب الفقه وغيرا، فضلا عن الكتب المتروكة ككتب القوم وهذا منها.

وأيضا إذا وجدت مسألة في كتاب فلا تثبت النسبة لقائلها إلا أن يكون السند متصلا. قال في الإبريز: وقد قال القاضي أبو بكر

الباقلاني رضي الله عنه في كتاب الانتصار ما معناه: لأن وجود مسألة في كتاب أو في ألف كتاب منسوبة إلى إمام لا يدل على أنه قالها حتى تنقل عنه نقلا متواتر يستوي فيه الطرفان والواسطة. قلت وهذا مفقود اليوم في الكتب. فمن وجد فيها ما هو مخالف للحق أو للعلم، فلا ينسبه لقائله ليسلم من الكلام في جانب العلماء والأولياء رضي الله عنهم.

ومن المسائل المتقدمة ما ذكره في إخوة سيدنا يوسف، على نبينا وعليهم الصلاة والسلام. و رضي الله عن بعض الرجال في قوله مادحا لأولياء الله:

بنفسي إذا نفسي أنابت وأصلحت غروب جرت عن مقلتيه غـروب
إذا ذكر المولى تفطر قلبـــه و إن غلبته النفس كاد يـــذوب
أتاح العليين رائد وســـره إلى حيث لا تمضي العقول يجوب
أبى الله أن تدرى ذخائره التـي إلى سعيهم بر السماء يصـوب
هم حسنات الدهر عند كمالـه و لا كنهم عند الأنام ذنـوب
محبتهم فرض و رؤيتهم هـدى و للدين منهم ألسُن و قلـوب
بقيتَ قرير العين ما دمتَ فيهـم و جانبك المكروه و هو ذنـوب

انتهى ما سمعته من سيدنا ونسبه للتادلي رضي الله عنه. و قال رضي الله عنه في حديث ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا الخ الحديث. معناه للحق سبحانه وتعالى في مرتبة ذاته نسبتان. نسبة الكنه وهذه المرتبة بعيدة عن التغير بالزمان والنسب والإضافات والجهات والتوجهات لا تقبل شيئا من هذه انسب لا ظاهرا ولا باطنا ولا حقيقة ولا مجازا. والنسبة الثانية نسبة التنزل إما بالنيابة وإما بالرحمة والفضل، وإما بالغضب والبطش وإما بالاشتراك.

فأما نسبة النيابة فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلمك السلطان ظل الله في الأرض ومعناه ينوب عن الحق سبحانه وتعالى في إيقاع الخير والشر لإصلاح الأرض كل بما يختص به من أهله كقوله سبحانه وتعالى (إني جاعل في الأرض خليفة). فهذا تنزل النيابة.

وأما تنزل الرحمة والفضل مثل ما قيل في الحجر من أنها يمين الله في الأرض يريد من قبلها كأنما قبل يد الحق سبحانه بمعنى أنه ينغمس في حجر الرحمة والفضل وكقوله: ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا فهو من هذا القبيل تنزل الرحمة والفضل كما يقول في آخر الحديث: هل من داع يدعوني فأستجيب له؟ هل من مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ هل من تائب يتوب فأتوب عليه هل من سائل يسألني فأعطيه؟. وكما في البيت المحرم حيث جعلها خاصة به معناه أنه تنزل فيها برحمته وفضله لتكون له حمى من لاذ بحماه استوجب رضاه وعفوه من الطائفين به.

فإنه كساها كسوة عظيمة وجلالة. فإن من رآها، ذل لله وخضع لما كسيت به من العظمة والجلال وكساها كسوة رحمته وفضله لما ثبت في الخبر من أنه ينزل عليها في كل يوم مائة وعشرون رحمة منها ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين وكساها كسوة البطش والغضب لمن أرادها بسوء. فإما أن يعجل هلاكه في هذه الدار وإما أن يدخر له من شدة العذاب وأليم النكال في الآخرة ما لا حد له ولا غاية. وهذه تنزلاته فيها.

و أول ما وقع عليه نظر الله تعالى من الأرض بقعة الكعبة وموضع قبره صلى الله عليه وسلم قبل بساط الأرض.و النظر هاهنا عين الإضافة لا عين الصفة.فإن عين الصفة لا أولية لها. فإنه ينظرها في الأزل قبل وجودها كصورة نظره إليها بعد وجودها لا يختلف عليه الحال. و هذا خلاف ما عليه الجمهور من المتكلمين فإن مذهب الجمهور أن السمع والبصر لا يتعلقان إلا بالموجودات دون المعدومات.

و أما نظر اللّه تعالى إلى العالم بعين الإضافة فهو نظره إليه بعين الرحمة والتعظيم والإجلال والمحبة وكانت الأشياء في هذا النظر مختلفة والقسم فيها متشابهة.

و قد روي عن محمد بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه قال: إن للّه في خلقه في كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة. فهذه النظرات كلها بعين الإضافة. و المراد بها المنح التي يمنحها والفيوض التي يفيضها من خزائن فضله. وأطلق عليها اسم النظر مجازا.

وكان محل نظر اللّه تعالى من الأرض روضته التي ضمت جسده صلى اللّه عليه وسلم والكعبة المشرفة الشريفة. هذا محل نظره من الأرض

كما أن الإنسان الكامل هو محل نظر اللّه تعالى من العالم في وقته. كما أنه صلى اللّه عليه وسلم محل نظر اللّه تعالى من جميع الوجود من الأزل إلى الأبد. و أما بالغضب والبطش، وذلك قوله تعالى (وظنوا أنهم ما نعتهم حصونهم من اللّه فأتاهم اللّه من حيث لم يحتسبوا). و معلوم أنه ما سلط عليهم إلا النبي وأصحابه. وأما تزل الاشتراك وذلك قوله سبحانه تعالى (وجاء ربك والملك صفا صفا)، فإنه في ذلك المقام يظهر فضله ورحمته على طائفة ويظهر بطشه وغضبه على طائفة في مقام واحد و آن واحد. فإنه تنزل الاشتراك. وكقوله في التوراة: جاء اللّه من طور سيناء وأشرف من ساغين و استعلى من باران طور سيناء هو محل نزول التوراة بما فيها من الأحكام الإلهية والشرائع. و ساغين هو محل نزول الإنجيل بما أظهر فيها من الأحكام الإلهية والشرائع. و باران هي جبال مكة وهي محل نزول القرآن بما أظهر اللّه فيه من الأحكام الإلهية والشرائع.

وعبر ذلك بمجيء الحق سبحانه وتعالى و ظهوره، فإنه تنزل الاشتراك لأن كل شرع من هذه الشرائع الثلاث مشتمل على تنزل الرحمة والفضل على طوائف وعلى تنزل الغضب على طوائف.

و من تنزل الاشتراك قوله في الحديث القدسي:(ما وسعني أرضي ولا سمائي و وسعني قلب عبدي المؤمن)، فإنه تنزل فيه بالتخلي بجميع صفاته وأسمائه وجلالا وجمالا واشتراكا، فضلا منه ورحمة وجودا في عبده. و هذا خاص بالآدمي وهو للعارف بالله فقط ولم يتحل الله في كل ذرة من ذرات العالم إلا باسم واحد في كل ذرة غير الإنسان الكامل. ولم يشترك ذرتان في اسم واحد. ولم يتجل باسمين في ذرة واحدة. و بعبارة لم يتجل ربنا باسم في حقيقتين ولا باسمين في حقيقة واحدة ما عدى الإنسان.

وهذا معنى قوله في الحديث: قال الشيخ الأكبر لو وضع معه مائة ألف مثله في زاوية من زوايا قلت العارف ما أحس بها ولا عرف أين هي. وهذا معنى وسع قلب العارف المشار إليه في الحديث المتقدم. قال ابن عطاء الله:وسعك الكون من حيث جثمانيتك وما وسعك من حيث روحانيتك. وفي معنى هذا قال ابن عبد السلام رضي الله عنه

لئن كان جرمك جزءا صغيرا ... فيفيك أنطوى العلم الأكبر
و لا ذرة منك إلا غـــــدت ... بها يوزن الكون بل أكثر
و لا قطرة منك إلا و فـــي ... ينابيع أسرارها أبحـــــر
و كل الوجود إذا قستـــــَه ... عليك فذاك هو الأصغـــر
و ما فيك من عرض حاضـر ... يزول و أنت به جوهـــر
فأنت الوجود و كل الوجـــود ... وما فيك موجود لا يحصر
و فيك أشعة لا هوتِـــــــه ... من البدر في تمه أنـــور
وشمس المعارف إشراقها ... من الشمس في ضوئها أظهر
سماء على قطب توحيـده ... تدور اشتياقا فلا تقصـــــر

قال عز الدين رضي الله عنه في معنى الحديث المتقدم: فذلك الوسع في الحقيقة لمن تدبر وتفكر وتبصر، إنما هو وسع نفسه وما

وسعه غيره لأنه وسع كل شيء وما وسعه شيء. و ذلك أنه ثبت أن العبد، لما انخلع من صفاته الفانية خلع عليه السيد الصفة الباقية. وهو قوله: كنت له سمعا وبصرا و فؤادا. فذلك الفؤاد أي خلعه عليه هو الفؤاد الذي وسعه لأن الفؤاد والقلب إسمان لشيء واحد. فثبت إنما وسعه في الحقيقة إلا هو ليس القلب الصنوبري الشكل لأن ذلك مضغة من دم ولحم و واجب الوجود منزه عن ذلك الحلول في الحادث المحدود. انتهى من حل الرموز.

وسئل رضي اللّه عنه عن قوله صلى اللّه عليه وسلم: تنام عيناي ولا ينام قلبي. فقال معناه أن حراسته البشرية تركد في النوم كعادة البشر وقلبه صلى اللّه عليه وسلم لا يزال مستغرقا في مطالعة الحضرة القدسية بمراقبة ما يبرز منها من الفيوض والتجليات والأحوال والمعارف وتجليات الأسماء والصفات بملازمته لما يلزمه في مقابلتها من الآداب والتعظيم والإجلال و وضائف ما تستحقه من الخدمة والعبودية. فهو على هذا المنوال دائب في يقظته لا يفتر عنه لحظة واحدة ولا يشغله عنه شاغل حتى أقل من لحظة.

وكما كان دائبا على هذا في يقظته لا يفتر عنه ، كان دائبا عليه في حالة نومه، لا فرق في ملازمة ذلك في يقظته و نومه. وأما نومه، فإنما حره وغايته وقوعه على حواسه البشرية ولا يتعدى نومه إلى قلبه حتى يغفل عن مطالعة الحضرة الإلهية كما هو حال البشر. ولا خصوصية له في هذا بل جميع الأنبياء هكذا عليهم الصلاة والسلام.

و سئل رضي اللّه عنه عن معنى قوله تعالى في حق النبي صلى اللّه عليه وسلم:(ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان) و في الآية الأخرى (ما أدري ما يفعل بي وبكم) إلى غير ذلك من الآيات التي تحت هذا النحو مع حديث عائشة رضي اللّه عنها أنها قالت: من قال أن النبي يعلم ما في غد فقد كفر. أو ما هذا معناه مع أن علم الأولين والآخرين محمول في ذاته

الشريفة وهو الموصل إلى كافة الخلق كل على قدره. الجواب أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم علوم الأولين والآخرين إطلاقا وشمولا ومن جملة ذلك العلم بالكتب الإلهية فضلا عن القرآن وحده. ويعلم مطالبة الإيمان بذاته ونهايته و ماهية الإيمان وما يسره وما يقويه، كل ذلك هو ثابت في حقيقته المحمدية صلى الله عليه وسلم.

وأما قوله سبحانه وتعالى (ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان)، فإن هذا الحال كان له قبل النبوءة لم يعلمه الله بحقيقة الإيمان ولا بكيفية تنزيل الكتب الإلهية ولا بماهية الرسالة وتفصيل مطالبها. كل ذلك حجبه الله عنه قبل النبوءة وهو مكنوز في حقيقته المحمدية ولا يعلمه ولا يشعر به، حتى إذا كان زمن النبوءة رفع الله الحجب عنه وأراه في حقيقته المحمدية يشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: رأيت ربي في صورة شاب إلى أن قال وضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فعلمني علوم الأولين والآخرين. وهذا كان في زمن النبوءة ، رفع الله الحجاب عنه وأراه ما أدرجه الله له في حقيقته المحمدية من كنوز المعارف والعلوم والأسرار التي لا يحاط بساحلها ولا ينتهى إلى غايتها.

وإياك أن تفهم من هذا أن حقيقته المحمدية كانت عارية عن هذا قبل النبوءة. فلا يصح هذا الظن بل حقيقته المحمدية لم تزل مشحونة من جميع هذه المعارف والعلوم والأسرار من أول الكون من حيث أنه أول موجود أوجده قبل وجود كل شيء. وفطره على هذه العلوم والمعارف والأسرار. ولم يزل مشحونا بها إلى أن كان زمن وجود جسده الكريم صلى الله عليه وسلم فضرب الحجاب بينهما وبين علمه نها صلى الله عليه وسلم إلى أن كان زمن النبوءة، فرفع الحجاب وأطلعه الله على ما أودعه في حقيقته المحمدية مما ذكر أولا وما خاطبه به في قوله (ما كنت تدري ما الكتاب والإيمان) أخبر عن حالة احتجاب ما كنا في

حقيقته أولا عن علمه صلى اللّه عليه وسلم فقط، إلا أنها لم يكن العلم بها في حقيقته

وقد كان صلى اللّه عليه وسلم قبل النبوءة من حين خروجه من بطن أمه لم يزل من أكابر العارفين ولم يطرأ عليه حجاب البشرية الحائل بينه وبين مطالعة الحضرة الإلهية القدسية وكان من أفراد العالم. والفرد نسبته إلى عموم العارفين والصديقين كنسبة العارف باللّه إلى العامة لا يعرفون شيئا.

وكان في تلك المرتبة صلى اللّه عليه وسلم متحققا بمرتبته أن يأخذ العلم عن اللّه بلا واسطة ولا يجهل شيئا من أحوال الحضرة الإلهية ولم يطرأ على شمسه في هذا المحل أفول، صلى اللّه عليه وسلم. والعلم باللّه تعالى الذي هو عند الأفراد والعارفين ثابت له في هذه المرتبة.

وإنما حجب اللّه عنه في هذا الميدان ماهية الرسالة ومطالبها وما تئول إليه وما يراد منها . وكذا حجب اللّه عنه العلم بكيفية نزول الكتب وما يؤل إليه وما يراد منه، وما الأمور التي تطلبه في نزول الكتب، حتى إذا بلغ مرتبة النبوءة رفع الحجاب بيع علمه وبين ما كان مودعا في حقيقته المحمدية من العلوم والمعارف والأسرار. ويدل على هذا الذي ذكرناه قوله صلى اللّه عليه وسلم: كنت نبيا وآدم بين الماء والطين.

وحيث كان في ذلك الوقت نبيا يستحيل أن يجهل الرسالة والنبوءة والكتب ومطالبات الجميع وما يؤل إليه كل منهما وما يراد من جميعها. فالحديث شاهد على ما ذكرناه

ويدل على ذلك أيضا أنه صلى اللّه عليه وسلم قبل وجود جسده الكريم ما بعث اللّه نبيا ولا رسولا في الأرض إلا كان هو صلى اللّه عليه وسلم ممد ذلك الرسول والنبي من الغيب من حيث أنه لا يتأتي نبي ولا رسول أن ينال من اللّه تعالى قليلا ولا كثيرا من العلوم والمعارف والأسرار والفيوض والتجليات والمواهب والمنح والأنوار والأحوال إلا بواسطة الاستمداد منه صلى اللّه عليه

وسلم. وهو الممد لجميعها في عالم الغيب. فكيف يمدهم بما هم علماء به وهو جاهل به صلى اللّه عليه وسلم؟

ولم يزل صلى اللّه عليه وسلم يركض في هذا الميدان ركضا لا تماثله فيه الأرواح ولا تشم لمقامه الأعظم فيه رائحة وهو فيما قبل وجوده صلى اللّه عليه وسلم كحالة علمه بعد رسالته في الفيض والمدد على جميع الأرواح وإنما حجب اللّه عنه هذه الأمور أعني عن علمه صلى اللّه عليه وسلم بعد وجود جسده الشريف وقبل نبوءته. وهي مكنوزة في حقيقته المحمدية لسر علمه اللّه. فالاحتجاب لا يطلع عليه غيره.

وسر ذلك سؤال الحجاب على النبي صلى اللّه عليه وسلم إذ لو كشف اللّه له قبل النبوءة ما أدرجه في حقيقته المحمدية وتكلم به قبل زمن الرسالة والبعث لأوقع الريب في نفس المدعوين فيما تحدى لهم به من الرسالة يقولون له: إنما كنت تتكلم بهذا الأمر أول أمرك، نقلته عن غيرك لست شيئا. فستره اللّه عنه كي لا ينطق به. فلما كان زمن النبوءة رفع اللّه الحجاب عنه، وما أرى اللّه الناس فيه صلى اللّه عليه وسلم قبل نبوءته من كونه أميا لا يعلم شيئا ولا يدري شيئا ولا وضع له مخالطة أحد أهل الكتاب أو القرب منه ليكون إذا كلمهم بما كلمهم به من أحوال الرسالة والنبوءة يعلمون أن ذلك حق لكونه صدر من أمي لا يعلم شيئا ولم يكن ذلك ولا نبوءة فهذا سر الاحتجاب.

وشاهد هذا قوله سبحانه وتعالى: (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك) إلى (المبطلون).

وأما قوله تعالى(وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) الجواب أنه صلى اللّه عليه و سلم عنده العلم القطعي بأنه عروس المملكة الإلهية وأنه ليس في جميع الخليقة أكرم منه على اللّه تعالى ولا أحب عليه منه ولا أعز ولا أكبر حظوة عند اللّه منه، وأنه مأمون العاقبة في الآخرة لا يلحقه لا ألم ولا عذاب، وأنه في الدرجة

العالية من النعيم الدائم المقيم و رضا اللّه الأبدي السرمدي. كل هذا لا يدخله ريب ولا شك.

و ما ذكر صلى اللّه عليه وسلم من قوله (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) يحتمل أنه أراد تفصيل ما يقع به من النعيم وتفصيل العطايا والمنح الواردة عليه من اللّه تعالى. فإنه إن أعلمه بجملها، يمكن أن لا يحيط بتفاصيلها على دوام الأبد في الجنة، فإن في علم اللّه ما لا تسعه العقول.

وإن قلنا أنه صلى اللّه عليه وسلم محيط علما بجميع هذا، فيقع له في باله أن يكون له عند اللّه ما لا يعلمه من العطايا والمنح التي يصبها عليه في دار النعيم ولا يعلمها إلا عند وجودها. فهذا غير مستبعد. و يحتمل أن يكون أراد بقوله (وما أدري ما يفعل بي ولا بكم) أنه رد الأمر إلى إحاطة العلم الأزلي الإلهي. فإن علم اللّه في هذا الميدان لا يحيط به محيط لا نبينا صلى اللّه عليه وسلم ولا غيره،.يشهد لذلك قوله صلى اللّه عليه وسلم: ولا أعلم إلا ما علمني اللّه. و قوله حاكيا عن نفسه بما ذكر اللّه عنه في الآية (قل لا أقول لكم عندي خزائن اللّه ولا أعلم الغيب). فيحتمل أنه ردّ الأمر إلى حقيقة العلم الأزلي، فإنه لا يحاط به وإن كان عالما بما ذكر أولا.

وأما أن يتوهم من هذا الخبر أنه لا يعلم هل يرحمه اللّه أو يعذبه أو يقربه أو يطرده في الدار الآخرة، فهذا لا تقبله الحقيقة يدل عليه قوله سبحانه وتعالى (ولسوف يعطيك ربك فترضى) و قوله (و كان فضل اللّه عليك عظيما). و محال أن يكون هذا الأمر منه سبحانه وتعالى وهو يتخوف عليه العذاب، فإن وعده لا يخلف.

وأما الخبر الوارد عن عائشة، إن صح وهو قولها: من قال أن النبي صلى اللّه عليه وسلم يعلم ما في غد فقد كفر أو ما هذا معناه، فلا يتأتّى هذا إن سمعته من النبي صلى اللّه عليه وسلم إلا أن يكون كتم الأمر عنها لسر ظهر له في ذلك الوقت لا يمكن كشفه

لها كما كتم عنها رؤية الذات العلية بعيني بصره وهو واقع له صلى الله عليه وسلم بالإجماع. فيكون كتمه له عنها لسر ظهر له في ذلك الوقت. والأخبار و الآثار وكتب الحديث كلها مشحونة بإخباراته بالغيوب التي تأتي من بعده المتقاربة والمتباعدة حتى قال بعض الصحابة رضي الله عنه: ما ترك صلى الله عليه وسلم أميرا يكون في أمته من بعده إلا ذكره إلى قيام الساعة. وقوله صلى الله عليه وسلم: ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار. الحديث. و الأخبار الكثيرة متواترة حتى لا يكاد يرتاب فيها أحد من المسلمين والسلام.

ويبقى اعتراض على ما ذكرنا وهو أن يقال: إذا صح ما ذكرتم، و كان هذا السر هو المانع من ظهور ما في حقيقته المحمدية قبل النبوءة فلم لا يكون رسولا ولا نبيا من أول نشأته حتى لا يحتجب عنه في حقيقته المحمدية كما كان حال الغيب قبل وجود جسده الكريم. فالجواب عن هذا الاعتراض إن منع الله له من الرسالة والنبوءة قبل بلوغه أربعين سنة أن النبوءة والرسالة لا تكون إلا عن تجل إلاهي، لو وضع أقل قليل منه على جميع ما في كورة العالم كله لذابت كلها لثقل أعبائه وسطوة سلطانه. فلا تقدر الأنبياء على تحمل أعبائه والثبوت لسطوة سلطانه إلا بعد بلوغهم أربعين سنة.

و أما قبل بلوغ الأربعين سنة فلا قدرة لأحد على تحمل أعباء ذلك التجلي لما فطرت عليه البشرية من شدة الضعف. حتى إذا بلغ الإنسان أربعين سنة وكان في علم الله نبيا أو رسولا أفاض على روحه من قوته الإلهية ما يقدر به على تحمل أعباء ذلك التجلي. فلهذا السر لم يتنبأ أحد إلا بعد أربعين سنة، وهذا هو المانع له من النبوءة قبل ذلك صلى الله عليه وسلم ولغيره من النبيئين.

وأما سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام كونه نبيا قبل الأربعين فالجواب لم يكن بشريا محض إنما كان نصفين: نصفه بشري ونصفه روحاني إذ نشأ عن نفحة الروح الأمين في فرج أمه، فقوى فيه ضعف البشرية. وزاد بذلك قوة على النبيئين، فلذلك بعث قبل الأربعين للقوة التي أعطيها من نفخ الروح الأمين في فرج أمه.

فإن قلت يلزم من هذا أن يكون أقوى منه صلى اللّه عليه وسلم، فالجواب أنه لم يكن أقوى منه صلى اللّه عليه وسلم، ولكن لما كان صلى اللّه عليه وسلم كامل البشرية من جهة أبيه وأمه كان فيه ضعف البشر وأعطي فيه القوة الإلهية المودعة فيه التي تزيد على قوة عيسى وغيره والسلام.

فإن قيل لا يصح ما ذكرتم ولا يتصور أن تكون العلوم والمعارف والأسرار مودعة في حقيقته المحمدية وهي محتجبة عنه لا يعلمها، فالجواب أن هذا الذي قلناه واقع في الإدراك والحس لا يحتاج إلى التصور وشاهد ذلك أن الروح الإنساني المدبر للجسم كان قبل التركيب في الجسم مخلوقا من صفاء صفوة النور الإلهي وأودع سبحانه وتعالى من أسراره وعلومه ومعارفه ملا تدرك له غاية ولا يوقف له على أحد ولا نهاية. و كانت الروح في ذلك الوقت تامة المعرفة باللّه كاملة الصفاء والتمكين من مطالعة الحضرة الإلهية تامة العلم بما تشتمل عليه الحضرة من العلوم والمعارف وغير جاهلة بشيء منها.

وليست الأرواح في هذا الميدان على منهاج واحد ولا نهايتها في ذلك إلى غاية واحدة بل علوم الحضرة الإلهية ومعارفها مقسومة على الأرواح بحسب ما فصلته المشيئة الإلهية. فالفيض للأرواح من تلك الحضرة جار على ما سبق من القسمة في المشيئة الإلهية. فمقلل ومكثر. ثم لما تركبت في قارورة الجسم و تلطخت بأدرانه وانعكست بسبتها التي هي في غاية الصفاء والضوء إلى نسبة الجسم الذي هو في غاية الظلام والكثافة فاحتجبت

عنها تلك العلوم والمعارف التي كانت قبل تركيبها في الجسم واستمر لها هذا الحجاب من نشأة الجسم دائما.

فإذا أراد اللّه بالعبد الوصول إلى صفاء المعرفة ثم وصلها رُفع الحجاب بينه وبين ما كان مودعا في حقيقة روحه من العلوم والمعارف، فعرف الأمور على حقائقها ولم تكن تنزلت فيه بعد المعرفة وإنما كانت مخزونة في حقيقته، ثم رفع الحجاب عنها. فإذا رفع له الحجاب عنها عرف ما كان في حقيقة روحه من العلوم والمعارف وعرف ما يفاض عليه من الحضرة الإلهية بعد المعرفة، مما لم يكن في روحه قبل. و أدرك الفرق بين الأمرين. وهذا يعلمه جميع العارفين.

و الدليل الثاني على ذلك أيضا أن الإنسان هو عين روحه وماهيته لا غير وإنما هذا الجسد الظاهر لروحه كالثوب الملبوس لجسده. فليس الإنسان إلا الروح ثم هو الآن في حجاب عن درك حقيقة روحه لا يعلمها و لا يدركها، وهي عينه.فإذا أراد اللّه له بلوغ المعرفة وصفاءها رفع له الحجاب عن حقيقة روحه، فأدرك حقيقتها إدراكا ذوقيا وكشفا عينيا يقينيا وأدرك ما أودع فيها من العلوم والأسرار. فهي الآن محتجبة عنه وهو عينها. فهذا أعظم شاهد على ما قلناه في حقه صلى اللّه عليه وسلم. ثم قال الشيخ رضي اللّه عنه الألوهية المشهودة لغير اللّه قسمان:

قسم متعلقه الألوهية محضا، لا تعلق فيه للخلق. و قسم من اللوهتية متعلقه الخلق. تعرف تلك المعاني الإلهية بالخلق . وتعرف المخلوقات بتلك المعاني الإلهية. ولا بد لكل كامل من شهود الأمرين. و من أعظم الشواهد على ما ذكر فيه صلى اللّه عليه وسلم قبل النبوءة من كون علوم النبوءة والرسالة والكتب والإيمان موجود في حقيقته مغطاة عليه بحجاب حالة القائم في نومه. فإن علومه التي كان يعلمها في اليقظة مغطاة عليه في وقت النوم حتى إذا استيقظ وزال عنه حجاب النوم تعقلها

ووجدها لم تزل في ذاته. فهذا حاله صلى اللّه عليه وسلم من خلقه إلى زمن النبوءة والسلام.

و سئل رضي اللّه عنه عن معنى البيتين المشهورين من كلام بعض العارفين وهما قوله: عينان عينان لم يكتبهما قلم الخ البيتين

الجواب اعلم أن العين الأولى عينه الواجبة الوجود لذاتها من ذاتها من كل وجه وبكل اعتبار. والعين الثانية عينك الجائزة الوجود من وجه والواجبة الوجود من وجه فإنها من ذاتها لذاتها جائزة الوجود ومن حيث تعلق المشيئة بوجودها وإحاطة العلم بها واجبة الوجود.

وقوله: في كل عين من العينين نونان. النون الأولى أنانية الحق، والثانية أنانية العبد.

وذلك أنه لما تنزل به السر القدسي اللاهوتي بما صحبه من الأنوار الإلهية التي عجز العقل عن فهم أقل قليل ومنها فضلا عن الإحاطة بكنهها وسرى في كلية العبد ذلك السر والنور. وأراه اللّه بسببها محو دابر الغير والغيرية، فلم يبق في شهود العبد إلا أحد في أحد فسلب التعدد بكل وجه وبكل اعتبار.

و في هذا الأمر، إذا نظر في ذاته لم ير إلا أحدا لا يقبل التعدد ولا الغيرية. وإذا نظر في اللّه لم ير إلا نفسه. وإذا نظر في كل شيء لم ير إلا ما نظر في اللّه وفي نفسه. وهذا هو المعبر عنه بالجمع الكلي والاتحاد الحق والمحو المحقق. و ذلك كله بسبب ظهور ذلك السر والنور فيه، فغطى عليه ما كان يجده قبل من وجوده ودائرة حسه. فإن نظر في عين نفسه التي هي واجبة الوجود من وجه و جائزة الوجود من وجه نظر فيها أنانيته عين أنانية الحق.و أنانية الحق عين أنانيته.

فهما أنانيتان قائمتان فيه إدراكا ذوقيا حسيا وشهودا يقينيا. فهذه العين فيها نونان: نون أنانيته و نون أنانية الحق. وإذا نظر في اللّه نظر عين الحق عين نفسه ووجد في عين الحق نون أنانية الحق

ونون أنانيته لاتحادهما في مشهد القدسي. وهذا سر من أسرار الغيب لا تدركه العقول ولا القوى البشرية، وإنما ينال بالفيض الرباني والفتح الإلهي. ليس للكسب إليه سبيل. فهذا ا في البيت الأول وهو أمر ينال بالذوق والكشف لا بالمقال.

وأما البيت الثاني وهو نونان نونان الخ .النون الأولى أنانيتك لأنك إن قلت أنا في هذا المحل وجدت عينك هي القائلة ووجدت عين الحق هي القائلة. فهي نون فيها عينان.

وأما النون الثانية فهي أنانية الحق حيث ما سمعته يقول أنا مثل قوله تعالى (إنني أنا اللّه لا إله إلا أنا) وجدت في تلك الكلمة عين الحق هي القائلة وعينك هي القائلة لاتحادهما في نظر واحد.

وهذا كله في نظر العبد فقط. و جل اللّه أن يكون هذا في شهوده، بل علمه سبحانه وإدراكه وراء هذا لا تلتبس عليه الأحوال ولا تختلط عليه العبودية بالربوبية. فأنانية الحق هنا تجد فيها عينك وعينه ثابتتين بنظر يقيني وكشف عياني. فأنانيتك فيها عينك وعينه وأنانيته فيها عينه وعينك. في كل نون من النونين عينان. وهذا ما سمح به الوقت و وراءه ما لم يخطر قط على بال ولا تكشف عنه دائرة المقال. انتهى

وسئل عن قوله تعالى (يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم)مع قوله تعالى (اللّه يتوفى الأنفس حين موتها) الآية مع قول أبي الحسن الشاذلي رضي اللّه عنه؛ و تول قبض أرواحنا بيدك وحل بيننا وبين غيرك.

فأجاب رضي اللّه عنه؛ إن اللّه تعالى هو القابض للأرواح أصلا وعينا وولي ذلك عزرائيل عليه السلام سجافا وسترا حكميا غطى به صرف قدرته. فإن سر القدرة الذي هو عين العين لا يظهره سبحانه وتعالى لأحد ظهورا عينيا، وإنما يظهره علما سبحانه وتعالى مغطى بسجاف الحكمة. فهو القابض للأرواح باطنا وقدرة صرفا وهو المولي لعزرائيل قبضها ظاهرا سترا حكميا.

وقد رفع هذا الستر في بعض الأشخاص فضلا منه وجودا و اختصاصا لما شاء من حيث لا حجر عليه في عموم الإطلاقات فيتولى قبض أرواحهم بيده دون تولية عزرائيل عليه السلام.

ولا يلزم من هذا أن يكون الذي يتولى سبحانه وتعالى قبض روحه دون تولية عزرائيل عليه السلام أفضل ممن يتولى قيض روحه عزرائيل عليه السلام. فإن هذه مزية. والمزية لا تختص بالفاضل دون المفضول في كل شيء وفي كل مرتبة كما نشير إليها فيما يأتي.

ثم تقول أن الحق لا حجر عليه، كما قدمنا يفعل في ملكه وتصرفه ما يشاء سواء كان في عموم الخبر والإطلاق، فيخصص بمناقضة عموم الخبر من يشاء من خلقه أو كان في خصوص الخبر، وهو ظاهر. فإن المزايا يختص الله بها الفاضل في كل مرتبة وقد يختص بها المفضول في بعض المراتب.

فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم قال: إن لله عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيئون والشهداء بمكانهم من الله عز وجل. ويعني به في يوم القيامة، فقد بان لك أن المزية يختص الله بها المفضول دون الفاضل وهذه أعظم المزية حيث كان النبيئون على جلالة قدرهم وشفوف رتبتهم من حيث أن الظنون لا تطرقها علوا يتمنون عند الله مقام من لا يكون نسبته إليهم حتى نقطة قلم في بحر طوله ألف ألف عام وعرضه كذلك وعمقه كذلك بالنسبة إلى علو مقامهم.

وكشف سر هذه الحكاية من حيث أن هذه المزية لم تقع لأكابر النبيئين لعلو مقامهم عن التدلي لمثل هذه. فإن هؤلاء المغبوطين بمنزلة الأطفال في حِجر الحق، يلاطفهم بأنواع التحف لعدم طاقتهم لحمل أعباء الحضرة الإلهية بما يتجلى به في ذلك الوقت، كما قال سبحانه وتعالى (و ترى الناس سكارى وما هم بسكارى). فلما عظم الموقع في هذا التجلي الذي لا طاقة للأرواح به فيلاطف صغار أحبابه بما يغبطهم به الأكابر،

ترويحا لهم من ضغطة الواردات رفقا بضعف مقامهم على تحمل أعباء الحضرة الإلهية وتلقي كل ما يبرز منها من التجليات بما يعطيه الوقت من كمال الأدب.

فهم ثابتون كالجبال الرواسخ لا تدهشهم التجليات ولا تزعجهم عواصف المعضلات. فلم يحرك لهم الحق المزية التي استأنس بها صغار الأحباب علما من الحق سبحانه وتعالى أن مقامهم الأعلى ومركزهم الأسمى بما اشتمل عليه من علو الآداب ومعرفته بعظمته وجلاله لا يتنزلون إلى توقيع هذه المزية. فإنما حاصلها من شهوات النفوس التي هي ملاطفة من الحق لضعف أحبابه. وأما الأكابر العالون فلا تُرضى منهم ولا تُرضى لهم كما وقع في بعض الكتب المنزلة أن اللّه تعالى يقول فيها: ما للأقوياء والشهوات؟ إنما أبحت الشهوات لضعفة خلقي يستعينون بها على طاعتي.

وشاهد ذلك، وهو علو مقام النبيئين، ما وقع في قضية إبراهيم عليه السلام حيث زج به في المنجنيق مقذوفا إلى النار التي شأنها معروف. و ما أنّ ولا استغاث ثبوتا لحكم تجليه في ذلك الوقت و وفاء بأدب التجلي. فتعرض له الأمين جبريل عليه السلام في الهواء وقال له: ألك حاجة يا إبراهيم؟ فإنه يعلم أن إرسال الأمين له لينقذه من وحلته، إنما كان من عناية اللّه به و رفعة مقامه لديه، وأنه إن مال إليه في تخليصه لم يكن ذلك سوء أدب معه ولا انحطاطا لرتبته لأنه تلقّى منه الحق حيث وردت عليه.

ولكن لما رآه تنزلا عن علو المقام وتنزيلا عن كمال الأدب، وهو تلقيه لمنة الحق بالفرح والقبول على حكم قوله صلى اللّه عليه وسلم: أن اللّه تصدق عليكم برخصة فاقبلوها. و كالحكم الواقع في حكمه تعالى (بلى أن تصبروا وتتقوا إلى قوله وما النصر إلا من عند اللّه)، فإن هذه علامة النصر بلوغ الفرح و السرور لضعف مقام الصحابة. فإنهم ليسوا بأنبياء. فأول

موقف الضعفاء من الأحباب حيث يلاطفون في حضرة الحق دفعا لما لا تطيقه أرواحهم من ثقل الوارد. و آخر الآية هو موقف الأكابر من العالين، فإنهم لا يبالون بغير الله تعالى.

ولما كان الميل إلى الرخصة تنزيلا عن الأكمل في الأدب، وهو وفاؤه بكمال الأدب في الحضرة الإلهية و كمال تحمله لأعبائها، حيث لا تطرقه لذة نفس ولا شهوتها وإن كان في ذلك حتف نفسه، فقد أجابه بقوله: أما إليك فلا. لم يرض التنزل لشهوة نفسه وإن كانت من سنة الحق. ولم يرض إلا الوقوف في أعلا مراتب الأدب، وهو انقطاعه إلى الله تعالى عن كل وجهة من أحوال النفوس وإن كان في ذلك حتفه. وأكد ذلك في قوله حيث قال له: سله. قال حسبي من سؤالي علمه بحالي.

فإذا عرفت هذا عرفتَ بُعد ما بين مقامات النبيئين من مقامات المغبوطين، وأن الذي وقع من تمنيهم لمقامات المغبوطين لما لحقهم من الشفقة على أممهم وأتباعهم وقراباتهم أن لا يتحملوا أعباء ذلك المقام ولا يثبتوا له. و يكثر أنينهم وبكاؤهم. و قد عرف ما في البشرية من الميل إلى الأقارب والأحباب والشفقة عليهم فيما يحل بهم من البلايا والنقم، وإن كان مقام صاحب هذه البشرية في أعلا المقامات. فلهذا أغبطوا مقام من ليسوا بأنبياء لكونهم لا إتباع لهم يخشون عليهم من شدة الوارد.

ومن المزايا التي وعدنا بها في صدر الجواب ما وقع لعمر وعمار بن ياسر رضي الله عنهما دونه صلى الله عليه وسلم. فإنه قال لعمر: ما سَلَكتَ فجًا إلا سلك الشيطان غيره. و قال لعمار: إن الله عصمه من الشيطان لا يوسوس إليه. ولم يكن ذلك في رتبته صلى الله عليه وسلم ولكنهما مزيتان خصهما بهما دون نفسه صلى الله عليه وسلم. فإن هاتين المزيتين ثابتتان في حقيقته صلى الله عليه وسلم، وهو الأصل الجامع. و ما كان عمر وعمار إلا فرعين عنه. فأظهر المزية في فرعيه ولم يظهرها في أصله الجامع صلى الله عليه وسلم كمزية إبراهيم لكونه أول من يكسى يوم

القيامة من جميع الخلق. ولم تكن هذه المزية فيه صلى الله عليه وسلم. وكمزية موسى عليه الصلاة والسلام في كونه ذا لحية في الجنة، دون جميع الخلق، ولم تكن له صلى الله عليه وسلم . وشفوف رتبته صلى الله عليه وسلم معروف.

وكحكاية آصف بن برخيا مع سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام، فإنه طلب أن يحضر لديه عرش بلقيس، فقال (أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك) الآية. فإنها مزية اختص بها آصف وهو غير نبي. ومنع منها سليمان عليه السلام لعلو مقامه وإن أشكل الأمر في قضية آصف وسليمان عليه السلام حيث كان آصف تلميذه وأخذ عنه الاسم الأعظم. وبقوة الاسم فعل ما فعل.

والجواب عن هذا الإشكال أن مقام سليمان عليه الصلاة والسلام في شفوف رتبته وعلو درجته لا يحتمل مثل هذه المزية ولا يتأتى له التدلي إليها لأن مقام النبوءة ليس له إلا تلقي ما هو في الحضرة الإلهية من جميع التجليات ذاتية أو صفاتية أو إسمائية أو فعلية على ما هو عليه لا تخطر بباله أن يغير تجليا من التجليات أو يتغير لأجل غرضه وارد من الواردات البارزة من حضرة الحق بل أدبه في مقامه ثبوته لجميع التجليات طابقت غرضه أو خالفته.

ولذا لم يكن من النبيئين خروج عن دائرة الأسباب الحكمية ميلا إلى خرق العادات لقوة كما لهم وكمال أدبهم واستغراقهم في العلم بالله تعالى وفناء إرادتهم في إرادة الله تعالى حتى لا تريد إلا ما أراد. وهذا الوصف لهم وصف ذاتي استقر عليه مقامهم، فلا يزحزحهم عن هذا المقر من التجليات وأن عظم في هذا الميدان قائمون لله بالله راكضون في هذا المجال مستغرقون في الله تعالى، فقواهم الله بقوته وأثبتهم بإثباته فتحملوا أعباء الحضرة الإلهية على غاية ثقلها وصعوبة مباينتها لأغراض النفوس ولم يبالوا بما هو دونها.

وحال الأنبياء هذا، كما ذكرنا، من بعدهم عن الميل إلى خرق العوائد، فضلا عن فعلها ما لم يؤدهم إلى خرق العوائد ضرورة

إثبات الرسالة وإيضاح صحتها في قلوب المرسل إليهم. فيفعلون ما يفعل من خرق العوائد قياما بمئونة تصحيح الرسالة لتوقفها على خرق العادة الشاهد بصحتها. وهذا الخرق هنا هو المسمى في اصطلاح المسلمين بالمعجزة. حتى إذا فرغوا من إثبات المعجزة فارقوا خرق العوائد ما لم يكن ذلك بأمر إلهي. فيبتدرونه، وإن لم يكن في إثبات الرسالة كقضايا موسى عليه السلام الثلاثة وهي قوله تعالى (أن أضرب بعصاك البحر) الآية وقوله تعالى أن (اضرب بعصاك الحجر) الآية وقوله تعالى (إن اللّه تعالى يأمركم أن تذبحوا بقرة). وهذه القضايا عن أمر إلهي، وإن لم تكن في إثبات المعجزة لا تمكنه مخالفته.

وأما الأولياء، فما مالوا لخرق العوائد إلا لضعفهم عن تحمل أعباء الحضرة الإلهية وعدم طاقتهم لصعوبة تجلياتها. فمال إلى خرق العوائد ترويحا لأرواحهم من ضغطة الوارد وإبقاء على نفوسهم به. وأما التمتع ببعض شيء من شهواتها، وهم معذورون بأن اللّه عز وجل لم يمدهم بقوة الأنبياء. فلذا لم يتنزل سليمان لفعل هذا الخرق الذي فعله آصف ثبوتا على مقر مقامه الذي ذكرناه.

فإن قلت: إذا كان هذا مقامه ولا يرضى لنفسه بهذه المزية لكونها مغايرة لمقامه. فلم تدلى بطلب ذلك من الحاضرين).

والجواب في هذا أن مقامه على ما ذكرناه ولكن لما كان منة الحق عليه في ملكه أن سخر له جميع خلقه كما قال في حقه(يعلمون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب) الخ الآية. و كان آصف من جملة ما هو مسخر تحت حكمه حيث فعل له هذه المزية وأن الرياح مسخرة تحت حكمه. وقد كانت تحمله وجيشه وتقذفه مسيرة شهر غدوا ومثلها رواحا. فلما كان التسخير له بمنزلة يديه ورجليه في هذا الخلق ولم يرض النزول عن مقامه سخر في ذلك من هو مسخر تحت حكمه يعمل له ما يريد. وهذا من منة الحق عليه. و قد وقع له ذلك بإذن إلهي ليس من غرضه فقط وقلبه ثابت على مقامه والسلام.

وسئل رضي اللّه عنه عن معنى قوله تعالى (إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض) الخ فأجاب: معنى الأمانة هي القيام بحقوق مرتبة الحق في كلية معانيها خلقية و الإلهية، فلم تطق حمل هذه الأمانة السماوات و الأرض و أشفقن منها و حملها الإنسان، وهو الإنسان الكامل الذي يحفظ اللّه به نظام الوجود. و به يرحم جميعه الوجود و به صلاح جميع الوجود، وهو حياة جميع الوجود، و به قيام جميع الوجود. و لو زال عن الوجود طرفة عين واحدة لصار الوجود كله عدما في طرفة عين، و هو المعبر عنه بلسان العامة قطب الأقطاب والغوث الجامع.

ومعنى قوله (ظلوما جهولا) فهو لا يعني ظلوما بتخطيه حدود البشرية وحدود الخلقية وخروج إلى القيام بحقوق مرتبة الحق حيث لا أين ولا كيف ولا صور ولا حد. فإن هذا لا قدرة لأحد عليه إلا اللّه وحده. فهذا معنى ظلمه لكونه تخطى مرتبة البشرية من الخلقية فهو لا يقدر الأمر الذي تخطى، فإن الأمر الذي تخطى إليه لا غاية له ولا نهاية لكون الإحاطة مستحيلة فيه. قال سبحانه وتعالى (ولا يحيطون به علما. فهذا معنى الجهل والظلم الذي نسب إليه هو على مراتب اصطفاء الحق لعبده.

والجهل الذي نسب إليه هو نفي الإحاطة بكنه جلاله، وذلك غاية المعرفة باللّه. فإن معرفته باللّه من وراء خطوط الدارين كلها يعني دوائر الصديقية وهي أن كل معرفة للصديقين فلها دائرة تنطبق عليها. و تلك الدائرة هي حدها وغايتها لا تتخطاها. والإنسان الكامل تخطى جميع الدوائر و وصل من المعرفة باللّه إلى حيث لا إحاطة بكنه جلاله ولا حد ولا رسم ولا كيف ولا دائرة. فهو يجول في هذا البحر الذي لا حد له. ولو أن الموجودات أُمِدَّتْ من هذا البحر

وسئل رضي اللّه عنه عن معنى قوله تعالى (يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب)، فأجاب من بعض معاني الآية على طريق التأويل، أن ذلك في أفعال المختارين فيما تتعلق به أغراضهم

مما يريدون نفيه أو إثباته أو نفعه أو إضراره. كل ذلك يمحو اللّه منه ما يشاء، فلا يقع منه شيء في الوجود مما تعلقت به أغراضهم ويثبت منه ما يشاء فيظهر وجوده أو نفيه مرسوما في لوح الظهور. فهذا هو المحو والإثبات. و أما ما تعلقت به إرادته كله ثابت لا محو فيه.

ومن بعض معانيها ارتسمت المقادير الإلهية في اللوح المحفوظ. فكان منها ما محاه بعد أن أظهر رسمه لكونه متوقفا على سببه أو زوال مانع. و منها ما أثبته وأظهره في لوح الوجود لكونه نفذ به حكم مشيئته. والأول لم ينفذ به حكم المشيئة. ثم اللوح المحفوظ منقسم إلى ما هو أم الكتاب وكل ما هو فيها واقع ثابت لا يمكن تحوله وإلى ألواح المحو والإثبات من غير أم الكتاب وفيها ما كان مطابقا للمشيئة الإلهية كان ثابتا لا محو فيه. ومنها ما لم يطابق المشيئة الإلهية وإنما أظهره سبحانه وتعالى في اللوح المحفوظ موقوفا على شرط أو سبب من حيث له شرطه أو سببه، لم يقع منه شيء وهو لم يقع في حكم المشيئة.

ومن بعض معاني الآية على طريق التأويل: يمحو اللّه ما يشاء من أعمال المكلفين. فما كان حسنا أحبطه وأبطله وما كان سيئا غفره ومحاه ويثبت في هذه الأفعال فما كان منها حسنا أثبته وأثاب عليه إثابة تامة. وما كان سيئا أثبته وعاقب عليه عقوبة تامة. ففيه يمحو اللّه ما يشاء ويثبت

وسأل صاحب الإبريز شيخه رضي اللّه عنه عن هذه الآية وهي قوله تعالى(يمحو اللّه ما يشاء)الخ فقال له رضي اللّه عنه: لا أفسر لكم الآية إلا بما سمعته من النبي صلى اللّه عليه وسلم يذكره لنا في تفسيرها أمس. فقال رضي اللّه عنه: إن ما يقع في خواطر العباد مما يتعلق بالأمور الكائنة على قسمين: قسم لا يقع، و إليه الإشارة بقوله (يمحو اللّه ما يشاء) و قسم يقع، وإليه الإشارة يقوله (ويثبت) يعني أن الخواطر المتعلقة بالأمور الاستقبالية

كنزول مطر وقدوم قادم ووقوع حادث منها ما يخيب وهو المحو ومنها ما يجيب (بالجيم) وهو المثبت. وعنده تعالى أم الكتاب، وهو العلم القديم الذي لا يخيب أصلا .هكذا فسّرها النبي صلى اللّه عليه وسلم. فاعتقده واطرح ما سمعت مني غيره .انتهى

وسئل شيخنا رضي اللّه عنه عن قوله تعالى (ويحذركم اللّه نفسه). فأجاب رضي اللّه عنه: أما في بساط الشريعة يعني ويحذركم اللّه نفسه بالخوف منه وعدم الأمن من مكره في جميع عطاياه إليكم من النعم ودفع جميع المضار عنكم النقم وبسط ذلك عليكم على ممر الليالي والأيام. فاحذروا من مكره في ذلك الحال، فإنه لا يأمن من مكر اللّه إلا من حق عليه عذاب ذي الجلال.

وأما في بساط الحقيقة: (ويحذركم اللّه نفسه) يعني من البحث والإطلاع والطلب على كنه الذات، فإن ذلك غير لائق بكم لأنكم لا تطيقون ذلك الأمر، فاحذروا من حول نزول البلايا بكم بطلبكم ذلك الأمر وقفوا عند ما حد لكم من أمر الشارع صلى اللّه عليه وسلم. انتهى

وسئل رضي اللّه عنه عن قوله صلى اللّه عليه وسلم: العلماء ورثة الأنبياء. فأجاب أن علماء كل عصر من آدم عليه السلام إلى هلم جرا يكونون خلفاء على أنبياء زمانهم وعلماء أعصارنا خلفاء على نبينا صلى اللّه عليه وسلم يبلغون الأحكام إلى كافة الخلق. هذه هي الوراثة الظاهرة.

والوراثة الباطنة هي للأولياء يختصون بالأحوال والأسرار والأخلاق والمعارف والعلم باللّه بنقيطات من بحور النبيئين. وكون أولياء هذه الأمة مفترقين على مقامات النبيئين لكونه صلى اللّه عليه وسلم هو الأنموذج الجامع لحقائق جميع النبيئين والمرسلين والمحيط بجميع علومهم ومعارفهم وأسرارهم وتجليات الحق لهم. فلا يشد عنه منها شيء إذ كلها من بحره المحيط. وكل واحد من النبيئين والمرسلين أخذ منه صلى اللّه عليه وسلم نسبة

يختص بها عن غيره من الأنبياء. فما فيهم إلا نسبه، صلى اللّه عليه وسلم، وهو الممد لجميعهم.

فلما فرق الفيض على جميع النبيئين والمرسلين على حسب ما سبق في المشيئة الإلهية قسم أيضا في أولياء أمته ما كان فرقه في النبيئين والمرسلين من النسب وما يتبعها من الأسرار والعلوم والمعارف. فكما أن لكل نبي منه نسبة يختص بها عن غيره من الأنبياء كذلك لكل ولي من أمته نسبة نبي من النبيئين يختص بها عن غيره من الأولياء. وهذا معنى قولهم: فلان قدمه على قدم فلان من الأنبياء وقلبه فلان وإنما هي تحصل له نقيطات من بحر النبوءة لا أنه يحظى بكل ما عند النبوءة.

ومن هنا تعرف أن كل واحد من أكابر المجتهدين مسلوك به من حيث لا يدري شريعة رسول من الرسل، كل ما حام باجتهاده والآلات الواقعة عنده في طلب الحق لم يقع إلا على الأحكام المقررة في رسالة ذلك الرسول لتكون شريعة نبينا صلى اللّه عليه وسلم مشتملة على جميع الشرائع. و من هنا لا يحل إنكار المجتهد على المجتهد.

وسئل رضي اللّه عنه عن قوله صلى اللّه عليه وسلم: حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره من خلقه.

فأجاب معنى هذا أن الموجودات لو نظرت إلى اللّه عز وجل بلا حجاب وأدركته أبصارها لأحرقت سبحات وجهه سبحانه وتعالى جميع الموجودات التي أدركته أبصارها بلا حجاب ولرجعت في أسرع من طرفة عين إلى عدميتها الأولى. و قوله ما، صادقة على جميع الموجودات. و الضمير الأخير في أدركه، يعود على اللّه تعالى. و فاعل أدرك، هو بصره والضمير في بصره هو المفسر بقوله من خلقه. انتهى

قوله: حجابك الأعظم حجابه النور. فهما نوران حاجبان للخلق عن النظر للحق. الحجاب الأول هو الحقيقة المحمدية، فإنها هي البرزخ الأكبر بين اللّه وبين خلقه.

والحجاب الثاني رداء الكبرياء على وجهه سبحانه وتعالى. فلا سبيل إلى انخراقه.

و قول الشيخ مولاي عبد السلام بن مشيش: وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك، أراد به الحقيقة المحمدية. فإن حجابيته صلى الله عليه وسلم وضعت لتمام الإفادة لا للمنع من الإفادة. فإنه لولا الحجاب لم يقدر الخلق أن يباشروا ربهم بالإفادة منه بنفس وقوع أبصارهم على سبحات وجهه، تحترق الموجودات. فلا وجود أصلا، فضلا عن الإفادة. فإن الإفادة من وراء الوجود.

فنصب حجابا بين يدي الله عز وجل ليستفيد الخلق بسبب وجوده مادة وجودهم وإبقاء وجودهم ومادة الإفادة من الله تعالى إذ جميع الإفادة من الله مطلقا يتلقاها الحجاب الأعظم من الله لكونه قواه بقوته، ثم يفيضها هو على جميع الوجود. ولولا هو ما استفاد أحد من الله شيئا. فهذا معنى الحجابية نصبت للإفادة. يقول صلى الله عليه وسلم: إنما أنا قاسم والله معطي. يشير صلى الله عليه وسلم إلى أن الاقتطاعات الإلهية للقوابل الأصلية كانت مقسومة بحكم المشيئة الربانية، ليس لغير الله فيها مدخل.

ثم جعله سبحانه وتعالى، أعني نبيه صلى الله عليه وسلم، قائما له في توصيل تلك القسم المفصلة بحكم المشيئة التي قلنا هي للاقتطاعات الإلهية إلى أربابها وهي القوابل الأصلية. فليس يعطي صلى الله عليه وسلم لشيء من الوجود أمرا من الأمور إلا ما أعطاه الاقتطاع الإلهي.

فبان لك أن بروز العطاء من الحق جملة وتفصيلا لمن أريد له ذلك وتفصيله على أربابه وفي مرتبة حقيقته المحمدية صلى الله عليه وسلم يعطيه لأربابه بحسب النسب. فهذا معنى الحديث: إنما أنا قاسم والله معطي. الحجابية الأولى للحق حجاب الكبرياء ولا سبيل إلى انخراقه. والحجاب الثاني للحق حجاب الحقيقة المحمدية بين الله وبين الوجود. والحقيقة المحمدية

دونها حجب الأنوار، فلا مطمع لأحد أن يصل إلى الحقيقة المحمدية بتخطي حجب الأنوار التي دونها وإنما تجليات الحق كلها من وراء حجاب الكبرياء. ومن وراء حجاب الحقيقة المحمدية ومن وراء حجب الأنوار التي دونها.

وأما الوصول إلى اللّه تعالى من باب النبي صلى اللّه عليه وسلم بكونه بابا في الوصول إلى اللّه تعالى ولا مطمع لأحد في الوصول إلى اللّه تعالى ولا مطمع لأحد في الوصول إلى اللّه بدونه، فإنما معنى ذلك بمتابعة شرعه واقتفاء سبيله والتخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه مع إخلاص الوجهة في ذلك كله إلى اللّه تعالى. فبهذا المقدار يصل العبد إلى اللّه تعالى وبغير هذا المقدار، لا سبيل للوصول إلى اللّه تعالى.

فالواصل إلى اللّه تعالى إذا كان يريد أن ينزاح عنه الحجاب مطلقا ويصل إلى اللّه محضا بلا حجاب أو يتخطى الحجاب إلى ما وراءه ، فهذا أمر لا سبيل إليه ولا مطمع لأحد في دركه.انتهى

وسئل رضي اللّه عنه عن قوله تعالى (فإذا سويته ونفخت فيه من روحي) الآية فأجاب رضي اللّه عنه: أما الخلافة فقد تقدم الكلام عليها فيما قبل. وأما النفخ فالمراد به وضع الروح في الجسد ويسمى نفخا لأنه من النفس الرحماني وأضافه الحق إلى نفسه إضافة الخلق وإضافة الاختصاص بمعنى أنه مخلوق للّه مخصوص منه بعظمة العناية والمحبة والتكريم وإعلاء الرتبة على جميع ما عداه من المخلوقات . هذا وجه الإضافة إلى اللّه تعالى للروح. والمذكور هنا هو الروح الحيواني المدبر للأجسام المظهر لصورة الحياة. وهذا الروح هو المنفوخ في جسد آدم عليه السلام.

ثم طيه الروح القدسي اللاهوتي الذي استوجب الروح الآدمي به الكمال والعلو على جميع المراتب الخلقية بحيث أن لا يضاهيه شيء من المخلوقات في ذلك الكمال والعلو. ثم الروح القدسي هو منفوخ في روح آدم لا في جسده. فإن الروح الحيواني منفوخ

في الجسد وبذلك الروح استوجب الجسد الحياة والعقل وجميع ما يشتملان عليه من العلم والحس والحركة والتخيل والفكر إلى آخر ما يستوجبانه من المعاني.

وأما الروح القدسي فهو منفوخ في الروح الحيواني من آدم. فكما أن الجسم من آدم قارورة لروحه الحيواني، كذلك روحه الحيواني قارورة للروح القدسي. وبذلك الروح القدسي استوجب الروح الحيواني من آدم العلو والكمال على جميع المراتب الخلقية. وكان للروح الحيواني بسبب الروح القدسي حيا حياة أبدية لأن الروح الحيواني ما فيه إلا ما أعطي للجسم من الحياة والحس والحركة وما معها من المقتضيات واللوازم ليس في الروح الحيواني زائد على هذا.

وأما الروح القدسي فإنه أعطى للروح الحيواني كمال العلم بالحضرة الإلهية وما هي متصفة به من العظمة والكبرياء والعز والجلال والعلو والتعالي وما هي مشتملة عليه من الأسماء الحسنى والصفات العلى. وأعطاه أيضا كمال العلم بما تستحقه الحضرة الإلهية من كمال الأدب وكمال التعظيم وكمال المحبة والاعتناء وكمال الانقطاع إلى اللّه تعالى والفراغ من ملاحظة الحظوظ ومن الالتفات إليها. وأعطاه العلم أيضا بما يراد منه ولماذا خلق ومحله في كل دورة من الدورات الزمانية والحالية والقدرية وعرفه حقيقة الأدب الذي يراد منه في كل محل من ذلك.

وبسبب هذا الذي أعطاه الروح القدسي للروح الحيواني صار الروح الحيواني خليفة للّه على جميع العوالم يحكم فيها بما يريد ويتصرف فيها بما يشاء، فتستجيب له طائعة من غير استعصاء ولا يكون هذا إلا لأحدية الحق وحده.

ولما أعطى الروح الحيواني الكمال الذي ذكر أولا صيرها خليفة على جميع العوالم تحكم فيها كحكمة ويجري أمره فيها كجريان أمره. وليس هذا شيء من العوالم غير الروح الآدمي. وهذه هي

حياة الروح الحيواني بسبب نفخ الروح القدسي فيه. وهذه الحياة هي المشار إليها بقوله تعالى (أو من كان ميتا فأحييناه) الآية. فهو نفخ الروح في آدم عليه السلام.

وإنما كان الروح الحيواني حيا بهذا النفخ لأنه بدونه كسائر أرواح الحيوانات ليس فيه زيادة عليها من الكمال وغيره.

وأما الروح القدسي فهو نور عظيم الشأن يفيض من حضرة الحق يأتي حاملا لما لا غاية له من الأنوار والأسرار والعلوم. فإذا استقر في الروح الحيواني أعطاه ما ذكر أولا من الكمالات وصيره خليفة الله على خلقه كما ذكرنا. وإذا عرفت هذا وتأملته، عرفت رتبة الإنسان معلوه على جميع العوالم وعرفت الكامل منه وما لا كمال فيه وعرفت الحي والميت من الإنسان.

وأما أمر الله للملائكة بالسجود له فهو إشارة إلى إظهار علو رتب آدم على جميع العوالم وخصوصيته عند الله من بينهم بما لا غاية له من عناية الحق به ومحبته له وتعظيمه إياه وإحلاله له ما لم يعط غيره من المخلوقات شيئا من ذلك. وإلى هذا الإشارة بقوله سبحانه وتعالى (ولقد كرمنا بني آدم إلى قوله تفضيلا). والسلام.

وسئل رضي الله عنه عن قوله تعالى (وجعلنا من الماء كل شيء حي). فأجاب رضي الله عنه: يعني مراده وخلقنا من الماء كل شيء حي على حد قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء يعني من ماء النطفة. فما من دابة على وجه الأرض إلا وهي مخلوقة من ماء النطفة. وقد خلق الله بعض الحشرات من التراب بلا نطفة كما كان ابتداء خلقها قبل من غير نطفة بل من بقية طينة آدم عليه السلام ثم تناسل بالنطفة كسائر الحيوانات. هـ

وسئل رضي الله عنه عن قول بعضهم: الكشف الصحيح إذا خالف النص الصريح ماذا يقدم منهما؟ الجواب والله الموفق للصواب: اعلم أن النص الصريح والكشف الصحيح من أربابه لا يختلف لا مادة ولا نهاية. فكلهما واحد من عين واحدة لأن النص الصريح

من ذات محمد صلى اللّه عليه وسلم برز سواء كان حديثا أو قرآنا. و الكشف الصحيح لأن بابه عن فيض حقيقته المحمدية فاض وكلهما إنما كان صلى اللّه عليه وسلم فيها واسطة وهما من عند اللّه منشئا. فلذا قلنا لا يختلفان. فإن الكشف الصحيح لا يدل إلا على ما دل علي النص الصريح بتصريح أو تلويح أو تضمن. فإن المكاشف في بعض أحواله، إذا توجه مطالعا للحكم في غير المسألة التي يريدها إن رآها نورا أو ليست نورا أو أحاط بها النور، فهذا النور دل على أنها مطلوبة شرعا إما وجوبا أو ندبا.

وإن رأى المسألة ظلمة أو أحاطت بها ظلمة دل على أنها مطلوب تركها شرعا إما تحريما أو كراهة. و إن رآها في كشفه لم يقع عليها لا نور ولا ظلمة، دل على أنها مباحة لا يطلب فعلها ولا تركها لذاتها. وقد ينتقل حكم المباح إلى الوجوب أو الحريم لعارض في الوقت إذا كان يؤدي ارتكابه به إلى محرم أو كان يتوقف على تحصيل واجب أو مندوب، وإلا بقي في حيز الإباحة. وأن أفتاك المفتوح في المسألة فاستفت فيها قلبك. ولا يكون هذا إلا للعارف الكامل فقط. فإنه صاحب الكشف الصحيح لبعد نفسه عنه، فإنه حيل بينه وبين نفسه بأنوار القدس. فكل ما يتوجه له في أموره هو من اللّه تعالى لكن في أمور دينه لا في أمور دنياه هو فيها كسائر الخلق

وقد حكا الشاذلي رضي اللّه عنه قال: كنت كثير البحث عن كلام الحق حتى قال له الحق في بعض وقائعه ناهيا له عما يبحث عنه من كلام لقوم.قال له: تعريفي لك يغنيك عن علم الأولين والآخرين ما عدى النبيئين والمرسلين. انتهى

فإنه هو الأصل المرجوع إليه لا واسطة بين اللّه وبين العباد إلا النبوءة ومن رام الخروج عنها، أعني النبوءة طالبا الأخذ عن اللّه من غيرها كفر وخسر الدنيا والآخرة.

وما ذكر من أن العقل يأخذ العلم عن الله بلا واسطة، فإنه نفي الواسطة المشهودة. لا يشهد واسطة بينه وبين الحق أصلا. لكنها موجودة في نفسها غير مشهودة له، وهي الحقيقة المحمدية. فإنه لا مطمع لأحد في درك حقيقتها، فضلا عن مشاهدتها. فإنها من السر الخفي. فإنه يرى نفسه يأخذ العلم عن الله بلا واسطة، وما برز له ذلك العلم إلا من الحقيقة المحمدية من حيث لا يراها، وإن رآه من الحق، فإنه مغطى عليه بحجاب التلبيس. فهذا معنى أخذ العلم عن الله بلا واسطة.

وأما من يتوهم أن العقل أو غيره يأخذ عن الله تعالى من غير واسطة الحقيقة المحمدية مجردا عنها، فهذا لا سبيل إليه. وهذا التوهم أمر باطل، وإنما نفي الواسطة في حقه نفيا شهوديا لا نفيا وجوديا. فإنه في وقت الأخذ عن الله ينمحق الأخذ محقا كليا. فلا يبقى له شعور بنفسه فضلا عن غيره من الوجود، فيسمع ما يسمع في تلك الحضرة من الالقاءات. و ما ثم إلا الحق المتكلم والآخذ لا غير.

وقد قلنا في بعض الأجوبة أنه يتدلى للعارف سر من أسرار الحضرة القدسية يأخذه عن نفسه ويغطي عنه وجوده مع جميع الوجود ويريه ذاته عينية الحق، فيكون ناطقا بلسانه سامعا و رائيا لا ببنانه مدركا لا بجنانه، بل هو بالحق للحق في الحق عن الحق إدراكا وإحساسا وشهودا وتلقيا. ولا قدرة للعبد إذا صادمه هذا السر على الخروج عن دائرة حيطته، فإن هذا السر إذا ورد على العبد قاهر بقوة سلطانه غالب بسطوة جلاله لا قدرة لأحد أن يخرج عنه إلا إذا سرى منه. و الواسطة للحقيقة المحمدية في هذا موجودة غير مشهودة ولا معقولة ولا محسوسة.

قال الشيخ الأكبر رضي الله عنه: لولا علماء الظاهر، أو كما قال، لأتت الأولياء عن الله بما أتت به الأنبياء. معناه في غير التشريع فإن التشريع بإحداث حكم لم يكن سابقا طلبا للفعل أو طلبا للترك أو تعبدا أو إباحة أو نقض حكم سابق في الشريعة،

فتبدل بحكم آخر. فهذا لا سبيل للأولياء إليه، إذ هذا متوقف على النبوءة فقط. وما وراء ذلك فاستوت فيه النبوءة والولاية.انتهى

سئل رضي اللّه عنه عن معنى قول الشيخ الأكبر: من وحَّد فقد ألحد. معنى الإلحاد هو الخروج عن الجادة المستقيمة. فإن العارف إذا وحَّد بتوحيد العامة، فقد ألحد. و العامي إذا وحَّد بتوحيد العارف فقد ألحد، يعني كفر. و في معنى ذلك يقول صلى اللّه عليه وسلم: أمرنا معاشر الأنبياء أن نخاطب الناس عل قدر عقولهم أو كما قال صلى اللّه عليه وسلم مما هذا معناه.

وسئل شيخنا عن المحبة الكائنة بين الناس في الدنيا، هل هي تابعة لما وقع من الاجتماع والافتراق والتقابل والتدابر للأرواح حين خلقها اللّه أم لا؟

فأجاب رضي اللّه عنه بالحديث المعلوم: الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. ثم قال: ومعناه ما تعارف منها في الابتداع الثاني ائتلف في الاختراع الثاني. و ما تناكر منها في الابتداع الثاني اختلف في الاختراع الثاني. ثم قال رضي اللّه عنه: لأن لها ابتداعين واختراعين. الابتداع الأول هو كتبها في اللوح المحفوظ ، لأن اللّه كتب مقاديرها وأزمنتها وأمكنتها وكل ما أراد اللّه منها و بها و لها من بدئها إلى الاستقرار في الدارين. و الابتداع الثاني هو خلق الأرواح و إخراجها من العدم إلى الوجود. قال بعض أهل الكشف رحمه اللّه: خلق اللّه الأرواح أولا من النور المكرم مجملة. ثم ميزها قطعا وخلق من كل قطعة زوجا على عدد الأرواح.

ثم قال شيخنا رضي اللّه عنه: والاختراع الأول هو إخراج جميع الأرواح من ظهر أبينا آدم عليه الصلاة والسلام مثل الذر. قيل أنه ببطن نعمان وأخذ عليها الميثاق سبحانه و تعالى.

والاختراع الثاني هو خلق كل إنسان في وقته. ثم قال وفي الاختراع الأول دعاها النبي صلى اللّه عليه وسلم بالإيمان باللّه وبه صلى

اللّه عليه وسلم. فمن أجابه في ذلك الوقت، فهو المؤمن في عالم ظهور الأشباح. ومن لم يجب في ذلك الوقت فهو الكافر في الدنيا. و من أجاب و رجع هناك فهو كذلك في عالم ظهور الأشباح. و من لم يجب هناك أولا ثم أجاب بعد مدة فهو كذلك في هذا العالم. و ما ظهر هنا إلا ما وقع هناك شبرا بشبر.

ثم قال: ومن ثم تعرف الشيوخ الأكابر التلاميذ. فإذا جاء التلميذ للشيخ ينظر هناك، فإذا كان مريده قبله، و إن كان هناك ليس مكتوبا عند اللّه من أصحابه، لم يقبله هنا. و في الابتداع الثاني تميز المؤمن من الكافر. و في الحديث أن اللّه خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور هو المؤمن والذي لم يصبه النور هو الكافر. وهذا هو الذي أشار إليه الشيخ الأكبر في صلاته بالنور المرشوش في الأزل. قال صلاة تكحل بها بصيرتي بالنور المرشوش في الأزل.

ثم قال شيخنا رضي اللّه عنه: و لما تجلى الحق للأرواح عند أخذ العهد منها تطايرت من الهيبة و الجلال. فكل من وصل إلى موضع من الأرض في ذلك الوقت استقر فيه حين خلقه اللّه في الاختراع الثاني. فواحد يسكن موضعا و واحد موضعين أو أكثر بحسب ذلك التطاير. و كذلك المحبة وقعت عند هذا التطاير بحسب المقابلة والمدابرة. انتهى كلامه بمعناه لا بلفظه.

وسئل رضي اللّه عنه عن عدد الأنفاس، فقال هي أربعة وعشرون ألفا. نصفها داخل ونصفها خارج. و أما الخواطر فعددها سبعون ألف خاطر تخطر كل يوم على القلب حتما، لا يتخلف منها واحد، لأن القلب مثل البيت المعمور. كما أنها كل يوم تدخلها سبعون ألف ملك، وإذا خرجت لم تعد لها أبدا. كذلك القلب كل يوم يدخله سبعون ألف خاطر و جميعها مقسومة على أربعة أقسام بالنسبة إلى القلب المحجوب.

فقسم منها يلبسه الشيطان عند دخوله للقلب ويلقي له من وساوسه. و قسم تلبسه النفس

وقسم لا يدخل معه الملك و قسم لا يدخل معه شيء. و لذلك قسموا الخواطر على أربعة أقسام: شيطاني ونفساني وملكي ورباني. وبيانها أن الشيطاني لا يأمر إلا بالمخالفة و لا يثبت في أمر واحد، بل ينتقل من أمر إلى أمر، و كيده ضعيف كما قال تعالى (إن كيد الشيطان كان ضعيفا).

و أما النفساني فلا يأمر إلا بالانهماك في الشهوات سواء كانت مباحة أم محرمة وانتقالها عما أمرت به أو ألفته صعب لا يزول إلا بالمجاهدة. و أما الملكي فلا يأمر إلا بالخير من فعل أو قول. و أما الرباني، فلا يأمرإلا بالتعلق بالله والزهد فيما سواه.

فهذا هو الفرق بينها لمن أراد معرفتها ليميزها. و لا يميزها إلا أهل المحاسبة. وأما الغافلون لا دراية لهم بها.

وأما القلب المجرد، وهو قلب العارف، فخواطره كلها قسم واحد. فلا تأتي إلا بخير ولا تأمر إلا به لطهارة البيت التي ترد عليه و بُعدَه من النفس والشيطان. و أما القلب الذي بينهما، أي بين المحجوب والمفتوح عليه، فترد عليه بحسب حاله أيضا.

لطيفة

وسألت الشيخ رضي الله عنه عن الفرق بين سماع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لكلام الله تعالى و معنى كلام الصوفية و محادثهم و ما معنى المكالمة عندهم؟

فقال رضي الله عنهم: معنى مكالمة الصوفية أن الله تبارك و تعالى، إذا رحم عبدا من عباده بسماع كلامه، فإنه يزيل عنه الحجاب ويخطفه عن حسه حتى يغيب عن كل شيء وتغيب عنه حتى ذاته ولا يدري أين هو في ذلك الحال. ثم يسمعه الله من كلامه ما قسم له من غير حرف ولا صوت. ثم يرده للحجاب. يرجع إلى

حسه و حاله الأول. ثم يسمع أيضا كلاما في عوالمه اللطيفة التي هي مراتب الروح من السر والخفا والإخفا وسر السر. فيغيب أيضا مثل الأولى حتى لا يشعر بشيء من الكون حتى ذاته. ثم يرده إلى حسه ويصحى عن غيبته، فيجد عنده كلاما في سره و يعلم جميع ما شاهده. فعند ذلك يعبر عنه بما أراد. فهذه هي مكالمة الأولياء.

وأما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فإنهم لكمالهم في غاية العقل والصحو والثبات.

وفي معنى هذا هذه الأبيات. يقول العارف باللّه تعالى سيدي أبو العباس ابن العريف:

بدا لك سر طال عنك اكتتامه و لاح صباح كنت أنت ظلامه

فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليك ختامه

إذا غبتَ عنه حل فيه و طنبت على موكب الكشف المصون خيامه

و جاء حديث لا يمل سماعه شهي إلينا نشره و نظامه

إذا ألفته النفس صاب نعيمها و زال عن القلب المُعَنَّى غرامه

ثم قال: سيدنا رضي اللّه عنه: من فُتح عليه في هذا الأمر العظيم و النعيم الجسيم لا يقدر أن يسمع كلام الخلق إلا إذا اعتزل ثلاثة أيام يذكر اللّه تعالى. فحينئذ يقدر على سماع كلامهم. وإن لم يفعل ما ذكر، فإنه مهما سمع كلامهم يتقيأ لقبحه بالنسبة للذة ما سمع من كلام الحق. و سماع كلام اللّه لمن سمعه لا بأذن فقط، بل بجميع أجزاء ذاته كلها حتى تصير كل ذرة من ذاته تتلذذ مثل جميع ذاته بكمالها. رزقنا اللّه ما رزق أحباءه و أصفياءه آمين.

وسألت سيدنا رضي اللّه عنه عن الفرق بين العلوم والأسرار والفتوحات والمواهب والفيوض والحقائق والرقائق والدقائق والتجليات والمكاشفات والمعارف والحضرات والمقامات والمنازل والأنوار والواردات والأحوال.

فأجاب رضي اللّه عنه: تبيين حقائق هذه الأمور: الفتح ما بزغ من الغيب عن زوال حجاب بعد احتجابه. فهو شامل لجميع الحقائق المذكورة من العلوم وغيرها كما كان محجوبا عنه وانفتح له فيه. فهو فتح. و أيضا فإن الفتح عبارة عن زوال الحجاب

وما بزغ بعده من حقائق المعاني المذكورة يسمى فيضا لأنه فاض بعد حبسه. وأيضا فإن الفيض شامل للعلوم والأسرار والحقائق والمعارف والأنوار.

وأما السر منه ما يقذفه اللّه في قلب العبد من الفهوم. و منها ما يعرف العبد بما يريده اللّه في تصاريف الأكوان. لماذا وجد هذا الكون جوهرا أو عرضا وما يراد منه وما ينشاء عنه ومن أي حضرة هو. و من الأسرار فيوض الحكم و دقائقها. و من الأسرار ما يزيح العبد عن كليته ويخرجه عن دائرة حسه و يغرقه في بحر حضرة الألوهية بحيث أن لا شعور له فيما عداها من نفسه وغيرها، فيسمع هناك ويشهد ما لا طاقة للعقول بفهم مباديه فضلا عن درك غايته. وبذلك السر الذي أغرقه يدرك مباديه وغايته مشهودا وسمعا وإدراكا وذوقا.

وهذا من أعز الأسرار التي تفاض على العبد. و من الأسرار ما لا يمكن تصوره ولا توهمه فضلاعن أن تصل إليه العبارة وتحيط به دائرة الإشارة لعزة سطوته وجلاله وما ينطوي عليه من فوائده وكماله ولا حد للأسرار ولا يعرفها إلا من ذاقها وفيه كفاية.

والمعرفة ارتفاع الحجب عن غيوب حقائق الصفات والأسماء. فإن المعرفة مع الفتح متلازمان متغايران. فإن حقيقة الفتح هو ارتفاع الحجب الحائلة بين العبد وبين مطالعة حقائق الصفات والأسماء ومحق صور الأكوان من علم العبد وحسه وإدراكه

وفهمه وتعقله حتى لا يبقى للغير والغيرية وجود إلا وجود الحق بالحق للحق في الحق عن الحق. فإذا وقع هذا برزت المعرفة العيانية بالضرورة وفاض على العبد بحر اليقين الكلي لكن مع الصحو والبقاء. و أما ما كان قبل هذا من مشاهدة غيوب الأكوان وظهورها للعبد فإنه يسمى كشفا ولا يسمى فتحا ولا معرفة.

وأما الوارد فهو عبارة عن بروز ما يأتي من عند الله تعالى من حضرة الحق إلى العبد بصورة قهرية أو بصورة جمالية، وهو يشمل جميع العلوم والمعارف والأسرار والأحوال واليقين والأنوار.

وأما الحال فهو عبارة عن أمر يرد من حضرة الحق بصورة قهرية أو جمالية يكيف العبد بصورة ما هو منطبق عليه. و مثاله في الرجل الذي ضرب مائة سوط ماسة لجلده، فما تحرك و لا أنّ ولا تغير له وجه. فلما أطلق وضرب سوطا واحدا صاح. فكان في الأول ورد عليه حال مشاهدة الحق منطبق على كمال المحبة في ذات الحق و كمال التعظيم والإجلال لها، فسرى في كليته ذلك فأزال إحساسه بالألم لما غلب عليه من التلذذ بالشهود. فما أحس بثقل الضرب ولا ألمه. فلما طوى عليه بساط الحال وحجب عن الشهود ضرب سوطا واحدا فصاح من فقد ذلك الحال.

وأما الأنوار فحقيقتها معلومة وهو الضياء.

وأما الرقائق والدقائق واللطائف فهي عبارة عما يغمض من حقائق العلوم والمعارف والأسرار. و أما الحضرات والمنازل والمشاهدات والمواقف فقد تقدمت الإشارة إليها في مواضع من الكتاب. انتهى

قال المؤلف رضي الله عنه قال سيدنا و وسيلتنا إلى الله العارف القطب الرباني أبو العباس مولانا أحمد بن سيدينا محمد التجاني رضي الله عنهم: العلم الرياضي يحتاج إلى أمور. أولها معرفة تعديل المزاج، ثم معرفة غاية القصد، ثم معرفة كيفية السعي إليه، ثم معرفة الحجاب القاطع عنه، ثم معرفة كيفية زواله ليصل غاية القصد، ثم معرفة أصول الحجاب التي منها مواده، ثم الجد

في قطع تلك الأصول، ثم معرفة الأمور التي بها زوال الحجاب أما كلية أو تفصيلة، ثم سل سيف العزم و ركوب جواد المجاهدة بمتابعة ما عرف من هذه الأمور و العمل على مقتضاها.

أما معرفة تعديل المزاج فهو لزوم طريق الاعتدال في الأكل والشرب من غير إفراط ولا تفريط. ثم النظر في البلد والوقت حرارة وبرودة ورطوبة ويبوسة وكذلك السن. ثم مقابلة كل ما يقوم عن الانحراف.

وأما غاية القصد فهو رفع الحجاب عن الروح الرباني ورده إلى حالة الصفاء التي كان عليها قبل التركيب في الجسد. فإن هذا هو الذي يكون به إدراك سائر العلوم والمعارف والأحوال والأخلاق والمقامات والفتوحات والمواهب والقرب الحقيقي وبه إدراك سعادة الدنيا والآخرة. و من فقده لم يصل إلى سعادة الآخرة.

وأما معرفة كيفية السعي إليه فهو متابعة الرسول صلى اللّه عليه وسلم في سائر قوله وفعله وحاله وخلقه وبإقامة حقوق اللّه عز و جل سرا وإعلانا مخلصا للّه من جميع الشوائب الدنيوية و الأخروية، و أن يكون ذلك كله تعظيما و إجلالا للّه على بساط الرضا والتسليم والتفويض والاعتماد عليه تعالى في كل شيء و الرجوع إليه في كل شيء.

وأما معرفة الحجاب القاطع عن المطلوب فهو غرق الروح في بحر الحظوظ والشهوات وتعظيم نفسها والسعي في جلب مصالحها ودفع مضارها. و أما معرفة كيفية زوال هذا الحجاب فهو السعي في قطع الحظوظ والشهوات وترك تعظيم النفس وقطع السعي في جلب مصالحها وقطع مضاربها بالزهد فيها بالكلية لكن برفق ولطف.

أما معرفة أصول الحجاب فهي: كثرة الأكل والشرب وملاقاة الخلق وكثرة الكلام وكثرة المنام ودوام الغفلة عن ذكر اللّه. و أما الجد في قطع تلك الأصول فهي الجوع والعطش بالرفق ودوام الانقطاع عن ملاقاة الخلق ودوام الصمت مطلقا إلا فيما قلّ من

ضروراته و دوام السهر بالرفق مداومة ذكر الله بالقلب واللسان وقطع الفكر في المحسوسات. وأما معرفة الأمور التي بها نزول الحجاب كلية أو تفصيلية فهو دوام ذكر الله بالقلب واللسان دائما بأي ذكر كان. ثم أن الأذكار التي بها زوال الحجاب منها كليات وهي التي تقطع كل حجاب عن الروح من أي أمر كان ومنها تفصيليات لا تقطع إلا حجابا من نوع واحد.

أما الكليات فهي لا إله إلا الله أو الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أو سبحان الله أو الحمد لله أو الله أكبر أو بسم الله الرحمن الرحيم أو الله الله الله أو الله لا إله إلا هو الحي القيوم. وأم التفصيليات فهي سائر الأسماء الحسنى إذ كل اسم يذهب بجزء من الحجاب ولا يتعدى للجزء الآخر. والله الموفق. انتهى كلام سيدنا رضي الله عنه. وأما قوله سل سيف العزم وركوب جواد المجاهدة فلم يتكلم عليها لوضوحها.

قال المؤلف رضي الله عنه قوله سبحان الله ملء الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضى وزنة العرش. قال سيدنا رضي الله عنه معناه أسبح الله تسبيحا يملأ الميزان إما حسنات وإما نورا وإما تسبيحا.

وقوله: منتهى العلم معناه أسبح الله تسبيحا يبلغ عدده عدد معلومات علم الله. وينتهي بنهايتها. كما لا نهاية لمعلومات علم الله كذلك لا نهاية لهذا التسبيح.

وقوله مبلغ الرضى أي أسبح تسبيحا يبلغ مبلغه رضى الله تعالى هي الآثار الناشئة عن الرضى من المنح والمواهب والعطايا والنعم إلى غير ذلك من هذه الوجوه.

قال الشيخ رضي الله عنه أسبح الله تسبيحا يبلغ قدره أو عدده مثل كل ما أحاط به علم الله ونفذت به مشيئته مما يهبه لجميع خلقه من جميع وجوه النعم والمنن والعطايا والمنح والتحف والمواهب من الأزل إلى الأبد.

ورضى الله معنيان: المعنى الأول الوصف القائم بذاته الذي ليس فيه تغير بغضب أو رضى أو محبة أو بغض. فليست الأ صفة كاملة

تامة لا يطرأ عليها تغير ولا نقص ولا زيادة. و ذلك المعنى هو وصف قائم بذاته. فذلك لا قدر له ولا غاية ولا نهاية وهي صفة من الصفات الواجبة لذاته. و المعنى الثاني هي الآثار الصادرة عن الرضى من النعم والتحف والعطايا والمنح وصرف المكاره والمضار وتكميل وجوه النعيم والآمال.

والمعنى المستعاذ به في الحديث بقوله صلى اللّه عليه وسلم: أعوذ برضاك من سخطك هو المعنى الأول الذي هو وصف قائم بذاته لا المعنى الثاني، لأن المعنى الثاني حادث من جملة الحوادث ولا يستعاذ بحادث بما يستعاذ بالوصف القديم، و هو صفة الذات.

وقوله: و زنة العرش، أسبح اللّه تسبيحا يبلغ وزنه العرش إذا وزن.

فائدة

قال سيدنا رضي اللّه عنه: شرك الأغراض هو أحد أقسام الستة و المراد به عند أهل الشريعة هو عمل أعمال البر لغير اللّه، بل لأجل نيل محمدة من الخلق أو تحصيل غرض من قبلهم أو دفع مضرة أو اتقاء مذمة أو العمل لأجل نيل القصور والحور في الجنة أو خلوه عن امتثال أمره.

وأما إذا نوى بعبادته وعمله وجه اللّه تعالى أو امتثال أمره وأداء حق ربوبيته والتقرب إليه وعبادته لأجله لا لشيء غيرها ورجى مع ذلك من فضل اللّه عز وجل ما يهيأ له في الجنة من الحور والقصور أو غيرها لا لأجل عبادته بل بمحض الفضل والكرم والتصديق يوعد اللّه عز وجل، فذلك لا حرج فيه ولا قادح في إخلاصه.

وإنما يذهب إخلاصه إذا عمل لأجل بنيلها خاليا عن أراده وجه اللّه عز وجل عن عبادته لأجله. فهذا هو الذي يقال له عابد هواه وعمله محبَط بغير خلاف، بل عليه الإثم زائد على الإحباط.

وأن من عبد اللّه لأجله أو لإرادة وجهه أو ابتغاء مرضاته أو امتثال أمره أو توفية أمره بعبادته أو أداء لحق العبودية أو قياما بحق الربوبية أو تعظيما له وإجلالا أو محبة له أو حياء منه أن يراه تخلف عن أمره أو شوقا إليه أو شكرا لنعمه، فهو مخلص حقا ولا يخالطه رياء حيث تجرد عن الأغراض التي تقدمت.

وأن من عبد اللّه عز وجل بجميع أنواع الإخلاص فهو المخلص الكامل. ثم إن قارنه الرجاء لفضل اللّه عز وجل ورجاء الحور والقصور ونعيم الجنة بمحض الفضل وأعتقد أن اللّه عز وجل يهبه عندها، لا بها، فلا قادح في إخلاصه عند أهل الشريعة.

وأما عند العارفين فذلك من شرك الأغراض. والإخلاص عندهم تجريد العبادة لوجه اللّه عز وجل وعبادته لأجله وإسقاط الرجا من غيره أنفة منهم أن يلتفتوا إلى الأكوان بقلوبهم لحظة أو يعولوا عليها لمحة أو يحبون منها شيئا مع المحبوب الأكبر، وهو اللّه عز وجل على أنهم يحبون ما أحب اللّه لأجله سبحانه ولا يحبون غير اللّه عز وجل لشهوة أو غرض أو قضاء وطر. ومن ها هنا يفترقون مع أهل الشريعة في محبة الجنة والفرار من النار

فأما أهل الشريعة فإنهم يحبون الجنة لقضاء شهواتهم فيها ويفرون من النار لم يجدون من الألم فيها. فهم مع الأكوان لذاتها طلبا وهربا. وأما العارفون فالأكوان كلها عندهم على حد سواء، ليس فيها تخصيص لذاتها إلا ما خصصه محبوبهم سبحانه وتعالى. فهم يفرون من النار ويسألون النجاة منها لا لذاتها ولا لوجود ألمها، بل لكونها دار أعداء اللّه. فهم يكرهون أن يجتمعوا مع الأعداء لحظة فضلا عن الاستقرار. و أيضا لكون أهلها محجوبين النظر إلى اللّه عز وجل، والنظر إليه من أعظم مطالبهم. وأيضا لامتثال الأمر لأن اللّه تعالى أمرهم بالتوقي منها وطلب النجاة منها فقال عز وجل: (قوا أنفسكم و أهليكم نارا) الآية وقال: (فقنا عذاب النار). فهم يكرهون النار لامتثال أمره لا لذاتها أو ألمها.

وأنهم يحبون الجنة لا لذاتها ولا لقضاء شهواتهم ونيل أغراضهم، بل يحبونها لأنها دار أولياء الله تعالى ومستقرهم وأيضا لأنها دار فيها يكون النظر إلى الله تعالى وأيضا فإن الله تعالى يحبها بحكم شرعه حيث اختارها للأولياء. فهم يحبونها بمحبته تعالى. فإن المحب الصادق يحب محبوبه ومن أحب محبوبه و ما آل إلى محبوبه. وذلك من ضرورات المحبة الصادقة. وأيضا هم ممتثلون لأمره سبحانه لأمرهم إياهم بطلبها ويحبون حورها و جواريها وولدانها لأنهم يحبون الله ويحبهم وأن من أحب الله يحب ما أحب الله ويحب ما أحبه الله. فهم في محبتها والفرار من النار لله وبالله لا لأنفسهم ولا بأنفسهم بخلاف الأولين، فإنهم لأنفسهم بأنفسهم فيما أحبوا أو ما هربوا منه لكن بعد تخليص العبادة لله عز وجل يحبون من الأكوان ما لم ينهوا عن محبته. والكل لم يخرجوا عن دائرة الشرع وليس يلحقون بالعارفين، لأن محبة أهل الشريعة من أكبر الذنوب عند العارفين كما قيل:حسنات الأبرار سيئات المقربين.

لأن العارفين مستهلكون في عين الجمع،غرقى في بحار التوحيد، غائبون عن الأكوان بشهود الملك الحق، لا ينظرون إلى غيره لحظة إلا من أجله كما تقدم. فهم مع الأكوان بأبدانهم نائبون عنها بأرواحهم وأسرارهم وقلوبهم وعقولهم. ليس لهم في غيره إرادة، و ليس فيهم ما يسع خردله أو أقل لغيره. فإن أسرارهم مختطفة عن غيره مقيدة عنده في حضرته عاكفة على شهوده لا علم لها بغيره. و أرواحهم تابعة لأسرارهم لا تقدر عن التخلف عنها. فهي طائرة في بيداء الحياة قد اشتد شوقها إلى محبوبها لا ينقطع شوقها أبدا.

و قلوبهم تابعة لأرواحهم لا تقدر عن التخلف عنها. فهي ترتعد من هيبته وجلالته مطرقة من الحياء والدهشة من عظمته وكبريائه. و عقولهم تابعة لقلوبهم وأرواحهم لا تقدر عن التخلف. فهي متفكرة في عجائب صنعته شاهدة لأسرار

حكمته في خلقه لشدة معرفتها. و نفوسهم وأبدانهم تابعة لعقولهم قهرا لا تقدر عن التخلف عنها. فنفوسهم مقهورة عن هواها تحت سلطان عتبه وأبدانهم دائبة أبدا في خدمته قد استرق المحبوب منهم البعض والكل لا تتخلف منهم ذرة عن مراده جل وعلا. ولذلك كانوا للّه باللّه مع اللّه.جعلنا اللّه منهم بفضله وأنالنا ما أنالهم بمنه، بجاه سيدنا محمد صلى اللّه عليه سلم.

وأما ما جاء من الأذكار والعبادات لسعة الرزق ودفع الضرر وهلاك الظالم ودفع الفقر وقضاء الحوائج إلى غير ذلك مما كان من ذلك من جلب رزق ودفع فقر وقضاء حاجة مطلوبا لذاته بذلك الذكر أو العبادة، فهو شرك الأغراض وهو حرام بإجماع. وإن كان ذلك المطلوب ليعين على عبادة اللّه عز وجل، فلا يخلوا من أمرين أيضا: إما أن يكون قصده في ذلك الذكر الخاص أو العبادة الخاصة مجرد غرضه من سعة الرزق وغيره عن قصد وجه اللّه عز وجل بالذكر والعبادة، فذلك من شرك الأغراض أيضا وهو حرام.

وإن قصد بالذكر والعبادة وجه اللّه عز وجل ورجا مع ذلك قضاء غرضه ليستعين به على عبادة ربه وليدعو عقب عبادته بقضاء حاجته، فهو جائز ولا حرج فيه، لكن بعد اعتقاد أن اللّه هو الفاعل باختياره، لا بذلك الذكر، بل عنده لا به، و طلب بالذكر وجه اللّه عز وجل وأن الأذكار والعبادات لا تأثير لها وخواصها من الثواب هنا وهناك وأن اللّه عز وجل هو الفاعل عندها بمحض اختياره، لا بعلة. فهذا وجه صحته، وهذا كله تكتنفه الأدلة النقلية واللّه الموفق.

والحاصل من هذا كله أن من عبد اللّه عز وجل لوجهه لم يخرج عن دائرة الشرع دون غيره إلا أنهم مختلفون. فبعضهم الحامل على عبادة اللّه تعالى وجهه، أعني الذي قواهم وأنهضهم إليها رجاء اللّه تعالى واتقاء عقابه. وهؤلاء هم أهل الشريعة. وبعضهم

حملهم على عبادة اللّه تعالى ونهوضهم إليها معرفته لجلاله وكبرياءه وعظمته، فعبدوه على الحب والشوق إليها أداء لحق ربوبيته ، لا لغرض وهم العارفون. و سوى هذين هالك لا عبادة له فضلا عن الثواب .

تنبيه

اعلم رحمك اللّه أن الأكوان عند العارفين بالنسبة إلى اللّه عز وجل بالنظر إلى ذاتها على حد السواء، لا تفضيل لها من ذاتها ولا تشريف ولا تفاوت إلا من حيث فضلها خالقها. فالعارفون قطعوا أنظرهم عن الأكوان من حيث ذاتها لم يعرجوا عليها بوجه ولا حال ولا يحبون شيئا منها لذاتها كائنة ما كانت. وكل ما سوى اللّه عز وجل فهو منها ولا يحبون منها، و لا يحبون منها إلا ما أحب اللّه. فهم بحبه يحبون. و ما شرفوه، فإنما هو تشريف اللّه عز وجل، وما عظّمه عظموه، وما حقره حقروه وما وضعه وضعوه وما مدحه مدحوه وما ذمه ذموه وما أبغضه أبغضوه.

فهم مع اللّه للّه باللّه لا لأنفسهم ولا بأنفسهم ولا مع أنفسهم. فقد فنيت إرادتهم واختيارهم تحت اختياره وفنا نظرهم تحت نظره. فهم يحبون الأنبياء والملائكة والأولياء لأجل اللّه عز وجل ويكرهون لأجله ويطلبون الجنة لأجله لا لغرض غيره. وإلى هذا المعنى الإشارة بقول الشيخ العارف مولانا عبد السلام بن مشيش رضي اللّه عنه حيث سأله الشاذلي رضي اللّه عنه عن ورد المحققين ما هو فقال: إسقاط الهوى ومحبة المولى.

والمعنى أنهم في الأشياء بمراد اللّه عز وجل ومحبته وعبادته لأجله والقيام بحقوق ربوبيته بعزل أغراضهم ومفارقة شهواتهم و مباينة حظوظهم، لم يقضوا فيها لأنفسهم وطرا، وإنما قاموا في الأشياء بمراد اللّه عز وجل لا لشيء سواه كيفما دارت أحوالهم في العمل والإرادات. كل ذلك للّه باللّه مع اللّه بالغيبة عن

النفس وشهواتها وقضاء وطرها. وكلما وجد في ذلك لهم غرض فروا منه وتركوه.

هذا مذهبهم بخلاف غيرهم، فإنهم لم يخرجوا عن دائرة الحظوظ. والحامل على الحظوظ هو الطمع. والطمع كله كاذب و اتباع الطمع هو عين الهلاك. والذي قادهم إلى الطمع هو الوهم والوهم خيال كاذب كسراب بقيعة. والطمع في مذهب العارفين حرام، بل الطمع هو خراب الدين. وملاك الدين الورع، والعارفون نظروا في الأشياء سوى اللّه فوجدوها لا نفع لها من نفسها ولا تنفع غيرها و وجدوها لا تملك ضرا ولا نفعا في ذاتها، فقطعوا النظر عنها وأسقطوها من أذهانهم تعويلا و إرادة ومحبة واعتمادا و خطورا.

فلما تورعوا عنها رجعوا بكليتهم إلى خالقها فانجمعت همومهم بالتعلق به ثم نظروا الأشياء، فإذا هي في قبضته. ثم فكروا فيها فوجدوا أمرها على أقسمين: قسم قدره لهم أو عليهم نفعا أو ضرا، فلا بد من لحوقه وإن كان لما علموا من نفوذ مشيئته جل و علا. و رأوا أن الالتفات لما قدره لهم نفعا أو ضرا من أكبر الطمع، فتركوا الطمع وتورعوا عنه. وإنما كان طمعا لأن الاشتغال به هو تحصيل الحاصل والاشتغال بتحصيل الحاصل هذيان، و اتباع الهذيان غرور، والغرور من فروع الطمع، فتركوه ورعا.

وشيء لم يقدره لهم، فلا سبيل لنيله و لحوقه نفعا أو ضرا. فلو وقعت الحيل كلها على تحصيل شيء لم يقدره جل وعلا لم تحصل منه ذرة ولا أقل و رأوا أن التعويل على ما لم يقدر نفعا أو ضرا هو من أكبر الطمع والطمع حرام، فتورعوا عن الطمع كله وغضوا أبصارهم على المقدورات بكل جهتيها سواء كانت لاحقة أو غير لاحقة وأوقعوا نظرهم إلى اللّه تعالى بقطع العلاقات والأهوية. فلحقهم ما هو مقدور لهم دون إرادة، بل بالرضى والتسليم والتفويض للّه عز وجل. ولم يلحقهم ما لم يقدر لهم،

فهم منه مستريحون ونفوسهم طيبة بتركه. فهم زاهدون فيما قدر و ما لم يقدر. هذا مذهبهم أنالنا الله ذلك بفضله.

فهم في رحمة الله عز وجل وراحة الأبد هنا وهناك. ولهذا قيل من عرف الله على الحقيقة لم يلحقه هم. بل يجدون للأضرار لذة كلذة المنافع لما علموا أنها من اختياره جل وعلا. فهم يحبون الأضرار ويتلذذون بها لأجل محبوبهم جل وعلا لكونها من اختياره. فهم يفرحون بالجميع ضرا أو نفعا، لأنهم مقبلون على الأشياء كلها بالله لله مع الله من أجل اختيار الله عز وجل لها. ولذلك لا تجد عندهم ألما في الأضرار الفادحة التي لا تطيقها قوة البشرية لما شغلتهم عنها من الفرح به جل وعلا، والكل عندهم منة نعمة كيف ما كانت ضرا أو نفعا أو وصلا أو إبعادا لما قدمنا من فناء إرادتهم وحظوظهم تحت اختياره ومحبته.

وإلى هذا الإشارة فيما يقال عن الله عز وجل كأنه يقول على ألسن هواتف الحقائق: يا عبدي تريد وأريد، فاترك ما تريد وكن لي مع ما أريد أبلغك ما تريد وأنعمك فيما أريد. وإن لم تترك ما تريد لما أريد أتعبتك فيما تريد وعذبتك بما أريد بالبين عما تريد ولا يقع إلا ما أريد أو كما قيل عنه جلا وعلا.

وقد علمت أن الفرح بالنعم على ثلاثة أقسام: فرح بها لكونها قضاء للوطر والشهوات. وصاحب هذا الفرح مثل البهيمة سواء. فرح بها لكونها فيها قضاء الوطر والشهوات ولكونها منة منه لاختياره لها جل وعلا. فهذا متوسط بين الدناءة والشرف.

و فرح بها من أجله جل وعلا، وأنها من اختياره منه لا لكونها فيها قضاء الوطر والشهوات، فهذا هو غاية الشرف والرفعة لصاحب هذا الفرح.

وكذلك في ضر النعم في الكراهة لها كهذا سواء. وبهذا يفترق الأمر في محبة الجنة وما فيها وكراهة النار. فالأول مذموم قطعا والثاني مذموم وممدوح والثالث ممدوح مشرف قطعا لأنه لم يفرح بالجنة للذاتها وشهواتها، بل لأنها من حسن اختيار جل

وعلا، وأنها من أعظم مننه وأنها دار جواره ومحبته. فهم يحبونها ويفرحون بها من أجله لما تقدم من عزل شهواتهم وحظوظهم لمراد اللّه عز وجل واختياره. أنالنا اللّه ذلك من فضله وكرمه بجاه سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم.

والحاصل أنه لا يكمل القيام باللّه مع اللّه من أجل اللّه عز وجل حتى يتورع صاحبه عن جميع المقدورات ويقطع الطمع من اللّه أن يعطيه غير ما قدر له أو يمنعه ما قدر له. و لا يصل إلى اللّه عز وجل حتى لا يبقى لها غرض في شيء من الأكوان كما قيل: حرام عليك الاتصال بالمحبوب ويبقي لك في العالمين مصحوب، وهو نكتة الباب.

قد قيل في هذا: ما طلعت شمس ولا غربت على الخلق إلا وهم جهال باللّه تعالى إلا من يوثر اللّه على نفسه وهواه وآخرته ودنياه. فانظر في هذا تجد له غرضا في الأكوان. وهذه هي الحرية الخالصة من شوائب رؤية الأكوان. ومن تحقق بهذا المقام يكون الدعاء في حقه لمحض العبودية فقط، لا تطلعا إلى تحصيل شيء، لأنه إن تطلع بدعائه إلى تحصيل ما قدر له أو دفع ما هو مدفوع عنه، فهو عبث لا فائدة له ويلزمه تأديب قلبه عن هذا التطلع للعبث. وأن التطلع لذلك، فهو طمع ومضادة لأحكام الربوبية، وكلاهما في مذهب العارفين حرام. فيلزمه تأديب قلبه أيضا عن هذه الخسائس.

فلم يبق إلا التعلق باللّه عز وجل عبودية له لا لأجل تحصيل شيء منه بالتعلق به لئلا يدخله ما تقدم من الطمع والعبث وشرك الأغراض ويلزمه حينئذ الوقوف مع اللّه عز وجل على حدود الأدب بالرضا عن اللّه عز وجل في كل شيء. والرضا بأحكامه في كل شيء والتفويض له في كل حال والتسليم له في كل شيء والاستسلام له على كل حال وإقامة النفس له على ما يريد.

وتفسير الرضا عن الله عز وجل هو ترك السخط عنه فيما يجريه عليك من الأضرار، بل يتلقى حكمه بالفرح والسرور، وإن كان هلاكه فيه لصدق محبته، ولا يتمنى زوال شيء مما فعله به من الضرر حتى يكون هو الذي يرفعه جل وعلا.

وتفسير الرضا بأحكامه ومقاديره هو نفي السخط لما حكم به عليك أو غيرك فتسوى عندك المضار والمنافع.

ولن تصل إلى تحقيق هذا المقام إلا بكمال زهدك فيك كذا وكمال رغبتك فيه لأجله، لا لشيء يعود عليك منه فيغيب عنك رؤية الضر والنفع ويسقط عنك التمييز بينهما من ذاتهما حبا وبغضا إلا أن يكون الحب والبغض من أجله سبحانه، فليكن ذلك لله بالله مع الله.

وتفسير التفويض هو ترك التدبير في جلب نفع أو دفع ضر ولو بالتمني فضلا عن السعي فيه لما علم من سبق تقديره سبحانه وتعالى. فلا محيص عما قدر حصوله نفعا أو ضرا ولا سبيل لما قدر نفيه نفعا أو ضرا، فلم يبق إلا ترك التدبير وهو التفويض.

وتفسير التسليم لله عز وجل هو ترك منازعة المقادير تمنيا أو سعيا جلبا أو دفعا وقوعا أو جلبا لما سبق أيضا من تقديره عز وجل واختياره في سابق أزله لما قدر وقوعه أو عدمه. والمنازعة كلها حرام عند العارفين لأنها إما عبث أو طمع كما تقدم فلم يبق إلا التسليم هو ترك المنازعة عبودية لا تطلعا إلى شيء جلبا أو دفعا، فيدخل شرك الأغراض والطمع والعبث.

وتفسير الاستسلام له جل وعلا هو إسقاط الحول والقوة منك حتى تكون كالميت بين يدي غاسله يقلبه كيف يشاء دون اختيار ولا إرادة ولا حول ولا قوة لأنك في الحقيقة لا حول لك ولا قوة، وإنما ذلك من دعاوي النفس الكاذبة ومن شأنها الانقياد للوهم، فلم يبق لا ترك الدعوى وتأديب النفس عن الانقياد والوهم وردها إلى محض العبودية الخالصة لله عز وجل ولم يبق إلا الاعتماد على الله عز وجل.

وتفسير الاعتماد عليه جل وعلا هو هدوء القلب سكونا من الاضطراب بقيوميته جلا وعلا وسابق تدبيره واختياره وتبريا من الطمع والعبث كما تقدم. و كل هذه مقامات متجاذبة بعضها ببعض، ولن يقدر على استيفائها كمالا إلا العارفون. فكلما سكنت إلى شيء دون اللّه عز وجل كائنا ما كان فقد اعتمدت عليه. ومعنى السكون لشيء هو هدوء القلب والاستيثار بوجود ما سكن إليه والاضطراب والوحشة والحزن عند فقد المسكون إليه. ومن كان على هذا الحال مع غير اللّه تعالى وكل من سكن إليه وهلاكه محقق لا محالة ولا مطمع له في درك الفلاح الكامل.

ومن كان سكونه إلى اللّه عز وجل وأنسه به دون شيء سواه وكله اللّه عز وجل إلى تدبير ألوهيته واختياره وتولاه بالعناية الأزلية ومنح له ما لا نهاية له من الأحوال العلية والمقامات السنية والأخلاق الزكية، ولا تسأل عما يجده هناك من الفرح واللذات والشرف والرفعة، ولا يعلم غايته إلا الذي تفضل به. و لم يحظ بهذه المقامات إلا العارفون لانخلاعهم إلى اللّه عز وجل من جميع ملابس الأكوان وتطهيرهم من النظر إليها لحظة أو أكثر وأقل.

فرجعوا إلى اللّه عز وجل بأسرار مختطفة عما سواه مغمورة بشهوده غائبة عن وجود سوى اللّه عز وجل، مقيدة عنده في حضرته، جالسة على بساط تفريده بأرواح مطهرة من علائق الأجسام الظلمانية، متعالية عما يثبطها عن الطيران في رياض الجبروت، منزهة عما يقدح في حبها وكمال شوقها إليه جل وعلا دائما وبعقول مطهرة من دنس الهوى دائبة السير والفكر والنظر في مصنوعاته جل وعز، ملتقطة أسرار حكمته في خلقه بعقول قد كمل تعلقها به بقطع العلاقات والتطهير من الإرادات والانخلاع عن المألوفات وغض البصر عن جميع الموجودات و وقوفها على حدود الأدب بين يدي خالق الأرض والسماوات بنفوس زاكية مطمئنة عن جميع الاضطرابات طاهرة مطهرة منخلعة عن الهوى

والشهوات وبأجساد مستغرقة البعض والكل لا تتخلف منها ولا ذرة عن خدمة خالق الموجودات.

واعلم أن الذي حجب الخلق عن الله تعالى هو سكونهم إلى غيره، ولولا ذلك لرأوه كلهم ببصائرهم عيانا ولكن بعضهم في الحجاب أشد من بعض والكل في الانحجاب عنه على حد سواء لاستحالة المسافة والأمكنة والجهات عنه جل وعلا، وإنما ذلك بنسبة ما حجب العبد عن شهوده سبحانه. فطائفة حجبهم حب الدنيا والانكباب عليها وهذا أعظم الحجب. و طائفة حجبهم عن الله عز وجل شهواتهم وأغراضهم وهواهم ونفوسهم، وهذا أدنى الأول. و طائفة حجبتهم الآخرة وأنواع نعيمها وحورها وقصورها وأليم عذابها والخوف من دركات جهنم. و طائفة حجبهم عن الله عز وجل سكونهم إلى العلوم والمعارف والأسرار والأنوار والأحوال والمقامات لكونها هي مقصودهم من الله تعالى وطلبهم منه، فهم يسكنون لوجودها ويضطربون لفقدانها.

والعارفون خرقوا هذه الحجب كلها وجلسوا مع الله عز وجل على بساط شهوده والتبري من رؤية الأحوال والمقامات وإرادتها لأنها من جملة الأكوان التي خرجوا عنها، وإنما كان الأولون أعظم ممن بعدهم في الحجاب لأنهم حجبوا بالحجاب الأول بعد الثاني وأهل الحجاب الثاني خرقوا الحجاب الأول بالزهد فقطع عليهم الطريق دواعي النفس والهوى فحجبوا. وأهل الحجاب الثالث خرقوا الحجابين فقطع عليهم الطريق لذة النعيم الدائم، فحجبوا. وأهل الحجاب الرابع خرقوا الثلاثة وقطع عليهم إرادة الرفعة والمنزلة بحصول المقامات، إلا أن الثلاثة الأولين حجبوا بالظلمات والآخرين حجبوا عن الله عز وجل بالأنوار، وكلها مستوية حيث لم ينظروا إلى الله تعالى. ومن خرق الحجب كلها نظر إليه تعالى بعين البصيرة.

وأما تفسير إقامة النفس لله عز وجل على ما يريد فهو القيام بمراده عبودية لأجله وابتغاء وجهه بإسقاط الرجاء منه على العبادة

فقط لأنه يقطع رجاءه منه قنوطا من غيره فإن ذلك عين الكفر المنهى عنه، وإنما يسقط الرجاء على العبادة لتخليص عبادته عن شرك الأغراض ويرجوا من ربه بمحض الفضل والكرم.

والرجاء هو حسن الظن باللّه تعالى لما هو عليه من محامد الصفات العظيمة. وأما الرجاء لنيل شيء من الدنيا أو من الآخرة فهو مطمع عند العارفين وكله حرام لما علم من سبق تقديره وقسمته في الأزل ما لم يقدر كما لا خوف من فوت ما قدر حصوله. فأي شيء الرجاء بعد هذا وما هو إلا حسن الظن به تعالى بقطع الطمع منه في نيل ما لم يقدر وقطع اتهامه في فوت ما قدر. فلم يبق إلا تخليص العبودية له جل وعلا على ما يريد بحكم شرعه بمفارقة الحظوظ وقطع الاختيار معه ومباينة الإرادات مع إرادته جل وعلا. وليكن معه كالميت بين يدي غاسله يقلبه كيف يشاء، فلا يرى لنفسه حولا ولا قوة ويبقى مستسلما للأحكام تجري عليه من غير كراهة لشيء منها فإن صبت عليه جميع الأضرار التي جرت على الخلق ما تألمت منه شعرة لما تحقق من قيومية محبوبه.

وهذا من الأحوال التي هي محض المواهب الإلهية ليس الكسب إليها سببا ولن يستكمله من فيه أدنى من الالتفات لنفسه أو سوى اللّه عز وجل. أنالنا اللّه ذلك بفضله آمين ، بجاه سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم.

والواجب في حق السالك أن يمسي ويصبح ويظل ويبيت وليس له مراد إلا شيئان:

الأول هو اللّه عز وجل اختيارا له من جميع الموجودات والاستغناء به عنها وآنفة من لحظها لمحة وغيرة أن يختار سواه. وليكن اللّه عز وجل هو مبدأ مراده ومنتهاه وأول مراده وآخره ومفتحه وختمه ومستغرقا لقصر مراده عنه فيما بين ذلك كله حتى لا تبقى

لمحة يريد فيها غيره لأن إرادة الغير إما طمع أو عبث كما تقدم.

الثاني من مرادات السالك أن يكون كله للّه عز وجل خالصا من رقية غيره كمال التعلق به تعلقا سرا وروحا وعقلا ونفسا وقالبا حتى لا تكون منه ذرة مختلفة عن اللّه تعالى واقفا مع مراده عز وجل منسلخا عن جميع الإرادات والاختيارات والتدبيرات والحظوظ والشهوات والأغراض واقفا في ذلك كله للّه باللّه مع اللّه لا شيء منه لنفسه ولا مع نفسه.

وليكن ذلك عبودية للّه عز وجل من أجله وإرادة لوجهه وأداء لحق ربوبيته لا ليعود عليه منه شيء. و لا يختر على اللّه عز وجل أن يكمل له مراده بل لتخلص عبوديته لربه عز وجل لا قنوطا من خيره لئلا يكفر ويحسن ظنه به لما هو عليه من كمال الصفات المحمودة.انتهى.

بـــــاب

قال المؤلف رحمه اللّه. مسألة

تكلم سيدنا رضي اللّه عنه عن الحكم الشرعي فقال: حقيقة الحكم الشرعي هو خطاب اللّه تعالى المتعلق بأفعال المكلفين... الخ: فإما في نصوص الكتب الإلهية فظاهر التي هي عين قول اللّه بذاته مثل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان... الخ.

وإما ما أمرت به الرسل خارجا عن الكتب، فالأمر فيه مشكل وزوال أشكاله أن اللّه تعالى يقول في كتابه: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللّه). وقوله (من يطع الرسول فقد أطاع اللّه). وقوله (وأن تطيعوه تهتدوا) وقوله (ومن يشاقق الرسول إلى أن قال ونصليه جهنم). فهذه الآيات مصرحة بأن أمر الرسول هو عين قول اللّه تعالى أمر بطاعة الرسول في كل ما أمر به ونهى عنه كما في الآية الأخرى (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا).

ثم إنشاء الرسول للحكم الذي ليس هو في الكتاب المبعوث به هو أمر إلهي لا يشك فيه أنه من عند اللّه وأخذه الحكم من عند اللّه بأحد أمور: إما من طريق النسب وهو أمر قطعي. . وإما من طريق الإسرار و هو أمر قطعي أيضا. وإما من طريق الإلهام و هو أمر قطعي أيضا. وأما من طريق الوحي بورود الملك عليه بأمر اللّه مجردا عن قول اللّه الذي شابه الأمر وهو قطعي.

فأما النسب فهو أمر معلوم للرسل عليهم الصلاة والسلام في الحضرة الإلهية. فإن الحضرة الإلهية كلها متناسبة على قانون لا تنافره الحكمة. فلا يأتي في الوجود من طريق الحكمة أن تلد الآدمية حمارا أو جملا ولا عكسه لعدم التناسب. فإن الاقتطاع الإلهي، وإن كان أمرا سابقا، فإنه يتوقف على وجود شيء ولا عدمه لأنه اقتطاع بحكم المشيئة وهي لا تتوقف على شيء لكنه جعل له في عالم الحكمة نسبا حكما الاقتطاع الإلهي في قابلية طبيعته لا غير.

فإن الزرع مثلا لا يصح زراعته على الحجر الصلد الصمائم يتخذ لها زرعا كاملا ويخرج كما هو في التراب الطيب، فلا يتأتى لعدم النسبة القابلية. ولا يأتي مثلا خروج الزرع بعد بدره في أرض لا تراب طيب وقذف ماء أو ندى فيه ثم تنمية الرياح والشمس له إلى أن يصير زرعا كاملا. و بدون هذه الأمور لا يخرج زرعا كاملا لعدم المناسبة بفقد القابلية الطبيعية وهكذا.

وأما طريق الأسرار فهو عالم ثابت للرسل عليهم الصلاة والسلام مهما أمرهم اللّه بأمر أو نهاهم بنهي أطلعهم على سر ذلك نفعا أو ضرا وهذا معقول لهم معلوم من الأمر الإلهي. فإذا علم الرسول هذا فالأمر أي أمره لم يأت فيه قول اللّه تعالى و وجد السر الذي عاينه في أمر اللّه تعالى في أمر آخر أمر به أو نهى عنه للسر الذي أعلمه. فهذا هو الحكم من طريق الأسرار.

وأما طريق الإلهام فهو إما بتلقي أو بالإلقاء. أما التلقي فهو توجه الرسول عليه الصلاة والسلام بكلية باطنه إلى حضرة الحق في طلب العلم كشفا فيجاب في الحين أو الحكم فيه كيت وكيت أمر أو نهيا وهو قطعي.

وأما بالإلقاء، وهو أمر يتوجه في الحق إلى سر الرسول عليه الصلاة والسلام، على بعثة من الرسول وعلى غير توجه منه الطلب السؤال عن الحكم فهو الإلقاء.

وكلا الأمرين عليهما إلقاء وتلقي إلا أنهما يفترقان فيما يتوجه فيه الرسول إلى الحضرة وما جاء على غير توجه.

وأما الإلقاء فلا يذكر ولا يعلمه إلا أربابه.

وأما الوحي فهو ما يأتي فيه الملك بأمر اللّه مخبرا بأمره أمرا أو نهيا للرسول عليه الصلاة والسلام، لكن ورود الملك بالأمر مجردا عن قول اللّه المسموع من ذاته معناه أن الملك لم يأت بقول اللّه في ذلك الأمر وإنما بالأمر مجردا عن قول اللّه المسموع من ذاته. وذلك الأمر في حقيقته لم ينشأ إلا عن قول اللّه المسموع من ذاته وذلك الأمر في حقيقته لم ينشأ إلا عن قول اللّه تعالى. انتهى

وخطاب اللّه على قسمين: خطاب في علم الحكمة وخطاب في علم المشيئة، وكلا الخطابين صحيح ثابت يجب اعتقاده والإيمان به.

فخطابه في عالم الحكمة قوله سبحانه وتعالى (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) أي لا وجب عليهم عبادتي فإن وجوبها أثبتهم وإن خالفوا استحقوا العقوبة منى

-والخطاب في علم المشيئة قوله سبحانه وتعالى ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم.

ومن الخطاب في عالم الحكمة قوله (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللّه) والخطاب في المشيئة قوله (ولو أنزلنا إليهم الملائكة وكلهم موتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء اللّه.

ففي الآية الأولى قوله (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن اللّه) أثبت الإيمان مملوكا للعباد وفي الآية جردهم على الإيمان وأنه لا يكون إلا لمشيئته. انتهى).

قال المؤلف رضي اللّه عنه: مسألة

سئل سيدنا رضي اللّه عنه عن مسائل: منها حكم اللّه في مال الأعراب المحاربين الناهبين أموال بعضهم بعضا وما حكم المعاملة معهم وما الحكم في صدقاتهم وعطيتهم ومشارطة الطلبة عندهم للقراءة. فقال رضي اللّه عنه:

الجواب واللّه الموفق للصواب أن إجماع الأمة انعقد على أنه لا يحل مال امرئ مسلم إلا عن طيب نفس. و كل ما أخذ عن غير طيب نفس فحرام، إلا ما يأخذه بصورة شرعية كأخذ الزكاة من مانعها وكأخذ حقوق المظلومين من مانعها وما يتبع ذلك من الحقوق اللازمة شرعا وهي كشرب مفصلة في كتب الفروع. فلا نطيل بذكرها فإن أخذ ذلك من صاحبه من غير طيب نفس حلال لتعلق الحق الشرعي به لقوله صلى اللّه عليه وسلم: أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا اللّه، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على اللّه.

وأما غير هذا فإن أخذ مال المسلم من غير طيب نفس حرام بالإجماع يشهد قوله صلى اللّه عليه وسلم في حجة الوداع : أن اللّه حرم عليكم دمائكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا.اللهم هل بلغت؟ فقالوا اللهم نعم. والحديث وقضيته مشهورة في كتب الحديث، فلا نطيل بذكره.

وقال سبحانه وتعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم).

فالمرجع في الحكم إلى هذه النصوص القطيعة والوقوف عند حدودها فرض لازم على كل مسلم. فإذا عرف هذا فما مضت عليه عادة الأعراب والظلمة من اقتحامهم أخذ مال المسلمين بغير صورة شرعية. فكل ما بأيديهم حرام لا يحل لمسلم معاملتهم بوجه من وجوه العوض ولا قبول هداياهم وعطياتهم كل ذلك حرام فهذا حده في الأصل

ثم كان البلد غلب عليها جميع ذلك ولا يوجد غيره بأيديهم لوجه من وجوه المخالطة فكل ذلك حرام. ومن تعلل ممن ينتسب إلى الفقه أو إلى الإسلام فأخذ ذلك مستحلا له معتذرا بعدوم وجود غيره فلا عذر له في الشرع ويسجل عليه في الشرع بأنه مقتحم ما حرم اللّه ظلما، ولا يحل سكناه بتلك البلد ولا بقاؤه بينهم والهجرة عليه من ذلك المكان واجبة بتواتر نصوص الشرع.

وما كان مخلطا عندهم بوجوه التجارة في ذلك والحرام وإتلاف عينه واشتراء بدله عينا أخرى أو بوجوه الحراثة والصناعة أو ضم مال حلال بصورة شرعية إليه فالأصل المعول عليه أن ذلك حرام بجميع ما اختلط. فمن قدر على ذلك تمسك بهذا الأصل وجرى عليه.

ثم أن تنزل الأمر إلى عموم ذلك في الأرض واختلاط ذلك بصورة حلال وصورة حرام بأيدي كاسبه، كما هو صورة الوقت، على المؤمن في إقامة طلب الحلال أن يجتنب ما علمت صورة الغصب والمحرم. وما جهل من ذلك وكان الأصل الاختلاط بصورة حلال وصورة حرام كما ذكرنا أولا وعم الفساد في الأرض كما هو صورة الوقت رجع إلى أصل الحلال الثالث، وهو أن الحلال ما جهل أصله

فإن صورة الحلال كان في عهده صلى اللّه عليه وسلم ما عرف أصله وأصل أصله.

ثم لما انقضت مدة الخلافة ورجعت ملكا عضوضا رجع الحلال ما عرف أصل فقط. ثم زاد الفساد وطما بحره و صار الحلال ما جهل أصله وهي المرتبة الثالثة في الحلال.

وعلى هذا الحد وهذا المنوال يجري الحكم في معاملة هذه الطوائف بوجوه العوض وقبول عطياتهم فلا يتجنب منها إلا ما عرف صورة الحرام فيه مثل الشيء المغصوب والمأخوذ في ثمن الخمر والمأخوذ في صورة النسيئة وهي كثيرة يقاس ما لم يذكر منها على ما ذكر.

وأما ما جهلت صورته، فإن علم من صاحبه أنه لم يكن عنده إلا الحرام، ولم يخلطه بصورة أخرى كالحراثة والتجارة وإبدال عين بعين أخرى، فكل ما بيده حرام لا تحل معاملته ولا قبول عطياته. وما اختلط بهذه الصور من تجارة وحراثة وصناعة وإبدال عين بعين أخرى وإضافة حلال له لم يحرم ما في يديه إلا ما له عين قائمة في التحريم، وما جهل أصله فحلال.

وقولنا في هذا المحل حلال، فإنما هو حلال عرضي لا أصلي لعدم وجود غيره بكثرة الفساد وعمومه في الأرض واحتياج العبد إلى القوت، فيكون حلالا بما أعطاه حكم الوقت والضرورة. فقد قال سبحانه وتعالى (وما جعل عليكم في الدين من حرج).

وكذا قال القطب الكامل والوارث الواصل والقدوة الشامل سهل بن عبد الله التستري رضي الله عنه: لو كانت الدنيا عبيطة من دم لكان قوت المؤمن منها حلالا لأن الله تعالى فرض العبادة على العبد وأباح له أن يأكل مما في الأرض حلالا طيبا كما هو نص الآية. فإذا تتبع في الأرض وجوه الحلال وعمت البلية في الأرض كان اقتحامه للحلال للأعلى فالأعلى.

إما أن يكون مما عرف أصله وأصل أصله كمعاملة الحربين بأخذ الإجارة منهم على الخدمة والاشتراء مما بأيديهم. فإن ما بأيديهم كله حلال لا معارضة فيه. فمن وجد السبيل إلى هذا وأمكنه، فلا يحل له معاملة المسلمين بوجه من الوجوه ولا يعامل إلا الكفار الحربيين لتمحض الحلال بأيديهم، ولو أخذوا مال المسلمين. فكله حلال ومعاملتهم حلال في غير الخيانة والأخذ بالإيمان الكاذبة والغدر، فإن ذلك حرام.

ثم إن لم يجد هذا فينزل إلى ما عرف أصله كمن وجد كنزا من المال بصورة الجاهلية في أرض غير مملوكة وكذلك المعدن على هذه الصورة والصيد وغيره. و دون هذا في المراتب ما جهل أصله وعرف اختلاطه بأيدي كاسيه وله مراتب مفصلة في كتب الفروع. وآخر مراتب الحلال إذا عمت البلية في الأرض ولم يجد

المؤمن منها لقوته إلا الصورة المحرمة والجاه إلى ذلك حل له أخذ قوته فقط كا قتيات الجائع من الميتة ولحم الخنزير فقط.

وأما الزكاة في المحرم بصورة الغصب وشبهه فلا زكاة فيه لأن الزكاة فيما يتعلق ملك الشخص به، ولا ملكية في الغصب وشبهه. وأما ما اختلط وذهبت عينه بعين أخرى وخلط بالحراثة والتجارة والصناعة فيزكى كله.

وأما أخذ الزكاة من مانعها لمستحقها بصورة السرقة والخيانة والغصب، فكله حرام فلم يعرف مخالف من أهل الأصول ولا يحل ذلك إلا السلطان فقط لا ما عداه ولا يقول بإباحتها إلا من لا دين له ولا أمانة. ثم مشارطة الطلبة فهي داخلة في تفصيل المعاملة السابقة.

قال المؤلف رضي اللّه عنه:

مسألة

ورد على سيدنا رضي اللّه عنه سؤال نصه: سادتنا العلماء جوابكم فيمن حصد زرعه وجمعه وبقي إلى آخر رمضان وشرع في الدراس من غير ضرورة تلحق الزرع وأكل رمضان. هل يجوز له ذلك الأكل أو يبقى حتى تمضي الأيام الباقية من الصيام نحو الستة أيام فقط ويشرع في الدراس والحالة أن رب الزرع المذكور لم يكن معينا في الخدمة وهو ملى يقدر أن يؤاجر على درس زرعه من ماله. أجيبوا لنا ولكم الأجر والثواب.

قال سيدنا رضي اللّه عنه : الجواب واللّه الموفق للصواب

إن وجوب رمضان بعينه لازم لكل مكلف معلق في رقبته لا ينحط عنه ولا يباح فطره إلا لناقل أصلي كالعلة التي ذكرها اللّه عز وجل من المرض والسفر فقط.

أما السفر فمعلوم عند المسلمين من جوازه ومسافة القصر المشترطة فيه وغيرهما من الشروط. و أما المرض فيختلف باختلاف الأبدان، ولا نطيل بتفصيله هنا إذ ليس مقصودا. فإن كانت

العلة هي إضاعة المال المنهي عنها، فلينظر إن كان إذا تركها حتى يكمل صوم رمضان لم يفسد. فلا يباح له فعلها المؤدى لإفطاره. فإن فعلها وأفطر فعليه القضاء والكفارة. وإن كان إذا تركها تفسد وتهلك، فيباح له الفطر لأجل خدمته لكن إن لم يقدر على الخدمة وهو صائم، فإن كانت له قدرة فلا يباح له الفطر. هذا عام في كل فعل.

وأما مسألة الزرع التي ذكرها: أما الدراس فلا يباح الفطرله لأنه لا يفسد ولو بقي أكثر من شهر كما هو معلوم عند العام والخاص، فضلا عن الأيام القليلة التي ذكرتم. فمن أفطر بفعله فعليه القضاء والكفارة وهو عاص منتهك لحرمة الشهر التي لا تباح إلا بوجود العلة التي ذكرها الشارع وهي إضاعة المال وهي منفية هنا.

وأما الحصاد فلينظر صاحب الزرع إن كان إذا تركه لا يخاف هلاكه بسقوطه لشدة يبسه أو بأمر آخر متحقق وقوعه، فيتركه ويتمادى على صومه. فإن حصده مع هذا وأداه إلى الإفطار فعليه القضاء والكفارة. وإن كان يخاف عليه مما ذكرنا فيجوز له الفطر لأجل خدمته له.

وأما قولكم يقدر أن يؤاجر عليه هذا إذا كان الأجير كافرا. وأما إن كان مسلما فحكمه ورب الزرع سواء. فلا يباح له الفطر لأجل خدمته إلا إذا لم يجد ما يسد به رمقه في ذلك الوقت إذا ترك الخدمة وصار حكمه ممن تحل له الميتة. فنعد هذا يباح له الفطر بخدمته. وإن لم يصل إلى هذه الحالة التي ذكرنا وأفطر لخدمته، فعليه القضاء والكفارة وهو عاص أيضا ولا أظنه يصل إلى هذه الحالة التي ذكرنا إلا في وقت الجوع الشديد، ولا جوع اليوم في قطرنا والحمد للّه. فهذا هو الطريق الذي يجب سلوكه والصراط الذي قال سبحانه فاتبعوه.

وأما ما يوجد من الفتاوي بالقياسات التي لا أصل لها صحيح فهي بنية الطريق التي عبّر عنها بقوله (ولا تتبعوا السبل). الآية هـ

قال المؤلف رضي اللّه عنه: وبعد فقد وردت أسئلة على سيدنا وقدوتنا ووسيلتنا إلى اللّه تعالى أبي العباس أحمد التجاني رضي اللّه عنه. سأله سيدنا وحبيبنا سيدي محمد بن العربي رضي اللّه عنهما فأجابه رضي اللّه عنه على طبق منواله بأجوبة فيها غاية البيان بحيث لم يترك فيها من إيضاح المعاني الرائقة ذرات الأفنان للواقف عليها من أهل العلم والعرفان من وضوح العبارات وجلب الاستدلالات وضرب المثل وتصحيح العلل ونصه رضي اللّه عنه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله

كتاب أسئلة تعرض على علماء الإسلام ممن لهم النظر التام والاستبصار الكامل العام في فهم معاني نصوص الكتاب ومعرفة مقاصدها ليجيبوا عن هذه الأسئلة

السؤال الأول:

امرأة تحت حكم زوجها بلزوم عصمته الشرعية عليها في بلد لا حاكم بها يأخذ من الظالم الإنصاف ويعين المظلوم بالنصر والإسعاف لكون البلد هملا من الحكام ويصعب الوقوف فيها على تحقيق شريعة الأحكام ثم ذهبت من دار زوجها لدار أهلها بغير إذن زوجها، فلما ذهب يردها امتنعت منه بكل وجه وقالت: لا أرجع إليك أبدا إلا أن تلتزم لي في ذمتك أنك إن تزوجت علي فأنا منك طالق، فأبين بكل ما يلزمك من صداقي وإلا فلا أرجع إليك أبدا، والحال أنها لم يكن منها ذلك عن ضرر نالها ولا لضيق منه أوجب ذلك لها إلا قصد أن تمنعه من نكاح غيرها. ولم يكن ذلك حين العقد إنما كان بعد الدخول بكثير. فالتزم الزوج ذلك كله وأنعم لها به.

فهل الالتزام للزوج المذكورة لازم له بحكم الشرع أم باطل؟

السؤال الثاني في خروج المرأة من دار زوجها بغير إذنه خروجا تمتنع فيه بدار أبيها مظهرة للنشوز من زوجها، والحال إنها لم يلحقها ضرر قليل ولا كثير يوجب ذلك النشوز لها. وحلف الزوج بعدها

لا مشى إليها ولا طلقها حتى تأتي إلى داره وحدها أو مع أبيها أو أمها وإلا تركها معلقة وهو يتزوج هو و يتركهاكها.

السؤال الثالث إذا كانت هذه المرأة التي وقعت السؤالات عنها حاملا من زوجها المذكور و فرت بحمالها إلى دار أبيها ناشزا من زوجها ثم ولدت هذا الحمل وامتنعت من إرضاع الولد. هل عليها إرضاعه أم لا؟

السؤال الرابع: لم نكتبه هنا بل وحده لقلة الكلام فيه وبيان بطلانه لكل من له أدنى فهم.

الجواب الأول عن السؤال الأول والله الموفق للصواب.

إن هذا الالتزام الواقع من الزوج المذكور لهذه المرأة المذكورة على هذه الصفات من البلد والوقت كله باطل لا يلزم الزوج منه طلاق ولا تحمل ولا غير ذلك. وبيان ذلك أن الزوج المذكور مكره على التحمل لما نحمله لأن عصمته وطاعته على زوجته ثابتة بحكم الشرع، فليس لها أن تمتنع حتى تأخذ منه شيئا أو تحجره عن نكاح غيرها إذ لا حق لها في ذلك. فهي ظالمة له. وحيث تحمل هو ذلك بحكم الإكراه لا يلزمه شيء لأن حقه ثابت في رقبتها ولا تملك منه انفكاكا.

وحيث امتنعت منه بغير موجب شرعي ولم يقدر على فراقها لشدة حاجته إليها ولا حاكم يقهرها على ردها إليه، فالتزامه لها ما طلبت منه كرها لا يلزمه منه شيء وهو بمنزلة من غصب مالا من شخص بلا شبهة ولا حق. فلما طلب المغصوب منه من الغاصب رد ماله قال له: لا أرد إليك مالك إلا أن تعطيني كذا وكذا مالا أو غير ذلك. فأعطا للغاصب ما طلب منه، طلبا لرد ماله. فلما أعطاه الغاصب ماله طلب المغصوب منه من الغاصب أن يرد له ما أعطاه على رد المال، فامتنع الغاصب من رد ما أخذ عل رد المال محتجا أنه أعطاه باختياره، فلا رد له. وحكم الشرع أن يرد الغاصب ما أخذه من المغصوب منه على رد المال الأول لأن

المغصوب منه أعطى ما أعطى على رد ماله. وحيث قدر على الانتصاف من الغاصب فله أخذ جميع ما أعطاه.

ومسألة هذه المرأة التي ذكرناها مثل مسألة الغاصب سواء لأن كل من أوجب عليه الشرع حقا لغيره فأداؤه إلى صاحبه لازم شرعا فإن حبس ذلك الحق حتى أخذ عليه شيئا فأخذه حرام والدافع مكره لا اختيار له فيما دفع.

وأمر الإكراه اجتمعت علماء الأمة على رفعه وعدم لزوم حكم الإكراه ولو بلغ ما بلغ. قال علي بن أطالب رضي اللّه عنه: إنما هلك من هلك ممن كان قبلكم لحبسهم الحق حتى يشترى وعدم رفعهم الباطل حتى يفتدى. وصح عنه صلى اللّه عليه وسلم قال: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه. وثبت عنه صلى اللّه عليه وسلم أنه قال: لا طلاق في إغلاق والإغلاق في اللغة هو الإكراه. ومعناه لا طلاق في إكراه. وثبت عن مالك رضي اللّه عنه إمام مذهبنا انه استفتاه أمير المدينة في طلاق المكره على الطلاق هل يلزم؟ فأفتاه الإمام بعدم لزوم طلاق المكره. و كان قصد الأمير من الإمام أن يصحح له طلاق المكره، فحينئذ أخذ الإمام وعمل به صورة الذل من تعرية رأسه وأكتافه والجلاد يطوف به المدينة وينادي عليه: هذا جزاء من يعصي الأمراء ويضرب ويقول هذا جزاء من يعصي الأمراء. فيقول مالك رضي اللّه عنه وهو في ذلك الحال: أيها الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس. ألا أن طلاق المكره ليس بشيء. فيتمادى الجلاد في جلده ولا يقلع هو عن ذلك القول.

وإذا عرفت هذا، فاعرف أن ما التزمه الزوج المذكور لزوجته المذكورة باطل لا يلزمه منه شيء لما أوضحنا من بيان إكراهه وإجماع الأمة على رفع حكم الإكراه لما تقرر في ذلك من الأحاديث. نعم لو كان بالبلد حاكم منصف للحقوق قادر على تنفيذ الأحكام قاهر للعامة والسوقة بخوف سطوة الانتقام

والتزم الزوج المذكور للزوجة المذكورة ما التزمه مما ذكر ولم يرفع أمره إلى حاكم للزم الزوج ما التزمه لأنه حينئذ ملتزم وباختياره لكونه يقدر على رفع ذلك الظلم، فرفع أمره إلى الحاكم.

وأما إن كان ما التزمه الزوج المذكور للزوجة المذكورة بعد هربها عنه لضرر لحقها منه، فالحكم أن الالتزام من الزوج المذكور إن كان عن ظلم صدر منه لزوجته، والحال أن ذلك الضرر يوجب تطليقها منه بحكم الشرع بالتزامه لها ما التزمه لازم له لأن عصمته حينئذ منحطة عنها لكونها لها إبقاؤها ولها حطها لتقرير الحق لها بوقوع الظلم الموجب لتطليقها. وإن كان ذلك من الزوج لا يوجب تطليق الحاكم بها لخفته حيث يجب عليه رفعه والأدب معه. وحينئذ طلبت من الزوج ما طلبت من التزام طلاقها إن تزوج عليها، فالتزامه باطل وهو إكراه لكون حق عصمته باقيا في رقبتها. ولا حق لها فيما زاد على رفع الظلم أصلا، وهو بمنزلة تشخيص ظلم كل منهما الآخر من وجه لم يظلمه منه الآخر. والحكم أن كلا منهما يؤمر بزوال ظلمه فقط بلا زائد.

وفي هذه الواقعة الزوج ظالم بالظلم الخفيف يؤمر برفعه، والمرأة ظالمة بإلزامه الطلاق وهو لا يلزمه تؤمر برفع ما ألزمته. وقد شاعت هذه القولة عند أهل المذهب وهي:

ومالك ليس له بملزم في مكره بالحنث أو بالقسم

فالرجل المذكور أولا تعين حقه في رقبة المرأة المذكورة بحكم الشرع ولا يقدر على الوصول لحقه لفقد الحاكم. ولا يقدر على ترك حقه في رقبة المرأة المذكورة لشدة حاجته إليها، فألزمته المرأة المذكورة إما فراقها وبينونتها عن عصمته ولا يقدر عليه أو يلتزم لها بينونة الطلاق إن تزوج عليها. والتزم لها بينونة طلاقها إن تزوج عليها كرها وطلبا لوصول غرضه إلى ما

أراد منها حيث أوجبه الشرع عليها بدون تعليق. فلما لم يقدر عليها ولا منصف ينصفه منها التزم قهرا لوصوله إلى حقه منها. فهو مكره من غير شك عند من عرف صور الإكراهات الشرعية .انتهىَ الجواب الأول.

ثم الجواب عن السؤال الثاني واللّه الموفق للصواب. أجمعت الأمة كلها على وجوب طاعة الزوجة لزوجها في كل ما يأمرها به وينهاها عنه وفي كل ما يطلبه منها اللهم إلا أن يكون ذلك في معصية اللّه أو في أمر يشق عليها ركوبه، فلا طاعة للزوج في ذلك عليها.

أما المعصية دليلها قوله صلى اللّه عليه وسلم: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأما ما يشق عليها بقوله سبحانه (وعاشروهن بالمعروف). وقوله تعالى (فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان).

وتكليف الزوجة ما يشق عليها خارج عن المعاشرة بالمعروف إذ ذاك ظلم يوجب تطليق الحاكم أن تكرر منه. و يلزم أدبه و زجره إن لم يتكرر. و أما فيما عدى المعصية والأمر الشاق عليها، فطاعته عليها واجبة بكل وجه وبكل اعتبار لأن طاعة الزوجة لزوجها هو مقتضى الحكمة الإلهية. وبيان ذلك أن مطلق الحكمة الإلهية هو عمارة الدارين الجنة والنار من بني آدم، وذلك يستدعي التناسل بين الذكر والأنثى والتناسل بين الذكر والأنثى يستدعي عقد النكاح الشرعي لا اختيار فيه لكل منهما بعد انبرامه. والتناكح الذي هو شرط في النسل يستدعي حسن المعاشرة بين الذكر والأنثى إبقاء عليها من كون كل منهما يسعى في توفية غرض الآخر. فمتى تنافرت أغراض الذكر والأنثى وقعت المعاداة والفراق وبطل مقصود الحكمة الإلهية وهو النسل.

فالزوج لا يستقر مع الزوجة إلا بامتثال أمره. فمتى لم تمتثل أمره وقع التنافر والفراق. والمرأة لا تستقر مع الزوج إلا بمعاشرتها

بالمعروف. فمتى لم يكن وقع التنافر والفراق. فظهر من هذا أن مقصود الحكم الإلهية هي وجوب طاعة الزوجة لزوجها يدل على ذلك قوله سبحانه وتعالى (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم). و هذه صورة الحكم والتحكيم للمحكم والحاكم. ويلزم طاعة الحاكم المحكم في كل ما أمر. فالله حكم الرجال على النساء وللرجال الحكم على النساء بأمر الله. وعلى النساء فرض طاعة من حكمه الله فيهن سبحانه وتعالى في صورة هذا الحكم (والتي تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا). ولا يكون الضرب في المضروب إلا للحاكم المحكم فيه التي تلزم للمحكوم عليه طاعة الحاكم عليه.

وإذا تقرر هذا فطاعة الزوجة لزوجها مما اجتمعت الأمة عليه. ومن جملة طاعته لزومها بيته. فلا تخرج إلا بإذنه. فإن خرجت بغير إذنه فهي عاصية خارجة عن أمر الله يلزمها التوبة والأدب على ما فعلت. وتوبتها رجوعها لزوجها ولطاعته وعدم عودتها. فإن لم ترجع ولم تتب، فقد باءت بغضب الله في الحال والمئال، بل هي مرتبكة لأعظم الكبائر ويجب على من دخلت داره من أب أو قريب قهرها وطردها وعدم تركها حتى ساعة وإلا باء بغضب الله مثلها.

وأمرها في هذا مثل أمر القاتل عمدا. قال صلى الله عليه وسلم: من قتل مؤمنا عمدا فأيدي المؤمنين كلهم عليهم. فمن آواه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. فكذلك أمر الزوجة إذا هربت من زوجها بلا ضرر فلا يحل لمؤمن يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يتركها في بيته لأنها حينئذ مشاقة لله ولرسوله. قال سبحانه (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم). قال صلى الله عليه وسلم:

إذا رأى قوم الظالم ولم يأخذوا على يديه يوشك أن يعمهم اللّه بعذابه.

فظهر بما قررنا أن المرأة المذكورة يجب عليها بحكم الشروع الرجوع إلى بيت زوجها وحدها بلا طلب منه لها والتوبة من عصيانه. فهذا أصل الشرع المعروف. لكن تباعد أمره و جرت عادة الناس بخلافه وهي أنه لابد للزوج الذي هربت زوجته من داره أن يمشي لدارها. وهذه عادة الناس في كل بلد لذهاب رسوم الشرع بالكلية وتمسك الناس بالعادة. وقد صارت هذه العادة شرعا مستقرا يحكم به قاض لجهلهم بقواعد الشرع وأصله وعدم معرفتهم بمقاصده.

وحيث كان الأمر كذلك فيؤمر الزوج بالمشي إليها طلبا لردها حيث لا إمكان لأصل الشرع الأول كالذي يتقوت بالميتة عند فقد الطعام لشدة الجوع وخشية الموت. فإن سبق منه يمين انه لا مشى إليها لم يكن ظالما لاستمساكه بأصل الشرع العزيز القويم، بل عليها أن ترجع وحدها أو مع من شاءت إلى دار زوجها. فإن لم ترجع ولم يذهب الزوج إليها، فحكم الشرع أنها عاصية خارجة من أمر اللّه لا نفقة لها. وإن طال أمرها في قعودها ذلك بلا زوج فلا تطلق ولا كلام لها إن شكت بالضرر ولا تطلق بهذا الضرر لكون هذا الضرر رفعه هين. فهي التي أوقعت الضرر على نفسها باختيارها. فلا تجاب إلى الطلاق إن دعت إليه.

ومن أجابها من أهل العلم إلى الطلاق بصورة هذا الضرر الذي ذكرناه وطلقها على زوجها كان هذا العالم فاسقا جائرا. فإن تزوجت بعد هذا الطلاق وكان كل وطء فيها محض زنى مكتوبا على الحاكم وعليها وعلى من أعان عليها. وكل واحد لا ينقص من وزر الآخر شيئا. وما أجهل هذا العالم حيث لم يعرف قواعد الشرع ولا عرف وجوه تفصيل الضرر الموجب للطلاق والذي لا يوجب الطلاق.

وأما سقوط النفقة على الزوج لهذه الزوجة على صفة الأمر الذي ذكرناه بينهما فأمر بَيِّنٌ اقتضته قواعد الشرع، لم يخالف فيه أحد. و قد اتفقوا على النفقة في مقابلة الاستمتاع. فمتى امتنع أحدهما امتنع الآخر. و هذه المرأة هي التي منعت زوجها من الاستمتاع بها ظلما وعدوانا، فلا نفقة لها على الزوج المذكور.قال في المختصر: يجب لممكنة مطيقة للوطء. وليس أحدهما مشرفا قوت وادام بالعادة.

ومفهوم الصفة وهي الممكنة أن غير الممكنة مع فقد العذر لا نفقة لها، وهو الأصح والمعول عليه. اللهم إلا أن تكون حاملا منه فلها نفقة الحمل، ولو كانت عاصية. لأنه حينئذ ينفق على ولده لا عليها. ونفقة الولد لا تسقط بعصيان أمه. انتهى

ثم الجواب على السؤال الثالث واللّه الموفق للصواب. إن إرضاع الأم لولدها لا تخلوا إما أن تكون في عصمة أب الولد أو خارجة عن عصمته بطلاق أو موت.

أما إن كانت في عصمة أب الولد فإرضاع ولدها واجب عليها بالإجماع. قال اللّه عز وجل (والوالدات يرضعن أولداهن حولين) إلى قوله (وكسوتهن بالمعروف). وهذه الصفة فيما إذا كانت المرأة في عصمة أب الولد، فإن اللّه فرض عليها الرضاعة بما ذكر، لكن بشرط أن يكون أب الولد قادرا على نفقتها. فإن عجز عن النفقة طلقت عليه بعسر النفقة. وإن طلقت عليه خرجت من عصمته، وبالخروج عن عصمته سقط عنها إرضاع الولد وصار الولد واجب النفقة والقيام بأمره على جماعة المسلمين. ولا يجب على أمه إرضاعه، اللهم إلا أن يكون الولد لا يقبل غير أمه، فحينئذ تجبر الولد على إرضاعه قهرا و نفقتها واجبة على جماعة المسلمين لأجل نفي إضاعة الولد وهلاكه.

وإن كانت المرأة الحامل بالولد خارجة عن عصمة أبيه بموت أو طلاق، فلا يجب عليها إرضاع هذا الولد. قال سبحانه وتعالى (فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن واتمروا بينكم بمعروف و إن يعاسرتم

فسترضع له أخرى). وهذا الذي ذكره اللّه عز وجل في حق المطلقات فإنه لما قال:(فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن) دل ذلك على عدم وجوب الرضاعة عليهن، وهي في سورة الطلاق. وفي سورة البقرة ذكر الرضاعة ولم يذكر أجرا، دل ذلك على وجوب الرضاعة عليهن، وذلك في حق من كانت في عصمة أب الولد. وهذا أمر بَيِّنٌ لا يحتاج إلى تأويل ولا تردد.

وإن كانت المرأة خارجة عن عصمة أب الولد بموت أبيه ينتقل الحكم في الرضاعة إلى الولد، إن كان له مال ينفق منه على الأم و يعطي منه أجرها. فإن شاءت أرضعت ولدها وإن شاءت امتنعت واستوجبت له امرأة غيرها من ماله إن كان الولد يقبل غير أمه. فإن كان لا يقبل غير أمه أجبرت أمه على رضاعته وأعطيت أجرها من ماله.

وإن لم يكن للولد مال وجب أمره في الرضاعة و الاستأجار لمن يرضعه على جماعة المسلمين. و ينتقل الحكم إلى ما تقدم إن كان الولد لم يقبل غير أمه، فلا رضاعة على أمه إلا باختيارها، وأجرتها على جماعة المسلمين. وإن كان الولد لا يقبل غير أمه أجبرت أمه حينئذ على إرضاعه بحكم الشرع لدفع إضاعة الولد، وأجرتها واجبة على جماعة المسلمين.

وإذا تقرر هذا من قواعد الشرع وظهر بما تقدم أن المرأة المذكورة في السؤالات لم تخرج عن عصمة الزوج المذكور، ولو طال قعودها بيت أبيها ولا تطلق بطول هذا القعود وليس هذا من الضرر الموجب للطلاق على الزوج لكونها أوقعته على نفسها باختيارها، وهي قادرة على رفعه برجوعها إلى دار زوجها. وإذا كان هكذا، فإرضاع ولدها من زوجها المذكور واجب عليها شرعا لبقائها في عصمة الزوج أب الولد، ولا أجرلها في ذلك لما قدمناه. لكن النفقة عليها من الزوج واجبة عليه لكونها هنا على الولد لا على الأم، وإن كانت عاصية، إذ لا تسقط نفقة الولد على أبيه بعصيان أمه. انتهى

تنبيه

قال العبد الفقير إلى الله أحمد بن محمد التجاني رضي الله عنه: كنت كتبت في جواب وجوب الرضاع على كل والدة إذا كانت في عصمة أب الولد، ونفقته جارية عليها تذكرت قولة محشوة في كتب الفقهاء يعول عليها من لا علم له لكونهم يعتقدون أن كل ما سطر في الكتب صحيح معمول به، فيضلوا بمخالفة أمر الله. وتلك القولة هي أن بعض من ينسب إلى الفقه قال: أن المرأة الشريفة لا يجب عليها رضاعة ولدها. وبعضهم يقول أنها إن كانت عادة البلد أن نساء الإشراف بها لا يرضعن أولادهن فلا رضاع على الأم الشريفة. قلنا إن هذا محض الكذب والافتراء على الله بما لم يشرعه في كتابه ولا في دينه بما سنبينه الآن.

فأقول اعلم أن إرضاع الأم لولدها التي هي في عصمة أبيه ونفقته جارية عليها واجب من طريقين: طريق فقهي وطريق قطعي مصرحة في قول الله العظيم. فأما الطريق النظري، فهو أن مراد الله من خلقه عمارة الدارين الجنة والنار. و لم يرد أن يكون خلقه دفعة واحدة، بل خلقا بعد خلق كما قال في القرآن. وأن هذا الخلق لم يتأت تكوينه إلا من ماء الذكر والأنثى معا دون أحدهما فقط. فدعا ذلك إلى الازدواج. و من أجل ذلك شرع عقد النكاح بشروطه ليقع مراد الله من إخراج الأولاد من الأصلاب إلى الأرحام. ثم من الأرحام إلى ظهر الأرض. ودعا هذا النكاح إلى التناكح الذي هو الجماع.ثم فرض حفظ الحمل من كل ما يوجب فيه إفساد الحمل لأدى إلى إضاعة النسل وبطل مراد الله. ولا سبيل إلى ذلك. وبعد الحمل إذا خرج الولد وجب على الأم والأب حفظه وتنميته حتى يصير إلى البلوغ، فتسقط حينئذ مؤنة نفقته على الأبوين.

فحفظ الولد بعد خروجه من البطن واجب على الأم والأب لأن ذلك من توابع شرع النكاح والجماع بحفظ الأم إرضاعه وصونه عن

المهالك وغسل الأذى عنه مسحا وغسلا إلى أن يكمل أجله. وحفظ الأب هو سعيه في نفقة الأم وكسوتها وكل ما يحتاج إليه الولد مما خرج عن التربية كالدهن والحناء وما أشبهها. فلو لم يكن حفظ الولد واجبا على أبويه لأدى ذلك إلى إضاعة الولد، وإضاعة الولد محرمة شرعا وإجماعا.

فلو لم يكن واجب الرضاعة والتربية على الأم لضاع الولد، إذ لا يوجد من يتحمل كفله ومعاناة تعبه إلا أمه فقط. ولا يتأتى ذلك لغيرها إذ لا صبر لامرأة على معاناة أمر الرضيع غير والدته.

ولو لم تجب نفقته ونفقة أمه على الأب لأدى ذلك إلى إضاعته أيضا. ودليل تحريم الإضاعة قوله صلى اللّه عليه وسلم: كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت.فترك رضاع الأم لولدها الذي هو مولود لصاحب عصمة المرأة موجب لإضاعة الولد، و هو محرم. ولو سقط الوجوب على كل والدة لضاعت الأولاد. فالقول بوجوب رضاعة الصبي على أمه التي هي في عصمة أب الصبي الجارية عليها نفقته هو مقتضى الحكمة الإلهية، وترك الوجوب فيه إضاعة الصبي وهو حرام إجماعا. فهذا هو الطريق النظري في ذلك.

وأما الطريق القطعي فقوله سبحانه وتعالى (والوالدات يرضعن أولادهن) إلى قوله بالمعروف. وهذه الآية مصرحة بوجوب الرضاعة على الأم. وهذه الآية في من كانت في عصمة الأب. وإن كانت خارجة عن عصمته بطلاق فقد قال في سورة الطلاق. (فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن). فالمطلقة لا وجوب عليها في رضاعة ولدها. والتي في العصمة يجب عليها رضاعة ولده. وهي من توابع النكاح. يدل عليه أن اللّه عز وجل ذكر الأجر في سورة الطلاق ولم يذكره في سورة البقرة. وهو ظاهر.

ثم زاد في البيان والإيضاح قوله سبحانه (وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم) وهذا خطاب للرجال فقط دون

النساء. فإن المرأة إذا أرادت أن تسترضع ولدها، أعني تطلب له أجيرة ترضعه بالأجرة فلا كلام لها في ذلك لكونها لم يجعل الله لها شيئا في ذلك، بخلاف الأب إذا أراد استرضاع ولده فله ذلك باختياره. وقد تخيلت أن القضية رفعت إلى طويلب قصير الباع عاجز الاطلاع في العلم لظن العامة انه ذو علم وإطلاع، فيقول أن الخطاب في تسترضعوا أولادكم شامل للرجال والنساء لأجل الجمع، وذلك من عدم كمال المعرفة بوجه السياق.

وبيان ذلك أن الخطاب للرجال فقط، ولو أريد دخول النساء لقال تسترضعن أولادكن. فإن الرجال تجمع بالميم والنساء يجمعن بالنون. ويدل أيضا على نفيه في النساء قوله (إذا سلمتم ما آتيتموهن بالمعروف) وهو أجرة المرضعة. وليس للمرأة مال تؤدي منه أجرة المرضعة. فإن كان لها مال فلا يجب عليها دفع الأجرة لأنها من توابع النفقة، ولا نفقة على الأم، بل على الأب. فقد بان لك بما قررنا وجوب الرضاعة والتربية على الأم. وأن القول بسقوطها على المرأة الشريفة باطل لا يحل ارتكابه.

وأيضا الذي مضى عليه عمل أهل الإسلام في جميع الأعصار والبلدان في البادية والأمصار هو أن كل والدة ترضع ولدها بلا محاشاة منهم ولا مشاحة في ذلك في عصره صلى الله عليه وسلم وبعده إلى هلم جرا. لم يكن بين الأمة نزاع في وجوب الرضاعة على الأمهات لأولادهن اللواتي هن في عصمة آبائهن ولم يوجد في جميع بلاد الإسلام وفي كل عصر قولة لقاضي أو مفتي بسقوط الرضاعة على الأم. ومضى على وجوب الرضاعة عمل المسلمين في عصره صلى الله عليه وسلم وفي جميع الأعصار بعده إلى هلم جرا.

فبان لك أن تلك القولة التي فيها سقوط الوجوب للرضاعة على المرأة الشريفة محض الكذب والزور بينة البطلان لمخالفتها قول الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم. وهي من الأقاويل المزورة التي دخلت في كتب الفقه وحشيت بها

وبنظائرها كتب الفروع، وهي مسائل كثيرة. منها هذه ومنها قتل الثلث لإصلاح الثلثين جوازا. ومنها إباحة وطء الزوج في دبر زوجته ومنها نكاح المتعة ومنها الزيادة في جمع النسوة على أربع ومنها تحليل شحم الخنزير مع تحريم لحمه ومنها إباحة طعام أهل الكتاب الذين ذبائحهم الميتة إذا طبخوها في الطعام ومنها إباحة النبيذ المسكر ومنها شفعة الجار ومنها مسألة العروس في أيام أسبوعها الأول إذا كان العطر في رأسها كثيرا جدا أنها لا تغتسل وتمسح على رأسها فقط في الغسل من الجنابة دون الغسل لرأسها خوفا من فساد العطر لكونه إضاعة مال لا يحل.

وكل هذه المسائل وأشباهها ظاهرة البطلان وأن اتباع أقاويل من نص عليها ضلال لا جزاء لصاحبه إلا النار. ولولا خوف الإطالة المملة لسردنا كثيرا من المسائل المحشوة في كتب الفقه الظاهرة الإبطال لمن له بصيرة بمعاني الكتاب والسنة.

وما أحوج الناس إلى عالم أو علماء يتبعون لهم كتب الفقهاء ينقحونها مما حشيت به من الباطل. قال صلى اللّه عليه وسلم: يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الضالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين. ولنا قاعدة واحدة عنها تنبني جميع الأصول أنه لا حكم إلا للّه و رسوله و لا عبرة في الحكم بقول اللّه وقول الرسول صلى اللّه عليه وسلم، وأن أقاويل العلماء كلها باطلة إلا ما كان مستندا لقول اللّه أو قول رسوله صلى اللّه وسلم. وكل قول لعالم لا مستند له من القرآن ولا من قول رسوله صلى اللّه عليه وسلم فهو باطل. وكل قولة لعالم جاءت مخالفة لصريح القرآن المحكم ولقول رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فحرام الفتوى بها، وإن دخلت في كتب الفقه لأن الفتوى بالقول المخالف لنص القرآن والحديث كفر صريح ، مع العلم به. قال اللّه عز وجل (ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم

الكافرون). و قال صلى اللّه عليه وسلم: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد.

والقول بسقوط الرضاعة على الشريفة مخالف لصريح القرآن في قوله (والوالدات يرضعن أولادهن). فحكمه (ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فأولئك هم الكافرون). وتلك القولة محدثة لم تستند للكتاب والسنة ولا هي من أمر اللّه. فهي رد لحديث من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد. و قوله صلى اللّه عليه وسلم لأبي هريرة: إن أردت أن لا توقف على الصراط طرفة عين فلا تحدثن في دين اللّه حدثا برأيك. وامتثال أمر القرآن وإتباع أمره ونهيه هو سنته صلى اللّه عليه وسلم. وقد سئلت عائشة رضي اللّه عنها كيف كان خلق رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم؟ فقالت: كان خلقه القرآن يأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه.

وحيث عرف أنه صلى اللّه عليه وسلم كانت سنته تابعة أحكام القرآن وجب إتباعه في هذه المسألة و وجب رفض تلك القولة الرذيلة التي هي سقوط الرضاعة على المرأة الشريفة لأنها بدعة مخالفة لقول اللّه ولسنة رسوله صلى اللّه عليه وسلم. قال صلى اللّه عليه و سلم: خير الهدى هدي محمد صلى اللّه عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة وصاحبها في النار. الحديث

ومن أعرض عن قول اللّه عز وجل في الحكم فقد حكم بحكم الجاهلية. قال اللّه تعالى (أفحكم الجاهلية يبغون). الآية.

قال المؤلف وسمعت سيدنا رضي اللّه عنه يقول حين سئل عن رجل تخرج العمارة من مكحلته، بغير قصد منه تضرب البندقة حيوانا آخر تجرحه أو تقتله. ماذا يلزم صاحب المكحلة؟ فإن الفقهاء عندهم هذا ليس من باب الخطأ ولا من باب العمد، أعني فقهاء عصرنا لفقدهم وجود النص في النازلة في كتب الأوائل لعدم وجود المكحلة في الزمان المتقدم.

فقال شيخنا رضي اللّه عنه والذي أقول به أنا وأجيب به السائل أن صاحب المكحلة إذا لم يحط الزناد من نصف الطلعة وتركه على حاله حتى طلع وحده فالضمان لازم له، وعليه الدية وحده. و ليس هذا من الأمور التي لا ضمان فيها لأن الشارع سماها بأعيانها وهي البير والمعدن والعجمى. وليس من الخطأ حتى تكون الدية على العاقلة فيما زاد على الثلث لأنه فرط لم يحط الزناد عن الموضع الذي تقدم منه النار. وكل من فرط في شيء يقع من تفريطه الضرر لغيره فالضمان عليه، وإن كان وقوع هذه نادرا بالنسبة لغيرها. هكذا قررها سيدنا مرارا. انتهى

قال المؤلف رضي اللّه عنه: وتحرير المسألة على ما فهمت من كلام الشيخ رضي اللّه عنه بين من حد العمد وحد الخطأ عنده. فإن الخطأ عنده رضي اللّه هو أن يقصد الفاعل إتلاف المال أو النفس ابتداء ويقصد ضرب أحد ظلما فتجوز الضربة لغيره أو يفعل فعلا مأذونا له فيه من ضربه لصيد أو غرض، وهو في وسط العمارة ولم يعلم ما وراء الصيد أو الغرض من آدمي أو غيره، فيجوز السهم أو البندقية فتصيب غير ما أراده. فهذا، وإن كان لم يقصده ابتداء هو من باب العمد لكونه مفرطا لعدم بحثه على ما وراء المرمى من صيد أو غرض. والمفرط ضامن على ما هو معلوم عند الفقهاء.

وأما حد الخطأ فهو كل مأ ذون فيه لفاعله، ولم يكن مفرطا فيه مفهومه إذا فرط فعليه الضمان وإن كان العمل مأذونا فيه. فإذا فهمت هذا علمت أن من جعل البارود والبندقة في مكحلته وترك زناده في الطلعة الصغرى وطاح منها من غير قصد منه وقتل أحدا، فالضمان لازم له وحده لتفريطه، لأنه كالعامد لخلافه المأمور به شرعا. لأن المأمور إذا كان في محل الأمن أن لا يعمل البارود وما معه في المكحلة. وعلى تقدير حمله فيها، فليحط الزناد من طلعته الصغرى. فإذا خالف ما ذكرنا فهو مفرط وعليه الضمان.

ويفهم من الأمن أنه إذا كان في محل خوف، و لم يمكنه أن يحط زناده من الطلعة السفلى للخوف مما يفجؤه من لص أو سبع، فإنه يؤمر برفع فم مكحلته إلى ناحية السماء. فإذا لم يرفعها وطاح الزناد وضربت أحدا فعليه دية خطأ لأنه مفرط، وإن لم يكن كالعمد. لأن الشارع يعذره للخوف، ولكن لا يلزم العاقلة إلا إذا قامت البنية على صدقه أو تصدقه العاقلة لعدم التهمة لأن العاقلة لا تحمل إلا ما قامت عليه البنية. فإذا لم تقم البنية على دعوى القاتل ولم تصدقه العاقلة، فهو محل نظر عند سيدنا رضي اللّه عنه توقف فيه ولم يجزم فيه بشيء لشدة ورعه ومحافظته على أحكام اللّه تعالى.

قال المؤلف رضي اللّه عنه وليس هذه النازلة من العذر الذي لا دية فيه ولا قصاص لأن الأمور التي لا شيء فيها ذكرها الشارع بأعيانها و هي العجمى و البئر و النعدن و يلحق بها من قتل نفسه و العياذ باللّه. فإنه لا دية له لنهي الشارع عن فعله. وكذلك من سقط من سطح وهو نائم للنهى أيضا عن النوم بالسطح، وليس فيه حائل يقيه من السقوط. لأنه قال فيمن نام على هذه الحالة فقد برئت ذمة اللّه منه. فإن هذا لا دية فيه لكونه فعل ما نهي عنه. هكذا سمعت من الشيخ رضي اللّه عنه. انتهى

قال المؤلف رضي اللّه عنه نص سؤال ورد على سيدنا رضي اللّه عنه وهو: ما تقول العلماء أهل النظر والبصيرة وكمال المعرفة برسوم الشرع ومقاصده في زوجة ذات عصمة صحيحة شرعا في بلد لا حاكم بها فرت من زوجها لغرض يوجب فرارها إلى دار أهلها وطلب زوجها من أهلها رد زوجته فمنعوها منه ظلما حيث لا حاكم ينصفه منها. فلما كثر اللجاج والنزاع بين الزوجة مع أهلها والزوج المذكور، قام جماعة من أهل تلك القرية وأوقعوا الطلاق على تلك الزوجة بغير إذن زوجها معتمدين، في نظرهم، على وجوب الصلح والطلاق دفعا للمشاجرة المفضية للقتال إن دامت والزوج دائم الإباية عن الرضى بذلك الطلاق. ثم بعد

أيام ترك هذا النزاع وتراضى الزوج المذكور مع أهل المرأة المذكورة وردت إليه زوجته لداره وهو يعتقد عدم طلاقها، بل إنما ردت إليه بدون طلاق لكونه لم يرض بطلاق الجماعة. وأهل المرأة يعتقدون أنها ردت إليه بأثر طلاق وهم معتقدون به. ثم بعد مدة هربت أيضا إلى دار أهلها بغرض ضرر من الزوج معتقدة هي وأهلها أنه لا عصمة عليها لزوجها المذكور بصحة طلاق الجماعة في زعمهم. ثم بعد أيام تراضى الزوج المذكور مع أهلها وردوها إلى داره فبقيت بدار زوجها مدة أيضا. ثم هربت إلى دار أهلها بغير ضرر من الزوج معتقدة أيضا مع أهلها أنه لا عصمة للزوج عليها لصحة طلاق الجماعة في زعمهم.

قال سيدنا رضي اللّه عنه الجواب واللّه الموفق للصواب أن هذا السؤال محتو على ثلاثة فصول: الفصل الأول في صحة طلاق الجماعة المذكورة وعدم صحته. الفصل الثاني في جواز تطليق المرأة من زوجها بغير رضاه إذا كان بقاؤها في عصمته يؤدي إلى القتال والقتل حقيقا وعدم جوازه. الفصل الثالث في الكلام على رد الزوجة لزوجها بعدم إيقاع الطلاق المذكور ثم هروبها معتقدة بالطلاق.

فأما الجواب عن الأول أن عصمة الزوج على زوجته الشرعية لا تنحل إلا بالموت للزوج أو طلاقه صريحا أو كناية أو تطليق الحاكم، وهو القاضي أو السلطان الشرعي بشروطه من وقوع الضرر الثقيل أو الخفيف الدائم من الزوج لا غير. وما سوى هذه الأمور لا تنحل بها عصمة الزوج عن زوجته شرعا. فإذا عرف هذا فطلاق الجماعة باطل لا يلتفت إليه شرعا لأن كل من طلق زوجة غيره بغير إذن زوجها فهو فضولي.

وطلاق الفضولي موقوف على إجازة من بيده العصمة إن أجازه صح و إلا بطل، ما لم يكن المطلق لزوجة غيره حاكما شرعا بسبب ضرر الزوج يبيح تطليق الزوجة منه بغير اختياره. فطلاق الحاكم حينئذ صحيح بإجماع الأمة. و أما سوا الحاكم فلا سبيل له إلى

تطليق زوجة الغير بغير إذنه. فحينئذ طلاق الجماعة لم يصادف محلا إذ ليسوا في مرتبة الحاكم الذي له النظر ولم يكن الزوج أجاز طلاقها فظهر إبطال طلاق الجماعة شرعا لبيان أنهم فضوليون. فلا حكم لهم في الطلاق.

وأما الجواب عن الفصل الثاني وهو جواز تطليق المرأة من زوجها للحاكم بغير ضرر الزوج لكن بقاؤها في عصمته يفضي إلى القتل والقتال وعدم جوازه والله الموفق للصواب أن خوف وقوع القتل والقتال على دوام عصمة زوج شرعي على زوجته لا يوجب تطليق الزوجة المذكورة من زوجها ما لم يقترن بضرر من الزوج يبيح التطليق منه بحكم الحاكم لا غير لكون انحلال عصمة الزوج بغير اختياره و بغير ضرر إلا خوف التأذي إلى القتال عن زوجته لا محل له في رسوم الشرع لا كتابا ولا سنة ولا في كتب الفروع.

فإن قال قائل أن سفك الدماء من أعظم الفساد في الأرض ومن أعظم الضرورات الشرعية حيث لا حاكم يرفعه. وإيقاع الطلاق كرها على الزوج دفعا لسفك الدماء هو أمر خف من سفك الدماء وارتكاب أخف الضررين أولى، قلنا أن هذا النظر باطل وبيانه أن الطلاق حَينئذ طلاق إكراه. و طلاق الإكراه في الشرع باطل لا يلزم مما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أن لا طلاق في إغلاق والإغلاق هو الإكراه. فإن قال المعارض أن طلاق الحاكم بالضرر بغير إذن الزوج إكراه وطلاق الإكراه باطل. فكيف صح طلاق الحاكم بالضرر؟ قلنا إن طلاق الحاكم بالضرر متبع لأمر الله عز وجل (الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان). وقال سبحانه وتعالى (إذا طلقتم النساء) إلى قوله (ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا) الآية.

وهذا وإن كان في مسألة الرجعة عند كمال العدة مضارة بالزوجة من زوجها فهو متناول جميع وجوه الإمساك بالضرر. وقال سبحانه (وعاشروهن بالمعروف). فمن خالف أمر الله سبحانه وأضر

بزوجته طلقها الحاكم عليه كرها. وليس من صور الطلاق بالإكراه لأن الطلاق بالإكراه باطل إذا لم يكن من الحاكم عن ضرر من الزوج.

وأيضا إذا طلقت المرأة من زوجها بغير اختياره دون ضرر لحقها من زوجها بل لأجل خوف القتل والقتال ودفعا للفساد بهما فإن مرجعها حينئذ لأجل وطئه لغير زوجها الذي طلقت منه إذا تزوجت بعد ذلك لأنها باقية في عصمة الأول. ولا سبيل لطلاقها منه. فهي محصنة بعصمته. والله تعالى ذم نكاح المحصنات من النساء. قال سبحانه وتعالى بعد أن ذكر محرمات النكاح عاطفا عليها بالتحريم والمحصنات من النساء.

فإن قال المعارض أنها ليست محصنة بل إنما طلقناها خوفا من وقوع القتل والقتال، فهي منحلة العصمة. قلنا قد قدمنا الوجوه التي تنحل بها العصمة وليست هذه المسألة منها. وقد قدمنا أن لا وجوه لهذه المسألة في الشرع أصلا ولا قائل بها من الأئمة. فالطلاق لأجلها باطل.

وأما الجواب عن الفصل الثالث فيغني عنه ما قدمناه في جواب الفصلين قبله والله الموفق للصواب. انتهى

قال المؤلف رحمه الله

ومن أدعية سيدنا رضي الله عنه وتوسلاته ومراداته من الله تعالى ما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليما

مرادي من الله تعالى توبة نصوح كاملة وثبات عليها إلى الممات.

ومرادي أن تكون توبة اللّه علي في نفس الأمر، ثم تكون توبتي تابعة. وأن تكون بوارد إلهي مذهب لكل ما يضاد التوبة. و صبر قوي راسخ دائم ثابت كالجبل الشامخ لا يتزلزل أبدا إلى الممات على دوام معانقة كل ما يرتضيه وتكرهه النفس، وعن جميع ما لا يرضي اللّه، وعن جميع رعونات النفس ومعانقة الهوى وخوف مزعج وشوق مقلق و أردان من عند اللّه لا يبقيان قليلا ولا كثيرا في القلب من الشهوات والرعونات والمخالفات والركون إلى المألوفات إلا أزاله. ويحركان ما فتر من عزيمتي ويحييان ما مات من عزمي ويثيران مني مجاهدة قوية لا منتهى لها دون مقام المعرفة باللّه.

ومرادي أيضا قوة ثابتة دائمة على مفارقة الشهوات ومعانقة الجوع البالغ دائما و قوة عظيمة على المجاهدة الصعبة المرام وثبات فيها إلى الموت وتوفيق خالص إلى انتهاج طرق الهدى ومجانبة الغي والردى، ودوام الإقبال على اللّه بالشوق إليه والانزعاج إليه والخوف منه وكمال أداء حقوق حقه بالإدبار عن كل ما سواه وعدم المبالات به إقبالا لا منتهى له دون مقام المشاهدة و مقام المعرفة باللّه وسلوكا كاملا إلى اللّه كسلوك أكابر العارفين سلوكا لا منتهى له دون مقام مشاهدة اللّه بالبصيرة ومقام المعرفة باللّه.

ومرادي من اللّه أن تنفتح لي أبواب هذه الأمور ويسهل علي سهولة بالغة جميع طرقها و أن ينقطع عني كل عائق يحول بيني و بين سلوك طرائقها.

و مطلبي من اللّه دوام العكوف على ذكره بالقلب و اللسان باستغراق أوقات الليل و النهار و الثبات في الخلوات إلى أن أتصل بذكر الروح، ثم أديم العكوف عليه إلى أن أتصل بذكر السر في مشاهدة ذات اللّه بعين البصيرة يقظة و عيانا. ثم أتصل بحق اليقين و المعرفة باللّه.

و مطلبي من اللّه أن يأخذني أخذة يتولى فيها هدايتي و توفيقي إليه. و يقبل علي برحمة بإقبالي عليه، و يجذبني إليه بجواذب عنايته و يختصني في سلوك أليه بخصائص قربه و امتنانه ، وينوب عني في ذلك حتى يوصلني إلى نهاية مقام أكابر العارفين في مقام المشاهدة و حق اليقين.

و مطلبي من اللّه أن يهب لي جميع ما كتبته في هذا الكتاب بحكم الإ جتباء. ويفتح لي جميع أبواب هذه الأمور. و يسهل علي سلوكها و يجذبني إليها بجواذب عنايته و نيابته عني. ويتولى هدايتي إليها بنفسه، ويقطع عني كل عائق يحول بيني وبينها.

ومطلبي أن تفتح علي بقهر النفس عن جميع الشهوات وأن توتيني قوة عظيمة على البعد عن جميع الشهوات وعلى دوام ملازمة الجوع البالغ.

ومطلبي أن تفتح علي بمحبته دوام الخلوات اتصالا كليا ودوام السكون إليها، وأن تفتح علي بالرشحة من رؤية جميع الخلق، وبالأنس للخلوات. وأن تفتح علي بدوام الأنس بذكرك بالقلب واللسان والرشحة من فقده. وأن تفتح علي بالقوة الدائمة على المجاهدة للنفس والشيطان والهوى بشدة الجوع ودوام البعد عن الشهوات ودوام الخلوات ودوام الصمت ودوام مكابدة السهر ودوام الأنس بالذكر بالحضور بالقلب مع الخلوة. وأن تفتح علي بزوال حب الدنيا من قلبي وبغضها وبغض أهلها وبغض مخالطتهم. وأن تفتح علي بكمال الزهد فيها بالقلب والجوارح حتى أتمكن من القوة عن التجرد والسياحة.

وأن تفتح علي بقوة الصبر والثبات في كل ما أردت إثباته من هذه الأمور في دوام نفي ما أردت نفيه. وأن تفتح علي بخوف منك مزعج اليك، وبشوق مقلق إليك حتى لا يمكنني قرار دونك، ولا يمكنني قعود ولا فتور عن دوام ذكرك بالحضور حتى أفر إليك من جميع خلقك بالقلب والجوارح. وأن تفتح علي

بكمال حضور القلب في الذكر وكمال نفي جميع الخواطر فيه.

وأن تفتح علي بزوال الغفلة عن ذكرك من قلبي بالحضور معك بالقلب. وأن تفتح علي بالإخلاص في العبادة لوجهك بالبراءة من جميع الحظوظ وبالصدق في العبودية لك دائما. وأن تفتح علي بدوام معانقة الورع ودوام البكاء من الشوق إليك ومن الخوف من الوقوف بين يديك.

وأن تفتح علي بالبراءة من جميع مخالفتك ظاهرا و باطنا صغائر وكبائر إلى الممات حتى لا أقارب ذنبا إلى حين موتي.

وأن تفتح علي برؤية النبي صلى الله عليه وسلم في كل نومة بلا سبب، بل بمحض التخصيص يا رب.

ومطلبي مع ما تقدم أن تنزع عني جميع لباس ذل المعصية إلى الممات وأن تلبسني لباس عز الطاعة لك إلى الممات.

ومطلبي أن تأخذ بيدي إليك أخذ الكرام عليك. ومطلبي أن تجذبني إليك بجواذب عنايتك جذبا محفوفا بتأييدك ونصرتك وعصمتك وعنايتك جذبا توصلني به إلى نهاية مقام معرفتك ومشاهدتك ومحبتك وتوحيدك، بطي بساط التعدد والكثرة في عين الوحدة استغراقا في عين جمع الجمع واستهلاكا في بحر التوحيد بذهاب جميع التفرقة عينا وأثرا وذوقا وتحقيقا وتخيلا. ثم تجذبني بذلك الجاذب إلى نهاية مقام القطبية الفردية الذي ما فوقه إلا مقام النبوءة.

ومطلبي أن تخلصني من سجن النفس والشيطان والهوى والشهوات بسلطان عنايتك واجتبائك واستخلاصك ومحبتك لي.

ومطلبي أن تخلصني من سجن الغفلة بسلطان ذكرك بالقلب واللسان والجوارح في كل نفس، وباستيلاء سلطان ذكرك على القلب والجوارح حتى لا يبقى فتور ولا غفلة. ومطلبي أن تؤيدني بروح منك في كل أحوالي وعموم أوقاتي تأييدا تنصرني به على

مجاهدة نفسي والشيطان والهوى والشبهات. وأن تحول بيني وبينهم بسرادقات حفظك وعنايتك وعصمتك وكلاءتك.

ومطلبي أن تملأ قلبي بالشوق المقلق إليك والخوف المزعج إليك امتلاء حتى لا يبقى معه أثر للشهوات والهوى والفتور والسكون عنك.

ومطلبي أن تملأ قلبي بالميل إلى طاعتك وذكرك امتلاء لا يبقى معه فتور ولا كسل ولا عجز ولا توان.

ومطلبي أن تحيي قلبي بدوام ذكرك والإقبال عليك حياة لا تبقي فيه أثرا للغفلة والكسل والتواني والعجز.

ومطلبي أن تملأ قلبي بمحبة الانقطاع إليك امتلاء يجذب الجوارح جميعا. ولا يبقى فيه معه سكون إلى خلقك ولا محبة لقائهم.

ومطلبي منك أن تجذبني إليك بشوق مقلق إليك وخوف مزعج إليك جذبا لا يبقى معه أثر للشهوات والفتور والهوى والغفلة والقساوة.

ومطلبي أن تزيل قساوة قلبي باستلائه بالخوف من الوقوف بين يديك حتى لا تنقطع دموعي من خشيتك والشوق إليك.

ومطلبي أن تهب لي رؤية رسولك صلى اللّه عليه وسلم سيدنا محمد في كل نومة بلا سبب، بل يحكم الفضل والتخصيص لا لشيء.

ومطلبي أن تتفضل علي بتربيته لي صلى اللّه عليه وسلم، يربيني بالتربية الصوفية بالنوم أولا إلى أن ينتهي إلى أن أراه في اليقظة عيانا تربية توصلني بها إلى أعلا مقام المعرفة بك ومشاهدتك ومحبتك وتوحيدك أما جذبا وأما سلوكا.

ومطلبي أن تتفضل علي بالعصمة والبراءة من جميع مخالفتك ظاهرا و باطنا صغائر وكبائر إلى الممات. وتطهرني من جميع ذلك طهارة لا تبقي دنسا بمعصية ولا عيبا.

ومطلبي، مع ما تقدم، أن تملأ قلبي بنور العلم ونور الهدي ونور ذكرك امتلاء لا يبقي أثرا من ظلمات الجهل ولا من ظلمات الضلال والمعاصي ولا من ظلمات الغفلة. ومطلبي أن تملأ قلبي بنور ذكرك امتلاء يذهب عي فضول الطعام والشراب والنوم

والكلام وكل ما لا يعني حتى اقتصر على حد الضرورة من كل ذلك.

ومطلبي أن تصفي قلبي صفاء لا يبقي فيه أثر من لوث المخالفات والتخليط وحب الدنيا وجميع الخواطر حتى ينفصل مثل المرآة، فتتجلى فيه أنوار ذكرك تجليا لا يبقى فيه أثر للغفلة عنك ولا أثرا للكسل والتواني والاشتغال بما لا يعني.

ومطلبي أن تؤتيني تعجيل الإجابة في كل دعاء في الحين والوقت بلا تأخير في كل شيء.

ومطلبي أن تتولاني بهدايتك لي وتوفيقك إلى طاعتك وخدمتك ودوام ذكرك بالقلب واللسان من الآن إلى الموت.

ومطلبي أن تأخذني إليك مني عن جميع غيرك وتتولاني بعنايتك ونصرتك وتأييدك وعصمتك وتوفيقك وهداك في كل ما طلبته فعلا وتركا ظاهرا أو باطنا. وأن تكون نائبا عني في جميع ذلك من الآن إلى الموت حتى أدرك التصرف بسائر الحروف في أي أمر.

و أن تفتح علي عند كمال السنة بمن يعلمني ما احتوى عليه كتاب السر الغريب للشيخ أبي القاسم بن عبد الرزاق الدرعي ويعلمني كيف إدراك تلك الأسرار المرموزة حتى تكون لي ظاهرة وحتى أتصرف فيها كيف شئت.

وأن تفتح لي بالإجابة في تلك الأسرار بعد العلم بها حتى لا أفعل شيئا إلا رأيت أثره وإجابته للوقت. وأن تفتح لي عند كمال السنة باتساع العلم والإدراك والفتح والإجابة في سائر الأعمال في الحروف وخواصها وخواص جميع الأسماء والأوفاق والأعداد وسائر الدعوات والفاتحة وسائر السور والآيات القرآنية وفي اسم الجلالة وسائر الأسماء حتى لا أتصرف بشيء منها أو عمل خاصية وسائر هذه الأشياء إلا رأيت أثرها للوقت ورأيت الإجابة فيه دون شك.

وأن تفتح على عند كمال السنة بإخلاص قلبي يكشف لي عن جميع أفعالك السارية في الوجود ويقطع عني جميع الحجب البشرية الحائلة بيني وبين رؤية أفعالك سبحانك.

وأن تفتح علي عند كمال السنة بكشف قلبي عن جميع ذوات العوالم حتى لا أرى ذرة إلا رأيت فعلك ظاهرا عليها، فأستريح من ظلمات الرسوم البشرية.

وأن تفتح علي عند كمال السنة بكمال الزهد في الدنيا وكمال عزوب قلبي ونفسي عنها، حتى يستوي عندي ذهبها ومدرها.

وأن تفتح علي عند كمال السنة بالغنى القلبي المقتضي كمال الزهد في الدنيا.

و أن تفتح علي عند كمال السنة بكمال الصدق في العبودية لك و القيام بحقوق ربوبيتك صدقا يكشف لي عن نهاية توحيد أفعالك. و أن تفتح علي عند كمال السنة بكمال طمأنينة القلب بذكرك و كمال مراقبتك في كل نفس.

وأن تفتح علي عند كمال السنة بعمارة القلب بالحضور معك عمارة لا يبقى معها حضور لغيرك أبدا. و أن تفتح علي عند كمال السنة بكمال ميل القلب والروح والعقل والفكر إلى طاعتك وذكرك. وأن تفتح علي عند كمال السنة بمحبة الانقطاع إليك وارتحال القلب عن إرادة جميع غيرك وباستغراق الأوقات في ذكرك وبقوة الصبر على المجاهدة وترك الشهوات. وأن تفتح لي عند كمال السنة بأن تصير لي هذه الأسماء كلها طبعا جبليا بسهولة لا مشقة فيها.

وأن تفتح علي عند كمال السنة بالتخلص من تبعات النفس والهوى حتى يتمحض قصدي لوجهك الكريم خالصا وأنا في راحة هذا في الدنيا وأن تجعل موتى ألذ من شراب الماء البارد للعطشان وأخف من طرفة البصر وأسهل من النوم. وأن تتولى قبض روحي بيدك يا ذا الجلال والإكرام. وأن تبعث لي بشيرا عند قبض روحي يبشرني برضاك وكمال العز والفوز في الآخرة. وان

يحضر موتي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وجميع الأنبياء والأولياء وما لا يعلم علمه إلا أنت من الملائكة. وأن تصلي علي بذاتك سبحانك صلاة تليق بجلالك وأن تأمر جميع الملائكة والنبيين والمرسلين يصلون علي بعد موتي عدا من لم يكن من الأولياء من الأحياء والصالحون والأولياء والمؤمنون من الجن والإنس.

وان تظهر علي من العز والشرف في أهل الآخرة يوم موتي في سائر البرزخ وفي طول يوم القيامة والجنة قدر ما طلبت مضاعفة الأعمال. وأن ترفع جسدي بعد موتى إلا الأفق المبين وهو القاع الذي بين يدي العرش، وأن لا تدفنه في الأرض. وان تجعل روحي تسرح في الجنة حيث شاءت و تأكل حيث شاءت وتنكح من الحور حيث، كل ذلك من حين موتي إلى يوم القيامة، وكذلك في طول يوم القيامة

وأن تجعلني بعد موتي أتصرف تصرف الأحياء كتصرف النبيئين في قبورهم في التعبد والجهاد والأكل وغيره. وأن تهب لي رؤية وجهك الكريم من حين موتي إلى أبد الأبد حتى لا تحتجب عني طرفة عين ولا أقل، لا في الجنة ولا في البرزخ قبلها، وأن تهب لي من محبة الحور إياي والدار والحور والشوق إلي بالنسبة إلى غيري من الأولياء الأقطاب قدر ما طلبت من مضاعفة العمل.

وأن تهب لي من رضاك عني ومحبتك لي واجتبائك وتفضلك على قدر ما طلبت من مضاعفة العمل بالنسبة إلى غيري من الأقطاب بمحض عنايتك وفضلك. وكذلك من عنايتك في الدنيا والآخرة وأن تهب لي من التلذذ بالنظر إلى وجهك الكريم من حين موتي إلى الأبد في الجنة وقدرها قدر ما طلبته من الفتح في مقام القطبية وقدر ما طلبت من مضاعفة الأعمال.

وأن تبعثني من الآمنين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأن تجعلني في طول يوم القيامة في الظل الظليل والأكل والشرب والهناء. وأن تحشرني في زمرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

وتحت لوائه و كفي في كفه وأن تريني وجه الكريم وأن تجعله فرحا بي مقبلا علي راضيا علي وأن توردني حوضه وأن ترويني منه

وأن تغفر لي جميع ذنوبي وتردها حسنات وأن تستر جميع فضائحي وأن تؤدي عني جميع تباعاتي وترضي خصومي، وأن لا تحاسبني بقليل ولا كثير وأن تخاطبني من حين موتي وفي يوم القيامة والجنة مخاطبة الصفي لصفيه وأن تدخلني الجنة بلا حساب ولا عقاب ولا توبيخ ولا عتاب.

وان تسمعني في ذلك اليوم وبعد موتي: يا عبدي رضيت عنك وأجبنك على ما كان فيك جميعا وأن تجيزني على الصراط أسرع من طرفة البصر وأن تجعل لي من الجاه والوجاهة يوم القيامة بالنسبة إلى سائر الأقطاب قدر ما طلبت من الفتح ومضاعفة العمل وكذلك من النور والجمال يوم القيامة وفي الجنة. وأن تجعل شفاعتي في المذنبين وأهل النار وجميع من عرفني وجميع أهل قرابتي ومن أحسن إلي وأحبني أو صحبني قدر ما طلبت من مضاعفة الأعمال بالنسبة إلى جميع الأقطاب وأن تدخلني الجنة في أول الزمرة الأولى مع سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم كتفي مع كتفه. وأن تجعل درجتي في الجنة في درجة في درجة سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم وفي جواره وقصوري مع قصوره وأجنتي مع أجنته حتى أكون معه كالدارين الآتين بينهما إلا الجدار في الدنيا.

وأن تجعلني أعظم ملوك أهل الجنة حتى يكون نسبة ملكي بالنسبة إلى أكابر ملوكها على فدر ما طلبت من مضاعفة الأعمال وأن تجعل قسمتي في الجنة من الحور والقصور والأجنة والرياض واتساع الملك وجميع نعيمها الحسي والمعنوي والجمال والثمار وجميع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من كل ما فيها قسمتين منه بالنسبة إلى أكبر أهل الجنة قسمة وأوسعهم غنى قدر ما طلبت من مضاعفة العمل وأن تهب لي النظر فيها إلى وجهك

دائما حتى لا تحتجب عني طرفة عين وفي مجالستك قدر ما عند الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وأن تنجيني من النار وعذاب القبر ومن سخطك وغضبك من حين موتي إلى الأبد وأن تنجيني من فتنة الحياة أبدا.

وأن تقويني في طول عمري على ترك الأكل والشرب والنوم حتى أواصل الليل والنهار صياما وقياما وتعبدا بتكميل التعبد بهذا سنة عليك يا رب والحول والقوة بيدك. وكمال مطالبي بفضلك وأنت الموفق.

وقصدت أن أتعبد لك أيضا بالصلاة على حبيبك محمد صلى اللّه عليه وسلم سنة كاملة كل يوم وليلة ثلاثة آلاف تعظيما وإجلالا لك وتعبدا لك وتقربا وقصدا لوجهك الكريم وتعظيما وإجلالا لنبيك صلى اللّه عليه وسلم قاصدا بذلك أن تبلغني جميع مطالبي التي كتبتها في هذا الكتاب من مطالب الدنيا والدين والآخرة فضلا وكرما وجودا منك لا عوضا بالعبادة لوجهك تقربا إليك وقاصدا مطالبي منك فضلا وجودا منك لا عوضا تعبدا لك سواء أعطيتني أو لم تعطني وأنت الموفق والحول والقوة بيدك ولا حول ولا قوة إلا بك والكمال عليك.

قال المؤلف رحمه اللّه ومما كتبه سيدنا رضي اللّه عنه ونفعنا به آمين

بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلى اللّه على سيدنا و نبينا و مولانا محمد و على آله و صحبه و سلم تسليما.

يا رب نويت أن أتعبد لك سنة كاملة بهذا الاسم الخ تقربا إليك و قصدا لوجهك الكريم قاصدا أن تتفضل علي بنيل مرادي من جميع المطالب و الحول و القوة بيدك بالعبادة تقربا إليك، و قصدا لوجهك الكريم. وقصدي بذلك أن تنيلني مرادي من جميع المطالب فضلا و جودا و كرما لا عوضا و مطلبي بعبادتك بذلك الاسم سنة بعد إخلاص العبودية لوجهك الكريم، أن لا تميتني حتى تبلغني أقصى مقام القطبية الفردية الجامع الذي ما فوقه إلا مقام النبوءة جميع ما يشتمل عليه من العلوم و المعارف و الأسرار و الأنوار و الأعمال و الأحوال و الآداب و المقامات و المنازلات و الكشوفات و الفتوحات و اليقين و المشاهدات و المحبة و التوحيد و المعرفة و الحكم و الدقائق و الرقائق و الحقائق و الأطايف و سائر ما يشتمل عليه ذلك المقام الجامع لكل ما تشتت من هذه الأشياء مما ذكر ولم يذكر.

وأن تعطيني فيه مقاما تتلاشى فيه مقامات جميع الأقطاب والعارفين ممن تقدم عني ومن تأخر حتى آخر الأقطاب. وان لا تبقي فتحا على ولي ولا قطب ولا حالا ولا تخصيصا لمخصوص ممن تقدم ومن تأخر إلى يوم الدين من أي علم من علوم الشريعة أو علوم الحقيقة أو العلوم اللدنية أو العلوم الغيبية أو الكشوفات اليقينية من كل علم أدركه أدنى العلماء مرتبة وما فوقه جميعا إلى مقام القطبية من جميع أهل الإسلام، من وقت الصحابة إلى قيام الساعة كائنا ما كان ذلك العالم إلا فتحت علي مثله جميعا في مقام القطبية وكذلك سائر الأحوال

والفتوحات و وجوه التخصيص والآداب إلا فتحت علي مثل ذلك جميعا.

وأن تعطيني فوق ذلك في أول لمحة توليني مقام القطبية الجامعة الذي ما وراءه إلا مقام النبوءة ألف ألف مثل جميع ما ذكرته من كل ما تقدم. ثم اللمحة الثانية ألف ألف مثل ما كان في اللمحة الأولى ثم الثالثة ألف ألف مثل ما كان من الفتح في الأولى والثانية ثم في الرابعة ألف ألف مثل ما فتح علي في الأولى والثانية والثالثة ثم في الخامسة ألف ألف مثل ما في اللمحات التي قبلها. وهكذا في كل لمحة إلى وفاتي هذا فتحي في جميع ما ذكرت من سائرما يشتمل عليه مقام القطبية من العلوم والمعارف والأحوال والمقامات الخ ما تقدم وأن تعمرني في مقام القطبية التي ذكرتها مائة عام عجبية ونيفا سنين على كمال هُداك الذي هديت به المرسلين، وعلى كمال الإسلام والإيمان والإحسان واليقين وتوابعها. وأن تجعل لي تلك..... وأن تجعلني دائما في طول عمري أرى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بعين اليقظة حتى لا يحتجب عني طرفة عين إلى وفاتي. وأن تغطيني عن جميع خلقك بستر الخمول ، وأن تجمع لي بين المدد للأولياء والخمول وان توصل إليك على يدي خمسمائة ألف من أكابر الصديقين العارفين من بني آدم وألف ألف من الجن عن الأولياء وأن تجعل وصولهم إليك على يدي بلا صحبة ولا رؤية بل بحكم النظرة والهمة. وان ترزقني من القوة القلبية ما لو نظرت في كافر بك و برسولك نظرةبقلبي ، و جمعت عليه همتي لانقلب عارفا في الحين من سائر الخلق.

و أن ترزقني من طي الزمان في العمل الصالح ما أعمل به عمل مائة ألف ألف عام في كل يوم هذا كله في مقام القطبية. وأن تضاعف لي عملي على قدر ما ذكرت هذه الساعة وهو 255 ألف

ألف ألف، في كل ضعف تؤتيني ثوابي على قدر فتحي في المشاهدة واليقين والمحبة وسائر الأحوال.
وان تجعلني من الذين يتلذذون بالبلاء كتلذذ الناس بأطيب النعم وأن تؤتيني من القوة ما أتحمل به من أجلك من البلاء والصبر فوق جميع الأقطاب على قدر ما ذكرت من مضاعفة العمل وتحمله يكون بقوة ولذة وفرح وسرور ورضا،

لا مشقة علي فيه وأن تؤتيني من القوة الروحانية على ترك الأكل والشرب والجماع ومفارقة الشهوات ما لو بقيت ألف ألف سنة كمفارقتي لها مقدار طرفة عين حتى لا أتألم منها بشيء حتى لو فارقت الأكل والشرب و الجماع و وقارفة الشهوات ما لو بقيت ألف ألف سنة كمفارقتي لها مقدار طرفة عين حتى لا أتألم منها بشيء حتى لو فارقت الأكل و الشرب و الشهوات مائة لم أجد مشقة إلا كمن تركها مقدار ساعة فلكية.
وأن تؤتيني من استغراقي للأوقات فيك والأنفاس مالا تتخلاني فيه طرفة عين لغيرك في طول ذلك العمر. وأن تجعلني مجردا لا صاحب أسباب حتى لا أملك في الدنيا جناح بعوضة. ولا أملك من الأرض قدما وأن تجعل لي الأرض كلها كقدم واحد في الطي.
هذا في مقام القطبية وأن تمن علي قبل الوصول إلى مقام القطبية بجذبة إليك على يد رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم بلا سبب ولا مجاهدة ولا مكابدة تهدم بها علي جميع آثار الرسوم البشرية حتى تفيض علي من شراب المحبة و المشاهدة فيضا يوصلني إلى مقام الصحو و البقاء مع الاستهلاك في عين جمع الجمع باستهلاك آثار الرسوم البشرية عينا و أثرا.
و أن توتيني صحوا في تلك الجذبة يستغرق معارف جميع العارفين و مشاهدتهم و محبتهم و رضاهم و آدابهم و سائر أحوالهم و جميع وجوه يقينهم و سائر قيامهم بحق الرسوم

الشرعية من جميع العارفين عدى مقام الغوث والقطب من كل ما تقدم من العارفين.
وتستغرق لي في صحوتك الجذبة معارف جميع أسمائك وآيات كتابك وطوالع تجليات أسمائك وصفاتك في جميع الأسماء والصفات من التجليات الجلال والجمال والكمال.
وحاصله كل ما فتحت على جميع العارفين كبارا وصغارا من سائر المعارف والمشاهدات وسائر الأحوال والمقامات والآداب كله تستغرقه لي في صحوتك الجذبة عدى مقام الغوث والقطبية، ثم تتصل الفتوحات في كل لمحة من جميع ما ذكر كأقوى ما فتح جميع العارفين حتى توصلني إلى مقام القطبية.
وأن تفتح علي عند كمال هذه السنة من بدء هذا الاسم بأشياء منها أن تفتح علي بالاسم الأعظم ذي الإحدى عشر الرموز في كتاب أفلاطون وغيره تعلمه لي على يد من شئت من الأحياء والأموات والآدميين في نوم أو يقظة. وتعلمني كيفية التصرف به وكيفية إدراك سره وإدراك خواصه.
وأن تفتح علي في إجابة الدعاء به للوقت. وأن تفتح علي عند كمال السنة بالتصرف في جميع الأوفاق وجميع الأسماء الحسنى والإدريسية وغيرها حتى لا أتصرف باسم منها إلى رأيت أثره للوقت.
وأن تفتح علي عند كمال السنة في خواص الفاتحة وجميع السور والآيات القرآنية الخ ما مر. انتهى
انتهى ما بلغنا من هذا الكتاب وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلى اللّه على سيدنا محمد الفاتح الخاتم وعلى آله حق قدره ومقداره

الحمد للّه يقول كاتبه العبد الضعيف محمد بن محمد الأمزالي غفر اللّه بفضله ذنوبه وستر عيوبه. كنت نسخت هذا الكتاب المبارك المسمى بروض المحب الفاني للخليفة العلامة العارف سيدي محمد بلمشري الشريف العباسي السائحي رضي اللّه عنه وعنا به منذ سنة ـ من نسخة أعارها لي سيدي ومولاي إدريس العراقي رضي اللّه عنه نسخها بيده. ولكن لضيق الوقت اكتفيت بنقل ما ليس في الجامع لنفس المؤلف وما ليس في جواهر سيدي الحاج علي حرازم رضي اللّه عنه مع الإحالة على الكتابين في المواضيع التي تطرقا إليها.

ولقد تمكنت من إتمام هذه النسخة من الكتابين ومن نسخة لروض المحب الفاني عليها خط العلامة سيدي أحمد سكيرج رضي اللّه عنه، فجاءت كاملة تامة للّه الحمد وله الشكر.

وكان الفراغ منها أواخر شهر رجب 1422/أكتوبر 2001

نفع اللّه بها كل من طالعها أو كتبها أو سعى في شتى من شؤونها لأن ذلك خدمة لجناب سيدنا ومولانا الشيخ التجاني حجة اللّه رضي اللّه عنه ونفعنا بمحبته وبعلومه و بأسراره و معارفه و حشرنا في زمرته نحن و أشياخنا و والدينا و أهلنا و أولادنا آمين.

اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم

فهرس كتاب روض المحب الفاني

خطبة الكتاب واسمه
التعريف بالشيخ التجاني رضي اللّه عنه
مشايخه وبعض مرائيه
رؤاه لسيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم
امتيازه في جميع العلوم
فصل فيمن أخذ عنه من الأولياء
اعتراف المؤلف بفضل سيدنا الشيخ عليه
-أخذه رضي اللّه عنه عن رسول اللّه
علو مقامه رضي اللّه عنه على غيره
-مراتب الولاية غير محجرة
-سند الطريقة الخلوتية
شمس طالعة في التوحيد الخاص بالعارفين
قول المرسي لو كشف عن حقيقة الولي لعبد
حقيقة الإنسان الكامل
حقيقة المريد الصادق
ما يجب على المريد قبل لقاء الشيخ
حقيقة الشيخ الواصل
معرفة الشيخ الواصل عسيرة وسبب ذلك
أخطر اختبار الشيخ ووزن أفعاله وأحواله
-حكم طلب الشيخ الواصل
الكلام على السماع وحكمه

معنى وعلم آدم الأسماء كلها
سبب سجود الملائكة لآدم
-التفضيل بين الملك والآدمي
-هل ينظر الملائكة وجه اللّه في الآخرة
-هل للملائكة وجهة أو وجهات
الكون كله ذرة من مرتبة الحق
معنى أتجعل فيها من يفسد فيها
معنى وما جعلنا الرؤيا الآية
الخضر هل هو نبي أو ولي
-تعيين الذبيح ونبوة إخوة يوسف
-معنى اللهم ألحقني بسببه
معنى وزج بي في بحار الأحدية
-معنى الحضرة الإلهية
معنى كون دائرة الولي أوسع نم دائرة النبي
حديث علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل
-قول المرسي لو حجب عني رشول اللّه صلى اللّه عليه وسلم الخ
-قول أبي يزيد خضنا بحرا وشطحات الأكابر
البحر الذي خاضه الرسول دون الأنبياء
قوله تعالى وأن إلى ربك المنتهى
-هل يدخل الجن الجنة وحكمهم في الآخرة
هدية الحبيب في الكشف عن التطهير بماء الغيب
مراتب العقل ثلاث
الفرق بين العبادة والعبودية والعبودة
الفرق بين الحقيقة والشريعة والطريقة
حقيقة مراقبة العارفين
مشاهدة الخلق الملائكة والجن والإنس
اختلاف امتداد جولان أرواح الرجال
-مراتب الكبار ثلاث

-ما أكرم الله به قطب الأقطاب
-الكلام عن الخليفة عن الله
جواب سيد الوجود عن الفرق بين القطب والأفراد
أوصاف القطب وحقيقة القطبانية
معنى البرزخية العظمى
بيان العوالم الخمسة
-الخلائق كلهم مراتب الحق لذا يجب تعظيمهم
التجلي بظهور الحجاب
-نقطة دائرة الفطرة القدسية
-حقيقة الآن الدائم
حقيقة النبوءة
-كلام نفيس في الفرق بين الروح والنفس
من المخاطب بالخطاب الإلهي الروح أم النفس
المكالمة التي يدعمها العارفون
-هل الروح عالمة بما يؤول إليه أمرها
هل يعود العارف إلى مقام الروح قبل التركيب في الجسد
-هل يقع السلب للعارف
-حقيقة الإنسان
ما يراد من الإنسان
حقيقة الرب وصفة العبد الحر
حقيقة المراقبة والمشاهدة
-معنى: الفقير ابن وقته
هل الفقير الصابر خير من الغني الشاكر
الجهل بالله عين الكفر
-بيان وإيضاح وحدة الوجود
الدليل على أن الخضر ليس نبي
فصل القضية في مسألة المعية
معنى الإدراك

حزب التضرع والابتهال
رسالة سيدنا في كون الخواص لا تدرك إلا بأمرين
سر تشريف إذا تجلى الله لسر عبد الخ
قول أهل السنة القرآن كلام الله
الجهل بالله كفر ومعرفة
بيان المعرفة الحقيقية
المدد الواصل إلى الخلق على يد الخاصة العليا
-الصحبة لا تكون إلا للحي
الأمور التي تكون سببا لطرد المريد عن شيخه
أعظم شرط عدم مشاركة غير الشيخ في محبته
من الشروط عدم طلب الدنيا من الشيخ
من فتح عليه تجب عليه مغادرة الشيخ
-أبيات من رائية الشريشي
الحب لا يكون إلا مع بذل المال
التحذير من مخالطة المبغضين
لا ينتفع بالشيخ من لا يعتقد ولايته كلام يقيس
باب انتفاع الأخوان ببعض وصايا شيخنا قطب الزمان
-الوصية الأولى
الوصية الثانية
الوصية الثالثة
الوصية الرابعة
الوصية الخامسة
الوصية السادسة فصل بعض رسائله رضي الله عنه
-رسالة التحدث بنعمة الله (لأهل الأغواط)
رسالة جواب عن 3 أسئلة
فصل في مسائل من علوم الشيخ الزاهرة
-جواهر القلب السبعة
حقيقة الذكر

-مراتب محبة الخلق لله
الفقير ابن وقته
-التوحيد الخالص
-الأسماء القائمة التي يطلبها الكون
عقوبات الذنوب وما يردها
بيان بعض ثواب الاسم الأعظم
تحقيق فضل دائرة الإحاطة
سلوك صلاة الفاتح ومفتاح القطبانية
مكتوب على كل فلك حرف من حروف الاسم
-العارف يصير حرفا من حروف الاسم
-خاصية معرفة صاحب الوقت
شرح لك ذات العلوم الخ من البردة
-شرح إنما مثلوا صفاتك للناس
-مقدار ما قطع فيه سيدنا جميع المقامات
-عدد المقامات بين المعرفة والقطبانية
مطالب عالية طلبها سيدنا رضي الله عنه
الفضل الخالص الذي لسيدنا في ذكر الاسم
-الفضل الخاص الذي يحصل له في ذكر الفاتح
-فائدة في اعتبار كثرة الملائكة
كيفية الثناء على الملائكة مجازاة لهم
كيفية مجازاة الكفار
-ضمانات الرسول للشيخ
إحسان سيدنا للمؤمنين
-دعاؤه لكافة الموحدين
دعاء لكل حاجة من تركيبه رضي الله عنه
-حمد جامع ركبه رضي الله عنه
-صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم له رضي الله عنه
مطلب من مطالبه رضي الله عنه

شعره رضي اللّه عنه
غزارة علمه واستقامته في أحواله
-حقيقة الولي
حقيقة التصوف
-الولاية عامة وخاصة
-حقيقة العلم
واقعة تشهد على عظيم فضل سيدنا الشيخ
الأبيات التي شرحها له جده صلى اللّه عليه وسلم
-النور الذي يخرج منه عند الذكر
-سكرته وأخباره بالوقائع
مثال ضربه لمقامه رضي اللّه عنه
رؤية للجنة
-روايته للمسبعات العشر
-معنى مفاتيح الكنوز
سبب تسمية الأفراد بهذا الاسم
-التفضيل بين القطب ومفاتيح الكنوز
العلوم المحمدية
الفضل الخاص يحصل بالإذن وبالحضور
-شدة الحرارة التي تنزل بذاته رضي اللّه عنه
مثال لترقي العارف في كل لحظة
-لحظات العارف كل واحدة أفضل من التي قبلها
-أسئلة عديدة عن حقائق عرفانية والجواب عنها
مناقشة للشيخ عن عدم سقوط التكليف عن العارف
معنى حتى لا يبقى من الصلاة شيء
-طول الروح
باب في معنى بعض السمعيات الأحاديث والآيات
-آيات توهم بوقوع الذنب من الأشياء
النسيان في حق الأنبياء

المراد بالفتح في قوله تعالى إنا فتحنا لك الخ
ما ذكره المفسرون في حق سيدنا داود عليه السلام
آداب أهل الحضرة
ما في أكل آدم من الشجرة من حكم
دلائل نبوءة آدم عليه السلام
شرح «كذبات» سيدنا إبراهيم عليه السلام
ولقد همت به وهم بها
تصريف اللّه فيمن أعطاه المال
-معنى قدم الولي على قدم نبي
-حديث حبب إلي من دنياكم الخ
-لكل عارف محبتين في الروح وفي البشرية
محل خروجه صلى اللّه عليه وسلم عند ولادته
بيان أصحاب سيدنا المضمونين له
-ما يقال عند تلاوة الفاتحة
-اختصاصه صلى اللّه عليه وسلم بيوم الاثنين
وصف مشترك بين القديم والحادث
-حكم إهداء أثواب الأعمال لسيد الوجود صلى اللّه عليه وسلم
فصل التفضيل بين الصلاة على النبي وتلاوة القرآن
باب من فيض بحر الفيض الوافر الجزيل الخ
-الكلام على صلاة الفاتح
خيره صلى اللّه عليه وسلم بعد موته كما في قيد حياته
مثال لبيان فضل أهل المراتب
-تفاوت الأولياء في العمل وفي الثواب
شرح بعض ألفاظ صلاة الفاتح
خواص الجوهرة وياقوتة الحقائق
-فضل سورة الفاتحة وسورة القدر
الفاتحة بنية الاسم
-من الأخبار الغيبية روح الصلوات

الصلاة الجامعة وصلاة رفع الأعمال

-فضل حمد مروى عن سيدنا إبراهيم الخليل

- فضل دعاء إسرافيل

فضل السلام على النبي صلى اللّه عليه وسلم

وفضل استغفار الخضر وما يكفر الكبائر والتسبيح

فضل الاستغفار للمؤمنين ودعاء عشية الجمعة

-الصلاة على النبي صلى اللّه عليه وسلم ليلة الجمعة

-وظيفة اليوم والليلة

المسبعات العشر وصلاة التسبيح ويما من أظهر الجميل

صلاة ضحى الجمعة تقوم مقام صلاته لمن له عذر

-لتكفير الصلوات الفائتة

للحفظ من الغيب -تشهد رواه البخاري

-للحفظ من سلب الإيمان

-صلاة أداء الحق النبوي وسيد الاستغفار

-معنى قولهم أفضل ما هو أهله

معنى قوله حتى لا يبقى من الصلاة شيء

-ما ورد أنه فدية من النار

صلاة الفاتح ضامنة لخير الدنيا والآخرة

-كثرة الصلاة على النبي ضامنة للاستقامة

-محبته صلى اللّه عليه وسلم وفضائل الصلاة عليه

ياقوتة الحقائق

جوهرة الكمال

-ذكر شيء من مناقب سيدنا رضي اللّه عنه

-وفضل رؤيته يومي الجمعة والاثنين

فضل من أحبه وأحسن إليه ومن أخذ عنه ذكرا

لا نسبة بين عليين وعموم الجنان

-من أحبه يموت وليا

عدم الأمن من مكر اللّه أساس كل فضيلة

شفاعته في أهل عصره
-عدد من يصل على يده وعدم مفارقة الرسول صلى الله عليه وسلم
مناقبه رضي الله عنه
-بلوغه أقصى مقام القطبانية وجمعها له مع الفردانية
-مقاماته في الجنة
-ما ضمنه له جده صلى الله عليه وسلم
ما أعطيه من صيغ الاسم الأعظم
علو مقامه ومثال ضربه لذلك
سلطان الروح يغلب على البشرية عند الأنبياء
معنى قوله تعالى وتخشى الناس الخ
تفسير ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم والمبطلات أو المحبطات للأعمال
أنواع الردة
قوله تعالى لقد تاب الله على النبي الخ
معنى لا يتوب العبد حتى يتوب الله عليه
-قبول التوبة قطعي عند سيدنا رضي الله عنه
قوله تعالى النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
-ما أصابك من نعمة فمن الله الآية
وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو
ليس كمثله شيء
-الحروف التي قال العلماء أنها زائدة
قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الخ (الغرانيق)
قوله تعالى ومن أعرض عن ذكري فإن له الخ
مسائل خالف فيها سيدنا القطب الدباغ
حديث ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا الخ
حديث تنام عيني ولا ينام قلبي
آية وما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان
آية ما أدري ما يفعل بي ولا بكم
الألوهية المشهودة لغير الله قسمان

شرح البيتين عينان عينان الخ
آية قل يتوفاكم ملك الموت الخ
آية إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض الخ
آية يمحو الله ما يشاء ويثبت
آية ويحذركم الله نفسه
-العلماء ورثة الأنبياء
حديث حجابه النور لو كشفه الخ
آية فإذا سويته ونفخت فيه من روحي الخ
وجعلنا من الماء كل شيء حي
شرح من وحد فقد ألحد
-السؤال عن أصل المحبة التي بين الخلق
السؤال عن عدد الأنفاس
لطيفة الفرق بين سماع الأنبياء لكلام الله الخ
الفرق بين العلوم والأسرار والفتوحات والمواهب الخ
العلم الرياضي يحتاج إلى أمور لا بد منها
التسبيح ملء ميزان ومبلغ الرضى وزنة العرش
شرك الأغراض في العبادة
الأكوان عند العارفين على حد سواء
الفرح بالنعم على ثلاثة أقسام
التعلق بالله –التفويض- التسليم.الرضا. الاستسلام
الأشياء التي تحجب الخلق عن ربهم
الواجب في حق السالك مرادان
مسألة في الكلام على الحكم الشرعي
حكم الله في أموال الأعراب الناهبين
السؤال في نازلة في الصيام
أسئلة أخرى في الأحوال الزوجية
في الرضاع
حكم رجل تخرج العمارة من سلاحه الخ

حكم المرأة الناشرة في بلد لا حكم فيها

مطالب لسيدنا رضي اللّه عنه في أول أمره مجموعة أخرى من المطالب التجانية

انتهى

الحمد لله ومن خط العلامة أحمد سكيرج رضي الله عنه على آخر صفحة من نسخة خطية لهذا الكتاب ما نصه الحمد لله ولكاتبه خديم الحضرة التجانية.

هذا كتاب مواهب المنـــــــان من ضمنه روض المحب الفاني
لله ما اشتملت عليه فصولـــــه من سر أسرار و من عرفـــان
فـي ضـمنه سـر الحقيقـة للـــــذي يبغـي توثـق عـروة الإيمـــان
في ضمنه سر الطريقة للـــــذي يهوى السلوك إلى طريق جنان
فـي ضـمنه سـر الشـريعة للـــــذي رام اتبـاع المصـطفى العدنـاني
جمـع الحقيقـة و الطريقـة و الشريـــعة جمـع حـق كامـل الميـــزان
بعبارة مسبوكة و إشـــــارة مرموزة تشفي من الأحـــزان
كم فيه من نور لكل مطالـــــع كم فيه من سر و كل أمـــان
كم فيه من خير لمن قد نالـــــه يحظى به في السر و الإعـلان
مرموزة لذوي المراتب جنـــــة و جنا قطوف الزهر منها دان
و لغير أهل السر أضحت جُنـــــة و وقاية لهم من الطغيـــان
فـاعرف بـه و ابـن الرضـا المشـري الـذي وافـى بـه مـن حضـرة التجانـي
وافى به في خير صنع دأب مـــن يبغي بما وافى رضا الرحمـن
فـالله أسـئل أن يجازيـه علـــــى هـذا الصـنيع بكامـل الرضـوان

وكتبه عبد ربه أحمد بن الحاج العياشي سكيرج أمنه الله

بسم اللّه الرحمن الرحيم و صلى اللّه على سيدنا محمد و آل

يقول مقيده محمد المهدي بن عبد اللّه الكنسوسي غفر اللّه ذنوبه و ستر عيوبه أن اللّه تعالى يسّر طباعة هذا الكتاب النفيس المعد للإخوان حتى يطالعوه و يتعرفوا على كلام شيخنا و وسيلتنا مولانا أحمد التجاني قدس سره الشريف.
و غير خاف أن هذا الكتاب يتميز باحتوائه على درر لا توجد لا في جواهر المعاني و لا في الجامع التقطها الشريف الحسيب سيدي محمد بلمشري رضي اللّه عنه من مجالس سيدنا الشيخ العلمية. و قد عملت على إصلاح ما أمكن من الأخطاء اللغوية التي وجدتها بالمخطوط المعتمد، لكن الإنسان معرض للهفوات و يتعذر عليه الوصول إلى الكمال . ارجو من المطالع أن يعدرما عجزنا عنه و يتقبل عملنا قبولا حسنا و يدعو لنا بحسن الخاتمة و الثبات على ملة سيدنا محمد صلى اللّه عليه و سلم و محبة شيخنا تاج العارفين رضي اللّه عنه و أرضاه و أن يكون أسعد أيامنا يوم لقاء خالقنا.

مراكش 16 ذو الحجة 1431

23 نونبر 2010

رقنه وصححه: الأستاذ مولاي المهدي الكنسوسي